الجزء الثاني

قصص 2



العريفي



الواقعية

د. محمد بن عبد الرحمن العريفي

دار البشير
الإمارات

دار عباد الرحمن

قصص العريفي

مـجـموعـة قـصـص وعـبـر وعـظـات

منتقاة من كتب الشيخ حفظه الله

جمعها ورتبها

أبو سلسبيل محمد عبد الهادي

الناشر

مكتبة عباد الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢

رقم الإيداع: ٢٠١٠/٢٠٧٢٩

دار عباد الرحمن

ج . م . ع . القاهرة

جسر السويس - شارع العشرين

ت/ ٠١١٨٢٩٨٢٩٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧١].

وبعد فهذا الجزء الثاني من كتاب قصص الدكتور العريفي حفظه الله، وقد انتقيناها من كتبه المطبوعة، وقمنا بترتيبها والتأليف بينها كما تراه

وهي قصص واقعية سمعها الشيخ وقرأ بعضها، مما يجعلها قريبة للناس، فهي من القصص الحق، وليست قصصا وهمية ولا من الأساطير.

فدونكم هذا القصص الممتع في هذا الجزء الثاني.

قصص وحكايات وعبر وعظات من البحر

يوجد عندنا كلمة بحر في القرآن اثنين وثلاثين مرة، يوجد عندنا كلمة بر، أو يبس في القرآن ثلاث عشرة مرة مجموعها خمسة وأربعون مرة نقسم البحر في القرآن اثنين وثلاثين مرة علىٰ المجموع الكلي للماء واليابس الذي هو خمسة وأربعين يكون الناتج واحد وسبعين في المائة التي هي نسبة الماء بالتمام نسبة البحيرات، والبحار، والمحيطات علىٰ وجه الأرض ثلاثة عشر التي ورد ذكرها في القرآن الكريم بلفظ البر واليابس اقسمه علىٰ المجموع الكلي علىٰ خمسة وأربعين يكون الناتج تسعة وعشرون في المائة التي هي فعلاً مقدار اليابسة علىٰ وجه الكرة الأرضية، طبعًا الكرة الأرضية بالمناسبة فيها أحد عشر ما بين محيطات وما بين بحار هذه كلها تمثل واحدًا وسبعين في المائة، وهو الذي ورد في القرآن لذلك يقول ﷻ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

عندما يؤلف أحد أي كتاب تجد أنه بعد ما يؤلف الكتاب يقول: عندما يأخذ الكتاب من المطبعة، ويعطونه النسخة، ينظر إليه ويقول: ياليتني أخرت هذه القصة للفصل الخامس، وياليت هذا الحديث ما ذكرته، وهذه الكلمة ما كانت مناسبة، وعدد صفحاته زائدة، لا يوجد أحد يؤلف كتابًا إلا وتجده بعد تأليفه يقول: يا ليتني زدت ويا ليتني أنقصت لكن رب العالمين، لما نزل القرآن في كل يوم تخرج منه أسرار، أكثر، وأكثر حكم علىٰ الناس وإعجاز ويقول الله تعالىٰ متحديًا: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٨٢]، لو هذا القرآن من شخص عادي من البشر، لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا، ما قال اختلافًا فقط بل قال: اختلافًا وكثيرًا ومثال ذلك فقد ذَكر الله تعالىٰ الملائكة في القرآن ثمانية وثمانين مرة، وذَكر أيضًا الشيطان أو الشياطين في القرآن ثمانية وثمانين مرة، وذَكر الله تعالىٰ الدنيا اثنا عشرة مرة أو مائة وإثنتا عشرة مرة، وذكر الآخرة أيضًا نفس

العدد، ذكر الرجل نفس العدد وذكر المرأة نفس العدد وهذه أمور ربما ما اكتشفها الإنسان فمثلاً الصحابة ما إشتغلوا في البداية كم مرة وردت كلمة بحر؟ وكم مرة بر؟ لكن رب العالمين يعلم أنه سيأتي أقوام ما يقنعهم إلا الأمور العقلية، فيريد جل في علاه أن يبقىٰ هذا القرآن حكيمًا معجزًا إلىٰ قيام الساعة، الماء جعله الله تعالىٰ في بعض الأحيان عذابًا علىٰ بعض الناس كما جاء في بعض قصص القرآن، وجعله الله تعالىٰ في أحيان أخرىٰ رحمة لبعض الناس، لكن كم يستطيع الإنسان أن يعيش من غير أن يشرب ماء؟ وكم يستطيع أن يعيش من غير ما يأكل طعامًا هذه حقيقة مسائل مهمة.

يُقال إن الكُنغر - الحيوان الموجود في أُستراليا - لا يشرب الماء، أو يعني إذا شربه يشرب كمية بسيطة جدًّا، ولكن بعض المسلمين أنكر هذا الشيء، الآية تقول: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء:٣٠]، والكنغر طبعًا كائن حي، ولكن بعد البحث في هذه المسألة اتضح أن في جسم الكنغر جهاز يستخلص الماء من المواد الغذائية التي يأكلها مثل الأعشاب والنباتات - سبحان الله - هذا شيء عجيب حقًا.

علماء الأحياء يقولون: إن عددًا من النباتات تحتوي علىٰ ٩٧٪ ماء وهذا موجود الآن، هل تقارن نسبة الماء الموجودة في الموز ونسبة الماء الموجود في البطيخ مثلاً هناك فرق كبير بينهما فإذا أكلت الموز شعرت بالعطش، وتحتاج إلىٰ شرب الماء بعده، ولكن إذا أكلت البطيخ ستشعر أنك قد ارتويت.

وخلق الله بعض الحيوانات لا تشرب الماء ولكنها تستخلصه بطريقة يعلمها الله تعالىٰ مثل الضب لا يشرب الماء لكن لا ينتفي مع قول الله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ لا يستغني عن الماء لكنه يأخذ الماء بطريقته بعض الحيوانات تأتي وتعب الماء عبًا، تشربه شربًا، أما بالنسبة إليه يستخلص الماء بطريقته، لكن رب العالمين مراعاةً لظروفه لأنه لا يستطيع أن يعيش بجانب أنهار أو قد يفترس لو جاء بقرب الأنهار، أو ما شابه ذلك، فرب العالمين يعطيه قدرة يحمي بها نفسه ويوفر له طرق الحياة التي يعيشها.

جسم الإنسان يحتوي علىٰ سبعين أو خمسة وسبعين في المائة من الماء عمومًا،

لكنَّ القلب نفسه يحتوي علىٰ أكثر من خمسة وثمانين في المائة من الماء.

والقلب هو الذي يحرك الدم وقد ذكرنا أن الدم واحد وثمانين في المائة منه يعتبر ماء.

يمثل الماء ٧٣٪ من وزن الرئتين. لذلك يقول الله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ ولكن كيف الله تعالىٰ يجعل هذا الماء كما ذكر في القرآن نصرًا لموسىٰ عليه السلام، نصره الله بالبحر لما شق له، وكذلك ذكر الله تعالىٰ في القرآن: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الرحمن:٢٤] الأعلام جمع علم وهو الجبل، وفعلاً نجد أن بعض السفن الكبيرة وزنها قد يصل إلىٰ عشرة آلاف طن.. خمسين ألف طن..!

بل قد يصل إلىٰ مائتين ألف طن، خمسة مليار طن هذا شيء عجيب ومثل ما قال الله ﷻ: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الرحمن:٢٤] كأنه جبل عظيم وفعلاً بعضها طولها يقارب طول عمارة، مقدارها لا يقل عن عشرة طوابق وقد يصل طولها خمسين مترًا، ستين مترًا، سبعين مترًا، سفن مرتفعة ما يمسكهن إلا الرحمن مثل ما بين الله تعالىٰ ذلك: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾، هل تصدقون إن في البحر نفسه ينابيع حلوة للماء؟

بعض البحارة في الزمن القديم كانوا يأخذون الجرار ويذهبون إلىٰ أماكن معينة في البحر، يعرفون أن ماءها حلو فيملئون جرارهم من الماء العذب ويفعلون ذلك كل مرة ينقطع عنها الماء العذب، أو ينفد ما معهم من ماء وكانت عندهم أيضًا وسائل بدائية في تحلية الماء تعتمد علىٰ تبخير الماء حتىٰ يتم تجميع الماء المتبخر وفي الغالب يكون هذا الماء المتبخر عذبًا.

ماء البحر أو غيره من المياه جعل الله تعالىٰ فيه جنديًا من جنوده يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٣١] قد يكون من جند الله تعالىٰ الماء، السحاب، الحديد، الملائكة، الجن إلىٰ غير ذلك والله تعالىٰ يتخذ من جنده ما يشاء، جعل الله تعالىٰ الماء نصرة للمسلمين في بعض المعارك لما خرج المؤمنون مع النبي ﷺ لأجل مواجهة قافلة لقريش كانت قادمة من الشام إلىٰ مكة فخرج المسلمون

ليقطعوا عليها الطريق.

وكان ذلك في غزوة بدر؛ فخرجوا إليها فإذا بالقافلة قد ذهبت إلىٰ طريق آخر، وإذا بقريش قد خرجت إليهم بجيش عدده أربعة أضعاف عدد المسلمين فيهم (١٣٠٠) مقاتل والمسلمون ليس فيهم إلا (٣١٤) فيقول الله تعالىٰ لما ذكر حال المؤمنين قال ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩] لما النبيﷺ رفع يديه وقال: «يارب نصرك الذي وعدتني، إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض»، ثم قالﷻ: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ [الأنفال:١١]؛ فالله تعالىٰ مع شدة خوفهم أراد أن يؤمنهم؛ فجعل النعاس أمنة منه ثم قال: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾ [الأنفال:١١] أول شيء ليطهركم به.

وسبب نزول هذه الآية أن أحد الصحابة رضوان الله عليهم أصابته جنابة وهو نائم.

فقال الشيطان له: أصابتك جنابة وأنت تيممت، ولكن ستقاتل وأنت جنب.

فقال الله تعالىٰ: ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ [الأنفال:١١] ويذهب عنكم وسوسة الشيطان.. لما قال: تقاتلون وأنتم جنب، الله يدري أنكم تقاتلون ويعلم عذركم لأنكم ليس عندكم ماء؛ فتيممتوا لكنَّ الله أراد أن يذهب عنكم أي شك فطهركم بالماء؛ حتىٰ يدحر الشيطان، ويذهب عنكم رجز الشيطان، ثم قال اللهﷻ: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال:١١] يثبت الأقدام بالماء وفعلاً جعل الله تعالى الماء عند المؤمنين تثبيتًا لأقدامهم علىٰ الأرض التي هم عليها، وجعله الله تعالى عند الكافرين مزلة لأقدامهم نفس الماء ينزل هنا وينزل هنا ما بينهما لا يزيد عن خمسين أو ستين مترًا، ومع ذلك هنا يكون تثبيتًا للأقدام مع إنها نفس الأرض، لكن مقدار الماء الذي نزل هنا يرطب الأرض، حتىٰ لا يثور فيها غبار وتتحرك الأقدام علىٰ الأرض بسهولة ويسر بينما الجهة الثانية، إنما جعله الله تعالى كثيرًا؛ مدحضة ومزلة بحيث أنهم كلما مشوا بدأت أقدامهم تزل في أثناء مشيهم ويتطاير عليهم الطين ويلطخ ثيابهم ويلطخ دوابهم.

وكانوا في السابق يعتقدون في البحر، عقائدا معينة بعضهم كان يعبد البحر، ويظن أن هذا البحر مهلكه، وإلىٰ غير ذلك. هناك أحكام عقائدية نعتقدها نحن المسلمون في البحر أيضًا ماذا سيحصل للبحر إذا قامت القيامة وسجر البحر؟ وما شابه ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ [الطور:٦] آية ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير:٦] سجرت يعني: أشعلت بالنار يوم القيامة، الله تعالىٰ يقول: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ إذن يوجد بحر مسجور الآن نعم هناك بحر مسجور وهناك براكين تحت البحر، وعجائب براكين بحيث تصل درجة الحرارة إلىٰ (٢٣٠٠) درجة مئوية وهذه الدرجة تكفي لجعل البحر مشتعلاً ومسجورًا، وهذه من دلائل قدرة الله ﷻ.

تكلمنا عن الماء، وخلق الله ﷻ للماء، إن النبي ﷺ ما ركب البحر ولم يرد عمومًا في أحاديث النبي ﷺ أنه ركب البحر، أو أنه سافر في سفينة، لكن جاء في أحاديث أخرىٰ أنه ﷺ سُئل أسئلة عدة عن البحر بل إنه ﷺ كان يضرب أمثلة عن البحر مثل قول النبي ﷺ: «من سبح في دبر كل صلاة ثلاثة وثلاثين، وحمد الله ثلاثة وثلاثين، وكبر الله ثلاثة وثلاثين». وهذا الذكر يكون بعد الصلاة المكتوبة.

«ثم قال: تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير»، قال: «حطت عنه خطاياه» وإن كانت مثل زبد البحر، ما المقصود بكلمة زبد البحر؟

زبد البحر: هو الرغوة التي تكون في منطقة تلامس البحر مع شاطيء الأرض.

أحيانًا البحر يكون فيه بعض الشوائب أو بعض الطحالب التي تطفو فوقه فتتجمع هذه الأشياء مع الملح والتراب مكونة رغوة عظيمة جدًّا مثل الزبد، أو مثل القشطة لكنها لا تمكث طويلاً لأنها فقاعات وبالتالي بعد وقت يسير من طلوع الشمس هذه الفقاعات يخرج ما فيها من هواء وتبرد، يشبّه النبي عليه الصلاة والسلام الخطايا في كثرتها بهذا الزبد، النبي عليه الصلاة والسلام لم ير زبد البحر لكن الله - تعالىٰ - أخبره به في كتابه لما قال ﷻ: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد:١٧] كل وادي، كتب الله تعالى له سيسيل به من الماء بل يقول الله تعالىٰ عن المطر: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ

﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر:٢١] وفي آية أخرىٰ قال ﷻ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر:٢١]، يقول بعض أهل العلم بقدرٍ معلوم يعني بتقدير معلوم كيف بتقدير معلوم؟

والمقصود: أن البحر يحمل زبدًا قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ [الرعد:١٧]، مثل الخشب وما ينتفع به الناس فيمكث في الأرض ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾، بعض الناس أعمالهم زبد لا تنفعهم تكون غير خالصة لله كأن يكون فيها نفاق، أو شيء من الرياء والسمعة أو أحيانًا البدعة مخالفة السنة وبعض الناس أعمالهم ثابتة كثبات الجبال، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال، الذكر الذي قاله النبي ﷺ ، سبحان الله ثلاثة وثلاثين، والحمد لله ثلاثة وثلاثين، والله أكبر ثلاثة وثلاثين، ثم يقول تمام المئة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير.

قال: حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر، المقصود بها الخطايا الصغار وليست الخطايا الكبار، مثل أكل الرشوة وعقوق الوالدين والزنا وشرب الخمر والسحر والشرك بالله، هذه تحتاج إلىٰ التوبة حتىٰ يغفرها الله، يقول النبي ﷺ: «أن الصلوات الخمس كفارة لِما بينهن»، ولكن المعاصي الكبار تحتاج إلىٰ توبة خاصة بها، أما المعاصي الصغار فتكفرها الصلاة ومثل هذه الأذكار، ومن أمثلة الذنوب التي تكفرها الصلاة، النظرة، كأن تمر أمام شاب فتاة جميلة فينظر إليها مرة أو مرتين وبعد ما انصرفت شعر بالندم، فقال: ماذا فعلت؟ لقد ارتكبت ذنبًا، ماذا أفعل ليغفره الله لي، فعليه بالصلاة، فالصلاة تُكفر الذنوب الصغار، ولماذا ضرب النبي ﷺ المثال في زبد البحر؟ ولم يقل حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل الجبال أليست مكة مليئة بالجبال؟

الأحاديث التي ذكر فيها النبي ﷺ البحر، النبي ﷺ قال: «من قال: سبحان الله ثلاثة وثلاثين مرة، الحمد لله ثلاثة وثلاثين مرة، الله أكبر ثلاثة وثلاثين مرة، ثم قال في المئة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير في دبر كل صلاة مكتوبة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر» ولذلك قلت: لماذ ضرب النبي ﷺ بزبد البحر؟

دل ذلك علىٰ أن زبد البحر يدل علىٰ الخطايا الصغيرة ولهذا لم يقل ﷺ وإن كانت مثل الجبال، مع وجود أحاديث أخرىٰ جاء فيها ذكر الجبال كأمثلة أما قول النبي ﷺ: «الصلاة إلىٰ الصلاة مكفرات لما بينهنَّ»، و«رمضان إلىٰ رمضان مكفرات لما بينهما» إلىٰ آخره، هذه خاصة بالصغائر أما الكبائر فلا بد لها من توبة، لا بد لمن وقع في كبائر الذنوب من الإقلاع عنها، والندم علىٰ ما فعل، والعزم والإصرار علىٰ عدم العودة مع الشعور بالذل والانكسار بين يدىٰ الله تعالىٰ، وكذلك مع الإكثار من الأعمال الصالحة حتىٰ يتقبل الله توبته.

النبي ﷺ جلس مع عائشة وكانت صفية زوجة النبي ﷺ تضاهي عائشة في الحسن والجمال، فقالت عائشة يومًا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله حسبك من صفية أنها كذا وكذا وأشارت بيدها تعني أنها قصيرة، فقال النبي ﷺ مه يعني: اسكتي انتظري رويدك، قال: «مه يا عائشة لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته» لو مزجت بماء البحر لمزجته، يعني لو مزجت بواحد وسبعين في المئة من هذه الكرة الأرضية لمزجته إن السيدة عائشة لم تغتب صفية زوجة الرسول، وإنما قالت كلمة واحدة فقط ولكن الرسول ﷺ أمرها أن تسكت ليُعلمها أمور دينها وقال لها: «إنك قلت كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته»، انظر لهذه الكلمة فإن بعض الناس يعتقدون أنها كلمة بسيطة وقد تكون عند الله عظيمة: ﴿وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ﴾ [النور:١٥] ولكن قالت: تعجبك صفية وهي قصيرة، فقط كلمة واحدة فقال النبي ﷺ: لو مزجت بماء البحر لمزجته، العجيب أن البحوث العلمية الحديثة اليوم أثبتت أثر الغيبة في الماء!

ما المظاهر المشابهة لما قالته عائشة رضي الله عنها؟

هل النبي ﷺ ركب البحر؟

لم نسمع أن النبي ركب البحر.

لكن الصحابة ركبوا البحر مثل الصحابة الذين ذهبوا إلىٰ الحبشة عن طريق البحر.

جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ قال له: يا رسول الله إنا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء فإن توضأنا به عطشنا - نركب البحر - يعني نركب البحر إما لصيد، إما

لتجارة، إما لأي أمرٍ من الأمور ويقول ونحمل معنا القليل من الماء لو توضأنا بهذا الماء الذي معنا في السفينة عطشنا، ما بقي معنا ماء، أفنتوضأ من ماء البحر؟

فقال النبي ﷺ له وهو ﷺ دائمًا تسأله سؤالاً ويتوقع حاجتك إلىٰ أسئلة أخرىٰ، أنت نسيت أن تسألها فيجيبك عنها. يعني فمثلاً عندما يأتي أحدكم وعنده مشكلة زوجية ويسأل العالِم عنها، فيقول: إن زوجته تريد أن تذهب إلىٰ أهلها كل يوم فهل هذا يصح؟ فإذا أجبته بالنصح قلت له: لا تذهب لأهلها ولا أختها.

فيقول: أنا ما أسألك عن أختها، أقول: نعم ولكني أعلم أنك غفلت عن هذا السؤال، لكنه سؤال مهم بالنسبة إليك، وهذا يدل علىٰ النصح، النبي ﷺ الصحابي يسأله يقول له: يا رسول الله نحن نركب البحر معنا ماء قليل، إذا توضأنا بهذا الماء عطشنا، أنتوضأ بماء البحر؟ كان ممكن النبي ﷺ يُجيبه جوابًا مُختصرًا يقول له: نعم أو لا، لكنه ﷺ يعلم أنه سيحتاج إلىٰ سؤال آخر لكنه نسي أن يسأله فقال له: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته» الأول: قول النبي ﷺ: «الطهور ماؤه».

بالمناسبة: البحر الأحمر يقولون هو البحر الوحيد الذي يفصل بين قارتين طوله طبعًا ١٣٠٠ كيلو يمتد من الشمال إلىٰ الجنوب لماذا سُمي أحمر؟

قيل: كثرة المرجان وبعض الطحالب البحرية الحمراء، وقيل: لأن الجبال التي من الجهة الأخرىٰ سلسلة جبال تعكس عليه فينقلب اللون كأنه أحمر.

نتكلم عن قوله ﷺ: «الطهور ماؤه»:

العلماء ذكروا أنه يجوز التطهر بماء البحر، التطهر في أمور. إذا كان ماء البحر طاهرًا ويجوز الوضوء منه لكنه مالح جدًا وتكون المضمضمة والاستنشاق صعبة إلىٰ حدٍ ما.

كان الصحابة ﷺ يسألون النبي ﷺ عن البحر، سأل الصحابة النبي ﷺ عن البحر عندما جاء الصحابي وسأل عن الوضوء؟ قال: نحن نركب البحر ونحمل معنا ماء قليلاً ونتوضأ من ماء البحر فقال ﷺ: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته» تكلمنا عن ما يتعلق بطهارة ماء البحر، نتكلم عن سؤال آخر كان النبي ﷺ يحدث أصحابه فذكروا

له أيضًا شيئًا متعلقًا بالبحر، قال ﷺ لأصحابه: «إن الله ورسوله حرم بيع الميتة والخمر والخنزير والأصنام» فقام أحد الصحابة قال: يا رسول الله أنت الآن تقول الميتة حرام، يا رسول الله أرأيت لحوم الميتة تموت بقرة، أو يموت بعير، أو يموت غنم، نحن لن نأتي ونأكل اللحم لكن سنأخذ الشحم نستفيد منه، قال: أرأيت شحوم الميتة نبيعها؟ أرأيت شحوم الميتة فإنها تُطلىٰ بها السفن هنا الشاهد: أن الصحابة كان لهم اتصال بالبحر لذلك كانوا يسألون النبي ﷺ من خلال أسئلتهم يتضح أنهم يخالطون البحر، فيسألون مباشرة عن البحر يعني ما قال: يا رسول الله رأيت لحوم الميتة فإنها تطلىٰ بها البيوت كان لهم علاقة بالبحر إما في سفر، أو تجارة، أو صيد قال: يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنها تُطلىٰ بها السفن نطلي بها السفن ويستصلح بها في البيوت نجعلها وقودًا للمصابيح يعني يجوز نبيع لحوم الميتة أم لا؟

فقال النبي ﷺ «لا هو حرام، لا هو حرام»، ثم قال ﷺ : «لعنة الله علىٰ اليهود والنصارىٰ» أو قال: «لا تفعلوا كما فعلت اليهود والنصارىٰ حرم الله تعالى عليهم الشحوم فجملوها وباعوها» يعني أذابوها، وقالوا: نحن الآن لا نستعمل شحمًا نستعمل زيتًا، الحقيقة أنه دهن لكنه شحم مُذاب يعني مثلما أقول لك: لا تقرب هذا الثلج تذوبه وتشربه، أقول: أين ذهب الثلج؟ تقول أنت: قلت لي لا تقرب الثلج لكن أنا شربت ماء. هو نفس الشيء فبين النبي ﷺ أن اليهود استحلوا محارم الله.

هذا من الأسئلة التي كان النبي ﷺ يستعرضها مع أصحابه كذلك في موقف آخر كان النبي ﷺ عند بعض نسائه فنام وكانت هناك امرأة اسمها أُم سُليم ﵂ فلما استيقظ النبي ﷺ ضحك فلما ضحك سُئل لماذا تضحك؟ فقال ﷺ: «عرض علي نفر من أمتي يركبون ثبج هذا البحر» ثبج هذا البحر: يعني أمواج هذا البحر، «ملوك علىٰ الأسرة» أو «مثل الملوك علىٰ الأسرة»، «غُزاة في سبيل الله»، فقالت أم سُليم: يا رسول الله. قال: «نعم»، ما قالت: ما نوع سفينتهم؟ أو سألت عن اسم البحر هل هو البحر الأحمر ولا المتوسط ولا المحيط ولا بحر العرب تحت ولا البحر الأسود ما سألت أسئلة ما لها داعٍ، ولم تقل: يا رسول الله كم عددهم في السفينة؟ يغزون إلىٰ أي بلد؟ لكن

مباشرةً لما قال النبيﷺ : «ملوك علىٰ الأسرة» يعني: كأن أمواج البحر صارت عروش لهم قال: «ملوك علىٰ الأسرة»، قالت: يا رسول الله ادعُ الله أن يجعلني منهم، مُباشرةً فكرت فيما ينفعها بالآخرة ادعُ الله أن يجعلني منهم.

ثم نام ثم استيقظ ضاحكًا فقالوا: لم تضحك يا رسول الله فقال ﷺ : «عُرض علي نفرٌ من أمتي يركبون البحر» يعني في غزوة أخرىٰ قالت أم سُليم: يا رسول الله ادعُ الله أن يجعلني منهم. قال: لا فأنت من الأولين أو أنت مع الأولين. ألم يكن ممكن أن يقول: أنت منهم يعني تأخذين غزوتين كان من الممكن أن يقول هذا الكلام؟

نعم لكن الذي حصل أن أم سليم لا يمكن أن تكون مع الآخرين لازم تكون مع الأولين فقط لأنها ماتت رضي الله عنها وهي ذاهبة معهم هي طبعًا لم تقاتل بالسيف لكن كانوا يحتاجون النساء لقلة عدد الرجال كانوا يحتاجون النساء يقمن بالخدمات الطبية، تحضير الطعام، مداواة الجرحىٰ، إعداد الماء ونحو ذلك الآن لا نحتاج المرأة تشتغل في العسكرية لأن أعداد الرجال كثيرة بالتالي الرجال هم الذين يطبخون، رجال يُمَرِّضُون، ونحو ذلك فقال النبيﷺ : «أنت من الأولين»، أو «مع الأولين»، كأنه يقول لها ﷺ يا أم سُليم لكن لم يصرح لها كأنه يقول: يا أم سُليم أنت ستموتين ستستشهدين في الأولىٰ طبعًا الشهادة في سبيل الله في البحر أهل العلم عبروا عنه بالجهاد البحري، وجاء في بعض الأحاديث أن غزوة في البحر تعدل عشر غزوات في البر والنبيﷺ لم يركب البحر في غزوة ولم يركبه لا في تجارة ولا غيره، كانت تجارته إلىٰ الشام لكنه ﷺ أثنىٰ علىٰ من يركبون البحر في الغزو، ووصفهم ﷺ بأنهم ملوك علىٰ الأسرة أو مثل ملوك علىٰ الأسرة هذا ما يتعلق بالبحر.

طارق بن زياد قال: العدو من أمامكم والبحر من ورائكم.

كان هذا الكلام بعد ما أحرق السفن طبعًا هذه الرواية غير صحيحة، لكن الصحيح أنها لم تحدث وذلك لأمور: منها:

أولاً: إن إحراق السفن فيه نوع من إتلاف للمال والسفن في ذلك الحين، الآن توجد مصانع كبيرة للسفن وقوارب كبيرة، يعني تستطيع أن تصنع السفينة مع وجود الآلات

لحديثة الآن سواء من الخشب أو من غير الخشب، المنشار الكهربائي يعني الأجهزة الكهربائية التي يمكن أن تُريحك من العمل فصناعة السفينة اليوم لا تأخذ وقتًا كبيرًا، لكن في السابق صناعة السفينة تأخذ منهم وقتًا طويلاً جدًّا فكون طارق بن زياد رَحِمَهُ اللهُ يعمد إلىٰ إحراق السفن وهي التي تنقل الجُند، هذا فيه نوع من إتلاف المال.

الأمر الثاني: أن عند الجند من الإيمان ما يجعلهم يثبتون بالقتال ولا تحتاج أن تحرجهم وتقول: إما تموتون غرقًا أو تموتون شهادةً.

الأمر الثالث: إنه لو كان فعلاً أحرق السفن لجعل بعض هؤلاء الجند يموت ويقاتل ليس لإعلاء كلمة الله، ولكن دفاعًا عن نفسه؛ لأنه لو وجد عنده فرصة أخرىٰ يفر إليها ومع ذلك ثبت فهو يُقاتل الآن في سبيل الله؛ لأنه ممكن أهرب لكن لما تقول له: إما تموت هنا أو هناك وبذلك يقول: أفسدت نيتي، أنا كنت أُريد إعلاء كلمة الله، الآن جعلتني أدافع عن نفسي فقط، فهي لا تَثْبُت، أُدافع حول ما يتعلق بالجهاد في البحر وأيضًا هل ذكر النبي ﷺ الحوت أم لا؟ هذا ما سنذكره.

الرسول ﷺ ذكر أن عرش إبليس موجود علىٰ الماء.

النبي ﷺ ذكر البحر في أحاديث كثيرة منها لما سئل نتوضأ بماء البحر منها حديث أم سُليم، منها حديث طلاء السفن بالميتة، لما نهىٰ عنه، كذلك النبي ﷺ يقول: إن إبليس ينصب عرشه علىٰ الماء، ثم يبعث سرياه ما معنىٰ سرياه؟ جنوده جنوده يذهبون لأجل ماذا؟ يصلون العشاء والمغرب..

لا، يذهبون من أجل أن يفسدوا في الأرض.

يُفسدون في الأرض الشيطان يجري من الإنسان مجرىٰ الدم، حتىٰ لو قال الواحد أنا سأقفل علىٰ نفسي الباب، حتىٰ لا يدخل عليَّ إبليس! والله يدخل عليك إبليس إنه يجري في الدم أساسًا، ولكن الله تعالىٰ جعل في قلب العبد من الإيمان ما يستطيع به أن يدحر الشيطان.

المقصود: أن النبي ﷺ قال: «إن الشيطان ينصب عرشه علىٰ الماء ثم يبعث سراياه»، قال ﷺ: فأحبهم إليه أعظمهم إفسادًا، فعندما يأتوا إليه يقول: ماذا فعلت؟

قال: ما تركت فلانًا حتىٰ شرب خمرًا، قال: يمكن أن يتوب أُريد شيئًا أعظم.

أنت: ماذا فعلت؟

قال: ما تركت فلانًا حتىٰ فرقت بينه وبين امرأته، الآن دمر بيته وشرد الأولاد وممكن الأولاد يقعون في مخدرات وفواحش وغيره، وممكن المرأة نفسها تقع في أمور محرمة، وممكن الزوج يقع في أمور محرمة، ووقعت خصومة بين العائلتين أم الزوج اختلفت مع أُم الزوجة، وأبو الزوج اختلف مع أبو الزوجة، وهذا يعني أن الشيطان في التفريق بين الزوجين اكتسب عدة مشاكل، خرب مجتمعًا كاملاً فيقول الشيطان له: أنت أنت، يعني أنت أحسنهم.

لماذا الشيطان ينصب عرشه على الماء ؟ لماذا لا ينصبه على جبل ؟

السبب أن الشيطان يتشبه بعظمة رب العالمين، يريد أن يُعظم نفسه كعظمة الله وأنىٰ له ذلك؟ الله تعالىٰ قال جل في علاه في أوائل سورة هود: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [هود:٧]، ثم قال ﷻ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود:٧]، فيقول النبي ﷺ في حديث العباس قال ﷺ: «أتدرون كم بين السماء والأرض؟» وذكر الحديث بينهما خمسمائة عام وبين السماء الأولىٰ والتي فوقها خمسمائة عام..

ثم قال ﷺ لما ذكر السماء السابعة قال: «وفوق ذلك بحر بين أسفله وأعلاه مسيرة خمسمائة عام»، ثم قال ﷺ «وفوق البحر عرش الرحمن ولا يقدر قدره إلا الله، وفوق العرش رب العالمين ولا يخفىٰ عليه شيء من أعمالكم» فالشيطان يعلم بأن العظيم جل في علاه عرشه فوق الماء فوق البحر جل في علاه كما ذكر الله تعالىٰ في القرآن فيريد هذا الخسيس الحقير الشيطان أن يتشبه بالله تعالىٰ.

قرأت في بعض المنتديات عن مُثلث بارمودا وما يتعلق به وقالوا: إن مثلث بارمودا يتسبب في غياب السفن وأن الطائرات تفقد الاتصال مع برج المراقبة إذا جاءت فوقه، وأنه فُقد فيه عدد من الطائرات إلىٰ غير ذلك وذكروا عدة تفسيرات من ضمنها قالوا: إن فيها عرش الشيطان وليس هناك ما يثبت ذلك من الأدلة الشرعية هذا أولاً.

الأمر الثاني: أيضًا لا يعني وجود عرش الشيطان أنه يُسيطر علىٰ هذه المنطقة بحيث أن كل من جاء لا بد وأن يُصيبه شيء من الضرر، أو يتعرض لأذىٰ.

بالنسبة لشهيد البحر لماذا أجره كشهيدين في البر ؟

شهيد البحر جاء فيه عدد من الأحاديث بفضله، لكن النبي ﷺ ذكر عددًا معينًا له أجر شهيدين إنما ذكر بعض أهل العلم حديثًا فيه ضعف أن غزوة في البحر بعشر غزوات في البر، وذكروا أن غازي البر عنده مكان يأوي إليه لو خاف وعنده جماعة معه، الذي يغزو في البحر هو في سفينة يسبح به علىٰ ماء ولا يدري كيف يتصرف فيه وليس هناك مكان يأوي إليه أو يهرب إليه ويعتبر مخاطرة في ذهابه إلىٰ هذا المكان.

وهناك أحاديث منسوبة إلىٰ النبي ﷺ لكنها كلها كاذبة، أحيانًا النبي ﷺ يربط بين الصحابة وبين البحر، مثلاً يقول النبي ﷺ: إن الله وملائكته، والنملة في جحرها، والحوت في البحر ليصلون علىٰ معلم الناس، لماذا قال ذلك؟ بدأ بربنا جل في علاه ثم ذكر ملائكته في السماء ثم ذكر النملة التي في الجحر وأنها يصيبها بركة الذي يُعلم الناس الخير وأن الحوت في البحر أيضًا يصلي ويستغفر للذي يعلم الناس الخير.

السؤال: لماذا كل هؤلاء المخلوقات أعني البحر، الحوت، والنملة، لماذا يصلون علىٰ معلم الناس الخير، من معلم الناس الخير؟

معلم الناس الخير هو: الذي يأمر الناس بالخير، وينهاهم عن الشر، يعني لو جئت أنت ووجدت طفلاً صغيرًا ذهب إلىٰ قرية نمل بالبر هكذا، ويعبث بها يصب عليهم ماء، يعبث بالكبريت معهم، هل تنهاه أم تتركه؟ تنهاه فأنت معلم للخير أليس كذلك؟ فاستفاد النمل من تعليمك الخير أليس كذلك؟ وكذلك لو زاد عندك طعام مثلاً فجاء النمل وبدأ يأكل من الخبز اليابس هل ستقول لأولادك: امنعوا النمل من أكلها وبالتالي لو جاء ولد يحملها أو جاء ليربطها بكيس لقلت له: لا يا ولدي لا تربطها دعها هكذا في البر يأكل منها طير، يأكل منها نمل، فأنت تُعلم الناس الخير، وبالتالي أول من استفاد النمل صحيح كذلك ما يتعلق بالحوت بالبحر أنت لو رأيت رجلاً يعبث بصيد السمك واذا مات ألقاه في البحر هكذا يعبث أو مثلاً يصيد السمك ثم

يرميه بحفرة حتىٰ يفسد السمك هكذا عبثًا فأنت تقول له: لا يجوز أن تفعل ذلك.

فإذا أرادت دولة من الدول أن تلوث البحر ثم جاءت وقالت: نحن عندنا بعض المخلفات النووية سنلقيها في البحر وجاءت الفتوىٰ من هيئة علمية إسلامية تقول: إنه لا يجوز، وعندما فُعل ذلك في بعض المناطق المخلفات النووية أو النفطية أُلقي في البحر أول ما تضرر بذلك الأسماك فأنت عندما تنهىٰ وتقول لا يجوز والله تعالىٰ يقول: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[الأعراف:٥٦]، والله جل وعلا يقول: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[الروم:٤١]، لا يجوز أن تُفسد في البحر، والنبي ﷺ يقول: «لا ضرر ولا ضرار» وتأتي تسوق اليه الآيات والأحاديث التي تنهَىٰ عن ذلك أول من ينتفع بذلك الحيتان والأسماك والمخلوقات في البحر، لذلك يقول النبي ﷺ: «إن الله وملائكته والنملة في جحرها».

لماذا النملة تصلي علىٰ مُعلم الناس الخير وتدعو له؟ لأنه ينالها نفع حتىٰ وهي في جحرها والحوت كذلك يناله النفع بقي معي مسألة خطيرة، لما النبي ﷺ قال بعد ما استيقظ من النوم قال: «عُرض عليَّ قوم من امتي نفر من امتي يركبون البحر غزاة في سبيل الله» ماذا قالت أم سُليم؟

أول كلمة قالتها: ادعُ الله أن يجعلني منهم. ألا يدلك ذلك علىٰ أن الصحابيات كانت قلوبهم مُعلقة بأمر واحد وهو: كيف يستطيع الإنسان أن يُحدد له هدفًا واضحًا في الحياة؟ لو قارنًا بالله عليك بين تلك النساء الصحابيات وبين نساء ذلك الجيل، أول ما تسمع النبي يقول: توجد غزوة في البحر تقول: يا رسول الله أنا أريد أن أكون منهم لو قارنت بينها وبين بعض فتياتنا اليوم هل تجد تشابه؟ تجد أنها تفكر مباشرة بما يتعلق باستمتاعها الشخصي؛ لذلك أنا أدعو أخواتي وبناتي أن تكون الواحدة منهن همتها عالية مثل همة الصحابيات، يعني عندما يُحدثنا هذا البحر لو أذن الله لهذا البحر أن ينطق لحدثنا عن من استشهد فيه... فذكر لك عبادتها وزهدها وورعها وكيف كانت بالسفينة تتعبد وتتقرب إلىٰ الله حتىٰ قبض الله تعالىٰ روحها وهي بالسفينة لو أذن الله تعالىٰ للبحر أن ينطق أفلا يحق لها أن تكون قدوة أسأل الله أن يجعلنا فعلاً ممن

يهتدي بأخلاق أولئك وأن يجعلنا ممن تستغفر لهم الحيتان لنا ولكم ولجميع اخواننا في الله.

أسأل الله ﷻ أن يجزيكم خير الجزاء وأن ينفعنا وإياكم بما قلنا، وأن يقينا حر النار ويقي إخواننا أيضًا حر النار، بارك الله فيكم وصلىٰ الله وسلم علىٰ رسول الله ﷺ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

۞ ۞ ۞

قصة عجيبة لأحد العلماء مع البحر:

هذا العالم ظهر في قومه أو في عصره قوم من السمنيه، سمنية: قوم من الملحدين - وفكرة الإلحاد الآن مع الأسف بدأت تنتشر - كان يتناقش معهم وكانوا يزعمون أنه لا إله، وأن كل شيء وُجِدَ صدفةً بهذا الكون سبحان الله! فكرة الإلحاد هي أخف الأفكار التي تستطيع أن تقضي عليها أقل فكرة انتشارًا وأقلها وأهونها حجة هي فكرة الإلحاد، وهي هذه الفكرة التي تذهب إلىٰ أنه لا يوجد إله ولا يوجد خالق، كما يقول الهندوسي الكافر، البقرة هي التي خلقت كل شيء، وكما يدعي البوذي أن صنم بوذا هو خالق كل شيء، وهذه الأفكار لا يقبلها كل من لديه شيء يسير من العقل، يقولون: إن كل شيء وُجِدَ صدفةً كل الجبال وكل الأشجار بهذا الإتقان، وهذا البحر بإتقانه وملوحته ودرجة الملوحة المعينة والمحدودة فيه التي لا تؤذي العين ولو شربها الإنسان لم تؤذه إيذاءً تامًا ونحو ذلك.

الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تناظر يومًا مع قوم من السمنية، والسمنية: ذكرت بأنهم كانوا مُلحدين قالوا له: لا إله وكل شيء وُجِدَ صدفةً فلما طال النقاش بينه وبينهم اتفق معهم أن يتناقش معهم بين يدي الخليفة، اتفقوا علىٰ اللقاء عند الخليفة تأخر أبو حنيفة عليهم، جاءوا هم عند الخليفة وانتظروا انتظروا الشيخ العالم أين هو؟ تأخر عليهم ثم جاء أبو حنيفة ودخل، فقال له الخليفة: لماذا تأخرت؟

فقالوا: انظر أيها الخليفة تقولون: إنه من علمائكم ومشايخكم وهو يتأخر عن المواعيد فقال أبو حنيفة: أيها الخليفة أنا ما تأخرت إلاَّ لعذر وعذر قاهر لكن ما

استطعت أن أُبكر أكثر. قال: ما الذي جعلك تتأخر؟

فقال أبو حنيفة: أنا بيني وبينكم شاطئ البحر حتىٰ أصل إليكم، لا بد أن أقطع هذا الماء فلما أردت أن أقطع الماء لم أجد مركبًا في الوقت الذي أنا جئت فيه، لا توجد مراكب قال له الخليفة: فماذا فعلت؟ قال: وأنا أنتظر عند شط البحر أنتظر من ينقلني، فجأة هبت علينا عاصفة ثم جاءنا ريح فيها برق وفيها صواعق وضربت الصاعقة شجرة بجانبي فقسمتها نصفين، فوقع منها قسم علىٰ البر، والقسم الثاني علىٰ البحر صدفة، ثم صدفة صرن قطع حديد وصدفة جاء غصن من أغصان الشجرة ودخل بقطعة الحديد وصدفة سبحان الله! هكذا بدأ يقطع في القسم اللوح الذي أُلقي في البحر ليس الذي أُلقي في البر، بدأ يشتغل فيه، يقطع صدفة سبحان الله! صنع منه صدفة قاربًا، فصدفة بدأ القارب يقترب من شاطئ البحر، فجئت أنا وركبت في هذا القارب، ثم صدفة قفز لوحان صغيران من الألواح التي قطعها الفأس والتصقت ببعض الأغصان، وصدفة بدأت تجدف تجدف حتىٰ أوصلتني إليكم، وأنا الحمد لله وصلت والآن نتناقش نحن وإياكم هل هذا الكون وجد صدفة أم لا؟ تفضلوا نبدأ النقاش، فقالوا له: لحظة لحظة أنت مجنون أم عاقل؟ الآن يُكلمه الملحدون الذين كانوا بالأمس يقولون: الكون وجد صدفة قالوا له: أنت مجنون أم عاقل؟

قال: لا أنا عاقل أنا عالم بين أيديكم، قالوا له: معقول قارب كامل يوجد صدفة يعني لو صدقناك أن الشجرة انقسمت قسمين بالصاعقة فلا بأس صدقناك، لكن قارب بهذا الإتقان ولا يدخل فيه ماء وهذا الفأس لا يخرق شيئًا من القارب كل هذه التفاصيل صدفة؟ هذا غير معقول هذا مجنون فقال لهم أبو حنيفة: سبحان الله! الآن تُنكرون عليّ أن قاربًا واحدًا وُجِدَ صدفة وأنتم تقولون: أن السماء بأبراجها، والأرض بفجاجها، والبحار بأمواجها، وأن هذه الاشجار وهذه الأحجار، وهذه الأعاجيب بالكون، وخلق الإنسان كل هذا وُجِدَ صدفة ولا تصدقوني أن قاربًا واحدًا وُجِدَ صدفة ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨].

سبحان الله! لما رأيت البحر تذكرت هذه القصة وعلمت أن فكرة الإلحاد ومع

الأسف بدأت تنتشر اليوم، أن فكرة الإلحاد هي أهون الأفكار أحيانًا في موتها مباشرة لذلك فكرته الشيوعية التي قامت علىٰ الإلحاد ما عاشت إلا ثلاثة وسبعين سنة، وماتت بينما البوذية قائمة علىٰ شرك وعبادة حجر ولو تأتي وتبصق علىٰ هذا الحجر الذي هو الصنم ما دافع عن نفسه، ولو ركلته برجلك لما دافع عن نفسه، ومع ذلك يعبدونه، ومع ذلك فكرة باقية؛ لأنها لم تقم علىٰ الإلحاد بمعنىٰ أنه لا شيء أن الكون ليس له خالق، البوذية موجودة من عام أربعمائة وخمسين قبل الميلاد قديمة ومع ذلك لا تزال موجودة إلىٰ اليوم؛ مع أنها ضلال وفجور وكفر إلا أنها موجودة لأنها عندهم شيء أمامهم شيء يرونه لكن الإلحاد الذي بدأ ينتشر اليوم ليس له أي قبول في العقل.

قد يسألني بعضهم: الإلحاد سبب انتشاره أن النصرانية اليوم غير مقبولة في العقل أساسًا، يعني شخص يقول: الله تعالىٰ عنده ولد فيقول النصراني: نعم عنده، لماذا الله اتخذه ولدًا؟ لأن الله يحب الأولاد لأجل ذلك الله ﷻ ما دام يحب الأولاد لماذا الله ليس عنده إلا ولد واحد؟ ما دام يحب الأولاد لماذا ليس عنده ولدان أو ثلاثة أو أربعة ما دام الله عنده ولد لماذا عيسىٰ ليس عنده ولد؟ ما دام الله اتخذ صاحبًا لماذا عيسىٰ ما اتخذ صاحبًا؟ لماذا ما زوج ابنه ما دام هو تزوج فهي أمور لا يقبلها العقل، والله واحد لا شريك له ليس له لا صاحبة ولا ولد تنزه وتعالىٰ عن ذلك، فهم عندما لم تقبل عقولهم النصرانية خرجوا منها ثم لم يدخلوا في الاسلام فبقوا بلا دين مثل الذي ضيع مشيته ومشية الطاوس فلم يدخلوا في دين آخر وبقوا علىٰ هذا الحال.

قلت: فكرة الإلحاد متشابهة مع فكرة الفلسفة التي تدور حول البحث وراء الأمور المعينة، يعني معظم الفلاسفة بحثوا وراء أمور إلهية فكفر بعضهم وبعضهم توقف عند أمور معينة ووقعوا في الشرك.

الفلاسفة منذ القديم كان عندهم شيء من الالتباس؛ لذلك الرازي لما نزل به الموت بدأ فخر الدين الرازي مر يوم من الأيام مع أصحاب له مروا بعجوز جالسة في نيسابور، فلما مر بها فإذا حوله الناس مجتمعون، فقالت العجوز مؤمنة قالت: من

هذا؟

فقالوا: هذا فخر الدين الرازي.

قالت: مَنْ فخر الدين الرازي؟

فقالوا: فخر الدين الرازي الذي أتىٰ بألف دليل عقلي علىٰ وجود الله تدري ماذا قالت العجوز أجابت جوابًا جعلت فخر الدين الرازي يبكي لإنه يعرف هذا الجواب، فخر الدين الرازي ألف عدد من الكتب مثل (الأربعين في رب العالمين) إلىٰ آخره الشاهد يقولون: كان في نيسابور فمر وحوله الزحام فمر بعجوز جالسة عجوز موحدة مؤمنه مر بها و هي جالسة فلما مر بها رأت حوله هذا الزحام فقالت: من هذا؟ قالوا: هذا الرازي، قالت: مَنْ الرازي؟

قالوا: الرازي، جاء بألف دليل عقلي علىٰ وجود الله والرازي يسمع فقالت المرأة: لو لم يكن في قلبه ألف شك لما احتاج إلىٰ ألف دليل، يعني أنا ما أحتاج إلىٰ دليل أنا أدري أن الله موجود وأعبده فلماذا البحث عن الدليل؟ لولا لم يكن في قلبه ألف شك لما احتاج إلىٰ ألف دليل يقولون: فسمعها الرازي، فقال: اللهم أسألك إيمانا كإيمان عجائز نيسابور يا رب أعطني إيمانًا ويقينًا مثل إيمانها ويقينها.

نعود إلىٰ موضوع البحر، البحر جندي من جنود الله كما ذكرت في قصة فرعون عندما أدركه الغرق وهو يحاول أن يدرك موسىٰ وبني إسرائيل فعندما أدركه الغرق يعني في البحر: ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس:٩٠] سبحان الله.

فرعون كان من أوائل الملحدين آتاه الله تعالىٰ ملكًا وسيطرة وقوة وما شابه ذلك: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤] ويقول: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص:٣٨] إنه من رؤوس الملحدين أيضًا وكان يقول: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓ﴾ [الزُّخرُف:٥١] فأجرىٰ الله سبحانه الماء من فوقه.

لا أذكر أني قابلت بعضهم وما كان عنده نوع من الخلل أذكر مرة أنه جرىٰ بيني وبين أحدهم اتصال وكان مُهذبًا في الكلام ومؤدبًا، وأنا أيضًا كنت لطيفًا معه تكلمت

معه قلت له: الآن أنت تقول أن كل شيء وجد صدفة قال: نعم. قلت: نحن كيف وُجدنا؟ قال: أمهاتنا ولدتنا وآباؤنا. قلت: أمي وأبي من ولدهم؟ قال: جدي وجدتي. قلت: جدي وجدتي.

المهم وصلنا إلىٰ آدم. آدم مَنْ خلقه؟ مَنْ أوجده؟ هل عنده أم وأب؟ قال: آدم كان عبارة عن ذرات. قلت: ذرة من خلق الذرة هذه؟ قال: الذرة هذه جاءت بعد الإنفجار الكبير. قلت: ممتاز الإنفجار الكبير هذا أشياء معينة انفجرت أليس كذلك؟ قلت: الأشياء هذه مَنْ الذي أوجدها؟ لا بد أن يوجد مُوجد لها بلا شك يقول لك: من أين جاءت البيضة؟ فيقول: من الدجاجة. والدجاجة من أين جاءت؟ قال: والله من البيضة التي قبلها والبيضة التي قبلها من أين جاءت؟ من الدجاجة التي قبلها لا بد ان يصل إلىٰ خلق الله تعالىٰ للبيضة أو للدجاجة وأذكر أني قلت له: هذا الذي كان فيه إلحاد هو من أبناء جلدتنا يعني مع الأسف تربىٰ في بلدان المسلمين قلت له: ماذا تعتقد في رسول الله ﷺ قال: قصدك مُحمد؟ قلت: نعم. قال: رجل ذكي، قال كلمتين وصدقوه الناس. قلت: طيب القرآن هذا هل من كلامه؟ قال: نعم من كلامه قلت: لماذا من ألف وأربعمائة سنة ونحن نتحدىٰ أن يأتي أحد بآية واحدة مثل القرآن بسورة واحدة كما قال تعالىٰ: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾[البقرة:٢٣].

وأيضًا الآن ليس هناك أحد يأتي بسورة أنت تستطيع أن تؤلف مثل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:١- ٣]، كل الذين ألفوا صارت تأليفاتهم مضحكة كان يقول مسيلمة لما سمع: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾، قال: إني أُنزل عليَّ مثلها. قيل: فماذا أُنزل عليك؟ قال: أُنزل عليَّ (إنا أعطيناك التفاح فصلي لربك وارتاح ودع عنك الصياح).

وفي آية أخرىٰ يقول في قرآن مُسيلمة يقول: (الفيل، وما أدراك ما الفيل، له خرطوم طويل وذيل قصير). أصبحت كلها يا أخي أشياء ضحك في ضحك إذا كان مسيلمة مع أنه من أبناء العرب الأصليين وكان في وقت العرب لم يحتكوا بعد بالثقافات الأخرىٰ، العربية كانت لغة عربية محضة خالصة ومع ذلك مسيلمة يُلحن ويُخطئ ونضحك

علىٰ كلامه فقلت له: لماذا لم يؤلف أحد قرآنًا؟ فقال: والله ما أدري. قلت: إذا كان القرآن من تأليف محمد ﷺ كيف عرف بالأجنة في البطن وتكوينات الأجنة؟ كيف عرف بقول الله تعالىٰ: والجبال أوتادًا؟ الجبل له وتد في الأرض أربعة أضعاف طوله الذي فوق الأرض، مثلما يكون هناك وتد يضرب لأجل الخيمة يضرب في الأرض فتدخل ثلاثة أرباعه داخل الأرض وربع فوقه، مثل الجبل وتد يمسك الأرض، جعلنا الجبال رواسي جعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم، قلت له: كيف عرف محمد ﷺ أن الجبال أوتادًا؟ كان عنده دراسات جيولوجية؟ أو عنده ذبذبات صوتيه؟ يحسب الجبل قال: لا ما كان عنده. قلت: كيف عرف بالقرآن هذا؟ فسكت. قلت: سأسألك سؤالاً، قلت: بالله عليك أيهما يُشعرك بارتياح أكثر لما تكون في الإسلام وتصلي وتصوم أم الآن لما صار عندك إلحاد وشرب خمر ونساء وفواحش؟ فسكت قلت: أجبني أرجوك لو قلت أسألك بالله لن يهتم لأنه لا يؤمن بالله قلت: أجبني أرجوك. قال: تُريد الحقيقة؟ قلت: نعم أما قلبي وارتياحي وسكون نفسي وراحتي قبل أحسن. الآن أشعر بدوامة واضطراب وضياع أمرض في السابق أقول: يا رب وإذا مرضت أقول: أنا إن شاء الله مأجور علىٰ مرضي الآن لا أستطيع أن أقول مأجور مأجور ممن؟ أنا أنكرت الذي يأجرني عندما أقول يا رب أنا أكذب علىٰ نفسي أنا أقول: يا رب وأنا مُلحد فالمقصود حقيقة أن كلام أبو حنيفة مع هؤلاء عندما قال لهم: إن البحر عندما جئت اليه رأيت سفينه وهذه السفينة فعلت كذا وكذا إلىٰ آخره فعلاً هو حجة يستطيع الإنسان أن يدحر بها كل إنسان اليوم يتكلم بشيء من الإلحاد.

وهناك قصة أخرى لشخص مُلحد، الملحد يجادل أحد المسلمين، ويقول له: هل رأيت ربك؟ هل لمسته؟ فقال المُلحد للمسلم يا مسلم أنت عندك رب، قال المسلم: نعم عندي رب قال: ربك هذا أين؟ قال: ربي في السما. قال: بحواسك الخمس هل شعرت به؟ هل لمسته؟ قال: لا. قال: هل ذقته؟ قال: لا. قال: هل شممته؟ قال: لا. قال: هل رأيته؟ قال: لا. قال: إذًا ما لك رب. فقال المسلم للملحد: أنت عندك عقل؟ قال: نعم. قال: هل شممته؟ قال: لا. قال: هل لمسته؟ قال: لا. قال: هل ذقته؟ قال:

لا. قال: هل رأيته؟ قال: لا. قال: إذًا ما لك عقل. وذلك لأن الأشياء نعرفها إما برؤية آثارها كما قيل للأعرابي كيف عرفت ربك؟ قال البعرة تدل علىٰ البعير، أنا عندما أمشي في البر وأرىٰ بعرة بعير أدري أن هناك بعير مرت أكيد البعرة تدل علىٰ البعير، فالأعرابي يقول هذه كلها من الخالق، البعرة تدل علىٰ البعير والأثر يدل علىٰ المسير سماء ذات أبراج، وأرض ذات فِجاج. وبحار ذات أمواج، ألا تدل علىٰ العليم القدير؟ لذلك حتىٰ المشركين مثل أبي جهل وأبي لهب كانوا يقولون: هناك آله لكن نعبده ليقربنا إلىٰ الله زلفىٰ لذلك أنا أقول: ينبغي أن نحذر أولاً فكرة الإلحاد، ينبغي إذا أتينا إلىٰ ملحد أن ندعوه إلىٰ الراحة وإلىٰ السكون والىٰ السعادة، أن يدخل في الإسلام أن يعبد الله تعالىٰ وحده لا شريك له من أجل أن تسكن روحك لأنه أصلاً خلق لأجل هذا ليبقىٰ علىٰ إلحاده تجد أنه مثل الريشة في مهب الريح لا يدري أين يتوجه إن حزن؟ لا يدري يشتكي لمن إن ظُلم؟ لا يدري يحتسب الأجر عند مَنْ؟ لذلك سبحان الله فعل أبو حنيفة ما يدل علىٰ وجود الله في جداله مع الملحدين.

أسأل الله ﷻ أن يجزيكم خير الجزاء وأن ينفعنا وإياكم بما قلنا، وأن يقينا حر النار ويقي إخواننا أيضًا حر النار، بارك الله فيكم وصلىٰ الله وسلم علىٰ رسول الله ﷺ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نذكر قصة ذكرها النبي ﷺ وذكر المثال أيضًا بالبحر والعجيب أن النبي ﷺ في عدد من الأحاديث يضرب أمثلة بالبحر وهو ﷺ لم يَخُض البحر، ولم يسبح في البحر، ولم يركب البحر مع ذلك ﷺ يتكلم عنه كلام العارف به الضابط لصفاته وما شابه ذلك مثلاً عندما قال النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها أم المؤمنين لما قالت: حسبُك من صفية أنها كذا وكذا، وأشارت بيدها تعني أنها قصيرة، فقال ﷺ لها: «مه يا عائشة» يعني اصمتي يا عائشة، «لقد قلتِ كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته». لماذا لم يقل ﷺ لو بثت في الهواء لأنتنته. لو خالطت الجبال لهدمتها. فالهواء والجبال أقرب إليه لكنه ﷺ قصد من وراء ذلك أيضًا كثرة البحر، وأيضًا اكتشف اليوم أن البحر يتأثر بالكلام السيء وأن الماء يتأثر بالكلام السيء!

ذكر النبي ﷺ أيضًا لما تكلم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال ﷺ: «مثل القائم علىٰ حدود الله والواقع فيها» القائم علىٰ حدود الله الإنسان الذي يقف ويقول: يا أخي ترىٰ حرام ترك الصلاة، يا أختي الله يرضىٰ عليكي ليتكِ تتحجبين وتسترين زينتك عن الرجال، يا أخي لا تمشِ مع امرأة لا تحل لك، يا شباب الخمر حرام، - الله يجزيكم خيرًا - ويجب أن تتركوه هذا قائم علىٰ حدود الله، يأتي علىٰ حدود الله ولا يسمح للناس أن يتعدوها كما بين الله تعالىٰ وقال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة:٢٢٩]، الله له حدود لا تعتدوها، له حد فيما تشرب، له حد فيما تلبس، له حد فيما تأكل لا يجوز أن تتحدىٰ هذا الحد، اشرب عصير تفاح، برتقال، لبن... إلخ، خمر لا. يوجد حد للخمر، كُلْ غنم، وبقر، ونعام، وطيور، لكن خنزير لا. فله حد، قال الله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ﴾، حد للشراب، وحد للطعام، وحد للباس، وحد للنظر، وحد للأموال، ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة:١٨٧]. فلا تتعدىٰ حدود الله: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق:١]، لا يجوز أن تتعدىٰ حدود الله. فيقول ﷺ: «مثل القائم علىٰ حدود الله والواقع فيها»، لماذا مثلهم يا رسول الله؟ وهل الذي يفعل المنكر لا يضر إلا نفسه؟ مثل بعض الناس يفعل المُنكر؟ فإذا قلت له: يا أخي لا يجوز - بارك الله فيك - أن تشرب الخمر. قال: يا أخي هو جسمي أم جسمك؟ تقول له: جسمك، يقول: فلوسي أم فلوسك؟ تقول له: فلوسك، يقول: خلاص أنا حر. لا لست حرًا أنت حر تشرب عصير برتقال، أو تفاح، أنت حر تلبس ثوبًا أبيض، أو أزرق، أنت حر تكتب بقلم أحمر، أو أخضر، لكن لست حرًا أن تعصىٰ الله أنت عبد لست حرًا فهنا، يقول ﷺ: أن المجتمع كله سيفسد إذا الناس سمحوا لبعض أن يقعوا في المنكرات. فقال ﷺ: «مثل القائم علىٰ حدود الله» القائم عليها الذي يقول حرام اتقوا الله لا يجوز، «والواقع فيها كمثل قوم استهموا في سفينة»، استهموا، ما معنىٰ استهموا؟

الاشتراك بالأسهم، الاشتراك في سفينة، واشتركوا في سفينة ليست هناك مشكلة، قالوا: كم أجرة السفينة حتىٰ تنقلنا من هنا إلىٰ البلد الفلاني؟ قيل لهم: أجرتها فرضًا ألف ألفين إلىٰ آخره.

فجاءوا واشتركوا دفعوا الألف، أنتم مجموعتين أنتم تريدون السفينة نعم والسفينة كبيرة علينا أنتم تريدون السفينة تعالوا نشترك في سفينة واحدة وتكون التكلفة أقل ونستفيد منها كلنا لأن السفينة دورين طيب دور تحت ودور فوق فاستهموا اشتركوا معنا، ثم جاء كل دور وقال: لا نريد أن نكون نحن فوق.

لماذا الذي فوق أحسن؟

أقرب للشمس، أحسن هواء ويرى المناظر، فاختلفوا، عندها استهموا، أي عملوا قرعة بينهم، يقول ﷺ: «فأصاب بعضهم أسفلها وبعضهم أعلاها».

الشاهد: أن النبي ﷺ يُمثل بالسفينة وهو ﷺ ربما لم ير سفينة في حياته ولم يذكر ﷺ أنه ذهب إلى البحر فيقول ﷺ: فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء، هم يحتاجون ماء من البحر للوضوء، لغسيل الملابس، المهم إذا أرادوا ماءً من البحر صعد واحد منهم ومر على القوم فوق، والقوم فوق ربما كان عندهم أشياء خاصة ربما كان عندهم نساء فكانوا ينزعجون بذلك.

وكان لا بد أن يصعد القوم الذين في أسفل السفينة إلى سطح السفينة ليأخذوا الماء ويمرون على الموجودين فوق. وتكرر هذا كثيرًا مرة واثنين وثلاثة إلخ. فالذين في أسفل السفينة جلسوا يفكرون. قالوا: يا قوم نحن تعبنا القوم الذين في أعلى السفينة صعودًا ونزولاً. ما رأيكم أن نحصل على الماء دون إزعاجهم؟

فاقترح أحد الأغبياء الموجودين بالأسفل اقتراحًا غبيًّا.

ماذا قال؟ قال: بدل ما نحن بين صاعدين ونازلين عندي لكم فكرة، قالوا: وما فكرتك؟ قال: نحن في مكاننا هنا أقرب إلى الماء من فوق وبيننا وبين الماء فقط قطعة خشب، ما رأيكم أن نخرق الخشب ونأخذ الماء من خلال هذا الخرق؟ لماذا نطيل في الموضوع وهو قصير ونعمل مشكلة وهي حلها سهل، بدل أن نقول: خذ يا فلان الدلو واصعد، خذ يا فلان الإبريق واصعد، وأحضروا لنا الماء، وحتى لا يتأفف أحد من هذا الجهد. والجزء الذي سنخرق فيه السفينة هو ملكنا لأن هذا الجزء خاص بنا وليس خاصًا بالقوم الذين في أعلى السفينة. قال: «لو أننا أحدثنا في نصيبنا خرقًا فاستخرجنا الماء

ولم نؤذِ مَنْ فوقنا» نية هذا الرجل المسكين صالحة. فيقولﷺ : «فإن هم تركوهم وما أرادوا» أي: الناس الذين فوق إذا تركوا الذين في الأسفل يفعلون ما أرادوا أن يفعلوه - لأن كل الذين كانوا أسفل السفينة وافقوا وقالوا: فكرة رائعة - هلكوا وهلك الجميع، من سيهلك من قبل الذين تحت أم الذين فوق؟

الكل سيهلك لكن الذين سيهلكون أولاً الذين تحت فهلكوا جميعًا. قالﷺ : «وإن أخذوا علىٰ أيديهم» أي: منعوهم جاءوا وقالوا: لا تخرقوا السفينة. يا أخي ما دخلك هذا جزءنا نحن دافعين فلوسه نخرقه نؤجره نبيعه ننام نستيقظ هذا جزءنا. نقول لهم: نعم لكن أنتم ونحن سفينة مُجتمع واحد، مثل أن يأتيك أحدهم ويقول لك: أنا سأشرب خمر وأخرج للشارع وأتعرىٰ من ملابسي. قلت: يا أخي لا تفعل ذلك اتقِ الله. قال: جسمي وفلوسي وخمر اشتريته أنا. ما دخلك أنت، تقول: أنت تؤذيني بذلك أنت تؤذي عيني، عندما أنظر إلىٰ إنسان عارٍ أنت تفسد تربية أولادي، لأن أولادي سينظرون إلىٰ إنسان سكران في الشارع ربما قلدوه في المستقبل، أنت تؤذيني نفسيًا، أن أشعر أن المجتمع فاسد مجموعة من السكارىٰ والعُراة إذًا أي واحد يفعل منكر هو في الحقيقة لا يؤذي نفسه فقط، بل يؤذي الناس جميعًا فهؤلاء يقولون: إنكم إذا خرقتم السفينة أنتم تؤذوننا معكم يقولﷺ : «فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعًا وإن أخذوا علىٰ أيديهم نجوا ونجوا جميعًا».

أحيانًا يكون تركهم للعصاة سببًا في قطع الرزق مثل المطر القطر من السماء أحيانًا يكون السبب في هلاك قوم إذا ما كان بينهم من يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر.

النبيﷺ لما ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بيَّن صلوات ربي وسلامه عليه علىٰ أن الأمر بالمعروف وأن النهي عن المنكر سبب للنجاة، قالﷺ : «ما منع قومٌ زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء» لاحظ منع القطر من السماء بسبب منع زكاة الأموال، وبيَّن النبيﷺ في الحديث الآخر قال: «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن علىٰ يد السفيه» أو قال: «الظالم»، «ولتقصرنه علىٰ الحق قصرًا ولتأطرن علىٰ الحق أطرًا» ثم قالﷺ : «وإلا فليضرب الله قلوب بعضكم ببعض ثم يدعوا خياركم فلا يُستجاب

لهم» يدعوا خياركم يدعوا قُوَّام الليل، وصُوَّام النهار، والمتصدقون، والبكاءون، وغيرهم يا رب يا رب ولا يُستجاب لهم لماذا؟ لأن المنكرات انتشرت فانتشار المنكر يضرنا نحن أيضًا يضر الجميع حتىٰ الذي لا يفعل مُنكرًا يضره، بسبب أن الله تعالىٰ لا يستجيب لدعائه هذا من آفات شر المنكرات.

وهناك أمثلة منتشرة في الأمة ويجب علىٰ الناس أن ينكروها ويتكلموا عنها، وينصحون عنها، فهناك مثلاً الفضائيات الغير هادفة، يشاهدها كثير من الشباب والناس، استسهال موضوع العلاقات المُحرمة بينهم وبين الفتيات، أو ما بين الشباب والشباب وما بين الفتيات والفتيات يعني أشياء غريبة الواحد يقرأ عنها كل يوم ويسمع عنها لا يتصورها.

والمشكلة أحيانًا بعض الناس يفعل ذلك ويستهين بذلك إما لقلة الإيمان في قلبه، أو كثرة المنكر حوله ويقول كل الشباب لهم علاقات محرمة وبالتالي يقول: لست وحدي الذي عنده صديقة، ولست وحدي الذي ربما يقع في الفاحشة، ولست وحدي... كل الشباب يقعون في ذلك، وبالتالي أنا ليس عندي مشكلة في هذا فالكل يفعلون ذلك. الله تعالىٰ عندما ذكر هؤلاء الذين يفعلون المنكر يقول الله لهم يوم القيامة: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ [الزُّخرُف:٣٩] يقول الله تعالىٰ لهم: أنتم ظلمتم فاليوم لن ينفعكم أنكم في العذاب الآن كما أنكم اشتركتم في الدنيا في المنكر اليوم تشتركون أيضًا في العذاب.

وربما بعضهم يقول: أنا أحسن من غيري بكثير يوجد ناس تفعل مُنكرًا واثنين، وثلاثة، وأنا فقط في هذا الزمن الذي تكثر فيه الفتن ما أفعله يعتبر لا شيء.

النبي ﷺ يقول: «انظروا إلىٰ من هو فوقكم في أمر الآخرة ولا تنظروا إلىٰ من هو دونكم» يعني إنسان يُصلي في البيت، وتقول له: لماذا تصلي في البيت؟ فيقول لك: يا أخي غيري لا يُصلي أساسًا، نقول له: لا تنظر إلىٰ من لا يُصلي.

في أمور الآخرة انظر إلىٰ من هو أحسن منك انظر إلىٰ فلان الذي يُصلي في المسجد الخمس صلوات ويقول النبي ﷺ: «وانظر إلىٰ من هو دونكم في أمر الدنيا ولا تنظر إلىٰ من

هو فوقك» يعني واحد فرضًا عنده واحد من زملائه يقع في الفاحشة مع فتاة، فقال في نفسه: أنا أحسن منه أنا أُقبِّل وألمس فقط، أنا أحسن منه أنا بالنسبة إليه رجل صالح، بل نقول: أنت رجل فاسق، وهذا فسق وفجور. أترضاه لأختك؟ عندما يقول لك: يا أخي أنا بس أكلمها يا أخي. نقول له: يا أخي أترضىٰ لأختك أن واحد يكلمها وينظر إليها؟ قال: والله لا وأفعل وأفعل. فكيف ترضاه علىٰ بنت الناس؟

ثم يا أخي ترىٰ المنكر كلما صغر عندك كبر عند الله، وكلما كبر عندك صغر عند الله. أنا عندما أرىٰ المنكر أنه كبير، والله يتوب عليّ والله يغفر لي يصغر الذنب عند الله لأنك خلطت ذنبك بتوبة خففته بالتوبة، لكن عندما أفعل المنكر الصغير لو الآن وأنا جالس معكم اغتبت شخصًا ممن يسبحون في البحر علقت عليه قلت لكم مثلاً ترىٰ هذا شكله كذا وضحكت فقال لي أحدكم: لماذا يا شيخ هذه غيبة؟ اغتبت هو إنسان عادي مسكين، هذا خلق الله لماذا تنكت وتعلق علىٰ شكله؟ فنصحني، لم أقل له جزاك الله خيرًا والله صدقت. قلت له: هذه يا أخي معصية صغيرة. أنا فقط علقت عليه ما ضربته بالحذاء، فقط علقت عليه، فاستحقرت الذنب هذا يكبر عند الله، عائشة ﵂ عندما قالت: «يا رسول الله حسبك في صفية أنها كذا» قال ﷺ: «كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته» من تعظيمه لها. فما بالك بغيرها من الكلمات.

نجد بعض الشباب والشيوخ يدعون إلىٰ الدين بطريقة شديدة تؤدي لنتيجة عكسية وهي تنفير الشباب من الدين. فما الطريقة المثالية والإيجابية لدعوة الشباب للدخول في الدين أو علىٰ اتباع السُنن بطريقة جيدة؟

إذا أردت أن تنهىٰ أحدًا عن مُنكر مُعين ويجب علىٰ الناس جميعًا أن يُنكروا المُنكرات. الله تعالىٰ يقول: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾[المائدة:٧٨ - ٧٩]، يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكن مثلما ذكرت: ما الأسلوب الحسن حتىٰ أنا آمر بالمعروف وأنهىٰ عن المنكر؟

كان النبيﷺ رقيقًا فيما يأمر، رفيقًا فيما ينهىٰ، يعني أرادﷺ يومًا أن يأمر مُعاذ بن جبل رضي الله عنه بالمعروف أن يعلمه ذِكرًا يقوله بعد الصلاة فقالﷺ له: «يا مُعاذ والله إني أحبك» ترىٰ المقدمة الجميلة، «والله إني أحبك فلا تدعن في دُبر كل صلاة قول: اللهم أعني علىٰ ذكرك وشكرك وحُسن عبادتك»، ما الذي أدخل إني أحبك؟ أحبك كان ممكن يقول له بعدها مثلاً أزوجك، أعطيك مالاً. لماذا أكد النبيﷺ علىٰ هذا؟ استلطاف له وهذه الكلمة فتحت له قلبه وجوارحه، مثلاً لو أحد الإخوة شديد مع أولاده يضرب أولاده فجئت لكي أنصحه بأسلوب حسن أنْ يتعامل مع أولاده فلا أدخل في الموضوع مباشرةً فآتي إليه وأقول: السلام عليكم يا فلان، أنت شديد مع أولادك - الله يهديك - لا ينبغي لك مثل هذا الأسلوب. لا. بل أذهب إليه وأقول: ما شاء الله يا فلان، والله أولادك - ما شاء الله مهذبون - مؤدبون وحريصون علىٰ الدراسة، وأراهم ما شاء الله موفقين، فإذا أنا هيأته لقبول النصيحة ولينته، أقول له: لكن يا أخي ليتك تنتبه إلىٰ كذا وكذا مع أولادك.

كذلك شخص له علاقة ببنت فرضًا أُسلم عليه وأقول له: - ما شاء الله - أُلاحظ أنك موفق متفوق في دراستك رجل لطيف، الله تعالىٰ أحسن إليك بأنواع الإحسان لكن - الله يحفظك - بس لو تترك العلاقات هذه.

فأنت عندما تعطيه رصيدًا عاطفيًا في البداية تحافظ عليه، وتجعله فعلاً يستجيب لأمرك. لذلك جميع المجتمع إذا انتشرت فيه المنكرات أوشك أن يعمهم الله بعذابٍ من عنده. كما قالﷺ: «من الناس إذا رأوا المنكر فلم يُغيروه أوشك أن يعمهم الله بعذابٍ من عنده».

لي تعقيب بسيط وهو أن بعض الشباب وبعض الناس عندما تقول لهم: وقت الصلاة. الصلاة يا شباب فلا يقولون: حاضر، ولكن يقولون هذه حرية شخصية بيني وبين ربي فكيف نتعامل معهم؟ هل ندعهم ونمشي؟

الحرية الشخصية فيما يتعلق بالأمور الحياتية، فأنا حر أتزوج بنت قصيرة أو طويلة، أنا حر أشرب عصير برتقال أو تفاح. لكن لست حُرًّا أصلي شرق ولا غرب. لا. لا يوجد تحديد. لست حُرًّا آكل لحم خنزير ولا لحم بقر، لست حرًّا في هذه عندنا

حدود شرعية أنا لا آمرك باتباعي وبالتعبد لي أنا آمرك بالتعبد لله تعالىٰ واتباعه.

أسأل الله ﷻ أن يجزيكم خير الجزاء وأن ينفعنا وإياكم بما قلنا، وأن يقينا حر النار ويقي إخواننا أيضًا حر النار، بارك الله فيكم وصلىٰ الله وسلم علىٰ رسول الله ﷺ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

❁ ❁ ❁

مريم بنت عمران

تعالوا نتكلم اليوم عن مريم ابنة عمران، التي قال الله تعالىٰ فيها: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحريم:١٢]. امرأة عفيفة ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ ، من القانتين؛ يعني: من العابدين، والقنوت هو طول الصلاة.

مريم ابنة عمران أمها كانت صالحة أيضًا وأبوها كان صالحًا، وزوج خالتها زكريا كان صالحًا،إذن البيت الذي كانت فيه كان بيت صلاح.

عندما حملت فيها أمها قالت: ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ﴾ [آل عمران: ٣٥]. فكانوا في السابق أحيانًا يهبون عيالهم لخدمة دين الله، كما أن أم أنس بن مالك جاءت إلىٰ النبيﷺ وقالت: يا رسول الله هذا أنس بن مالك لك يخدمك.

أنا متبرعة بهذا الولد لك يخدمك، لن أستفيد منه شيئًا، اجعل الفائدة كلها لك.

كانوا في السابق إذا حملت المرأة أو بعد أن تلد تأتي بولدها، وتقول: هذا لخدمة بيت الرب؛ يعني: المكان الذي يعبد فيه الربﷻ ، الكنيسة أو مكان العبادة، فأم مريم أول ما حملت لها نذرتها قالت: ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ﴾ محررًا؛ يعني: خالصًا لك لا أريده، منذ أن يولد أضعه عند العباد في الكنيسة يربونه حتىٰ ينشأ في الكنيسة ويصبح هو الخادم في الكنيسة أو العالم أو نحو ذلك. فلما وضعتا قالت: ﴿رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦].

كانت تتوقع أن تأتي ولدًا قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ الله يعلم أنها أنثىٰ

﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ هي قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ فقال الله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ ثم قالت: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ إذًا هي عبارتها أصلاً ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ فأدخل الله تعالىٰ من وسط عبارتها كلامًا من عنده؛ إذا ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ ليس كلامها بل من كلام الله تعالىٰ. مثلما قال الله تعالىٰ في كلام بلقيس لما قالت: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ [النمل:٣٤-٣٥]. فـ ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ من كلام الله ليس من كلام بلقيس.

فكلامها كان: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ فأدخل الله تعالىٰ فيه كلامه فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أي: صدقت أنهم إذا دخلوا قرية في الحروب وغير ذلك.

المقصود: أن مريم ولدت فجعلتها أمها في المعبد: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ وكفلها زكريا زوج خالتها وكانوا قد ألقوا أقلامهم من يكفل مريم؟

أقبل جميع العباد كل واحد يريد أن يعتني بها، فجاءوا إلىٰ ماء وألقوا أقلامهم في هذا الماء، فمن بقي قلمه ولم يغرق فهو الذي يكفلها.

فأتوا كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾[آل عمران:٤٤] فألقوا أقلامهم، فبدأ هذا القلم يتشبع بالماء ويغرق والآخر يغرق، حتىٰ بقي قلم زكريا. قال الله: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ كلهم يتمنون كفالتها والعناية بها طلبًا للأجر.

وذلك قبل أن يحرف الدين؛ إذ كانوا علىٰ دين موسىٰ ؛لأن موسىٰ هو الذي بعث ثم بعث بعده عيسىٰ، فلما بعث عيسىٰ ظهر دين المسيحية (النصرانية) وإلا فمن قبلهم كان علىٰ دين اليهودية دين موسىٰ، لكنها عمومًا ديانة واحدة بما في ذلك الإسلام.

كلها ديانات متحدة في أصولها ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[المؤمنون: ٣٢]؛ لكن يختلفون في بعض الفروع العبادية مثل كيفية الصلاة والصوم، بعض الأشياء

الحلال الحرام... إلخ.

المقصود: أن زكريا كفلها، ثم صار يظهر لمريم كرامات ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ [آل عمران:٣٧]. أنا المسئول عن إحضار الطعام لكِ ﴿ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

فلما رأىٰ زكريا أنه تأتيها فاكهة الشتاء في وقت الصيف وفاكهة الصيف تأتيها في وقت الشتاء، وأنها تأتيها الأطعمة من غير سبب ظاهر، فهو لم ير ملائكة ولم ير شيئًا غريبًا؛ وكلما دخل وجد طعامًا؛ قال: يا مريم كيف جاءك هذا؟ فكانت تقول: رزقني الله بدون أن أبذل أسبابًا.

زكريا كان عنده مشكلة شخصية ﷺ، وهي أنه وصل عمره إلىٰ مائة سنة ولم يرزق بأولاد، وكان يدعو دائمًا ولم يرزق بأولاد، والمشكلة ليست عنده فقط، فهو قد كبرت سنه ورق عظمه وشاب رأسه وعظم همه وكربه، وزوجته أيضًا عاقر، وعمرها تسعون سنة.

اجتمع عليها الأمران؛ فلو كانت في العشرين فلا يمكن أن تحمل لأنها عاقر، فكيف وعمرها تسعون؟!

لكن زكريا عندما رأىٰ مريم يأتيها الطعام قال: ﴿ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

قال الله: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾، تأثرًا بمريم، قال الله: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ معجزة ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

أنت تريدينه تقيًّا صالحًا، فالله جعله نبيًّا، قال الله: ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾، واستمرت مريم علىٰ هذا الحال، وفي يوم من الأيام بعدما كبرت قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ خرجت من المعبد؛ لأجل

أن تقضي حاجتها. ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾.

لماذا اتخذت حجابًا؟

حتىٰ تستر وتقضي حاجتها، ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم:١٧]، الذي هو جبريل ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم:١٧]، المرأة مختفية تقضي حاجتها، طبعًا هي إلىٰ الآن لم تكشف عورتها؛ لكن عندما اتخذت الحجاب وجهزت المكان لقضاء الحاجة، إذا برجل أمامها!

قالت: ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم:١٨]، أي: إذا كنت أنت تقيًّا فاقبل استعاذتي بالرحمن واذهب، وهذا ليس معناه: إن كنت فاجرًا فلا أعوذ بالرحمن منك. مثلما تقول أنت لإنسان: إن كنت تخاف الله مثلاً فقم افعل كذا وكذا، فليس هذا معناه: إذا كنت لا تخاف الله لا تفعل.

لكن تذكره بالله، فهي تقول له: أنت اتق الله في، تقول: ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ قال: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ الآن هي خافت من خلوتها برجل، فإذا هو يأتيها بشيء أعظم ويخبرها أنك ستحملين الآن.

قالت: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم:١٩]، أنا لست بغيًّا وأنا نشأت وتربيت في معبد؛ فحتىٰ الرجال لا أراهم، إلا زوج خالتي يأتيني بالطعام ويكفلني؛ إذًا كيف يأتيني ذلك، ولم يمسسني بشر ولم أكن بغيًّا؟

قال: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ [مريم:٢١] نريد أن نجعله آية أي: معجزة للناس ورحمة من الله للناس أيضًا لأنه سيبعث نبيًّا ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾

انتهىٰ الموضوع، لا نقاش، تقولين: موافقة أو غير موافقة، أنا لم أحضر لآخذ رأيك في الموضوع، أنا نازل بأمر أنفذه وأصعد للسماء مرة ثانية، ﴿وَكَانَ أَمْرًا

مَقۡضِيّٗا ﴾ مثلما يناقشك ولدك يا أبي أريد أن أذهب، فتقول له: لا، يا ولدي انتهىٰ الموضوع.

فهو يقول: دعينا من مسألة (لم يمسسني بشر، لم أكن بغيًّا) انتهىٰ الموضوع ﴿وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴾، نفخ جبريل في جيب درعها، جيب درعها هذا قيل: نفخ جبريل في صدرها ، وقيل: نفخ في كمها، كما ذكر المفسرون، كما قال الله تعالىٰ: ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾، وروحنا أي: جبريل، جبريل اسمه الروح مثلما قال الله تعالىٰ في سورة القدر: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ﴾ [القدر:٤].

فحملت في عيسىٰ واستمر حملها تسعة أشهر، وبعض الناس يفهم أنها حملت وذهبت لتلد مباشرة، لا، فهو كان حملاً طبيعيًّا استمر تسعة أشهر.

يا شيخ، كيف لم يظهر عليها الحمل؟!

لم يتبين للناس أنها حامل لعدة أسباب:

أولاً: المرأة التي تحمل أول مرة لا يتبين عليها أوائل حملها ويمكن ألا يتبين عليها إلا في الثامن، وهذا بالنسبة لمن تحمل أول مرة بخلاف المرأة التي حملت عدة مرات

ثانيًا: أنها كانت جالسة في المعبد أساسًا ولم تكن تلبس لباسًا ضيقًا أمام الناس؛ فطبيعتها في المعبد وطبيعة لبسها أنه لباس فضفاض وواسع.

فمرت تسعة الأشهر وهي تتعبد ولم تستطع أن تخبر أحدًا أنها حامل، فهي لا تبحث عن مشاكل، فسكتت.

قال الله: ﴿ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ ﴾ [مريم:٢٢-٢٣]، أحست بالولادة في المعبد فخرجت إلىٰ جذع النخلة، نخلة ولها جذع، فلما جلست تحت الجذع وبدأت الولادة قالت: ﴿إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴾، يا ليتي مت قبل أن تأتي هذه المشكلة التي بين يدي.

متىٰ قالت: يا ليتني مت قبل هذا؟ هل قالتها أثناء ألم الطلق والولادة، أم قالتها بعدما خرج الولد؟

بعدما خرج.

بعض النساء تستدل بهذا فتقول عند قوة ألم الطلق: يا ليتني مت قبل هذا، اعتقادًا بأنها قالت هكذا علىٰ الألم.

لكن في الحقيقة هي لم تقل هذا من أجل الألم؛ بل هي عندها مشكلة أكبر من الألم، وهي أنه جاءها ولد من غير زوج، فماذا تفعل الآن؟ فلما وضعته قالت: ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾، قال الله: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾، في قراءة (مَن تحتَها) الذي هو عيسىٰ: ﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾، أنطقه الله ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾، والسري هو النهر الصغير، ليس عيسىٰ، أجرىٰ الله في نفس الوقت نبع نهر وجرىٰ بين يديها ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ [مريم:٢٥-٢٦]، أريحي نفسك فنحن سنحل الموضوع.

هنا عدة فوائد من ضمنها:

ـ أن الله تعالىٰ قادر أن يسقط الرطب من غير أن تهز الجذع، وأيضًا لا حظوا أنه جذع نخلة، فالشجرة مثلاً تستطيع أن تهزها وحدك، لكن جذع النخلة ربما يحتاج إلىٰ عشرة رجال حتىٰ يستطيعوا أن يهزوه.

ـ الرطب عادة يكون شديدًا لا يسقط بالهز، لكن الله تعالىٰ أراد أن تفعل سببًا مثلما نستطيع أن ننزل عليك رطبًا؛ لكن اعملي، فأنطق الله تعالىٰ عيسىٰ، فأعطاها توجيهات: قال: كلي واشربي.

لماذا اختار الله تعالىٰ لها نخلة رطب مع أن فلسطين التي هي ولدت عيسىٰ فيه أكثر ما فيها شجر الزيتون وشجر التين وفلسطين لم تشتهر بالنخل؟

التمر والرطب عمومًا فيه أول سكر الجلوكوز وهذا فيه ميزة أنه قادر علىٰ شد العضلات، فعضلات الرحم عندما انفتحت وولدت تحتاج إلىٰ شدها مرة ثانية كي

تنغلق، فأمرها الله تعالىٰ أن تأكل الرطب وتشرب الماء حتىٰ يتحلل السكر بسرعة ويدخل في العروق مباشرة فتنغلق العضلات.

مع أن الله قادر علىٰ أن يغلق الرحم بدون رطب ومن غير شيء، لكن هي أسباب يجعلها الله ﷻ في هذه الأمور، فقال لها عيسىٰ: ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾، صومًا أي سكوتًا.

أخذت الولد ولفته وقامت وهي لا تدري ما الذي يحدث.

﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴾، يعني: شيئًا كبيرًا مهولاً، أنت جئت بشيء عظيم، يأخت هارون، هي ليس عندها إخوان، فلماذا قالوا: يا أخت هارون؟

كانوا يشبهونها بالنبي هارون من شدة العبادة، مثلما تقول: أنت تعرف عبد الله أقول لا أعرفه نقول: رأيت خالدًا؟ يقول: نعم، تقول: عبد الله أخو خالد؛ وأنت تعني أنه أخوه في الأخلاق وفي الطريقة بمعنىٰ مشابه له.

فهم يقولون: أنت العابدة الزاهدة عندنا وتأتيننا بولد من غير زوج ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾، وهي ساكتة وحاملة الولد.

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾، فأنطقه الله ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾، ما قال: إني ابن الله، ﴿ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾، ما قال: وجعلني إلهًا بل قال: ﴿وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾، هذه ميزاتك من ناحية النبوة وفي الأرض ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾، تتعبد أم لا تتعبد ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.

وعلاقتك بأمك ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾، سكت عيسىٰ.

بعض الناس يقول: إن عيسىٰ بدأ يتكلم وعمره شهر أو شهران أو ثلاثة فهو منذ المهد استقام لسانه، وهذا ليس بصواب فهو تكلم في هذه الفترة فقط، تكلم ثلاث أو

أربع جمل فقط، تكلم لأجل أن يفك الأزمة، ويحل المشكلة لأمه، وعاش مثل بقية الأطفال بعد ذلك.

فلما وصل إلىٰ سن معينة أنزلت عليه النبوة، ثم بعد ذلك لما وصل عمره إلىٰ ثلاث وثلاثين سنة رفعه الله تعالىٰ.

يا شيخ، بالنسبة للتعبد تجد نساء المسلمين في الدول العربية أو في دول الخليج يتعذرن أنهن عندهن أشغال البيت وأشغال المطبخ، و يهملن مراقبة الأولاد في الصلاة والتعبد، والمفروض أن يقتدين بمريم.

فعلاً مريم قدوة، والحقيقة: أن المرأة تحتاج دائمًا إلىٰ التعبد، فرب العالمين عندما ذكر مريم قال ﷻ: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ ﴾، ما قال: صلِّي لكن قال: اقنتي، ونحن ذكرنا أن القنوت هو طول الصلاة؛ فهو ليس بصلاة الثلاث أو الأربع الدقائق ينقرها الإنسان نقر الغراب، لا، بل يعطيها وقتها في السجود والجلوس والركوع ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾.

فكانت هذه ميزات لمريم فاختارها الله لهذا الشرف أن تكون أم نبي من الأنبياء، وأن تكون معجزة أيضًا، فكونها تلد ولدًا من غير أب فهذا أمر، والأمر الآخر ما جعل مريم تصل إلىٰ هذه المرحلة هو كثرة العبادة؛ قال ذلك الله ﷻ: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ قانتة عابدة، وضرب الله تعالىٰ بمريم مثلاً لنا جميعًا في آخر سورة التحريم قال الله تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، ثم قال في الآية التي بعدها: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ﴾.

لاحظ في الآية قوله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾، فمريم مضروبة مثلاً لنا نحن الرجال والنساء، لا النساء فقط.

وهذا من شرف المرأة يا جماعة، أن الله يقول لنا ونحن رجال: اقتدوا بمريم،

اقتدوا بها في عبادتها، اقتدوا بها في إحصانها لفرجها ﴿ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾، امرأة عفيفة وهذا يدلك علىٰ عظم منزلة العفة عند النساء.

يا شيخ، بعض النساء دائمًا يشترطن أننا ما دمنا نتكلم عن العبادة أن تكون عبادتهن كالصلاة مثلاً في المساجد وإن كن في مكة أن يكن في المسجد الحرام، فهل العبادة فقط الصلاة، أليست طاعة المرأة لزوجها، وإتقانها لعملها في بيتها، وتربيتها لأبنائها كلها عبادة؟

العبادة ليست فقط مسألة صلاة أو صوم، العبادة لها مفهوم أوسع من هذا بكثير، تبسمها في وجه زوجها ووجه أولادها وفي وجه الناس عبادة، كثرة ذكرها لله عبادة.

لكن مثلما ذُكر أن بعضهن تقول: أنا ليس عندي وقت أتعبد، نقول: ليس عندك وقت أن تكثري من الذكر، فكم من الوقت يضيع منك أمام التلفيزيون، أمام الانترنت، أمام الاتصالات الهاتفية ... إلخ.

كم من الأوقات تضيع في (الشات) وغيره، وربما شاشات القنوات وغيرها؛

لذا نقول: إن المرأة يمكنها أن تحسن التعبد لله تعالىٰ بإذن الله ﷻ إذا أخذت بأسباب ذلك.

لذلك زوجات النبي ﷺ كان لهن أعاجيب في العبادة: ففي «البخاري» من حديث أنس أنه النبي ﷺ دخل يومًا إلىٰ المسجد فرأىٰ حبلاً بين عمودين، فقال: «ما هذا؟» قالوا: هذه زينب إذا خلا المسجد من الناس في الليل تدخل وتقيم الليل، فإذا تعبت وصارت رجلاها لا تحملانها تمسكت في الحبل من شدة العبادة.

فالنبي ﷺ عندما رأىٰ هذا التعبد الذي يصل أحيانًا إلىٰ حالة الملل، قال ﷺ «اقطعوه ليصلّ أحدكم نشاطه فإذا تعب فليرقد».

أشكرك يا زينب علىٰ عبادتك؛ لكن لا تشقي علىٰ نفسك.

ونحن اليوم لا نقول لإخواننا أو لأخواتنا: أن يضعوا حبالاً، لكن نقول: علىٰ الأقل أقم صلواتك الخمسة في أوقاتها، كن من القانتين من المصلين؛ حتىٰ يفتح لك

الله تعالىٰ أبواب الرزق.

ماذا تقول يا شيخ للذي يقول: أنا لساني ثقيل أثقله الشيطان؛ ولكني والله أستغفر في عقلي بكثرة؛ لكني لا أنطقها بلساني لثقل لساني؟

والله أقول له: إن هذه مشكلة ونحن لنا حلقة عن الذكر، لكن الذكر أفضله أن يشترك اللسان والقلب معًا؛ فيقول الواحد: سبحان الله سبحان الله وقلبه معه.

والثاني: أنه يمكن أن يكون اللسان وحده دون القلب: مثل إنسان يصلح شيئًا في الكمبيوتر أو يصلح أنوارًا عنده في البيت أو يصلح السيارة ويقول: أستغفر الله أستغفر الله، دون أن يتفكر فيها، فهذا مأجور أيضًا؛ لكن أجره أقل من الأول.

الثالث: أن يكون الذكر بالقلب وحده دون اللسان فهذا أيضًا يؤجر؛ لكن الأصل أن يجري الذكر علي اللسان، لذلك الذكر عبادة قولية.

نحن عندنا عبادات مالية مثل الصدقات، وعبادات بدنية مثل الصلاة، وعبادات قولية هي الذكر وقراءة القرآن هذه كلها عبادات قولية.

ذكروا أن رياح القيسي خطب امرأة، فسألت عن صلاحه، فقيل لها: إنه رجل صالح، وسأل عنها فقالوا: امرأة صالحة.

يقولون: فدخل بها في ليلة العرس ثم تناوم -يعني: يختبرها كيف قيامها لليل- يقولون: فقامت تصلي، رأت العروس نائمًا فقامت تصلي.

يقولون: فمضىٰ ثلث الليل فالتفتت إليه، قالت: يا رياح، قم صل، يقول: فتركها، واستمر في تناومه، يقولون: فزادت، فلما اقترب الفجر رفعت يديها وقالت: يا رب من غرني بك يا رياح؛ من لعب علي واحتال علي وقال: عابد، من غرني بك يا رياح، من غرني بك؟ سبحان الله، كانوا يستشعرون مثل هذا.

وكلما زادت المرأة تعبدًا لله تعالىٰ؛ صار لها مقام عند رب العالمين؛ ذكر بعضهم أنه أصابهم مطر وكان بجانبهم بيت لامرأة عابدة عندها أيتام يقول: سمعت صوت السقف -وما كانت الأسقف عندهم مثل ما هي عليه الآن: أسمنت... بل كانت من

سعف النخل وهكذا- يقول: سمعت صوت السقف مع الهواء، فسمعتها ترفع يديها وتقول: يا لطيف الطف بنا، يا لطيف الطف بنا، يا لطيف الطف بنا.

قال: فوالله ما كررتها حتىٰ توقف المطر عنا.

انظر يا أخي، إلىٰ العبادات وأثرها، سبحان الله تعالىٰ.

أنا أدعو إخوتي وأخواتي خاصة إلىٰ الاقتداء بهؤلاء الصالحات في إقامة الصلاة في أوقاتها والحرص علىٰ الذكر وعلىٰ قراءة القرآن، وصدق المحبة لله تعالىٰ وأن تكون محبة الله مقدمة علىٰ محبة الفضائيات، مقدمة علىٰ محبة الإنترنت، مقدمة علىٰ محبة الغزل وعلىٰ محبة المكالمات الهاتفية حتىٰ يوفق الإنسان للخير.

۞ ۞ ۞

قصة حوت الصحابة

نتحدث معكم عن حديث وقع لعدد من الصحابة مع البحر ما هذا الحديث؟ كيف وقع لهم من هؤلاء الصحابة؟ ما الأعجوبة التي رأوها عند البحر؟

نقف علىٰ حديث عجب وقع لعدد من الصحابة مع البحر، نقف علىٰ أعاجيبه، نستمع إلىٰ شيء من غرائبه نستفيد من دروسه التي ذكرها لنا أصحاب السيرة في ما رواه مسلم في حديث جابر ﵁ ذكر أن النبي ﷺ كان يرسل عدد من الصحابة إلىٰ عدد من الغزوات أحيانًا، يكون هناك مجموعة من القبائل يخططون لغزو النبي ﷺ فمباشرة النبي - صلىٰ الله عليه وآله وسلم - يرسل عددًا من الصحابة لكفهم فيقوم بغزوهم وقتالهم قبل أن يغزوه، وما غزي قوم في عقر دارهم الا ذلوا كان ﷺ إذا سمع أن هؤلاء سيغزون مباشرة يرسل ﷺ من يؤدبهم، أحيانًا، يقع بينه وبين بعض القبائل عهد، وميثاق، وصلح علىٰ أن يحموه، ويحميهم هو أيضًا، وفعلاً تكتب إليه تلك القبيلة أو تُرسل إليه ﷺ أن نفرًا يريدون غزونا أو قتالنا فمباشرة النبي ﷺ يرسل من عنده سرية، وذلك بأن يُكلف الرسول ﷺ عددًا من الصحابة ﵃ بأن يُقاتلوا هذه القبائل التي تريد غزوه أو قتاله، السرية لايخرج معها النبي ﷺ، فإذا خرج سميت

غزوة.

إذا وقعت معركة أو ما شابه ذلك من أعجب ما ذكره أصحاب السير هو الذي رواه مسلم عن جابر ﷺ أن النبي ﷺ كون سرية من ثلاثمائة صحابي هؤلاء السرية، قيل أنهم خرجوا لقطع الطريق علىٰ عير قادمة لقريش، عير قادمة من جهة الشام إلىٰ مكة فهم لا بد أن يمروا بجهات قريبة من المدينة وأن المدينة تقع شمال مكة وبالتالي الذي يأتي من الشام، أو من سوريا، أو من الأردن لا بد أن يمر في المدينة، أو يمر عن شرقها وغربها، لا بد أن يمر بها وبالتالي النبي ﷺ لما رأىٰ أن قريشًا عذبت الصحابة وقترت عليهم، وزد أيضًا: أن قريشًا استولت علىٰ جميع أموال المسلمين الذين هاجروا حتىٰ ما يقول أحد من الناس كيف النبي ﷺ يقطع الطريق؟

لا بل يستعيد ماله الذي له فمثلاً لو أنا استعرت منك هاتفك المحمول وتكلمت به ثم أخذته ولم أرده لك، وأنت تخجل أن تطلبه مني خشية أن أقول عليك بخيل، وهذا الهاتف ثمنه كبير، ما يُعادل مثلاً ستمائة أو سبعمائة ريال فمثلاً قمت لأُصلي ووضعت هذا الهاتف في المسجد وجئت أنت فأخذته فهل هذا يُسمىٰ سرقة؟

لا بل هو يستعيد ماله، فالنبي ﷺ لما هاجر الصحابة أموالهم لم تكن ذهبًا وفضة إنها إبل وغنم ومزرعة وتمر والصحابة كثير منهم هاجر مُتخفيًا فما كان يستطيع أن يحملها معه لو حملها فسد عليه الأمر، واستولت عليه قريش واستولت علىٰ ماله أيضًا، فكانوا يهاجرون ويضعونها أمانات، أو يخبؤنها، أو ربما وضع عندها حارسًا، أو وضع عندها راعيًا، تأتي قريش تقتل الحارس أو تضربه، وتستولي علىٰ ما معه فلما النبي ﷺ يقطع الطريق علىٰ هذه العير والحقيقة يستعيد ماله لا يستولي أو يعتدي علىٰ أموال ثم زد علىٰ ذلك أن قريشًا أيضًا كانت لا تترك أحدًا من أصحاب النبي ﷺ خارجًا للتجارة، إلا وقطعت عليه الطريق، واستولت علىٰ ماله، لأنه أصلاً بينهم وبينه حرب، فالمعاملة بالمثل جائزة في جميع القوانين، سواء القوانين الشرعية التي انزلها ربنا جل في علاه، أو القوانين الأرضية الموجودة اليوم.

الشاهد: السنة السادسة، أو الثامنة علىٰ اختلاف بين أصحاب السير، النبي ﷺ

أخرج هذه السرية أميرهم أبو عبيدة عامر بن الجراح أمين هذه الأمة وكان شجاعًا بطلاً وهو ﷺ يعني كان متميزًا بالعقل حتىٰ أن عمر ﷺ لما جلس في عهد عمر مع مجموعة من الصحابة قال لهم: تمنوا فواحد من الصحابة قال: أتمنىٰ أن لي مثل هذه الجبال ذهبًا لأنفقه في سبيل الله.

قال الثاني: وأنت تمنىٰ، قال: أتمنىٰ لو أن عندي كذا وكذا من الخيل حتىٰ أُخرجها للجهاد في سبيل الله قيل: يا أمير المؤمنين وأنت ماذا تتمنىٰ؟

قال: أتمنىٰ لو أن عندي ملء هذه الغرفة رجالاً مثل أبي عبيدة فكان أبو عبيدة متميزًا لأن عمر يقول: لو أن عندك جبالاً من ذهب كيف تنفقها وما عندك رجال؟ لو أن عندك عددًا من الخيول لأجل أن تُقاتل هل عندك رجال ومجاهدون يركبون عليها، ويقودونها، ويبذلون أرواحهم في سبيل الله؟

فعمر يقول: لا يفيد المال ولا يفيد السلاح إذا لم يوجد رجال فأبو عبيدة ﷺ كان مضرب المثل فعلاً النبي ﷺ أمَّر عليهم أبا عبيدة، هم كانوا في السابق إذا أرادوا أن يخرجوا إلىٰ جيش ليس مثلنا اليوم عندهم قسم التموين مستودعات لا، بل كان كل واحد يبذل فكان الصحابة إذا أرادو أن يخرجوا في جيش، كل واحد يخرج ما عنده من طعام معه يقول لزوجته: زوديني أعطيني زادي الذي يكفيني في الذهاب، والرجوع، ما يقول: يا رسول الله أنا سأخرج بنفسي لكن أنت اعطني الدابة، وأنت اعطني الطعام، وأعطني اللباس، يعلمون النبي ﷺ ليس عنده ذلك، فالنبي ﷺ أمرهم أن يخرجوا كل واحد يكون معه زاده من طعام وشراب ولم يجد شيئًا يزودهم به زيادة إلا جرابًا من تمر مقدارًا يسيرًا من التمر يكفي لوقت يسير أخذه أبو عبيدة ﷺ ومضىٰ فمشوا فبعض القوم فنيت أزوادهم فقال لهم أبو عبيدة: اجمعوا أزوادكم أي: الذي عنده شيء يعطينا إياه، فهذا جاء بأربع تمرات، وهذا جاء بخمسة، وهذا جاء بكسر خبز، فبسط أبو عبيدة ﷺ بساطًا وطرحه فيه، ثم أمرهم أن يقتسموا يعني كل واحد يحمل الثاني ثم فنيت الأزواد فأخرج أبو عبيدة ﷺ جراب التمر قال: يا قوم لم يوجد إلا جراب تمر وهم جنود عددهم ثلثمائة وليس معهم إلا جراب تمر، فأصبح يعطي كل

واحد تمرة، تمرة، زادك في اليوم من الصبح إلىٰ الليل تمرة واحدة، لا عليها لبن، ولا معها مرق، ولا لحم، ولا خبز، فصار فعلاً كل واحد من الصحابة يأخذ تمرة، قيل لجابر ﷺ: وهو يحدث بالحديث قيل: فهل كانت تغني عنكم شيئًا فقال: عرفنا قيمتها لما فقدناها لأن التمر توفر يومين ثم توقف صار حتىٰ التمرة لم يجدوها يقول: عرفنا قيمة التمرة التي كانت تأتينا قبل يومين.

يقول علماء الأحياء: إن الإنسان ممكن يعيش من غير طعام أكثر من شهر يبقىٰ حيًا نعم يصيبه هُزال، يُصيبه الآفات لكن علىٰ الأقل يبقىٰ فيه الروح ما دام يشرب ماء.

يقول جابر ﷺ: فجعلنا نضرب الخطط، الخطط: نوع من الشجر فيسقط علينا يتحات الورق فنأخذه ونبلله بالماء ونلينه ونأكله، يأكلون ورق الشجر من شدة الجوع الذي أصابهم يقول: فبينما نحن نمشي إذ رأينا مثل الكثيب العظيم ما الكثيب؟

التل الرملي العظيم، هذا التل الرملي كان فيه خلاصهم ما قصة هذا التل؟ وهل كان فعلاً تلاً من رمل أم كان شيئًا آخر؟ ماذا فعل الصحابة لما رأوا هذا التل الذي ظنوه تلاً رمليًا، يقول جابر: فرأيناه من بعيد فأقبلنا إليه فإذا هو دابة عظيمة، اسمها العنبر هذه الدابة قد ألقاها البحر إلىٰ الشاطيء، قال: فقلنا: نأكلها أم لا نأكلها؟ هي ميتة، أبو عبيدة الآن يُناقش الصحابة كم عددهم؟ ثلاثمائة، يا قوم ما رأيكم نأكل أم لا نأكل؟ هي ميتة ثم قال أبو عبيدة: نحن أصحاب رسول الله ﷺ وإذا كنتم أصحاب النبي ﷺ تأكلون ميتة؟

فقال: وقد اضطررنا يعني حتىٰ لو كان يعني أي شيء نحن نموت جوعًا. اضطررنا كلوا، يقول: فأقبلنا إلىٰ هذه الدابة، كانت عظيمة من كبر حجمها يقول جابر جعلنا نقطع من لحمها الفدر، الفدر قِطَعِ اللحم كحجم الثور العظيم، يأتون بالسيوف التي معهم ويقطعون لحمها أبيض كمقدار الثور يقطعونها قطعة لحم هكذا يقول، ونغترف من وقب عينه الدهن، وقب عينه مليء بالشحم يقول: نغترف اغترافًا بالقلال، القلال هي الآنية الكبيرة التي هي أصلاً للتمر، يقول: نغترف بالدهن فجعلنا ندهن؛ لأن أجسادهم مع قلة الطعام وأكل الشجر جفت وشفافهم جفت يقول: فجعلنا ندهن

قال: وجعلنا نأكل منه حتىٰ شبعنا وسمنا وصار لبطوننا عكن فما هو العكن؟ مصافط وزوائد في البطن من كبر السمن قال: ولبثنا شهرًا كاملاً نضرب من هذا اللحم العنبر هذا شيء مشوي، وشيء مقلي، وشيء مسلوق يأكلون يقولون: وهو يصف ﷺ مقدار حجمه يقول: فأخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً واقعدتهم في وقب عينه، وقب عينه يعني حفرة عينه قال: تعال يا فلان اقفز، والله حتىٰ أقعد ثلاثة عشر رجلاً في العين فقط انظر الكبر يقول: ثم أخذ ضِلعًا من أضلاعه فأخذ الضلع ونصبها مثل القوس ثم رحل أعظم بعير عندنا، أي: أطول بعير، وأضخم بعير، وأركب عليه أضخم رجل معنا قيل هو قيس بن سعد بن عبادة ﷺ قيس بن سعد بن عبادة كان يقولون: فيه طول عجيب حتىٰ أنه لما ملك الروم قال لعمر ﷺ : أنا سأرسل إليك ثلاثة أتحداك إذا عندكم في العرب مثلهم، سأرسل إليك أقوىٰ رجل عندنا، وأطول رجل عندنا، وأشعر رجل عندنا، فلما جاءوا نظر إليهم عمر فإذا واحد قوي فعلاً، وإذا الثاني طويل أطول واحد، وإذا الثالث رجل صاحب فروسية، فالأول نادىٰ له عمر بن الخطاب ﷺ أحد الصحابة وقال: تطارح أنت وإياه.

فقال الصحابي: ما احتاج أن أُطارحه يا أمير المؤمنين لكني سأجلس وأتحداه أن يُقيمني أو سأقف وأتحداه أن يُجلسني، وهو يقف ويتحداني أن أُجلسه أو يجلس ويتحداني أن أُقيمه.

قال عمر: والله لتطارحه قال: ما يستحق أن أُطارحه ففعلا جاء وجلس حاول الرومي يجره يمينًا يسارًا كأنه يحرك جبلاً ثم وقف حاول الرومي يجلسه ما قدر فقال للرومي: اجلس فجلس وجاء جذبه فاذا هو قائم فقال له: قف فوقف فجره فإذا هو قاعد فقال عمر: - الحمد لله - غلبنا الأول بقي الثاني الطويل هذا من ندعوا له؟

قال: ادعوا له قيس بن سعد بن عبادة ، جاءوا بقيس بن سعد بن عبادة الطويل فقال عمر: يا قيس تطاول أنت وإياه لننظر أيكم أطول قال: لا يا أمير المؤمنين لكني سأعطيه سروالي وطبعًا كان لابس إزار ورداء وتحت الأزار سروال طويل - قال: سأعطيه سروالي يلبسه فإن صار مقياسه تطاولت أنا وإياه قالوا: فأعطاه سرواله فلبسه

فوصل إلىٰ رقبته هذا الذي يصل إلىٰ نصف قيس وصل إلىٰ رقبة ذلك الرجل.

الشاهد يقولون: أبو عبيدة رضي الله عنه رحل أعظم بعير معهم ورحل أيضًا أعظم رجل معهم أجسم رجل، جعل هذا الرجل فوق البعير وأقبل بهما إلىٰ هذا الضلع ثم مر من تحته لم يمسه شيء من فوقه ولا من جانبه انظروا يا قوم هذا ضلع من الأضلاع.

الرسول ﷺ أرسلهم في سرية ومهمة، والسرية هذه والمهمة تكون في فترة محددة ينجزونها ويعودون بسرعة، لكي يصلوا بالأخبار للرسول ﷺ كان عندهم وقت أن يلهو ويتسلوا لقد غابوا شهرًا كاملاً.

النبي ﷺ أرسلهم لأجل شيئين قيل لتأمين إبل لقريش؛ لأنه بينهم وبين النبي ﷺ عهد فذهبوا حتىٰ يؤمنوها، هذا قول بعض أهل العلم، وقيل للدفاع عن نفر من جهينة: كان بينهم وبين النبي ﷺ صلح الصحابة، في رواية أخرىٰ قالوا: ولم نلقَ قتالاً رحنا فإذا جهينة ما جاءهم أحد يقاتلهم فما يحتاجون لنا وكانوا قد جاعوا وأُجهدوا إجهادًا شديدًا فيحتاجون إلىٰ فترة طويلة حتىٰ تعود إليهم صحتهم يعني الصحابي مشىٰ بهم مسافة طويلة وجاعوا جوعًا شديدًا فهم يحتاجوا إلىٰ فترة نقاهة.

ولكن لماذا أطلق عليها اسم العنبر ولم يقل الحوت بالرغم من أنه ذُكر في القرآن الكريم فالتقمه الحوت ؟

وهل العنبر يُطلق علىٰ شيء آخر؟ فلا بد أن الجيش يبقىٰ، فهم في وقت فراغهم، لا بأس مثل هذا اللهو يعني لابأس به من باب التسلية وليس فيه إهانة لشيء من النعمة.

هم يعلمون أنها دابة من دواب البحر بلا شك وهو نوع من الحيتان لكن هو قال: دابة من دواب البحر يقال لها العنبر، فهو وصف اسم الدابة مباشرة؛ لأنه معروف أنه حوت، نوع من السمك أما بالنسبة للعنبر الذي ذكرته العطر فهو فعلاً يقولون: أن العنبر أساسًا يخرج كما ذكر عدد من اللغويين قالوا: إنه نوع مما يخرج من بعض الحيتان، هو فضلات يخرج غائط من الحيتان يقول: فتأكله بعض الأسماك، يقول: فإذا أكلته هذه الأسماك ماتت وطفت فوق السطح وقذفها البحر إلىٰ الشاطيء فيأتون الناس ويصيدونه ويجدون في بطونها العنبر هذا قد تحول إلىٰ نوع من العطر سبحان

الله! ويتطيبون به، هذا الحوت الذي وجده الصحابة، طبعًا أقاموا ثلاثمائة رجل عليه شهرًا حتىٰ سمنوا، هل قرأت عن الحوت الأزرق؟

أنا كنت أظن أن هذا الحوت يعني: أي نوع من الحيتان، فقرأت عنه أنهم يقولون: إنه أكبر أنواع الحيوانات ويصل أحيانًا طوله إلىٰ أربعين مترًا، ووزنه قد وصل إلىٰ مائة وسبعين طن يقولون: إنه يولد تعرفون أن الحوت يلد لا يبيض، فهو يولد وطوله سبعة أمتار في السنة الأولىٰ من حياته من عمره يزيد وزنه في كل يوم تسعين كيلو جرام، في اليوم الواحد يزيد تسعين كيلو انظر إلىٰ الحجم العظيم لذلك الحوت مائة وسبعين طن هذا وزن ألفين وثلاثمائة شخص فإذا كان وهو في السنة الأولىٰ يولد طوله سبعة أمتار ويزن هذا الوزن ويزيد وزنه بهذا الشكل - سبحان الله! - فالصحابة لانتعجب أنهم رأوا ذلك لكن الذي أتعجب منه، إذا كان هو الحوت الأزرق كيف دخل من خلال البحر الأحمر؟ أساسًا هو واصل ما بين البحر الأبيض المتوسط وما بين بحر العرب وكلها خلجان تدخل عليها أماكن ضيقة فكيف جاء من البحار الكبرىٰ والمحيطات حتىٰ وصل إلىٰ البحر الأحمر؟! هذه غريبة يعني لكن آمنا بالله، الله تعالى قد ساقه إلىٰ أصحابه.

الشاهد: يقول جابر ﷺ : أكلنا حتىٰ سمنًا ثم حملنا من لحمه وشائق ما معنىٰ وشائق؟ قطع أخذوا شرائح جففوها عندهم طريقة للتجفيف، وحملوها معهم رجعوا يأكلون في نصف الطريق الرجل منهم كبر وسمن ودهن ورجعوا حتىٰ لقوا النبي ﷺ فأخبروه قالوا: يا رسول الله نحن رأينا كذا وكذا وحصل لنا كذا ورأينا هذا الحوت فما الحكم؟ نأكل أم لا نأكل؟ وهم يخفون قطعًا من لحم الحوت. فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «هذا رزق ساقه الله إليكم» أي: هذا رزق الله تعالىٰ أتىٰ به إليكم ثم قال: «هل معكم من لحمه شيء فتطعمونا من باب تطييب نفوسهم؟».

قال الصحابة: نعم يا رسول الله هذا هو. يقول: فأخذ النبي ﷺ منه وأكل صلوات ربي وسلامه عليه قد يسأل بعضكم: هل كان النبي ﷺ جائعًا أو مشتاقًا أن يأكل من هذا الحوت لذلك طلب منهم؟

هذا للتأكيد علىٰ أن ما أكلوه حلالاً ولكي تطيب به نفوسهم.

تطييبًا للنفوس كان النبي ﷺ من باب أنه يبين لهم أنه حلال أن يأكل معهم مثلاً لو أنت قلت يا شيخ لا أدري هل يجوز أكل الضب أم لأ؟ فقلت: يا شيخ يجوز اعطني قطعة وأكلت قطعة وأنا لا أشتهيها أليس بذلك تطيب نفسك أكثر تشعر بنوع من الحميمية والودية كذلك النبي عليه الصلاة والسلام قال: اعطوني من لحمه وشائق ليأكل منه ليثبت لهم أنه حلال وليس فيه شيء هذا ما كان يتعلق بقصة هذا الحوت نسأل الله تعالىٰ أن يرزقنا حوتًا وأن يديم علينا وعليكم نعمته وفضله هذا حوت الصحابة الذي ألقاه إليهم الذي رزقهم الله تعالىٰ به وألقاه إليهم عبر البحر.

۞ ۞ ۞

قصة سعيد بن المسيب

كنت أقرأ قبل أيام حادثة لسعيد بن المسيب.

سعيد بن المسيب واحد من العلماء، عنده طلاب وفقد واحدًا من طلابه وكان هذا الطالب اسمه أبو وداعة، وهو طالب جيد ففقده يومًا ويومين وثلاثة أيام، ثم في اليوم الرابع جاء الطالب، فلما انصرف الطلاب كلمه وحده في المسجد، قال: لماذا احتبست ثلاثة أيام عن الدرس -يعني أنت غائب ثلاثة أيام- قال: والله يا شيخ، ماتت امرأتي وانشغلت بدفنها والعزاء وكذا فغبت ثلاثة أيام.

فقال: تزوجت. قال: من يزوجني؟ أنا امرأتي كانت بالكاد تصبر علي. علىٰ فقري، ما عندي إلا دراهم معدودة.

قال: أنا أزوجك.

قال: ها.

قال: بنت عالمة فقيهة خطبها ابن الخليفة.

فقال: أنا أريد زوجًا يكون لها وحدها لا يكون مشتركًا بينها وبين غيرها. انتبه للعقل والتفكير. لابنتي وحدها.

ابن الخليفة عنده جوارٍ وعنده أصدقاء. لكن عندما يكون زوجًا مسكينًا ففي الغالب يكون مع ابنتي دائمًا لا ينشغل عنها، والمرأة كلما صار زوجها أقرب لها ومحتويها وجالسًا معها ويصرف وقته لها؛ تكون مستمتعة أكثر. وشاور ابنته ووافقت وجاءوا وعقدوا له الزواج في نفس اليوم.

يقول أبو وداعة: **فذهبت إلىٰ بيتي وأنا غير مصدق أني تزوجت ابنة سعيد بن المسيب.**

يقول: **فلما كان في الليل وضعت زيتا وزعترًا وخبزًا أتعشىٰ. -فقير مسكين- يأخذ الخبز ويضعه في الزيت والزعتر ويأكل. يقول: فطرق علي الباب. فقمت وقلت: من بالباب؟**

قال: **سعيد.**

قال: **فطرأ في فكري كل شخص اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب. ما توقعت أنه سعيد بن المسيب.**

تخيل أنت عندما يكون هناك واحد من كبار علماء البلد ويطرق عليك الباب فجأة من غير ميعاد ويجيئك والناس يتقاتلون حتىٰ يظفروا منه بدقائق معدودة.

يقول: **قلت: الشيخ؟**

قال: **نعم.**

قال: **ورأيت سوادًا وراءه. امرأة لابسة عباءتها.**

فقال سعيد بن المسيب: **إنا قد كرهنا أن تبيت عزبًا الليلة وأنت متزوج فأحضرنا لك امرأتك.**

قال: **ابتعد. وقال: ادخلي يا ابنتي** (انظر إلىٰ بساطة الزواج عندهم) **البنت دخلت والرجل إلىٰ الآن غائب عن شعوره ما يدري.**

لا يصدق بل يظن أنه في حلم يقول: **فلما أغلق أبوها الباب وقف مندهشًا.**

قال سعيد: السلام عليكم أغلق الباب فوقعت وأغمىٰ علىٰ البنت من شدة الحياء. يقول: فضاق صدري (يا بنت الناس قومي لا تورطينا الليلة ليلة العرس) يقول: فصعدت إلىٰ أمي وناديتها، وأمي لا تدري حتىٰ الآن قلت: يا أمي أنا تزوجت.

قالت: يا ولدي تزوجت. كيف تزوجت؟

قال: والله يا أمي تزوجت ابنة سعيد بن المسيب.

قالت: يا ولد تمزح.

قال: يا أمي تعالي انظري إليها فهي في الأسفل مغمىٰ عليها. تعالىٰ دبريني.

يقول: فجاءت أمي وأيقظتها مما هي فيه.

وأقسمت علي ثلاثة أيام ألا أدخل بها إلا بعد ثلاثة أيام. يقول: فلما بت معها ليلتين أو ثلاثًا أردت أن أخرج إلىٰ الدرس، درس الشيخ فقالت: إلىٰ أين تذهب؟ أعجبت به وانبسطت.

قلت: أذهب إلىٰ درس سعيد، يعني درس الشيخ.

قالت: ولماذا تذهب إلىٰ درس سعيد؟

قلت: أطلب العلم.

قالت: كل ما في رأس أبي من علم هو في رأسي. تعال اجلس أدرسك أنا العلم.

يقول: فأخذت أقرأ عليها المتون. يقول: فلما كبر وصار عالمًا من العلماء كانت الفتوىٰ تخرج بتوقيعين: بتوقيعه وتوقيع زوجته. انظر إلىٰ العالم.

المقصود حقيقة: أن حاجة الإنسان إلىٰ الزواج حاجة فطرية طبيعية ولو ترىٰ الآن فكثير من دعاء الفتيات ودعاء الشباب يكون عن الزواج: اللهم زوجني. اللهم ارزقني زوجة اللهم...

ولا أذكر أني قلت لواحد من الشباب: الله يزوجك إلا قال: آمين.. آمين..

أحيانًا أقول: الله يرزقك الجنة فيقول: آمين بصوت منخفض. أما إذا قلت: زواج

اشتغلت البطاريات الساكتة عنده. ما أدري عن المتزوجين أنا أتكلم عن العزاب حتىٰ لا تسبب لي مشكلة أيضًا.

يا شيخ، ما يحصل الآن في القنوات الفضائية وأيضًا في الإنترنت من الدعوة إلىٰ الزواج، يدعون أنهم يوفقون بين زوجين والأدهىٰ والأمرّ أنهم الآن يفصلونها لك تفصيلاً بمعنىٰ يقول: طولها وحجمها والخصر.

في الإنترنت أم في الفضائيات؟

في الفضائيات!

لا حول ولا قوة إلا بالله، يعني هي ترسل مواصفاتها. الطول ١٦٥. الخصر ما أدري.. كم.. الوزن..

البنت نفسها ترسل وكذا الشاب، وتحصل الخطبة بدون علاقة.

ما رأيك في هذا يا شيخ؟

أنا أستفسر عن شيء -أنا عندي معلومات عنها يسيرة- لكن كيف تكون طريقة توفيقهم بين الشباب والفتيات. هل يعطونك رقمًا معينًا أو كذا؟

لا. إذا اتفقت أنت وهي.

إذا أرسلت موصفاتي وهي أرسلت موصفاتها.

الآن أنت تعجبك المواصفات الفلانية، وكل قناة لها رقم تتصل عليه ويقومون بإعطائك رقم الفتاة أو العكس. يعني لدرجة أنه لا أهل. وربما لا يدري أهلها عن البنت شيئًا.

إذا اتفقت أنت وهي يعطونك رقمها وتذهب وتتزوج رسميًا وإذا وافقت هي قالت: أعطوني رقمه أنا أتفاهم معه.

لا. يا شيخ.

هناك بعض القنوات الآن تتعامل مع الفتاة مباشرة، أي: بدون علاقة القناة. أنت

ترىٰ المواصفات وترسل علىٰ رقم الاشتراك الخاص بها رقمك أنت وتتصل بها.

بالبنت نفسها..

أو هي ترسل لك رقمها وتتصل بها بدون علاقة القناة.

أظنها وصلت الآن إلىٰ كم قناة؟ أظنها ست أو سبع قنوات تقريبًا كلها بهذا الحال.

ماذا يستفيدون ماديًّا؟

يستفيدون من سعر الرسالة sms.

هذا سعره ريال، ٦ريال وربما يأتيهم في اليوم ألف رسالة أو ألفان؛ فالشريط لا يتوقف.

خداع واستهزاء و(استهبال).

أكثر من هذا يا شيخ فلكي تشترك بهذه القناة ترسل أكثر من رسالة ويستدرجونك، فالرسالة الأولىٰ ترسل فيها الرقم أو شيئًا من هذا القبيل؛ فيرسلون إليك ويقولون: تم وصول كذا أرسل كذا وكذا.

حقيقة: يا جماعة أنا طبعًا سمعت عن هذا ورأيت قناة أو قناتين منها.

وماذا عن مواقع الإنترنت التي فيها مثل هذا؟

هي نفس الطريقة.

يوجد في عدد من مواقع الإنترنت هذا الأمر لها نفس الطريقة ونفس الإرادة؛ لكن يبدو لي أن القنوات أكثر -إن صح التعبير.

أنا جاءني مرة رسالة علىٰ هاتفي فيها أن فتاة تقول: إنني تعرفت إلىٰ شخص عن طريق إحدىٰ القنوات التي توفق بين رأسين (تجمع بين رأسين).

تقول: ثم أصبح يلعب بأخلاقي وكل يوم يقول: أرسلي لي صورتك حتىٰ أقرر أتزوجك أو لا؟

أنا موافق، لكن. أنا إنسان جاد وأنا ما أدري كذا وكذا.

تقول: حتىٰ عبث بعواطفي إلىٰ درجة أنه قال: لابد أن نتقابل؛ حتىٰ أتأكد إذا كنت تصلحين لي أو لا. إلىٰ هذا الدرجة؟! كيف يجربها والعياذ بالله.

وهذا حقيقة هو حقيقة البغاء الذي كان في الجاهلية، فالمرأة تدعو إلىٰ نفسها أو يكون هناك أشخاص يجمعون بين الرجال والنساء بالحرام، هذا حقيقة طريقة من الطرق.

أنا وصلني عدد من الشكاوىٰ عبر الهاتف وعبر الإيميل من فتايات كن يعبث بهن عبر هذه الطريقة، وشباب أيضًا تائبين اتصلوا بي.

وجاءني واحد في المسجد قبل فترة صلىٰ معي الجمعة وقف معي وقال: يا شيخ هذا الهاتف وأخرج لي جوالاً معه وقال: يا شيخ هذا الرقم يتلقىٰ يوميًّا ما لا يقل عن مائتين إلىٰ ثلاثمائة اتصال كلها- يا شيخ- غزل.

قلت: كيف؟

قال: أنا يا شيخ علىٰ مدىٰ سنتين، أراسلها وأضع رقمي هذا.

يقول: حتىٰ بدأ ينتشر بين البنات أنفسهن.

يقول: والآن أنا تبت والله يا شيخ الآن أنا أغلقه. ولو أشغله وأوقفه أمامك فستجد الرسائل الواحدة تلو الأخرىٰ.

لذلك أنا أقول أولاً: لا ينبغي أن تكون الفتاة خفيفة العقل وتجري وراء كل قناة تنشر أنها يمكن أن تبحث عن زوج وغير ذلك.

الأمر الثاني: كون الفتاة تتعرف إلىٰ شباب عن هذا الطريق ربما يجعل الشاب يشعر بعدما يرتبط بها أنها هي التي تعرفت إليه أصلاً. أنت التي تبحثين أنتِ... فما تشعر بالعزة.

ليس الأمر كذلك يا أخي، فالمرأة ليست مثل البضاعة التي ذهبت تبحث عنها في السوق؛ لذلك تلاحظ أنه إذا أهدي إليك شيء فإنه لا يكون قدره ومنزلته عندك مثل

الشيء الذي تعبت حتىٰ بحثت عنه ووجدته.

وقليل في الحقيقة من يتزوج بهذه الطريقة.

في أوروبا والدول الأخرىٰ توجد أماكن مثل هذه للمتزوجات، ما يتزوجون علىٰ الأقل حسب ملتهم ومذاهبهم، يتعرف إليها في الشارع وإذا أعجبته تزوجها؛ لكن يستحيل أن يتزوج عن طريق قناة.

حقيقة أنا لاحظت أنها ما فيها جدية وليس فيها نتائج؛ إنما هي مثل ما ذكرت.

يا شيخ، إنهم لا يوجد عندهم ضوابط، ولو وضع لها ضوابط ما تنجح العلاقة الزوجية.

العلاقة الزوجية يستحيل أويندر أن تنجح بطريقة مثل هذه.

مثلاً: لو حصل مائة زواج فسينجح منها ستة أو سبعة مثلاً في الغالب بهذه الطريقة؛ لأن الفتاة ستقدم تنازلات لأجل أن يتزوجها فقط.

فأنا حقيقة أحذر إخوتي وأخواتي من المشاركة فيها، ويوجد بعض الخاطبات أو الخاطبين إن صح التعبير الثقات يمكن الاستعانة بهم في هذا.

فمثلاً: لو أن امرأة عندها بنات ما تزوجن ماذا تفعل؟ يمكن أن تتصل علىٰ إحدىٰ الخاطبات أو أحد الخطابين وتقول: عندي بنتان عمرهما كذا وكذا، وتسأل إن كان هناك أحد مناسب إلىٰ آخره.

أما أن تبدأ البنت تراسل هذه القنوات وتجعل اسمها عندهم وصفات خاصة إذا كانت تذكر؛ فحقيقة هذا أمر مزعج جدًّا ولا ينبغي أن يُلعب بالعواطف.

وأنا أقول حقيقة لكل شاب يلعب بعواطف الفتيات: **لا تأمن دعوة عليك في آخر الليل أو ربما ابتلاك الله تعالىٰ بأنواع من الفقر والهموم والغموم بسبب هذه المعاصي التي تؤذي بها أعراض المسلمين.**

سأستمع ما عندك يا سلطان.

أنا فقط كنت أقول: إن الأمهات وبعض البنات أنفسهن يقولن: لا نلجأ للخاطبة؛ لأنهم لا يريدون أن يشعرن بحرج أو بنقص.

أنا طبعًا أرىٰ أن الذهاب إلىٰ الخاطبة ليس فيه مشكلة.

يا أخي، الرجل الصالح الذي رآه موسىٰ- قال: إني أريد أن أنكحك إحدىٰ ابنتي هاتين علىٰ أن تأجرني ثماني حجج، وذكرنا سابقًا أن عمرﷺ لما تأيمت حفصة - أي: مات زوجها- ذهب إلىٰ عثمان قال: إن شئت أنكحتك حفصة ثم إلىٰ أبي بكر قال: إن شئت أنكحتك حفصة. فليس عيبًا أن يختار الرجل لابنته الرجل المناسب.

لكن ننبه أيضًا أن كون الفتاة تبدأ ترد الشباب عنها وتعرض عن الزواج حتىٰ يتقدم سنها ثم ترضىٰ بـ(ربع رجل) ليس برجل كامل. وترضىٰ أن تكون رابعة؛ فهي بذلك توقع نفسها في حرج؛ فهذه نقول لها: ليتك لما جاءك الخير من البداية قبلتِه.

يا شيخ، جرت العادة بين القبائل أن كل شخص يتزوج بنت عمه أو بنت خاله، وإذا وجد شخص تزوج مثلاً من خارج القبيلة يقال: لا. لا يوجد تكافؤ في القبيلة ولا يوجد تكافؤ في النسب وهكذا. فما تعليقك؟

مسألة التكافؤ في النسب هذه ذكرها الفقهاء، ذكر بعضهم أن من شروط النكاح أن يكون هناك تكافؤ كـ(أن) تكون المرأة مثلاً من قبيلة والرجل من قبيلة؛ فكلاهما ينتسبان إلىٰ قبيلة وألا يكونوا من الموالي -الموالي هم الذين ربما كانوا عبيدًا مماليك ثم أعتقوا.

لكن شرط التكافؤ ليس عليه دليل شرعي من الكتاب أو من السنة؛ لكنه كلام للفقهاء لئلا تقع مشاكل بين الناس.

النبي عليه الصلاة والسلام زوج زيد بن حارثة وكان مولىٰ -أي: عبدًا مملوكًا أعتق كان مولاه- زوجه من زينب وكانت زينب من رءوس القرشيات.

بلال ﷺ وهو عبد أسود حبشي تزوج ثلاثًا من نساء قريش، فكان المقياس عندهم هو الدين الشرعي، كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾

[الحجرات:١٣]، وقال ﷺ ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ ما قال: لتفاخروا. إنما قال: ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ فلا يوجد بأس شرعًا أن القبيل يتزوج غير القبلية أو غير القبيل يتزوج القبلية، إلا إذا كان سيؤدي إلىٰ مشاكل ربما في القبيلة والعائلة وخصومات ومقاطعات ونحو ذلك؛ فتجنب هذا أولىٰ.

أنا أعلم طبعًا أن هذا موجود في بعض الدول دون بعض، فبعض الدول ممن ربما يشاهدوننا الآن ليس عندهم مثل هذا الشيء.

إجبار البنت -يا شيخ- علىٰ ولد عمها أو ولد خالها؟

أحسنت هذا أيضًا موجود. هذا ما يجوز لما جاءت فتاة إلىٰ النبي ﷺوقالت: يا رسول الله، إن أبي زوجني من ابن أخيه ليرفع خسيسته -قالت هذا معترضة- فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «إن شئت رددت نكاحه».

أنا أفسخ النكاح الآن، لأن النكاح باطل، لأنك غير موافقة.

فقالت: لا. يا رسول الله بل أنا موافقة؛ لكن أردت أن يعلم الآباء أن لا سلطان لهم في تزويج بناتهم. انظر إلىٰ المرأة العاقلة.

تقول: أنا موافقة لكن فعلت كي يتأدب الباقون حتىٰ لا يأتي واحد ويزوج ابنته رغمًا عنها.

فالمقصود: أنه ما يجوز أنه يلزمها بذلك، والمشكلة يا أخي: أن بعض الفتيات اليوم مع الأسف -وأنا في حلقاتي ما أريد أن أهيج الناس- لا يطالبن بحقوقهن يا أخي.

يا أخي،يوجد رجل دخلت في قضيته أنا وواحد من المشايخ دخلنا لحلها، عنده ثلاث بنات أصغرها عمرها ٢٥ وأكبرهن ٣٣، الرجل كل من جاء يخطب، يطرده يقول: ما عندي بنات للزواج ما عندي... وهو رجل أصلاً غير صالح فهو رجل يسافر إلىٰ الخارج ويفسق ويشرب الخمور وكذا... رجل قريب من الستين.

والبنات وصلت أعمارهن لهذا السن والأب هكذا يرفض دائمًا من غير سبب

وهو رجل تاجر فلا يحتاج إلىٰ وظائفهن ورواتبهن.

فاتصلت إحدىٰ بناته بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكلمت صاحبي هذا الشيخ محمد الماجد.

قالت له: يا شيخ، عندنا قضية كذا وكذا بالله حلوا الموضوع.

فقال: أعطيني رقم واحد من إخوانك، فكلم أحد إخوانها وهو شاب عاقل قال له: هل الواقع كذا؟ قال: نعم يا شيخ، وأنا حاولت مع أبي عدة مرات؛ لكن أبي رافض وصعب أن أذهب وأشتكي أبي في المحكمة.

قال: انزع ولايته، والولاية تكون لك وزوجهن قال: والله يا شيخ ما أريد مشاكل.

يقول الشيخ: فذهبت بنفسي إلىٰ القاضي وشرحت له الموضوع وأخبرته باسمهن.

يقول: فاستدعاه القاضي ليتفاهم معه، فجاء وسأله، فقال: نعم ما أبغي زواج بناتي. فقال: لم؟

بعض الناس عنده مرض نفسي فلا يريد أن يزوجح فنزع القاضي الولاية منه وجعلها عند أخيه ليس عند أخي البنات؛ لأن أخا البنات خائف، فتزوج الثلاث في شهر واحد، والآن هن سعيدات. أظن هذه القصة صار لها سبع سنوات.

فالمقصود: أن المشكلة يكون مصدرها أن بعض البنات ترضىٰ بالخضوع والانكسار.

يا أختي.. يوجد قضاة يوجد محاكم، وإذا كانت في غير المملكة العربية السعودية أو مثلاً كانت في بلد آخر، فربما يكون القضاة ممن يساعد في مثل هذه المسائل.

وأنت قد يكون عندك من يحل المشكلة من أقوام يكون لهم تأثير :عم، خال، أحد من العائلة كبير في السن، هيئات حقوقية يمكن أن تتدخل في الموضوع دون أن

يستغلوك.

لا بد للفتاة أيضًا أن لا يستغلها من تذهب إليه، وأهم شيء ألا تسكت البنت حتىٰ يصل عمرها إلىٰ الأربعين، مثل الفتاة التي نزل بها الموت وعمرها ٤٥ سنة وهي لم تتزوج وأبوها يرفض الناس يقولون: فلما جاء أبوها عند رأسها وهي تموت، قالت: يا أبي قل: أمين، قال: أمين، قالت: الله يحرمك من الجنة، مثلما حرمتني من الزواج؛ لأن المرأة -يا جماعة- فيها من الشوق حقيقة إلىٰ الزواج كما عند الرجل من الشوق؛ لكن بعض الآباء ربما لا يتصور مثل هذه القضية.

بعض البنات أيضًا يا شيخ يخجلن أن يشتكين من آبائهن.

صحيح:أحيانًا تخجل، والقضية يا أخي هي أن كل مرة نقول: أنا والله أخجل أنا والله...

الإنسان الجبان لا ينجح في الحياة، فمتىٰ أردت أن تنجح في الحياة وجب عليك أن تكون شجاعًا، شجاعًا في استخراج حقوقك شجاعًا في نصح الناس شجاعًا في اتخاذ قراراتك في حياتك. الإنسان الجبان لا يبني مشروعًا في الحياة أبدًا.

أما الإنسان المبادر المقدام الجريء دائمًا فهو الذي يكون له بصمة في حياته وينجح.

الإنسان الجبان لا ينجح في زواج ولا في تربية أولاد ولا في تأثير في الأمة وفي فتح مشروع تجاري وفي عمل، ولا شيء لا بد أن يكون منضبطًا بالضوابط الشرعية.

توجد مسألة أخيرة مهمة حقيقة فيما يتعلق بالزواج..

إن الفتاة عندما يخطبها أحد، ينبغي ألا تشترط فيه شروطًا ربما لا تكون مجتمعة إلا في عدد من الرجال، فمثلاً تقول: أنا أريده جميلاً مثل فلان وقويًا في بدنه مثل فلان وكثير المال مثل فلان، وتحتاج أربع أو خمس صفات متفرقة من رجال تريدها في رجل واحد. ثلاثة في واحد!

كذلك الزوج إذا أراد أن يخطب امرأة ينبغي عليه أن يكون منضبطًا في مثل ذلك،

فلا تكون القضية عنده مبنية علىٰ ما يشاهده في التلفاز؛ إذ ربما ينخدع بالنظر إلىٰ بعض من يراهن في التلفاز وأعجب بهن ويبغي واحدة تشبه فلانة، فتموت وأنت ما لقيت من تشبهها.

وربما لا يوجد هذا أصلاً بسبب المساحيق وعمليات التجميل؛ لذلك النبي ﷺ يقول: «لا يفرك مؤمن مؤمنة -يعني لا يبغض المؤمن مؤمنة بغضًا تامًّا يدعوه إلىٰ طلاقها أو فراقها-، قال: إن كره منها خلقًا رضي منها آخر».

فكون الرجل يكره من امرأته بعض الأخلاق لا يعني أنه يطلقها أو يفارقها؛ لأنه سيرضىٰ منها أمورًا أخرىٰ، وهذا الذي كان النبي عليه الصلاة والسلام دائمًا يوجه إليه.

توجد مسألة أخيرة أيضًا تذكرتها قبل أن نختم وهي في الحقيقة وهىٰ متعلقة ببعض أنواع الزواج الذي خرج جديدًا عندنا، وهو ما يسمىٰ بزواج المسيار والمسفار، إذا أراد أن يسافر تزوج واحدة يقضي معها شهرًا، أو الزواج السياحي وغير ذلك.

حقيقة أحيانًا قد يجد المتزوجون بمثل هذه الأنواع مخرجًا فقهيًّا لهم، في الزواج المرأة تقول: أنا أتزوجك؛ لكن في زواج المسيار تقول: أتزوجك لكني لا أشترط أن تعطيني نفقة ولا تبيت معي ليلة أبدًا، متىٰ أردت أن تأتيني إلىٰ آخره.

المشكلة يا أخي أنه صار بها نوع من العبث بأعراض الفتيات، وأصبح البعض منهن أيضًا لا تدقق في انتهاء عدتها، فربما تزوجت أربعة رجال أو خمسة خلال سنة واحدة حقيقة؛ فلا تخرج من عدتها وربما تزوجت ثلاثة في وقت واحد.

فهذه الأمور قد يكون أحيانًا هناك مخرج لكلام الفقهاء فيها، وقد يجدون أيضًا أدلة، فأبو بكر رضي الله عنه كان عنده امرأة في السنح -يعني في بعض عوالي المدينة، العوالي: بعض المتنزهات أو البساتين التي حول المدينة- وكان يذهب إليها ليلة في كل ثلاثة أيام أو أربعة.

فهذه يستدلون بها عمومًا علىٰ المسيار أي: أن المرأة إذا قالت: أسمح لك أن لا

تبيت عندي بالقسمة الشرعية فهذا جائز؛ لكن مع ذلك أنا الذي أتكلم عنه مسألة اللعب بالعواطف وعدم التدقيق.

وربما زوجها غير وليها أحيانًا يزوجها ابنها ووالدها موجود. أحيانًا بعضهن يكون ابنها ربما لم يبلغ وهو الذي يعقد لها حتىٰ ما يعرف أبوها أنها تزوجت ومشاكل تحصل بسبب هذا.

إذن لا بد أن تضبط هذه المسألة بالضوابط الشرعية.

أسأل الله أن يوفقنا وإياكم لكل خير، وأن يرزقكم زوجات صالحات.

وأسأل الله تعالىٰ أن يجزيكم أنتم أيها الإخوة والأخوات، وأن يعف شبابنا وفتياتنا بزوجات وأزواج صالحين.

وأن يكتب لنا وإياكم السعادة الدائمة.

أشكر لكم إنصاتكم وأشكر للشباب أيضًا استماعهم معنا. وصلىٰ الله وسلم علىٰ رسول الله.

❁ ❁ ❁

يونس عليه السلام والبحر

حديث البحر إلينا عن نبي من الأنبياء، ولو أذن الله تعالىٰ لهذا البحر أن ينطق وأن يتكلم ماءه معنا لسمعت منه أعاجيب، وربما سمعتم منه قصة هذا النبي من الأنبياء، ذكر الله تعالىٰ في القرآن قصة غريقين في البحر:

الغريق الأول: هو عدو من أعداء الله، والغريق الثاني: هو ولي ونبي من أنبياء الله، كلاهما دعا بنفس الدعاء كلاهما نادىٰ ربنا تعالىٰ وكلاهما ارتفع دعاءه إلىٰ السماء فكان للنبي عليه السلام قصة، وكان لذلك العدو لله قصة، أما النبي الذي إلتقمه الحوت في البحر فهو يونس عليه السلام، وعدو الله الذي تلاطمت عليه الأمواج فرعون، دعونا نقص قصته في مجال آخر دعونا اليوم نقف مع نبي الله تعالىٰ يونس ابن متّىٰ، كان قد بعثه الله

تعالىٰ إلىٰ نينوىٰ من أرض الموصل.

في العراق، يُقال: إن نسب يونس عليه السلام ينتهي إلىٰ بنيامين بن يعقوب، يعني كله من نسل يعقوب عليه السلام، جاء إلىٰ قومه كانوا يعبدون صنمًا اسمه عشتار هذا كلام بعض الأسرائيليات، ولكن بصرف النظر عن اسمه فلا توجد مشكلة في اسم الصنم ولكن المقصود: أنهم يعبدون صنمًا من الأصنام يتقربون إليه، حجر يتمسحون به، يطوفون حوله، يذبحون عنده، ينحرون عنده، إبلهم إذا أجدبوا يدعونه من دون الله إذا مرضوا، توجهوا إليه، المقصود كانوا يبذلون أنواعًا من العبوديات لهذا الصنم.

أرسل الله تعالىٰ إليهم يونس عليه السلام ليُخرجهم من الظلمات إلىٰ النور، فقال: يا قوم آمنوا، يا قوم اتركوا عبادة الصنم، ربكم رب العالمين، الذي خلق فسوىٰ، وقدر فهدىٰ لم يلتفتوا إليه طالت مدة دعوته إليهم وهم لا يلتفتون إليه فغضب يونس كما قال الله ﷻ، وذا النون: النون ما هو؟ الحوت، قال تعالىٰ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا﴾ [الأنبياء:٨٧] غاضب من قومه قال: ليأتينكم العذاب بعد ثلاثة أيام، ثم غادرهم ومضىٰ فلما غادرهم ومضىٰ ونظر بعضهم إلىٰ بعض خرج سحاب أسود في السماء ودخان، فقالوا: هذا أول العذاب فاجتمع بعضهم إلىٰ بعض وفرقوا، خرجوا بدوابهم والنساء والأطفال، وفرقوا بين الأم وولدها، حتىٰ بين الدابة وولدها، فجعل الصغار يبكون يريدون أُمهاتهم والأمهات تبكي تريد أولادها، وهم يدعون الله ويستغفرونه فآمنوا كما قال الله ﷻ: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس:٩٨]، قوم يونس آمنوا، يونس لا يدري الآن أنهم آمنوا مضىٰ عليه السلام وأشار إلىٰ سفينة في البحر ركب معها قال: هؤلاء سيأتيهم العذاب هم لما آمنوا كشف الله تعالىٰ عنهم العذاب، ثقلت السفينة بيونس عليه السلام؛ فالذين في السفينة كان معهم متاع ألقوا بعض متاعهم لأجل أن يُخففوا وزن السفينة، السفينة تحمل مثلاً خمسة، وقد ركب فيها ستة، أو سبعة، رأوا أن السفينة لا تزال تزداد ثقلاً فقال بعضهم لبعض: يا قوم لا يوجد حل إلا أن نُلقي واحدًا منا يموت، ولا يموت الستة كلهم فاقترعوا بينهم كما قال الله ﷻ: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ

ٱلْمُدْحَضِينَ ﴾[الصافات:١٤١] ساهم يعني: اقترع.

فساهم فكان من المدحضين يعني: كان من الذين خسروا في هذه القرعة وقعت القرعة عليه مرارًا قالوا: والله يا يونس يعني القرعة يموت واحد ولا يموت ستة أو سبعة فأخذوه عليه السلام وألقوه في البحر قال الله تعالىٰ: ﴿ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ [الصافات:١٤٢]، مُليم: يعني: وهو ملوم يونس لماذا تذهب من عند قومك دون أن يأمرك الله تعالىٰ؟ كيف تدعو عليهم وتذهب؟ ادعو عليهم وانتظر بماذا يأمرك رب العالمين؟ بماذا يوحي إليك؟

التقمه الحوت يقول بعض المفسرين: أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ الحوت ألاَّ تجرح له جلدًا، ولا تكسر له عظمًا، يعني يونس عليه السلام أعز عند الله تعالىٰ من مئات الحيتان مثل هذا، لكن إنما التقمه الحوت؛ لحكمة، التقمه الحوت ونزل به إلىٰ قعر البحر، قعر البحر الآن الدراسات تقول: بأن البحار متوسط عُمقها ما بين أربعة كيلو مترات عُمق إلىٰ أحد عشر كيلو عُمق، يقولون: وربما هذا الذي اكتشفته الأجهزة الحديثة اليوم، الترددات وغيرها. يقولون: وربما كان هناك عُمق إلىٰ الآن لم يُكتشف، أي: ربما يكون هناك عُمق للبحار يصل إلىٰ عشرين كيلو، ثلاثين كيلو، مائة كيلو، ما تدري الله ﷻ يقول: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٨]، ويقول ﷻ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص:٦٨] اختار أن يكون هذا البحر عمقه هكذا ربنا تعالىٰ يفعل ما يشاء الشاهد أن الحوت نزل إلىٰ قعر البحر، فسمع يونس تسبيح الحصىٰ، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء:٤٤]، يعني هذا الكرسي وهذا التراب يُسبح بحمد الله ولكن لانفقه تسبيحهم، لما سمع يونس تسبيح الحصا، يقول الله تعالىٰ: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٧].

الظلمات: ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل، نادىٰ في الظلمات ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٧]، يقولون: إذا نزلت في البحر علىٰ بعد قريب من خمسين متر، أو أقل من ذلك لايبقىٰ إلا عشرة في المائة

من الضوء الذي تراه في البداية، ثم إذا نزلت أكثر لا يبقىٰ إذا نزلت إلىٰ ألف متر لا يبقىٰ إلا واحد من مائة في المائة من مقدار الضوء، إذا نزلت كيلو واحد بس في البحر إذا كان فوق بمقدار ألف شمعة تحت يكون شمعة واحدة فهو نادىٰ في هذه الظلمات مثلما قال الله تعالىٰ: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾[النور: ٤٠].

فيونس عليه السلام نادىٰ في الظلمات ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل، أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، يقول الحسن البصري رحمه الله: ما كان ليونس صلاة في بطن الحوت؛ لكنه قدم عملاً صالحًا في الرخاء فنفعه في الشدة؛ لأن الله تعالىٰ قال لما ارتفع دعاءه إلىٰ السماء: قالت الملائكة: «يا رب هذا صوت معروف من عبدٍ معروف في أرضٍ غريبة مَنْ هذا يا ربي؟» قال الله تعالىٰ: «هذا عبدي يونس»، قالت الملائكة: «يا ربي عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة»، قال: «بلىٰ» قالت الملائكة: «يا ربي ألا تذكر ما كان يفعل في الرخاء فتنجيه في البلاء؟»، قال الله عز وجل: «بلىٰ»، ثم قال سبحانه: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾[الصافات: ١٤٣].

كان من المسبحين متىٰ؟ أيام الرخاء يعني: لما نظر في صحائف عمله السابقة وجدوا عنده عملاً صالحًا وجدوا عنده صلاة، استغفار، دعاء، دعوة إلىٰ الله، أمر بالمعروف، نهي عن المنكر، كان من المسبحين ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[الصافات: ١٤٣- ١٤٤] ماذا حصل له؟ ما قصة الشجرة التي من يقطين؟ هل رجع إلىٰ قومه أنفسهم أم بُعث إلىٰ قومٍ آخرين؟

لماذا اختار الله الحوت عن بقية الحيوانات ؟

علىٰ الرغم من كثرة الحيوانات الموجودة في البحر وكان من الممكن أن يختار أي نوع من الأسماك المتوحشة أو حيوانًا آخر من الحيوانات غير الحوت.

الله اختار الحوت بالذات لكي يلتقم يونس عن بقية الحيوانات؟ وكم لبث تقريبًا في بطنه؟

أذكر أن أحدًا من أهل العلم ذكر سببًا في ذلك الحقيقة، لكن رب العالمين له حكمة جل وعلا

في هذا، هل هو لأجل حجم الحوت مثلاً، أو طبيعته، أو ما شابه ذلك، لكن المقصود أنه كان في بطن الحوت، كم لبث فيه؟ قيل لبث في بطن الحوت سبع ليال سبعة أيام بلياليها.

هل كان بالإمكان أن يظل سيدنا يونس في بطن الحوت إلى يوم القيامة؟

كان ممكن أن يبقىٰ في بطنه أن يهضم، أو أن يموت الحوت، ويموت يونس عليه السلام معه ويتحلل الحوت ثم إذا بعث يوم القيامة جميع الأحياء تبعث الحيوانات، وكما قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير:٥] كل الحيوانات تبعث ويبعث هذا الحوت، ويبعث معه يونس في بطنه العجيب - سبحان الله! -.

ذكر ابن كثير وغيره قالوا: إن يونس عليه السلام لما رأىٰ نفسه في بطن الحوت سجد وقال: «اللهم إني سجدت لك في موطن لم يسجد فيه قبلي أحد ولن يسجد فيه بعدي أحد». يسجد في بطن الحوت يقول: يا ربي أنا سجدت لك مُقرًا وذليلاً بين يديك في موطن ما سجد لك فيه أحدٌ من قبل، ولن يلحقني أحدٌ من بعدي لذلك نجاه الله ﷻ مما كان فيه ذكر الله تعالىٰ عن يونس عليه السلام لما لفظه الحوت، أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ الحوت أن يلفظه يقول الله تعالىٰ لما ذكر قصة يونس قال ﷻ: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات:١٤٣- ١٤٤].

ثم قال بعد ذلك: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات:١٤٥]، تخيل لو أنك بقيت في البحر أربع أو خمس ساعات ثم خرجت من البحر، بأي شيء تشعر؟

ستشعر أن جسمك أصبح لينًا وازداد بياضًا وأصبح فيه مثل التعرجات، فمن يموت في البحر مثلاً ويبقىٰ فيه مدة ثم يلتقطونه يجدون جسمه قد تحلل قليلاً مع وجود الملح، سبحان الله! حتىٰ الجلد لو حركوه ربما تقطع معهم.

يقول الحسن البصري: لما خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت، كان كمثل الغلام الصغير المولود جسمه رقيق فقال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ [الصافات:١٤٦] ما اليقطين؟

هو نبات القرع، النبي ﷺ كان يحب القرع في حديث أنس بن مالك في الصحيح

يقول: «أكلت مع النبي ﷺ طعامًا، فرأيته يتتبع القرع، القرع هذا اسمه في اللغة العربية، وهو مثل حجم البطيخ أكبر من البطيخ طبعًا ويؤكل نيئًا، ويؤكل أيضًا مطبوخًا، فجعل النبي ﷺ يتتبع القرع فلم أزل أحب الدباء بعد إذ رأيت رسول الله ﷺ يحبه» انظر إلىٰ الصحابة كيف كانوا يحبون النبيﷺ يحبون ما يحبه يعني الأكل الذي تحبه يا رسول الله أنا أحبه، أنبت الله عليه شجرة من يقطين لماذا اختار الله تعالى شجرة من يقطين لينبتها علىٰ يونس؟

لأنه طعام مفيد للجسم والجلد قالوا: إن ورق اليقطين ورق شجر القرع ورق ناعم وقعود واتكاء يونس عليه السلام لايضره، ثم زد علىٰ ذلك أن ثمر اليقطين يؤكل نيئًا، ويؤكل مطبوخًا، وزد علىٰ ذلك أن الذباب لايقربه، فلو جاءه الذباب علىٰ ضعف جسمه عندما خرج من بطن الحوت ربما آذاه أذىً شديدًا فرب العالمين من أجل أن يحميه مما قد يؤذيه في مثل هذا الموطن، أنبت الله تعالى عليه شجرة من يقطين لأجل حمايته والله تعالى له حكمة بالغة كما أن الله جل في علاه مثلاً لما سيدنا عيسىٰ عليه السلام أرادات أن تلده أمه مريم جعلها الله تعالىٰ تذهب تحت نخلة وهزي إليك بجذع النخلة - عجيب - مع أنها ولدته في فلسطين وهي مشهورة ليس بالنخيل مشهورة بشجر الزيتون ومع ذلك اختار الله ﷻ لها نخلة لأجل أن تذهب إليها لماذا؟

السبب في ذلك معروف مليون بالمائة سواء عرفنا نحن أو لم نعرف موجود قيل: بسبب أن التمر إذا أكلته المرأة التي تلد - النفساء - وشربت عليه الماء فيه سكر وجلوكوز فهو يقبض عضلات الرحم إلىٰ آخر ذلك ونحن نوقن يقينًا أن الله تعالىٰ ما أشار إلىٰ النخلة إلا بسبب ما عرفناه، هذه عِلمها عند ربي أهم شيء نقر أنه يوجد سبب قل مثل ذلك في شجرة اليقطين يقول الله ﷻ: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات:١٤٧- ١٤٨]، لما بكىٰ يونس بين يدي ربه ﷻ كافأه الله تعالىٰ أن أخرجه من بطن الحوت وأرسله إلىٰ مائة ألفٍ إلىٰ عدد أكبر من قومه قيل: أعاده إلىٰ قومه مرة آخرىٰ وذكروا ذلك في بعض الإسرائيليات وقيل: إن يونس عليه السلام لما رجع ينظر من بعيد حال قومه رأىٰ غلامًا يرعىٰ غنمًا وهذا

الغلام لم يعرف يونس، فقال يونس له: «ما حال الناس؟» قال: قد آمنوا، ما صدق، قال: «آمنوا؟» قال: نعم آمنوا، قال: «اذهب وقل لهم إن يونس نبيكم يسأل عنكم» قال: يكذبوني، أنت يونس أكيد قال: يكذبوني، من يشهد لي؟ قال: «يشهد لك هذه النخلة، وهذا الحجر، تشهدين يا نخلة؟ تشهد يا حجر؟» قالا: نعم. أنطقهما الله، هذا من الإسرائيليات النبي ﷺ يقول: «إذا حدثكم بني اسرائيل فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بما أُنزل إلينا وما أنزل إليكم» ويقول ﷺ: «حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج» يعني الواحد يأخذ راحته في هذا ما دام أنها لا تخالف ما عليه نحن من عقيدة، الشاهد يقولون: ذهب ذلك الغلام وأخبر الملك الذي كان يملكهم فجاءوا إلىٰ يونس عليه السلام وفعلاً شهدت النخلة يونس عليه السلام لما جاء إلىٰ قومه، آمنوا، ورب العالمين لفضله وكرمه إذا طلبت منه شيئًا واحدًا يعطيك شيئين أو ثلاث يعطيك أكثر لذلك يونس عليه السلام في بطن الحوت يقول الله تعالىٰ عنه: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ ﴾[الأنبياء:٨٧].

وذا النون إذ ذهب مغاضبًا فظن أن لن نقدر عليه نقدر عليه يعني نُضيق عليه، كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ﴾ [الطلاق:٧] يعني من ضيق عليه رزقه، ﴿فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ قال الله: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٨٧) فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء:٨٧] الآن يونس يطلب شيئًا واحدًا أن يخرج من بطن الحوت أليس كذلك؟ رب العالمين بفضله وكرمه لم يخرجه من بطن الحوت فقط لا، بل أعطاه أيضًا زيادة: ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّ ﴾ [الأنبياء:٨٨] - من بطن الحوت - ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ثم قال في آية أخرىٰ: ﴿ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴾ [الصافات: ١٤٧-١٤٨].

وفعلاً بقي يونس عليه السلام مع قومه المؤمنين النبي ﷺ كان يؤكد دائمًا علىٰ هذه الحقيقة، حقيقة تعرف إلىٰ الله في الرخاء يعرفك في الشدة كلنا تقع لنا شدائد مثلما قال الحسن البصري رحمه الله قبل قليل، لم يكن له صلاة في بطن الحوت، لكنه قدم عمل

صالحًا في الرخاء فنفعه في الشدة ثم قال الحسن عبارة أخيرة قال: وإن العمل الصالح لايزال بالعبد المؤمن يحرسه فإذا زل أقامه، كل من كان يعمل عملاً صالحًا.

وفي هنا حث علىٰ العمل الصالح وإتقانه لأن الله تعالىٰ لا يُضيع أجر من أحسن عملاً، وأنه من عمل عملاً طيبًا صالحًا وجده في وقت الشدة، كما فعل سيدنا يونس وصلىٰ في بطن الحوت بالرغم من أنه لم يُطلب منه صلاة ولا سجود، فاستجاب الله له ونجاه مما هو فيه وأخرجه إلىٰ الدنيا وأرسله إلىٰ قومٍ أكثر من قومه عددًا وآمنوا به وصدقوه.

إن الله لايضيع أجر المحسنين الذي عنده الصدقات في السر، أو صدقات في الجهر مع نية صالحة، الذي عنده بر لوالديه، الذي عنده عمل صالح يتعلق بصلاة الضحىٰ، أو يتعلق بصلاة ليل، أو بأمر بمعروف بإسلوب مناسب بنهي عن منكر بإسلوب مناسب.

اعلم أن كل من تعرف إلىٰ الله في الرخاء عرفه رب العالمين في الشدة، غدًا لما تمرض تقول: يا الله يا الله ويرتفع دعاؤك إلىٰ السماء فإذ صوتك معروف أنت صاحب تسبيح، وتهليل، وذكر، واستغفار، وإذا يدك التي ارتفعت معروفة صاحبة صدقة وركوع وسجود وإذا العين الباكية معروفة صاحبة غض للبصر، وحفظ عن الحرام، فتكون معروفًا عند الله، لذلك النبي ﷺ يقول صدقة السر تطفيء غضب الله لاحظ أن العمل الصالح ما دام عندك مال وفي رخاء يكفيك أن يغضب الله عليك ربما لو وقعت في منكر من المنكرات، لذلك في الحديث الصحيح الثلاثة الذين دخلوا الغار كانوا يمشون فأصابهم مطر، فدخلوا في غار، ثم ماذا حصل لهم في هذا الغار؟ سقطت صخرة بسبب ريح شديدة، وتدحرجت صخرة من أعلىٰ الجبل، سدت عليهم الغار من الذي أخرجهم من الغار؟ قوة أيديهم ولا فما الذي أخرجهم من هذا الغار؟ هل قوة أيديهم التي أخرجتهم أم لا؟

لا بل أعمالهم الصالحة. قال: يا ربي كان عندي ابنة عم ثم دعا ربه يا ربي إني تركت الزنا؛ خوفًا من مراقبتك إن كنت تعلم أني ما تركته إلا ابتغاء وجهك أفرج عنا ما نحن

فيه، تحركت الصخرة، الثاني: دعا الله ببره لوالديه يا رب أنا كنت بار بوالدي إذا كنت تعلم مني ذلك أفرج عنا الصخرة، ففرج الصخرة، الثالث: بحفظه للأمانة، لذلك يونس عليه السلام لما كان في بطن الحوت يقول الله تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات:١٤٣] ما قال لولا أنه فلان ابن فلان ولا إنه من نسل يعقوب لا، لأن عنده عمل صالح.

ونتعلم من قصة سيدنا يونس عليه السلام مع البحر والحوت الكثير فلولا أنه كان من الصالحين المُسبحين ما فرج الله عنه وهو في بطن الحوت ولم يُنجه من ذلك لأنه نبي أو ابن نبي لا. بل نجاه من ذلك نتيجة عمله الصالح وتسبيحه لله وهو في شدته فاستجاب الله لدعائه.

أسأل الله عز وجل أن يجزيكم خير الجزاء وأن ينفعنا وإياكم بما قلنا، وأن يقينا حر النار ويقي إخواننا أيضًا حر النار، بارك الله فيكم وصلىٰ الله وسلم علىٰ رسول الله ﷺ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

✿ ✿ ✿

قصة في العفاف

حدثني أحد المشايخ وهو مهتم بأولاده وتربيتهم وأولاده يدرسون في الصباح في المدارس وفي العصر يدرسون في المسجد.

قال لي في مرة من المرات: كنت أستمع إلىٰ قراءة ولدي وعمره عشر سنوات أو إحدىٰ عشرة سنة، وأنا أستمع إلىٰ سورة النور منه، فلما وصل إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور:٢]. فقلت له: توقف ما معنىٰ الزانية والزاني؟ وتوقعت منه أن يقول: لا أعلم.

فقال: أخاف أن تضربني فقال لي: يفعل الرجل مع المرأة كذا وأتىٰ بالعبارة العامية التي تدل علىٰ الجماع؛ فتعجبت من قوله؛ فسألته أكثر بدقة فأجاب؛ فسألته عن مرجع معرفته بهذه الأمور ونصحته بالكلام الجميل علمًا أنني كنت ضابطًا الوضع

في البيت من حيث ضبط الإنترنت والهاتف والتلفاز.

ولما سألته عن معرفته بهذا الأمور قال: كنت خارجًا يومًا من المسجد مع ابن جيراننا وكان هاتفه معه وأراني مقاطع في هاتفه وزملائي ومن بين هذه المقاطع رجل يجامع امرأة فقلت لهم: هذا حرام؛ ولكن بقيت الصورة عالقة في ذهني.

يقول هذا الرجل: والله ما كنت أعلم حقيقة ما يحصل بين الرجل وزوجته إلا عندما بلغت الثانوية أي بعد البلوغ.

ونحن اليوم في زمان إن لم يقِ الإنسان نفسه بالطرق والأساليب التي يحفظ فيها نفسه؛ تزل به القدم، وقد بين النبي ﷺ في الحديث الذي ذكره أن هناك سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله. وذكر منهم (وشاب نشأ في طاعة الله) وكذلك الفتاة تدخل ضمن الحديث.

هناك عدة طرق في زماننا يستطيع الإنسان من خلالها أن يبتعد عن هذه الشهوات أو على الأقل يضبط نفسه عن مثل هذه الأشياء:

ما رأيكم أن تشاركوني في ذكر الأشياء التي يستطيع الإنسان أن يحفظ نفسه من مثل هذه الشهوات.

الأخ سلطان: أولاً أن يبتعد عن المثيرات.

الأخ محمد: أحسنت يبتعد عن المثيرات، والمثيرات كثيرة في كل مكان ومن أهمها الفضائيات والتي أصبحت من أهم فعلها كسب الجمهور لهم من أجل الدعايات أو الرسائل القصيرة، ولم يعد يهمهم مسألة هل يرضى الله تعالى عن هذا الأمر أم لا؟

ونحن ينبغي لنا ألاّ نشجعهم وأنا دائمًا أقول من خلال الفضائيات: أنا وأنت نستطيع أن نقضي على هذه الفضائيات السيئة بمقاطعتها، وكان بعض الناس يقول: هل ستقف وتنتهي يا شيخ إذا قاطعتها؟

الجواب: نعم. ستقف، وأنا لدي معرفة وعلاقة ببعض القائمين على تقنيات

البث في الفضائيات من حيث الأقمار كقمر عربسات ونايلسات وبدر ونحوها.

فهناك أجهزة دقيقة تقيس عدد من يستقل بث القناة فمثلاً: برنامجنا هذا قد تتفق القناة مع شركة أخرىٰ مختصة بالدعاية والإعلان، وهذه القناة والشركة تستطيع أن تقول لهم: لقد شاهد برنامج القوارير في الساعة الفلانية ثلاثة ملايين أو أربعة ملايين ريسيفر، واليوم الفلاني استقبله ثلاثة ملايين وسبعمائة ألف وثلاثة وتسعون ريسيفرا. بهذه الدقة يستطيعون أن يبينوا لهم الإحصائية،

وهذه القنوات إذا أتيت إليها وحجبتها من بين القنوات وقلت: هذه قناة فاسدة لا أرغب بها في جهازي وجاء الثاني والثالث وفعلوا مثلي فالمستقبلون لها كان عددهم مليونًا، ثم بدأ يقل عدد المشاهدين قليلاً؛ فهنا تتساءل القناة لماذا قل عدد المشاهدين؟

وهنا يقال لها: مما تعرضينه من الأمور الفاضحة، فإذا أرادت أن تصلح من حالها فلا بد أن تقدم أشياء محافظة.

وهنا تبدأ في تعديل أسلوبها، وأنا أعرف بعض القنوات قد يكون فيها أنواع من الفساد، ومع ذلك تضطر أن تضع بعض الأمور التي فيها فائدة وحشمة وتعليم لأجل أن تجلب مشاهدين أكثر لقناتها، ونحن لسنا حيوانات حتىٰ تعرض علينا كل هذه المثيرات.

إذن أول شيء: أن يبتعد الإنسان عن هذه المثيرات، وأنا أتوجه إلىٰ جميع من يرانا أن نقوم بحملة لمقاطعة القنوات الفاسدة كالتي تنشر الخلاعة الصريحة أو التي تنشر صورًا فاضحة، وهناك قنوات ليس فيه المسيل والمكحلة لكن فيها قريب من ذلك كالتقبيل والضم ونحوها، والآن الفضاء يسبح فيه آلاف القنوات التي تجعل بإمكان الإنسان أن يختار الإنسان ما فيه فائدة ومنفعة دينية.

ولا بد من الابتعاد حتىٰ لا يأتيني غدًا شاب ويقول: إن شهوتي ثائرة ماذا أفعل هل أتزوج أم لا؟

نقول له: **ما الذي أثار الشهوة عندك؟**

طبعًا هناك قنوات خليعة ومجلات ومواقع في الإنترنت وبعض المقاطع فيما بين الشباب؛ لكن هل هناك طرق أخرىٰ؟

سؤال: الآن منتشر بين الشباب أن من أراد الزواج فلا بد أن يمارس الزنا مع صديقتة أو صاحبتة حتىٰ يكون لديه معرفة بهذه الحالة عند زواجه فيكون علىٰ بينة وهذه مصيبة؟

لا حول ولا قوة إلا بالله وقد ذكرنا حديث النبي ﷺ الذي قال فيه: يفشو فيهم الزنا. أي: يصبح الزنا بينهم أمرًا عاديًّا وهذا شيء فظيع، وهناك حديث سمرة بن جندب الذي رواه البخاري قال ﷺ: «إنه أتاني آتيان فابتعثاني فانطلقت معهما فأتينا علىٰ شيء مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع (التنور مثل الدائرة له فتحة من فوق من طين يخبز الخباز العجين ويضعه علىٰ جدرانه والنار من أسفله) وإذا فيه رجال ونساء من تحتهم لهب فإذا أصابهم اللهب ضوضوا - أي: صاحوا- ثم حاولوا أن يخرجوا فلا يستطيعون، وإذا بلغوا الأعلىٰ انزلقوا فوقعوا في النار ثم تأتيهم النار مرة أخرىٰ فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الزناة والزواني.

هم لما حبسوا أنفسهم في تنور الشهوة حبسوا يوم القيامة في مثل هذا التنور، وأنا لم أخترع الحديث من عندي؛ لأخيف الناس إنما هو حديث رواه البخاري في «صحيحه» ومن أراد أن يراجعه فليراجعه أو يراجع شرحه.

فالأمر عظيم، والنبي ﷺ حذر من ذلك في أحاديث كثيرة قال ﷺ فيما ذكره الهيثمي في «الزواجر عن اقتراف الكبائر» قال: «من وضع يده علىٰ امرأة شويت يده في النار فإن قبلها قرضت شفتاه بالمقاريض»؛ ولهذا عندما ذكر الله تعالىٰ الزنا لم يقل: ولا تزنوا؛ إنما قال: لا تقربوا الزنا.

لا تبدأ بخطوات الزنا كشرب الخمر والمكالمات والخلوة بها والذهاب إلىٰ الأماكن التي فيها زنا.

وأنا أذكر شابًا يحدثني وهو إمام مسجد ورجل خير، ذهب مرة إلىٰ إحدىٰ الدول الأوروبية قال: كنا نمشي في الشارع فأقبل إلينا رجل معه صور عارية مكتوب عليها أرقام لبعض بيوت البغاء التي تمارس فيها الدعارة قال: ظننتها كروت شحن جوال، وأنا أريد أن أشحن هاتفي لأتكلم مع أهلي، فلما أخذت الكارت منه إذا فيه صورة امرأة عارية وتحت صورتها أرقام؛ فذهلت ونظرت إليه فظن أنني أريد هذه الأشياء؛ فأخذ بيدي يريد أخذي إلىٰ مكان؛ فأشرت إليه أنني لا أريد هذه الأشياء؛ إنما أريد أن أشحن هاتفي، وهو لا يفهم لغتي فقلت له: لن أذهب، قال: وكان معي أحد الشباب يعرف لغتهم فقال: تعال نذهب معه لنرىٰ كيف يعمل من يذهب إلىٰ ذلك المكان من باب حب الاستطلاع ونحن لن نزني. فقلت له: لا والله لا أذهب.

والمشكلة: أنك إذا ذهبت وقعت؛ لأن المسألة مرتبطة بخمس خطوات آخرها الزنا، وأولها النظر والثاني المشي إليها والشيطان لا يقول لك: ازنِ، إنما أعطاك الأولىٰ وانتهىٰ منها ثم يبدأ بالثانية وهي المشي إليها فإذا وصلت أدخلك إلىٰ المكان وإذا دخلت جاء الأمر الرابع وهو النظر الصريح، فإذا تعدىٰ النظر الصريح وصار يتأمل وثارت شهوته فقد يقع في الخامس وهو الزنا والله تعالىٰ قال: ﴿لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [النور:٢١] وقال في آية أخرىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾ [الإسراء:٣٢].

وأنت بهذا المشي قد اقتربت.

ويحدثني بعض الشباب ممن يستفتي أو يتوب من فعل أمر معين يقول: يا شيخ أحدهم كان مصابًا بمرض جنسي فاستفتاني هل يجوز أن يتزوج؟

فقلت له: لا يجوز أن تتزوج؛ لأنك مصاب بمرض جنسي. فقلت له: ما الذي أوقعك في هذه الفاحشة؟

فقال: أقسم بالله إني لم أقع فيها إلا مرة واحدة في حياتي، ولم يكن قصدي الفاحشة ولكن قال لي بعض أصحابي: انظر والمس وقبل فلما تساهلت بهذه الخطوات وقعت في الفاحشة، وكانت الفتاة مصابة بالمرض فأصبت منها.

والقضية لا تتعلق بالآخرة التي يحاسب فيها العبد فقط، ولكن يكون ذلك أيضًا في الدنيا كما قال ابن القيم: بشر الزاني بالفقر ولو بعد حين إلىٰ غير ذلك من التحذير الذي ذكره العلماء؛ لأجل حفظ الإنسان لنفسه .

في النقطة الأخيرة التي تكلمنا عنها وهي غض البصر وكما قال أخونا نايف: هناك بعض الأصحاب يزينون للإنسان مسألة الشهوة، والمشكلة يا جماعة أن هناك بعض المعاصي أصبحت معاصي عادية وسأضرب لكم مثالاً من الواقع:

ففي السابق كان الذي يدخن لا يستطيع أن يدخن أمام الناس في مجتمعنا علىٰ الأقل، والآن أصبح التدخين أمرًا عاديًا وقد يضع السجائر في جيبه وهو لا يأبه ومثله إظهاره في الجامعات وفي الأماكن العامة.

وكذلك في السابق كان أحدنا إذا أراد أن يتكلم مع الفتاة يخجل ويتلعثم، والآن أصبح الأمر منتشرًا بواسطة الهواتف النقالة، وقد ينتقدون علىٰ الشاب إذا لم يفعل شيئًا من هذا القبيل.

ولا شك أن هذه دعوة إلىٰ الكبائر، ويستغربون منه قائلين: أليس عندك صاحبة؟

وأنا أرىٰ أن الشيطان أفلح مع بعض الشباب أو مع بعض البنات في إفساد الناس كما قال أحدهم: وكنت امرأ من جند إبليس فارتقىٰ بي الحال حتىٰ صار إبليس من جندي، وبعض الناس صفق إبليس لهم مبتهجا وباعهم فنونه وقال: ما عاد لي دور هنا دوري أنتم تعلبونه.

كما قال تعالىٰ: ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام:١١٢] وكما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.

فالشياطين نوعان وأنا أقول: ينبغي ألا يكون أحدنا من الشباب أو البنات مفتاحًا للشر مغلاقًا للخير، والنبي ﷺ يقول: إن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير. ويقول: من دعا إلىٰ ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من تبعه لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئًا.

والكلام للنساء أيضًا ما دام البرنامج يخاطب كافة أصناف النساء فيجب أن نغض بصرنا، وغض البصر ليس خاصًا بالرجال بل جاء الأمر أيضًا للنساء بأن يغضضن أبصارهن تجاه الرجال؛ بل أكثر من ذلك إذا كانت تشعر بنوع من التعلق بالرجل الذي تنظر إليه؛ فلا يجوز لها أن تنظر إليه سواء كان لاعب كرة أو ممثلاً أو مغنيًا أو داعية أو عالمًا.

الله تعالىٰ لم يقل: قل للمؤمنين أن يغضوا من أبصارهم فقط؛ بل قال أيضًا: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور:٣١].

بل إن كثرة نظر امرأة العزيز إلىٰ يوسف ﷺ جعلها تتعلق به ويتعلق قلبها وتختار حتىٰ تعدت النقاط الخمسة التي ذكرناها حتىٰ وصلت إلىٰ النقطة الأخيرة التي هي الزنا وغلقت الباب وقالت: أنا اقتربت ودنوت منك وتأملت فيك تعدت كل النقاط حتىٰ وصلت إلىٰ الخامس ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف:٢٣] أي تهيأت لك حتىٰ ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾.

سؤال: هناك أناس مختصون بكتابة قصص عاطفية أو جنسية عندما يقرؤها الإنسان تهيج عواطفه الجنسية وكلها تصف الشهوة ويصف كل ما يفعله الرجل بالمرأة وكأنك تشاهد فيلمًا أمامك ويتفنن بتصوير المشهد؛ فمرة مع زوجة أخيه أو أخت زوجته أو جارته أو حبيبته وهكذا؟

أعوذ بالله، وأنا أسأل سؤالاً ماذا أستفيد من هذا الفعل عندما أرسل لك مقطعًا من البلوتوث؟

طبعًا لا يستفيد إلا الإغواء والإضلال كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم:٨٣] أي: تدفعهن دفعًا وهذا موجود عندنا فهو يشجعه علىٰ مطالعة مثل هذه الصور، وهو من أتباع للشيطان.

ومن البداية إذا فتح الإنسان القصة ورأىٰ أنها كلام فاحش فليبصق في وجه الشيطان. افتحها ولا تقل: دعني أكمل لعله يذهب فهو يجرك.

وما أجمل أن يفعل الإنسان كما فعل يوسف عندما قال: معاذ الله وهي تقول له: هيت لك، والباب مغلق وفي تفسير آخر لـ(هيت لك) أي تهيأت لك.

يوسف عليه السلام ما أعطاها فرصة ولم يعط عينه فرصة لأنه قال فورًا: معاذ الله، فما أجمل أن يغلق الإنسان على الشيطان مداخله فورًا.

فأنا إذا وصلني بلوتوث ووصلتني رسالة فيها صورة أو مقطع أو رواية جنسية أغلق وأمسح المقطع فورًا؛ لأن الشيطان إذا لاحظ أنك تتجاوب معه فسيسلكك الطريق؛ ولكن إن لاحظ أنك لا ترد عليه فستكون من المستثنين كما قال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[الحجر:٤٠].

ومن أهم الأمور التي تساعد في الابتعاد عن مثل هذه الأشياء: دعاء الله تعالىٰ في الليل وعند الصلوات، وأنا أدعو إخوتي وأخواتي أن يدعو الله تعالىٰ أن يرزقه الزوجة الصالحة أو يرزقها الزوج الصالح.

والحبل المتصل بين العبد والرب هذا مهم من أجل أن يربط الإنسان أموره مع الله تعالىٰ.

أسأل الله تعالىٰ أن يرزقنا وبناتنا العفاف، وأن يحفظنا ويحفظ أعراضنا وإخوتنا وإلىٰ لقاء آخر، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

۞ ۞ ۞

امرأة بني النجار

كنت أقرأ قبل فترة حول معركة أحد وكيف أن المسلمين أصابهم فيها ما أصابهم من قتل سبعين من الصحابة، مثلما قال الله ﷻ: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ [آل عمران:١٦٥].

في معركة بدر قتل المسلمون من الكفار سبعين وأسروا سبعين فقال الله لهم: أنتم قد أصبتم في العام الماضي مثل ما أصابوا منكم هذا العام.

فأنت أصبتم منهم مائة وأربعين وهم أصابوا فقط سبعين، ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم

﴿... مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:١٦٥].

فالنبي عليه الصلاة والسلام قتل معه مجموعة كرام من الصحابة النبلاء الشجعان، لكن سبحان الله قضاء الله تعالىٰ وما شاء فعل وقدر.

لما رجعوا كانت النساء والصبيان والناس عمومًا ينتظرون مقدم الجيش لينظروا إلىٰ أهلهم الذين جاءوا، فكانت امرأة من بني النجار قد قتل أبوها وأخوها وابنها وزوجها؛ فلك أن تتخيل الفجيعة، قتل هؤلاء كلهم في المعركة، وهي تنتظر الآن.

وهم سيقولون: مات أبوك، قد تتحمل بعض الشيء؛ فإذا قالوا: مات أخوك معه، فعلىٰ الأقل بقي ابني وزوجي؛ لكن

أيضًا ابنك مات وزوجك مات، أي: الذي ستبكين عليه ليس واحدًا؛ فكل الأربعة ماتوا.

فلما أقبلوا إليها، قالوا: قتل أخوك.

قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟

قالوا: قتل أبوك أيضًا. يخبرونها تدريجيًّا.

قالت: ما فعل رسول الله؟ وما قالت: ولدي وزوجي فإلىٰ الآن لم تسأل عنهم.

قالوا: وقتل زوجك أيضًا.

قالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟

قالوا: قتل ولدك. العائلة كاملة كلها راحت.

قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟

قالوا: هو سالم وصالح.

قالت: أين هو أريد أن أراه؟

فأقبلوا بها إلىٰ النبي ﷺ فإذا هو مصاب النبي ﷺ كسرت رباعيته -أسنانه

الأربعة التي بين الأنياب- وشج رأسه وجرح وجهه وجرحت ركبته. فهو عاد ﷺ مصابًا أيضًا من المعركة جريحًا والدم على ثيابه.

فلما رأته قالت: أما إذ رأيتك سالمًا يا رسول الله فكل مصيبة بعدك جلل تعني ليست بشيء.

حقيقة هذه القوة وهذا الثبات في الصبر على المصائب التي تصيب الناس قل أن تجد لها مثيلاً اليوم.

أذكر قبل فترة إحدى أخواتنا الفلسطينيات سموها بخنساء فلسطين، كل أبنائها الأربعة قاموا بعمليات استشهادية وقتلوا مجموعة من اليهود.

وكانت هي مع كل واحد منهم قبل أن يذهب تتصور بجانبه ثم يذهب ويستشهد.

وبعد أربعة أولاد. كل واحد تودعه، تقول له: اذهب يا ولدي اقتل وقاتل.

فقالوا لها: كيف صبرت؟

قالت: والله أنا ديني وبلدي أغلى عندي من أولادي.

فهذه المرأة من بني النجار، إذا تأملت وجدت أن الدين عندها ورسول هذا الدين النبي عليه الصلاة والسلام أغلى عندها من هؤلاء الأربعة، أغلى من زوجها وأغلى من والدها وأغلى من أخيها وأغلى من ابنها.

أما إذ رأيتك سالمًا يا رسول الله؛ فكل مصيبة بعدك جلل.

قدرة الإنسان يا جماعة على التعامل مع مصائب الحياة، و خاصة المرأة تدل على قوة إيمانها.

وأنا سأتكلم بشيء من التفصيل حول هذا الموضوع وذلك أن المرأة تغلبها العاطفة في كثير من الأحيان، في أمور المرض أو الموت أو نحو ذلك، تجد أنها لا تملك نفسها؛ لذلك النبي عليه الصلاة والسلام حذر من أشياء قال ﷺ : «أنا بريء من الحالقة».

ولم يقل الحالق؛ لكن الحالقة هي التي تحلق رأسها عند وقوع المصيبة عليها،

والشاقة هي التي تشق جيبها، إذا قالوا: فلان مات.

يقول رسول الله ﷺ: «أنا بري منها»، لماذا لم يقلها للرجل؟

لأن المرأة في الغالب تغلبها عاطفتها وتكون أضعف وتنطلق باكية في مثل هذه المواطن.

كذلك قال عليه الصلاة والسلام: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها -المرأة التي تنوح دائمًا في المصائب وتصرخ ونحو ذلك- تقام يوم القيامة عليها درع من قطران وسربال من جرب، -يعني عليها لباس من النار والعياذ بالله- تعذب فيها في النار».

فمن هنا كان لزامًا على الإنسان أن يطهر ويبعد عن نفسه هذه الأشياء.

وأنا سأورد لكم قصة واقعية لأحد الأطباء كان قد حدثني بها.

أحد الإخوة يعمل استشاريًّا في إحدى المستشفيات، أحد زملائي يقول: فأقبلت إلينا امرأة معها ولدها مريضًا عمره سنتان ونصف. يقول: هذا الولد كان مصابًا أصلاً بضعف في الجسد وعدة أمراض كانت قد نزلت به، لا أدي هل هي من ولادته أم أصابته بعد ذلك؟

يقول: فلما وضعناه عندنا في المستشفى وبدأنا نعالجه اشتد الأمر على هذا الولد وصار عنده نزيف في القصبة الهوائية وانقطع عنه التنفس خمسًا وأربعين دقيقة.

يقول: فجئت إليه وهو في الإنعاش في العناية المركزة والولد جثة هامدة. فوجدت الأم معها مصحف صغير تقرأ فيه. جالسة عنده.

فقلت: السلام عليكم أنت أمه؟

قالت: نعم.

قلت: والله ما أدري لكن حتى لا تكون المصيبة عليك عظيمة احتسبي عند الله تعالى الولد فحالته خطيرة ولا أدري إن كان يكمل أسبوعًا أم لا يكمل.

يقول: والله ما قالت لي: ماذا به يا كتور؟ ما العمل؟ لكن قالت: استعنت بالله

اللهم اشفه، وفتحت مصحفها وقرأت.

يقول: كان زوجها موجودًا، وأراد أن يسألني فقالت له: لا تسأل أي سؤال أرجوك، واستعن بالله وادع له الله.

يقول: فخرجت.

ثم بعد ثلاثة أيام أو أربعة، شفي من هذا النزيف ثم أصابه بعد أسبوع نفس النزيف. فجئت إليها قلت: هذه المرة لعل الولد انتهىٰ.

قالت: استعنت بالله اللهم اشفه، وزوجها أراد يسألني فقالت: لا تسأل عن شيء.

يقول: وخلال شهرين أصابه هذا النزيف ست مرات، وكل مرة أقول لها: الولد انتهىٰ والمرأة لا تزيد علىٰ أن تقول: استعنت بالله اللهم اشفه. وتقرأ مصحفها.

يقول: فبعد أن أكمل شهرين ونحن نعالجه كل مرة، أصيب بخراج في الدماغ ففتحنا رأسه وحاولنا أن نعالجه ثم اشتدت عليه الغيبوبة.

قلنا: يا (بنت الناس) الولد هذه المرة لا أظنه يفلت.

قالت: استعنت بالله اللهم اشفه.

يقول: والله كلما مررت في قسم الإنعاش أمر أنظر إلىٰ الولد فإذا الأم تقرأ القرآن عنده.

يقول: فبعد قرابة الأسبوعين أو ثلاثة بدأت الحرارة ترتفع عنده وتنخفض وصار عنده أنواع من الاضطرابات فأصيب الولد بفشل كُلوي جئت إليها. قلت: هذه المرة لا يوجد كلام.

هذا الولد كيف ينجو؟

سبحان الله ولدك عنده فشل كلوي بهذا السن ولو سيغسل كل مرة ... أبين لها أريد منها أن تسألني.

الطبيب يريد أن تناقشه كيف؟ ماذا تفعل؟

يقول: وهي لا تنطق بكلمة. إنما تقول: بارك الله فيك. جزاك الله خيرًا، استعنت بالله اللهم اشفه يا رب العالمين، وتفتح المصحف.

يقول: وبعدئذٍ بفترة الولد كان الولد لا يزال في غيبوبة وقد شفي من الفشل الكلوي.

يقول: ثم أصيب بمشكلة عند الغشاء البلوري حول القلب. إنا لله وإنا إليه راجعون.

يقول: ثم أصيب بغيبوبة، فقلت: الظاهر أن الولد مات دماغيًا.

فقالت: استعنت بالله اللهم اشفه.

يقول: ظل الولد سنة وشهرين عندنا بين مرض إلىٰ مرض والمرأة ترافقه طوال السنة وشهرين لا تخرج إلا قليلاً حتىٰ إني أقول: أين أولادها الآخرون؟ لأن من الواضح أن المرأة ليست شابة بل امرأة كبيرة قليلاً؛ فهذا الولد هو رقم ثمانية أو تسعة أو عشرة عندها؛ فأين بقية العائلة؟ لماذا لا تذهب إليهم؟ زوجها يأتيها فقط.

يقول: بعد سنة وشهرين خرج الولد سليمًا معافىٰ يمشي بجانبها، يقول: لم تنته القصة بعد، فبعد سنتين إذا بالسكرتير يتصل بي، قال: في العيادة توجد امرأة مع زوجها وطفل أو طفلين يريدون أن يسلموا عليك.

يقول: أنهيت شَغلتي وأقبلت إلىٰ العيادة فلما رأيت الطفل تذكرته وإذا هو ما شاء الله نشيط عمره أربع سنوات ونصف وإذا معها في حجرها ولد عمره سنة تقريبًا وبخير.

يقول: ما شاء الله هذا صاحبنا الذي كان قبل سنتين. قالوا: نعم.

فقلت للأب: ما شاء الله هذا ولدك الكبير أبو أربع سنوات رقم (كام) من أولادك؟ لأنه في الأيام الماضية صعب عليه أن يسأل والولد مريض.

فقال: والله يا دكتور نحن تزوجنا ولبثنا سبع عشرة سنة لم نرزق بأولاد.

ثم هذا الولد المريض كان وحيدنا في ذلك الحين. فأصيب بما أصيب به، والأم

يا دكتور واقفة معه في الإنعاش وهي ليس عندها إلا هذا الولد بعد انتظار سبع عشرة سنة. ومع ذلك انظر صبرها.

يقول: والآن رزقها الله بهذا الثاني وإن شاء الله البقية في الطريق.

دكتور عكس القصة التي ذكرتها تمامًا تجد أحيانًا الشخص يبتلىٰ في أولاده وبأمراض فإذا ببعض النساء هداهن الله يقلن: ما ذنب الطفل هذا مصاب أمراض سرطان وأمراض خطيرة فما ذنب هذا المسكين الذي لا يتجاوز عمره خمس سنوات؟

سبحان الله تعترض علىٰ حكم الله.

ومنهم من يقول: حرام هذا طفل صغير بريء أن يصاب بهذا.

والله مسألة الاعتراض علىٰ القدر هذه مشكلة.

بالمناسبة السرطان بعض الناس تسميه (مرضًا خبيثًا) والشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أصيب بهذا المرض في أواخر حياته، فكانوا يقولون: يا شيخ المرض الخبيث.

فيقول: إذا كان المرض يؤجر عليه الإنسان فليس خبيثًا، هذا نعمة يكفر الله تعالىٰ به من خطايانا فلا تقولوا: خبيث قولوا: المرض الخطير، ولا يأتي من الله خبيث.

فالله تعالىٰ لا يُقدر علىٰ الإنسان شرًا محضًا؛ لكنه عمومًا مرض خطير، والإنسان إذا صبر فله الظفر؛ لذلك النبي ﷺ يقول: «عجبًا لأمر المؤمن؛ إن أمره كله لخير إن أصابته ضراء فصبر كان خيرًا له وإن أصابته سراء فشكر كان خيرًا له». ثم قال: «وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن».

النقطة هذه مهمة وهي الاعتراض أحيانًا علىٰ قدر الله، أنت إذا اعترضت علىٰ قدر الله فلن يقدم ولن يؤخر هذا شيئًا. كل ما في الأمر أنك ستحرق أعصابك وتضيع أجرك، أنا عندما أصاب بمرض أو يصاب ولدي بمرض وأبدأ أقول: لم يا ربي؟ كونك تبكي ليلاً ونهارًا لن يرفع عنك هذا المرض؛ لذلك حتىٰ النائحة إذا جاءت عند

الميت وشقت جيبها وحلقت رأسها وصاحت بأعلىٰ صوتها فإن الميت لا يعود بهذا الصياح.

إذن فما الفائدة من ذلك؟

النبي عليه الصلاة والسلام بين أنه يدعىٰ عند الميت ويستغفر له إلىٰ آخر ذلك.

أما مثل هذا الصياح والنياح فلا يغني عنه شيئًا؛ لذلك النبي عليه الصلاة والسلام لما مر يومًا بامرأة عند قبر فرآها تبكي عند قبر. فقال ﷺ: «يا أمة الله اصبري».

المرأة مع شدة البكاء وولدها الذي مات فهو ثمرة قلبها وحبة فؤداها.

والولد له مكان في قلب أمه وأبيه، فلم تعرف النبي عليه الصلاة والسلام مع البكاء ولم تنتبه إلىٰ أن هذا هو رسول الله ﷺ فسمعت رجلاً الذي هو الرسول ﷺ يقول لها: «يا أمة الله اصبري».

فقالت: إليك عنىٰ فإنك لم تصب بمصيبتي.

أنت لو جاءتك مصيبتي لم تقل لي: اصبري، فالنبي ﷺ سكت؛ لأن نفسيتها الآن غير مناسبة لزيادة النصيحة، أنا نصحت ما قبلت؛ فمضىٰ النبي عليه الصلاة والسلام إلىٰ بيته فقيل لها: أتدرين من هذا؟ هذا رسول الله ﷺ. قالت: النبي ﷺ؟ قالوا: والله النبي.

فذهبت مباشرة إلىٰ بيت النبي عليه الصلاة وطرقت عليه الباب فلم تجد عند بابه بوابين لا يوجد ناس يقولون: ممنوع الدخول، فطرقت الباب وقال: «ادخلي» فدخلت قالت: يا رسول الله والله ما دريت أنه أنت، فقالت: الآن أصبر يا رسول الله، فقال ﷺ: «لا إنما الصبر عند الصدمة الأولىٰ».

الصبر الذي يؤجر عليه الإنسان الأجر العظيم يكون أول ما تأتي الصدمة، أما بعد الصدمة بساعتين أو ثلاث أو أربع عشرة، يوم أو يومين فكل الناس يصبرون.

لذلك تجد أنك قد تأتي إلىٰ مجموعة تقول مثلاً: أبوكم صار له حادث ومات،

يتنوعون في قوة الصبر: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٦]؛ لكن غدًا وبعد غد فكلهم سواء.

لكن متىٰ يأتي الفضل الحقيقي؟ الفضل الحقيقي يأتي عند الصدمة الأولىٰ.

فضيلتك، تتكلم في نقطة البكاء علىٰ الميت هل الميت يعذب ببكاء أهله عليه؟

أحسنت جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه»، والعلماء لهم كلام في شرحه:

قال بعضهم: إنه إذا كان قد أوصاهم بالبكاء عليه فيعذب بذلك؛ لأنه عمل معصية وأوصاهم بها مثلما كان في الجاهلية يقولون أحدهم لما جاءه الموت:

فإن متُّ فانعَيني بما أنا أهلُهُ وشُقِّي علىَّ الجيبَ يا ابنة معبدِ

يوصيها يقول: إذا مت فشقىٰ جيبك وافعلي كذا.

هذا كان يفعلونه في الجاهلية.

وقيل: يعذب ببكاء أهله أي: يبلغه ذلك فيتألم؛ لماذا عذبوا أنفسهم بالبكاء.

وقيل غير ذلك؛ لكن الله تعالىٰ لا يظلم أحد أبدًا، لا يمكن أن يفعلوا المعصية ويعذب هو.

وهناك الصبر علىٰ المعاصي وأعني به مثلاً رجلاً يشاهد أفلامًا خليعة مثلاً أو رجلاً مدخنًا أو واقعًا في أي معصية أو امرأة مثلاً تكلم رجلاً تقول: والله أنا حاولت أن أتركه أكثر من مرة؛ ولكن ما استطعت وهي أصلاً ما صبرت علىٰ تركه.

ذكرتني بالكلام علىٰ أنواع الصبر، الصبر من أنواعه الصبر عن المعصية: أن يود الواحد لو يشاهد فيلمًا خليعًا لكن يقول: أصبر نفسي وأذهب عنه.

أو سافر إلىٰ بلد معين وسكن في فندق أو شقة مفروشة والدش موجود فيه أعداد كثيرة من القنوات فبدأ يمر عليها ويمشي عليها بالريموت، فإذا وجد أشياء خليعة يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ويغلقه. ووضع رأسه كي ينام.

فقال إبليس: شغله، فصبر ولم يشغله ولم ينظر إلىٰ هذا، فهذا صبر عن المعصية.

والصبر عن المعاصي ليس الصبر فقط عن النظر إلىٰ الحرام، لكنه الصبر عن ترك التدخين، الصبر عن ترك الشات المحرم والمكالمات المحرمة، الصبر عن عدم الذهاب إلىٰ أماكن المعصية.

الناس الآن عندهم مراقص وبارات ويوجد أماكن محرمات في بعض البلدان، فلا يصبر فتجده جالسًا في المقاهي وغيرها.

نقول: يأخي اصبر عن المعصية فهذا من أعظم أنواع الصبر عن معصية الله.

في المقابل هناك الصبر علىٰ الطاعات تجد مثلاً الآن الجو باردًا وفي الصيف يوجد ناس يستعظمون الذهاب إلىٰ المساجد أو شيئًا من هذا القبيل؛ فالصبر أيضًا علىٰ الطاعات.

الطاعة يكون فيها نوع من المشقة أو التكليف لذلك هي تكاليف شرعية لا بد أن تتحملها مثل القيام لصلاة الفجر، مثلاً: عندما يأتي إنسان وينام قبل الفجر بساعتين وهو متعب كأن يكون عاملاً مثلاً في عسكرية أو أي مكان وجاء وهو متعب تعبًا شديدًا ثم أذن الفجر فطلب أن يقوم ويصلي مع الجماعة وهو نائم منذ فترة قليلة؛ فهو الآن يحتاج إلىٰ صبر علىٰ الطاعة لئلا ينام عن الصلاة.

الصبر علىٰ قراءة القرآن..

أحيانًا يقرأ القرآن فإذا قرأ صفحة مل وأراد أن يضع المصحف. نقول: اصبر علىٰ الطاعة، الله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[الزمر:١٠]، ويقال لأهل الجنة: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٤] إذًا المسألة صبر ويقول الله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤].

يقول شيخ الإسلام: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

الصبر علىٰ الابتلاء والعذاب، فقال رسول الله ﷺ: «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة».

الصبر علىٰ الابتلاء في سبيل الله مثلما ذكر واستشهد آل ياسر: سمية بنت خياط وزوجها عمار، وابنهما ياسر عندما كانوا يعذبون.

كذلك بعض الناس قد يبتلىٰ أحيانًا في دينه. بعض الأخوات مثلاً مع حجابها وتحصنها تبتلىٰ في دينها فيستهزئ بها أحد. أمها تقول: لماذا تتحجبين؟ وتهدد بالفصل من عملها.

نقول: اصبري علىٰ هذا البلاء أنت مأجورة علىٰ هذا.

إنسان ابتلي أحيانًا بمرض أصابه في نفسه أو في ولده، أو ابتلي بفقر.

نقول له: يأخي هذا كله بلاء سواء ابتليت في أمور دينك، أو ابتليت في أمور دنياك أو ابتليت في أولادك، أو ابتليت في مالك أو ابتليت في أي شيء؛ فينبغي علىٰ الإنسان أن يعود نفسه أن يصبر علىٰ البلاء وهذا هو النوع الثالث من الصبر.

ذكرنا الصبر عن المعصية والصبر علىٰ الطاعة والصبر علىٰ المصائب والبلاء المصائب منها موت الأولاد وغير ذلك.

كيف يستطيع الإنسان يا جماعة أن يصبر علىٰ المصيبة؟ كيف يستطيع أن يوطن نفسه ويعودها إذا مات ولده أو أصاب بيته حريق وذهب ماله أو سرقت سيارته أو أصابه أي مصيبة أن يصبر؟

- يتخيل مقدار الأجر المترتب علىٰ هذا، لذلك أحد السلف لما جاءوا إليه وقالوا: قد مات ولدك.

قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم تبسم.

قال: إنا لله وإنا إليه راجعون وقام ليغسله ويكفنه، فقالوا له بعد العزاء: لماذا تبسمت؟

قال: حزنت فلما تذكرت قول النبي عليه الصلاة والسلام: ليس للمؤمن جزاء إذا قبض الله تعالىٰ حبيبه أو صفيه في الدنيا فصبر إلا الجنة.

يقول: فلما تذكرت هذا الحديث تبسمت فرحًا بهذا الحديث.

صفيه ليس ولده فقط حتىٰ لو عندك صاحب، صديق، صفي لك أو أخت أو مثلاً امرأة عندها خالة عمة إلىٰ آخره، صفية لها إذا قبضها الله تعالىٰ وصبرت الباقية في الدنيا فليس لها جزاء إلا الجنة.

من الصبر الصبر علىٰ لبس الحجاب وسط الاستهزاء به، دائمًا يستهزئون بالمحجبات وطالبات الجامعات وما شابه ذلك.

هذا أيضًا من أنواع الصبر فالمرأة إذا تمسكت بدينها قد أحيانًا يأتيها شيء من الاستهزاء فيحتاج إلىٰ صبر.

السماع المحرم يقال: يا أخي أزعجتنا اقفل الموسيقىٰ، فيقول: لا يا أخي... إلخ.

فاصبر علىٰ مثل هذا البلاء..

- احتساب الأجر مثل وفاة زوج أم سلمة عندما جاءت الرسول ﷺ فذكرت أنه توفي زوجها، فعوضها الله خيرًا منه عوضها بالرسول ﷺ.

لما قال لها النبي ﷺ عندما أصيبت بمصيبة موت زوجها قولي: «اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها».

فعندما قال لها النبي ﷺ: قولي هذا الدعاء.

قالت: ومن خير من أبي سلمة زوجي أنا لا أجد خيرًا منه؟

قال: قولي أنت فقط وييسرها الله.

فقالت: اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها، عوضني أحسن منها، فلما اكتملت عدتها إذا يأتيها الرسول ﷺ خاطبًا، وهي تقول: من خير من أبي سلمة؟

فكذلك ينبغي علىٰ الإنسان لأن يتبع المنهج الشرعي في التعامل مع المصائب: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦].

نحن لك يا رب العالمين تفعل بنا ما تشاء، سمعي وبصري ومالي وجسدي وأولادي ومعيشتي ووظيفتي كلي لك وأنا إليك راجع يا رب العالمين.

وكذلك الدعاء، اللهم أجرني في مصيبتي، أجرني يعني: كن جوارًا لي، كن معينًا لي في مصيبتي.

أنت لو تصاب بمصيبة معينة، ويأتي إليك إنسان مسئول كبري وعنده أموال ويقول لك: اعتبر أني أخوك في هذه المصيبة، ارتحت. تقول: لو احتجت مالاً أو شفاعة أو واسطة فهذا الرجل موجود.

فما بالك عندما تقول: يا ربي أنا أريدك أن تجيرني مثلما قال أبو الحسن التهامي عندما مات ولده:

حكمُ المنيةِ في البريةِ جارِ ... ما هذه الدّنيا بدار قرار

بينما يرى الإنسان فيها مخبرا ... حتى يري خبراً من الأخبار

طبعت على كدر وأنت تريدها ... صفواً من الأقذار والأكذار

ومكلف الأيام ضد طباعها ... متطلب في الماء جذوة نار

وإذا رجوت المستحيلَ فإنما ... تبني الرّجاءَ على شفير هار

إلىٰ آخره فهي قصيدة طويلة.

ثم قال عن ولده:

يا كوكباً ما كانَ أقصرَ عمرهُ ... وكذاك عمرُ كواكب الأسحار

وهلال أيام مضى لم يستدر ... بدراً ولم يمهل لوقتِ سرار

يقولون: فلما مات أبو الحسن التهامي رئىٰ في المنام، فقيل: ما فعل الله بك؟

فقال: ربي غفر لي.

قيل: بم؟

قال: بقولي في رثاء ولدي:

جاورتُ أعدائي وجاور ربّهُ   شتّان بين جواره وجواري

فأنت إذا طلبت جوار الله، وقلت: أجرني في مصيبتي وأخلفني خيرًا منها فبلا شك أن هذا كله يكون له فضل.

- الصبر من صفات الأنبياء:

الصبر من صفات الأنبياء لذلك لو لم يصبر الأنبياء علىٰ دعوتهم لما استمرت الدعوة.

۞ ۞ ۞

بحيرة طبرية

نحن مع حديث جديد من أحاديث البحر نحن بالقرب من بحيرة طبرية هذه البحيرة لها قصة عجيبة أخبر بها النبي ﷺ سيأتي قومٌ إليها ويشربونها كلها من هؤلاء؟ لماذا يشربونها؟ كم أعدادهم؟ ما قصتهم؟ ما أخبارهم التي حدثنا النبي ﷺ بها عنهم؟ لو أذن الله لبحيرة طبرية أن تتكلم وأن تتحدث فماذا ستقول لنا هذه البحيرة؟

بحيرة طبرية طولها ٢٣ كيلو عرضها ١٤ كيلو متر عمقها قريب من ٤٤ متر بمعنىٰ أنها كبيرة جدًّا ولها حجم كبير فيها ماء كثير، أخبرنا بها النبي ﷺ وهذه القصة من أشراط الساعة هذه القصة تتعلق بقصة يأجوج ومأجوج وإن كان الحديث عنهم مخيفًا.

من يأجوج ومأجوج؟ ما قصتهم؟

ما معني يأجوج ومأجوج؟ هل هما شخصان؟ أم هما قبيلتان؟ ماذا يفعلون؟ يأجوج ومأجوج لماذا يخرجون؟ ما قصتهم مع ذي القرنين؟ من ذو القرنين؟ هل كان نبيًا أم لا؟ وما قصة ذي القرنين معهم؟ عندما بنىٰ السد وقال: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ

إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ... ﴾ [الكهف:٩٦] لماذا تحدث عن يأجوج ومأجوج عند بحيرة طبرية؟ ولو أذن الله ﷻ لبحيرة طبرية أن تتكلم فماذا ستخبرنا؟ وبماذا ستحدثنا؟

يأجوج ومأجوج هما في الأصل قبيلتان عظيمتان يعني هما ليسا شخصين إنما هما قبيلتان عظيمتان أحدهما يأجوج، والثانية مأجوج، عددهم كبير جدًا أخبر النبي ﷺ عن عددهم لما قال: إن الله تعالى جزَّء الخلق إلىٰ عشرة أجزاء جعل منهم تسعة أجزاء يأجوج ومأجوج، وجزءًا واحدًا بقية الخلق. إذن لكم أن تتصوروا عدد يأجوج ومأجوج.

وذلك في حديث عمران بن حُصين ؓ قال: جئنا مع النبي ﷺ من سفر قال: فرفع صوته ﷺ يقرأ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ ... ﴾ [الحج:١] إلىٰ آخره قال: فرفع بها صوته فعلم أصحابه أنه يدعوهم إليه فلما تأشبوا إليه - أي اقتربوا واجتمعوا - عنده فقال لهم ﷺ وهو يحدثهم عن يوم القيامة: إن الله تعالى ينادي يوم القيامة يقول: يا آدم أخرِج بعث النار فيقول: يا ربي كم؟ كم بعث النار الذين إلىٰ النار من ذريتي؟ فيقول الله تعالىٰ: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فالصحابة ﭫ لما سمعوا ذلك من النبي عليه الصلاة والسلام قال: «عندها يشيب الولدان» فالصحابة ﭫ لما سمعوه قالوا: يا رسول الله وأينا ذلك الواحد؟ وتغيرت وجوههم، حتىٰ لم تبث بضحكة، الأمر حقيقةً يُخيف كل إنسان: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلىٰ النار، وواحد إلىٰ الجنة؟

قالوا: يا رسول الله ومن ذلك الواحد الذي سيكون له الجنة والبقية إلىٰ النار؟ فقال ﷺ: «أبشروا وأمِّلوا، أبشروا وأملوا» كيف وأنت تقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون؟ قال: «إن معكم أمتان ما كانتا في شيءٍ إلاَّ كثرته يأجوح ومأجوج».

ثم قال ﷺ : «إنكم يوم القيامة كالشامة - يعني مثل العلامة السوداء - كالشامة في جلد الثور أو كالرقمة في ذراع الدابة، الرقمة هي علامة يضعها صاحب الدابة لأجل أن يميز دابته

عن غيرها، علامة يأخذون أحيانًا بالنار ويحمون الحديد علىٰ النار ثم يأتون ويضعون مربعًا، أو أي علامة بحيث أن عندي خمس من الإبل، أو عشر أضع عليها علامة معينة فلما أرىٰ أي بعير من هذه الإبل أعرف أن هذا بعيري؛ لأن عليه مثل هذه العلامة، هذا يدل علىٰ عدد يأجوح ومأجوج، وقيل في سبب تسميتهم يأجوج ومأجوج: من كثرة حركتهم في الناس وأذاهم أصبحوا مثل اشتعال النار يعني لما تقول: انا أججت النار ما معنىٰ أججت النار؟ أشعلتها يعني: أشعلت النار وجعلتها تضطرم فهم أخذوا من كثرة مشيهم في الناس وسيرهم فيهم يأجوج ومأجوج هم قوم من بني آدم عليه السلام، ليسوا خلقًا آخر الله ﷻ خلق آدم وجعل من ذريته هؤلاء الخلق الذين يعمرون الارض يأجوج ومأجوج من ذرية آدم ومما انتشر في بعض الكتب أنهم من آدم، يأكلون ويشربون ويتزوجون ويأتيهم أولاد ويقاتلون ويفرحون ويضحكون ونحو ذلك، يعني عندهم الأمر كبقية بني آدم ما قصتهم مع ذي القرنين يقول الله ﷻ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف:٨٣].

ثم قال الله ﷻ لما جاء ذو القرنين إلىٰ قوم لا يكادون يفقهون قولا قالوا: يا ذا القرنين ما معنىٰ لا يكادون يفقهون قولاً؟

ذو القرنين ملك صالح ليس نبيًا جاء إلىٰ قوم حتىٰ يتكلم معهم هم لا يفهمونه يقولون: فكان يحتاج إلىٰ أن يتكلم مع مترجم فإذا المترجم يفهم كلام ذي القرنين لكن هم لا يفهمون كلام المترجم، مترجمين يقولون: إن ذا القرنين احتاج إلىٰ أكثر من مئة مترجم هو يقول الكلام وهذا يترجم إلىٰ لغة وهذا يترجم إلىٰ لغة يقولون حتىٰ يستطيع أن يفهمهم فقط لايكادون يفقهون قولاً: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف:٩٤] عندنا قبيلتان تخرجان علينا تنتهكان أعراضنا، وتقتل أولادنا وتفسد مزارعنا وتنهب أموالنا، مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجًا نجعل لك مكافأة ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ وأنت ملك عظيم، ومعك هؤلاء الجند والحرس والأمة العظيمة معك، ونحن ناس ضعفاء ومساكين وهؤلاء لعبوا فينا لعبًا ممكن نجعل لك خرجًا يعني نجعل لك أجرة علىٰ أن تجعل بيننا وبينهم سدًا تبني سدًّا بيننا وبين يأجوج ومأجوج؟

ذو القرنين لم يفرح بعرضهم عليه المال، وقال: كم تعطوني من المال؟ ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ [الكهف:٩٥] أنا أريد الأجر من رب العالمين أنا لا أريد منكم جزاءًا ولا شكورًا، وهذا من صلاحكم فأعينوني بقوة أعينوني، ما أريد منكم فكرًا أنا عندي فكر، ما أريد منكم هندسة عندي مهندسون، ما أريد منكم خطة أنا الذي اخطط أريد قوة أقول لك: أحمل الحجر وضعه هنا هذا أجهل الناس يستطيع أن يفعله لا تحتاج إلىٰ تفكير، عمل لا يحتاج دراسة، لا يحتاج إلىٰ معلومات سابقة ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف:٩٥].

جاء ذو القرنين يتأمل كيف يمكن أن نبني السد؟ كيف ممكن أن نحول بين يأجوج ومأجوج؟ والدخول إلىٰ هؤلاء القوم فظهر بفكرة عجيبة وهي إلىٰ اليوم باقية ولم يكن هؤلاء يتوقعون أن يستطيعها أو أن يبتكرها، لكن ما هذه الفكرة؟

وما قصتها مع بحيرة طبرية ؟

ذو القرنين الملك الصالح عندما أقبل إلىٰ يأجوج ومأجوج كما بين الله تعالىٰ ذلك قال ﷻ: ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الكهف:٩٣] يخرجون إلينا وينشرون أنواع الفساد عرضوا عليه خرجًا، خرجًا أن يعطوه أجرة لكنه أبىٰ و﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ الحمد لله رب العالمين أعطاني نعمة مكني في الأرض، وأعطاني جنودًا وحرسًا ما أحتاج منكم أي مال أنا سأفعله ابتغاء وجه الله، وشكرًا لله علىٰ النعمة التي أعطاني إياها يعني: الله تعالىٰ أكرمه أن أعطاه جُندًا كثيرًا وأعطاه عتادًا وأعطاه مالاً، وبالتالي هو قول من باب الشكر لله ﷻ علىٰ هذه النعم، إني أُساعد الضعفاء من أمثالكم، ما مكني فيه ربي خير، يجب علىٰ كل إنسان مكنه الله تعالى مكنه في الطب أن يعالج الفقراء والمساكين بالمجان مكنه في التدريس، أن يدرس أبناء الفقراء من غير أن يأخذ منهم مالاً مكنه في العقل في القدرة مكنه في المحاماة أن يُحامي عن الضعفاء والمساكين، ذو القرنين يقولون له: أنت معك جند وعندك أموال نحن سنؤتيك مالاً علىٰ أن تجعل بيننا وبينهم ردمًا قال: لا. أموالكم اتركوها عندكم، ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف:٩٥]، كيف بنىٰ هذا السد؟ قال: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ [الكهف:٩٦] بدأ يأخذ الحديد ويشعل تحته النار ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ صف الحديد ﴿قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ

﴿إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ صار نار والحديد قد ذاب بين يديه ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾ بدأ يجمع من هذا الحديد ويصب ما بين الجبلين، حتىٰ ملأ بين الجبلين حديدًا وسد وراءه يأجوج ومأجوج تمامًا.

فذكر الله ﷻ بعد ذلك عندما جعل هذا الردم ﴿قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا﴾[الكهف:٩٨] يعني: إذا جاءت علامات الساعة التي سنتكلم عنها بإذن الله ونتكلم عن بحيرة طبرية وقصتها مع يأجوج ومأجوج إذا جاء وعد ربي جعله دكاء هذا الردم الذي ترونه وهذه الجبال كلها سوف تكون كالعهن المنفوش كالقطن المنفوش.

ولكن عندما صب ذو القرنين الحديد بين الجبلين، وجعل بيننا وبينهم سدًّا يمنعهم من المرور، فهل معنىٰ هذا أنه لم تكن هناك اتجاهات أخرىٰ يستطيعون المرور منها؟ هل كانت هناك جبال أو بحار مانعة لهم من الخروج؟

في الغالب كان هناك مانع، القرآن لم يوضح ذلك ربنا جل وعلا لم يذكر ذلك في القرآن، وكذلك السنة لا أذكر أنه ورد فيها شيء يتكلم عن الشيء الذي منعهم، لكن أكيد إما أن يكون هناك جبال، وإما أن يكون هناك بحر، إما أن يكون هناك وديان سحيقة مثلاً أو هويات للجبال، أهم شيء كان هناك سبب ما هذا السبب؟ لا ندري، لكن هم كان عندهم مكان واحد يستطيعون أن يمروا من خلاله إلىٰ الناس هذا المكان جاء ذو القرنين وفكر أنا ماذا أعمل؟

درس الموضع، خطط، وجد أنهم بعد دراسة المشكلة، لما نردم هذا المكان ونسده لا يستطيعون أن يخرجوا فجاء وردم هذا المكان، مثل ما فعل النبي ﷺ عندما حفر الخندق لما علم أن قريشًا سوف تأتي إليه بعشرة آلاف مقاتل وهو ﷺ ليس عنده عدد يستطيع أن يقاتل به من الصحابة إلا عدد قليل أقل من العشرة آلاف جاء إلىٰ مكان واحد فقط جهة واحدة من المدينة وحفر خندقًا والجهات الثلاثة الباقية لماذا لم يحفر فيها خنادق؟

الجهات الأخرىٰ كان فيها حرة، الحرة هذه حجارة بركانية مدببة سوداء لا يستطيع الإنسان ولا البعير أن يمشي عليها. وعندما تكون في الطائرة تستطيع أن تراها لا تستطيع أن تمشي تشعر وكأن تحتك مسامير، وربما انزلقت رجلك كما قال: لو سارت فيها البعير زلت،

يعني لا تستطيع أن تمشي حتىٰ البعير ما يأتي عشرة آلاف مقاتل يأتون يمشون علىٰ هذه الحجارة، يعني إنسانٌ واحد وبالكاد يمشي عليها؛ لذلك هي حجارة صماء بركانية سوداء كانت تحيط بالمدينة إلا هذه الجهة فالنبي ﷺ لما أراد أن يحفر الخندق فكر في هذه الجهة والثانية والثالثة لا يمكن أن يأتوا من خلالها، إذًا هم لا يمكن أن يأتوا إلا من جهة واحدة ماذا نفعل؟

احفروا خندقًا، كذلك ذو القرنين أنا أتصور أن ذا القرنين لما أراد أن يبني السد جعل يفكر أكيد خطط الرجل، هو ملك عاقل صالح معه ناس أصحاب هندسه، معه مترجمون يترجمون له، وذكرنا أنه لما جاء إلىٰ القوم الذين لا يكادون يفقهون قولاً احتاج أن يستعمل معهم عدد كبير من المترجمين، فهو كان مستعدًا فلا أظنه بناها هكذا دون تفكير، يبدو لي أنه لا يوجد إلا هذا المكان الذين يستطيعون أن يمروا من خلاله.

ما علاقة قصة يأجوج ومأجوج بذي القرنين، وما علاقة ذي القرنين بسور الصين العظيم حاليًا؟

الحقيقة البعض تكلم عن ردم ذي القرنين السد بين الجبلين وذكر بأنه هو سور الصين العظيم، سور الصين العظيم بينه وبين سد ذي القرنين عدد كبير من الفروق سور الصين العظيم طوله ستة آلاف وأربعمائة كيلو متر وهو فعلاً عظيم علىٰ اسمه بني قبل الميلاد بأربعة آلاف سنة، بدأوا ببنائه وانتهوا منه علىٰ فترات متباعده كان يُبنىٰ وينهدم ويُبنىٰ إلىٰ آخره حتىٰ انتهوا منه في الخمسة وسبعين للميلاد، عرضه من الأسفل في بعض مناطقه يصل إلىٰ خمسة وسبعين مترًا وفي أعلاها يصل إلىٰ سبعة أمتار إلىٰ ثمانية أمتار، وفي بعض المناطق يصل إلىٰ ثلاثين إلىٰ أربعين مترًا لكن الفرق بين سور الصين العظيم وبين سد ذو القرنين أمور منها:

أولاً: أن سد ذو القرنين كان من الرصاص والحديد لم يكن من الحجر.

الأمر الثاني: أن سور الصين العظيم تهدم منه جهات ولو نظرنا فيما أخبر به النبي ﷺ لوجدنا أنه أخبر أن ذلك السد ينقبه يأجوج ومأجوج، كما سيأتي معنا بيانه وكيفية خروجهم أيضًا وهذا قد تهدم منه جهات ولم يخرج علينا يأجوج ومأجوج، زد علىٰ ذلك أيضًا أن سور الصين العظيم الناس الآن يتجاوزنه إلىٰ المنطقة الأخرىٰ ويعودون منه تمشي عليه السيارات وليس ردمًا بين جبلين كما أخبر الله تعالىٰ.

الناس سوف يعودون إلىٰ العصر الأول، القتال يكون بالحربة والسهام لذلك لما ذكر النبي ﷺ قصة الدجال في بعض الأحاديث قال: إني لأعرف أسماءهم ذكر مجموعة إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم، ذكر مجموعة مجاهدين قال: أعرف حتىٰ ألوان خيولهم دل ذلك أنهم يقاتلون علىٰ خيول.

الكلام علىٰ يأجوج ومأجوج كيف ينقبون هذا السد الذي سد عليهم؟

ما نهاية يأجوج ومأجوج؟

ما ترتيب يأجوج ومأجوج بالنسبة لأشراط الساعة؟

هل هم قبل المسيح الدجال أم بعد المسيح الدجال؟

قبل عيسىٰ بن مريم أم بعد عيسىٰ بن مريم؟

ما حال الحياة بعدهم؟ وأيضًا ما علاقة يأجوج ومأجوج ببحيرة طبرية؟ سوف يأتي إن شاء الله تعالىٰ في الدرس القادم.

أسأل الله ﷻ أن يجزيكم خير الجزاء وأن ينفعنا وإياكم بما قلنا، وأن يقينا حر النار ويقي إخواننا أيضًا حر النار، بارك الله فيكم وصلىٰ الله وسلم علىٰ رسول الله ﷺ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لا يزال كلامنا حول بحيرة طبرية تكلمنا عن شيء من حديث بحيرة طبرية إلينا فيما سبق، وبقي معنا شيء من الحديث الذي لاتزال تحدثنا به بحيرة طبرية عجبًا ماذا تقول لنا؟ لو أذن الله تعالىٰ لبحيرة طبرية أن تحدثنا فبماذا ستخبرنا من أحداثها؟

وما الأحداث الغيبية التي أخبرنا بها النبي ﷺ عن بحيرة طبرية؟ وبماذا يحدثنا ماءوها؟

قصة بحيرة طبرية مع يأجوج ومأجوج بحيرة طبرية، ذكرنا لكم أن طولها ثلاثة وعشرين، أو أربعة وعشرين كيلو في عرض تقريبًا يصل في بعض المناطق إلىٰ ثلاثة عشر كيلو متر العمق يصل إلىٰ أربعة وأربعين مترًا، في بعض مناطقها علىٰ اختلاف يسير فيما بينها هذه البحيرة تحدثنا اليوم بحديث عجب.

هل يأجوج ومأجوج شخصان عاديان أم قبيلتان عظيمتان؟

ذكرنا أن يأجوج ومأجوج قبيلتان مثل باقي البشر يأكلون ويشربون ويتناسلون

ويضحكون ويبكون ويغضبون، ومن صفاتهم أنهم قِصار القامة، لهم آذانٌ كبيرة حتىٰ إن الواحد يلتحف بأذنٍ وينام علىٰ الأذن الثانية، أما لماذا سُموا بـ(يأجوج ومأجوج)؟ فالكلمة مأخوذة من تأججت النار إذا اشتعلت؛ وذلك لأنهم سيكون لهم سير عظيم بين الناس، وسرعة في السير.

ذو القرنين كان ملكًا صالحًا وجد ﴿قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ هاتان القبيلتان ﴿مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: ينتهكون الأعراض ويسلبون الأموال ويهدمون البيوت ويعبثون بالصغار والكبار مفسدون في الأرض ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ سنعطيك مكافأة قال: مكافأتكم لا أحتاجها ما مكني فيه ربي خير، رب العالمين أعطاني نعمة، أعطاني جُندًا، وأعطاني خبراء ومهندسين وأطباء الحمد لله نحن في خير نحمد ربنا ﷻ علىٰ ما أعطانا إياه وبالتالي نساعدكم لوجه الله مثل ما يقول الطبيب للإنسان الفقير، أنا سأساعدك لوجه الله ما مكني فيه ربي خير، رب العالمين أنعم علي أعطاني العقل ويسر لي الطب ويسر لي خبرة أنا سأساعدك لوجه الله ما دمت فقيرًا، مثلما يفعل المدرس للطالب الفقير عندما يدرسه دروسًا خصوصية لوجه الله.

يأجوج ومأجوج ردم عليهم هذا الردم هم في كل مرة يحاولون أن يحفروا هذا الردم لكنهم لا يستطيعون يحاولون أن يحفروا هذا الردم ليخرجوا إلينا ثم تبدأ قصتهم معنا ومع بحيرة طبرية، أخبرنا النبي ﷺ أن يأجوج ومأجوج في كل يوم يحاولون أن ينقبوا هذا الردم، وهم في كل يوم ينقبون وينقبون كما تأتي أنت إلىٰ جبل مثلاً وتريد أن تحفر في أسفل هذا الجبل نفقًا فتأتي بآلات وكذا وتبدأ تحفر في الجبل تكمل مثلاً عشرة أمتار ويكون أمامك خمسون مترًا حتىٰ تستطيع أن تخرج إلىٰ الجهة الأخرىٰ، وحتىٰ تستطيع السيارات أن تمر والناس فأنت تذهب بالعمال وتنامون، وفي الصباح تبدأ الآلات تكمل الشغل تكمل غدًا عشرة أمتار بعدها عشرة أمتار حتىٰ تكملوا هذه الخمسين مترًا.

يأجوج ومأجوج يأتون يحفرون هذا الردم في كل يوم يحفرون فإذا حفروا في اليوم وأرادوا أن ينتهوا من العمل ما بقي إلا شيء يسير ويهدمونه ويخرجون إلىٰ الناس قال بعضهم لبعض: تعالوا غدًا نكمله ولا يقولون: إن شاء الله ثم يذهبون ينامون فإذا جاء الصبح

فإذا الردم قد عاد كما كان أعاده الله تعالىٰ كما كان في اليوم الذي بعده يأتون ويحفرون يحفرون حتىٰ إذا لم يبقَ إلا شيء يسير قال بعضهم لبعض: إذًا تعالوا نكمل غدًا ولا يقولوا: إن شاء الله ثم يمضون وإذا رجعوا فإذا هو قد عاد كما كان، يبدأون يحفرون أخبر النبي ﷺ أن الله تعالىٰ إذا أراد أن يوقع أمره يعني: أن يخرجوا إلىٰ الناس في أشراط الساعة؛ لأن يأجوج ومأجوج من أشراط الساعة الكبرىٰ مثل: الدجال، عيسىٰ بن مريم ﷺ، يأجوج ومأجوج، الدابة إلىٰ آخره قال: إذا أراد الله تعالىٰ، إذا أَذِنَ لهم، أُلهم ملكهم يعني وقع في قلب ملكهم، وهم يحفرون إذا انتهىٰ اليوم وسوف يكملون غدًا يقول لهم: تعالوا ونكمل غدًا إن شاء الله فإذا قالوا: إن شاء الله وجاءوا من الغد فإذا الردم كما هو يعني الشغل الذي اشتغلوه لم يعد كما كان فلا يبقىٰ إلا شيء يسير فيحفرونه وينقبونه ويخرجون إلىٰ الناس، إذا خرجوا إلىٰ الناس عاثوا في الأرض فسادًا بدأوا يقتلون الناس ويسفكون الدماء يأكلون كل أخضر ويابس علىٰ وجه الأرض، وهم عددهم كبير النبي ﷺ يقول عن عددهم: لما قال ﷺ «أن الله تعالىٰ يقول يوم القيامة لآدم: أَخرِج بعث النار فيقول آدم: كم يا ربي بعث النار؟ كم عددهم؟ فيقول الله تعالىٰ: من كل ألف واحد في الجنة وتسعمائة وتسعة وتسعين في النار».

في كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلىٰ النار وواحد إلىٰ الجنة فالصحابة عندما خافوا قال لهم النبي ﷺ «أبشروا إنكم بين أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج، فمنكم واحد ومنهم تسعمائة وتسعة وتسعين»، هم عندما يسيرون بهذا العدد الكبير جدًّا المهول يمر أولهم علىٰ بحيرة طبرية فإذا مروا عليها جاء الأول وغرف منها غرفة وشرب، جاء الثاني وغرف الثانية وشرب، جاء الثالث وغرف الثالثة وشرب والرابع والعاشر والمليون والملايين يقول ﷺ «حتىٰ يمر آخرهم بالبحيرة، البحيرة عمقها أربعة وأربعين متر وطولها أربعة وعشرين كيلو متر وعرضها أربعة عشر كيلو متر، ولكن عددهم كبير جدًّا، فيأتي آخرهم يمر فإذا مر بالبحيرة نظر فإذا بقايا طين فيقول: كان هاهنا ماء لكن أين ذهب الماء؟ في بطون الذين أمامه».

فهذه قصة يأجوج ومأجوج مع هذه البحيرة، بحيرة طبرية التي أخبر النبي ﷺ عنها

إذا بدءوا يشربون لن يبقىٰ فيها ماء ولن ينجو من شرهم إلا من تحصن من الناس بحصون مع عيسىٰ بن مريم؛ لأن يأجوج ومأجوج ترتيبهم كالتالي يكون هناك المسيح الدجال يخرج إلىٰ الناس، يأتي بعد المسيح الدجال المسيح عيسىٰ بن مريم عندما ينزل من السماء؛ وهو الذي يقتل المسيح الدجال ثم بعد ذلك أثناء وجود عيسىٰ بن مريم عليه السلام لما يحكم بين الناس بالقسط كما أخبر النبي ﷺ لما قال: يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويحكم بين الناس بالقسط، عندها يخرج يأجوج ومأجوج يوحي الله تعالى إلىٰ عيسىٰ عندما يخرج يأجوج ومأجوج ويبدأون ينتشرون يوحي الله إلىٰ عيسىٰ، أن يا عيسىٰ إني قد أخرجت عبادًا لي هل هذا يعني أنهم مسلمون؟

لا، إنما العبودية قسمان: منها عبودية عامة، وعبودية خاصة هل هم أهل العبودية العامة أم الخاصة؟ وماذا يفعل عيسىٰ عليه السلام؟

عندما يخرج يأجوج ومأجوج يوحي الله تعالىٰ إلىٰ عيسىٰ بن مريم عليه السلام إني قد أخرجت عبادًا لي لا يداني لأحد قتالهم، لا يداني يعني لا قوة ولا قدرة لأحد علىٰ قتالهم ماذا أفعل؟

فيقول الله: فحصن عبادي إلىٰ الطور يعني الجبل فيتحصن عيسىٰ بن مريم إلىٰ جبل ويأجوج ومأجوج يبحثون عن الناس صغارًا وكبارًا قتلوا الأنعام يلعبون بها يأكلون الدواب يأكلون كل شيء علىٰ وجه الأرض يقول ﷺ فيحصر عيسىٰ بن مريم يحصر وأصحابه ويصيبهم الجوع والحاجة يقول ﷺ: «حتىٰ يكون رأس الثور لأحدهم أحب إليه من مائة دينار لأحدكم» اليوم حتىٰ تعرفوا ما مقدار المائة دينار عند الصحابة؟

النبي ﷺ أعطىٰ أحد الصحابة دينارين قال: اذهب واشتري لي شاة، فذهب هذا الصحابي واشترىٰ للنبي ﷺ شاتين بدينار واحد اشترىٰ له شاتين بدينار واحدٍ فمعناه أن المائة دينار عند الصحابة تعدل وتساوي مائتين شاة فعندما يقول ﷺ: أنت الآن بمقدار فرحتك بمئتين شاة أولئك يفرحون ليس بضلع الثور أو بفخذ الثور برأس الثور بالله ما الذي سيجده في رأس الثور؟ حتىٰ يأكله من شدة الجوع الذي يصيبهم فيلجأون إلىٰ الله، يعني يا رب نحن نموت من الجوع فالله تعالىٰ يستجيب لهم وتكون

نهاية يأجوج ومأجوج الذين هم بشر كباقي الناس يرسل الله تعالىٰ إليهم النغف، النغف هذا نوع من الدود يدخل في أنوفها ويقتلها يرسله الله تعالىٰ إلىٰ يأجوج ومأجوج فيدخل في أنوفهم.

ولكن هل يأجوج ومأجوج كلهم كفار؟ أم فيهم مؤمنون؟

نحن نتكلم عن أرقام كبيرة جدًّا فهل كل هذا العدد ليس فيهم مؤمن؟

وهل ملكهم مؤمن وقد ورد في الحديث أنه قال: سنُكمل العمل غدًا إن شاء الله؟

الله تعالىٰ يهدي من يشاء ويضل من يشاء وكونهم عددهم كبير وهم ليسوا مؤمنين هذا ليس غريبًا، النبي ﷺ لبث في مكة ثلاثة عشر سنة، يدعو إلىٰ التوحيد ومع ذلك لم يسلم معه إلا مائة وخمسة عشر شخصًا من أهل مكة فمعناه أن الكثرة ليست دليل صحة الدين الذي هم عليه، الآن الهندوس في الهند يصل عددهم إلىٰ أكثر من تسعمائة مليون الصين فيها أكثر من مليار كلهم يعبدون صنمًا يعبدون بوذًا صنم يأتون ويسجدون عند هذا الحجر وهم الآن عندهم مصنوعات دقيقة إلكترونية وغير ذلك، فيأجوج ومأجوج الحديث أخبر أنهم كفار بدليل أنهم يأخذون الحربة ويرمونها في السماء، ويقولون: قتلنا من في السماء.

لكن السؤال هو كيف يقولون إن شاء الله وهم كفار ؟

أجاب أهل العلم عن ذلك: أن الله تعالىٰ يُلهمهم بها إلهامًا يعني أنه من غير أن يعقلوا معنىٰ إن شاء الله يقول: إن شاء الله مثلما يقول أحيانًا الآن بعض غير المسلمين الذين يخالطون المسلمين تجد أنك تقول له: كيف الحال؟ مثلاً وهو ربما يكون هندوسي يعبد بقرة، مع ذلك يقول: الحمد لله أنا أرىٰ بعض العمال عندنا هندوسي أقول له: كيف حالك؟

يقول: الحمد لله، وهو هندوسي ما يؤمن بالله أساسًا أو أحيانًا صيني يعبد بوذًا، لكن جرىٰ لسانه بهذه هكذا من غير ما يعقل معناه كذلك أولئك، أولئك يقولون: إن شاء الله من غير ما يعقلون معناها، لكن الله ﷻيجريها علىٰ لسانه لأجل أن يجعل المشيئة له تعالىٰ وليست لهم، عندما يدعو الله تعالىٰ عيسىٰ بن مريم يا رب يا رب

يرسل الله تعالى إليهم النغف في أنوفهم فيقتلهم فيصبحون صرعىٰ كلهم صرعىٰ وعيسىٰ بن مريم عليه السلام مع قومه جالسين لا يدرون ماذا حدث في الخارج؟

فيقول بعض من مع عيسى بن مريم يقولون: يا نبي الله دعنا نخرج ولنقاتلهم لكن الله تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ عيسىٰ لا أحد يستطيع أن يقاتلهم، فيقولون: ماذا نفعل؟

فيقول أحد الناس: افتحوا لي الباب باب الحصن أخرج لأرىٰ ما الذي حدث هل هم أحياء أم أموات؟ فيقولون: لا نخاف أن نفتح باب الحصن ويدخلون علينا فيقول: دلوني بحبل فيأتون إليه ويربطونه من فوق الحصن الذي هم فيه عند هذا الطور ويدلونه من فوق بحبل فينزل فإذا نزل ماذا رأىٰ؟

عندما ينزل هذا الرجل فإذا رآهم صرعىٰ وهلكىٰ أخبر عيسىٰ بن مريم وأصحابه عليه السلام ويخرجون ويرونهم علىٰ هذا الحال وإذا الأرض قد انتنت وامتلأت من زهمهم من زهمهم يعني من الفطيس الذي حصل من النتن الذي حصل بهم فإذا الناس صرعىٰ وموتىٰ، ونشابهم قسيهم والقوس الذي يرمون به والسهام مرميه في كل مكان يقول ﷺ : «حتىٰ أن دواب الأرض مثل العقارب والديدان حتىٰ إن دواب الأرض لتأكل من لحومهم فتشكر أحسن ما كانت من شكر، ما معنىٰ شكر؟ تسمن، تبدأ تأكل من هذا اللحم والدسم، وهذه الشحوم واللحوم تسمن دواب الأرض، فعيسىٰ ابن مريم وقومه لا يستطيعون أن يستفيدوا من الأرض مع وجود هذا النتن هذا وهؤلاء البشر من يتعامل معهم عندها يوحي الله تعالىٰ أو يقضي الله ﷻ بأن يرسل الله تعالىٰ طيرًا كأعناق البُخت يعني طيرًا عِظام فيحملونهم ويلقونهم في البحر البحر، ثم بعد ذلك يرسل الله تعالىٰ مطرًا إلىٰ الأرض فتغسل الأرض حتىٰ تكون كالزلقة الزلقة كالمرآه ويعيش عيسىٰ بن مريم بعد ذلك وأخبر النبي ﷺ أن الله تعالىٰ يبارك في الأموال.

ولكن أين يأجوج ومأجوج الآن ؟ لا يستطيع أحد أن يُحدد مكان يأجوج ومأجوج، ولكن هناك أجزاء كبيرة من الأرض لم نصل إليها ولم تُكتشف، وفي كل يوم نسمع من يقول لقد اكتشفوا أرضًا جديدةً، واكتشفوا جزيرة جديدة.

وبعض من تكلم عن أشراط الساعة قال: ربما يكونون هم الصينين لا ندري بالتحديد من هم،

والنبي ﷺ وصفهم قال: «إنهم صغار العيون، فطس الأنوف كأن وجوههم الميجان» أي: المطرقة، لما تأخذ الترس الذي يُقاتل به أثناء القتال المقاتل يكون معه سيف ويكون معه ترس بحيث أنه إذا جاء ليضرب السيوف يضع الترس مثل غطاء القدر له مقبض وأحيانًا العرب كانوا في السابق يؤلم يده أو ربما كسر الرسغ عنده ماذا يفعل؟ يطرقه بجلد فيأتي إلىٰ نفس الترس ويلبسه جلدًا حتىٰ لا يتقي المقاتل ضربة الحديد بالحديد، فإذا جاء السيف وضرب الجلد لا تكون الضربة قوية علىٰ اليد التي تمسكه فهذا مطرق فأخبر النبي ﷺ: «أنه من كثرة اللحم في وجوههم كأن وجوههم الميجان المطرقة».

أسأل الله ﷻ أن يجزيكم خير الجزاء وأن ينفعنا وإياكم بما قلنا، وأن يقينا حر النار ويقي إخواننا أيضًا حر النار، بارك الله فيكم وصلىٰ الله وسلم علىٰ رسول الله ﷺ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

نحن علىٰ ضفاف البحر الميت نستمع إليه وهو يحدثنا، لو أذن الله ﷻ لقطرات هذا البحر أن تنطق ربما ذكرت لنا أخبارًا وأسرارًا ما قصة البحر الميت؟

هل وردت في القرآن؟ هل له حديث مع أحد من الأنبياء؟

ما العبر التي ينبغي ان نقف عليها عندما ننظر إلىٰ البحر الميت؟

وما الأحكام الشرعية المتعلقة بالبحر الميت كل هذا سنتحدث عنه إن شاء الله.

ولا نزال مع حديث من أحاديث البحر نحن عند البحر الميت ولعلكم ترونه الآن بين أيديكم، هذا البحر يحدثنا اليوم بقصص عجيبة من أخباره وأسراره ولو أذن الله تعالىٰ لهذه القطرات من الماء أن تتحدث لسمعتم منها عجبًا نعيش معه نستمع إلىٰ خبره ننظر في شيء من تاريخه نتعظ بالعظات التي أمرنا الله ﷻ لما قال سبحانه: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الروم:٤٢] وكما قال جل وعلا: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ﴾ [الصافات:١٣٧].

فينبغي أن نقف عليه وقفات طبعًا عجائب صنع الله تعالىٰ في الأرض كثيرة، وأن الله

خلق الأرض والسماء وجعل فيهما العجائب وذلك من صنع الله تعالىٰ وأمر الله الإنسان أن يمشي في مناكب الأرض، وينظر في عجائب صنع الله ﷻ قص الله تعالىٰ علينا في القرآن أنواعًا من قصص الأمم السابقة، لا لأجل فقط أن نتسلىٰ بها وننظر، إنما أمرنا أن نعتبر بها كما قال جل وعلا: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ ﴾[يوسف:١١١] لماذا؟

﴿عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ما قال كان في قصصهم معلومات جديدة، أو تسلية إنما هي عبرة ثم بين الله ﷻ أن الذين يعتبرون هم أصحاب العقول النيرة العاقلة التي تفهم وتتدبر ثم قال ﷻ: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾[يوسف:١١١] إذا ما نقصه اليوم سواء عن البحر الميت، أو عن قصة قوم لوط عليه السلام أو قصة قوم نوح مثلاً، أو لما نتكلم عن شعيب، أو عن يوسف، أو عن غيره من الأنبياء عليهم السلام هي قصص ثابتة حقيقية إنما هي قصص ذكرها الله ﷻ في القرآن لذلك الله تعالىٰ لما يأمر النبي ﷺ أن يقص القصص علينا لأجل أن نعتبر كما قال ﷻ: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ ﴾[الأعراف:١٧٦] لماذا؟

لعلهم يتفكرون، وقال جل وعلا: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾[طه:٩٩] نقص عليك من أنباء لوط، ونحن سنقف علىٰ قصة لوط عليه السلام مع البحر الميت نقص عليك من أنباء شعيب، من أنباء نوح، من أنباء صالح، وهود لماذا؟

قال ﷻ ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾في الآية الأخرىٰ يقول ﷻ ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [هود:١٢٠] لما ترىٰ أن الأمم السابقة من عصىٰ عذب إن الأمم السابقة فيهم أنبياء طالت فترة مكوثهم مع أقوامهم مثل نوح عليه السلام كم لبث في قومه؟

ألف سنة. إلا خمسين عامًا فلما يرىٰ النبي ﷺ أني أنا لبثت في مكة ثلاثة عشرة سنة وقومي يكذبوني أما نوح فقد لبث قبلي ألف سنة إلا خمسين عامًا فيزداد ﷺ ثباتًا لذلك قال ﷻ ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ ﴾اختار الله ﷻ أنواع من الرسل والرسل كثير فوق مائة ألف رسول. فلماذا ذكر الله تعالىٰ في القرآن فقط خمسة وعشرون رسولاً منهم؟

لأن هؤلاء الذين تصلح قصصهم ليعتبر بها النبي ﷺ فقال ﷻ ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ

فُؤَادَكَ ﴾ [هود:١٢٠] طبعًا البحر الميت يتميز بميزات، إنه يختلف يعني في طوله وفي عرضه، ومن صفات هذا البحر أنه طويل جدًا حتىٰ يصل طوله إلىٰ سبعين كيلومتر، ويمتد من الشمال إلىٰ الجنوب، أما الضفة التي أمام الجبال فهي فلسطين المحتلة التي تُسمىٰ الآن بإسرائيل، وهذا البحر هو أخفض منطقة علىٰ وجه الأرض كما قال الله ﷻ: ﴿ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾، يعني: في الفرس والروم، حيث أن الفرس جاءوا ودخلوا من جهة إيران وخُرسان؛ وذلك لأجل مُلاقاة الروم الذين جاءوا من الشام، فالتقوا في البحر الميت، فغُلبت الروم في هذا البحر؛ لأنه أخفض منطقة حيث يصل انخفاضه عن سطح البحر إلىٰ ثلاثمائة واثنين وتسعين مترًا، أما الآن بعدما جفت الروافد التي كانت تسقيه بالماء انخفض أكثر من ذلك فهو الآن يصل إلىٰ أربعمائة وست أمتار تحت سطح الأرض.

أما عرضه فأحيانًا يتسع، وأحيانًا يضيق فيكون في بعض المواطن ثلاثة عشر كيلومتر، وفي بعضها إلىٰ أحد عشر كيلومتر، وبعضها إلىٰ ثلاثة كيلومترات، والمقصود أنه يختلف في طوله وعرضه في مواضع متعددة، يُقال: بل هو الصحيح أيضًا أن ملوحة البحر الميت لايوجد في العالم كله ملوحة مثلها يعني ملوحة البحار العادية تصل إلىٰ ثلاثة بالمائة البحر الأبيض المتوسط مثلاً ملوحته تصل إلىٰ ثلاثة بالمائة، البحر الميت يصل إلىٰ أربعة وثلاثين في المائة لذلك سبحان الله! يقولون: لا يمكن أن يغرق فيه أحد لأنك بمجرد ما تغرق تطفو يحملك فقط اضطجع هكذا ويحملك هو، والعجيب سبحان الله! أنك إذا لمست ماءه فإذا كأنك تضع في يدك دهن.. فيه لزوجة.

والبحر الميت من ضمن البحار التي خلقها الله تعالى في هذه الأرض والله ﷻ يفعل ما يشاء ويختار، يقولون: أكثر بحيرة ملوحة بحيرة في نيجيريا ويقولون مع ذلك: البحر الميت يعتبر ملوحته ثمانية أضعاف تلك البحيرة إذًا لا يوجد بحيرة مثله الحقيقة حاولت أبحث لما قرأت عن قصة قومٍ لوط عن علاقتهم بالبحر الميت حاولت أن أبحث ما هو السبب أصلاً في ملوحة البحر الميت؟ يعني هل هناك علاقة ما بين قوم

لوط وما بين ملوحة البحر الميت؟ أم لا؟

لم أجد حقيقةً، ولم أقف علىٰ ما يدل علىٰ أن سبب ملوحة البحر الميت هو وجود ما يذكر عن قوم لوط وأنهم عُذبوا فيه، أو لم يُعذبوا فيه.

البحر الميت طبعًا له قصة مع قوم لوط عليه السلام ما هي قصتهم معه؟

هل ثبت أن قوم لوط غرقوا في هذا البحر؟ فإذا كانوا غرقوا في هذا البحر يعني في أي جزء منه، هل في الجزء الذي فيه الآن أو في جزء آخر منه؟ فإذا كان قوم لوط قد غرقوا في هذا البحر فهل يجوز أن نأتي إلىٰ هذا البحر ونتوضأ منه؟ ونتفسح ونأخذ من الطين ونطلي به أجسادنا؟ ما حكم الوضوء من هذا البحر؟ إذا كان هو بحر غرقت فيه قوم لوط ما حكم الوضوء منه؟ بل ما حكم الماء؟ هل هو طاهر أم نجس أيضًا؟

هذا الكلام لا بد أن نعرفه إن البحر الميت اشتهر لأنه المنطقة التي عُذب فيها قوم لوط، لوط عليه السلام بعث إلىٰ قوم كانوا مشركين، ويعبدون غير الله تعالىٰ كما كان غيرهم من الأقوام جاء وأنذرهم وكانوا يأتون الفاحشة ما سبقهم بها من أحد من العالمين، يعني كان الرجال يأتون الرجال شهوة من دون النساء، وهذه الشهوة وهذا الفعل لم يسبقه إليهم أحد من العالمين كل الأمم التي كانت قبل لوط عليه السلام، لوط ولد عام ١٨٠٠ قبل الميلاد، كان قبله عدد من الأنبياء هو متأخر قبل عيسىٰ عليه السلام بـ ١٨٠٠ سنة قل ٢٠٠٠ سنة، لكن كان قبله آدم عليه السلام بعث إلىٰ أقوام، نوح بعث إلىٰ أقوام، اليسع إلىٰ غيره من الأنبياء كلهم بعثوا إلىٰ أقوام، لم يوجد خلال تلك السنين كلها ربما تمتد إلىٰ عشرة آلاف سنة مئة ألف سنة، مائتان ألف سنة ما ندري، لكن لم يوجد خلالها كلها، كلهم كان عندهم غرائز عندهم شهوات، لكن مع ذلك لم يوجد خلال تلك الأقوام كلها من كانوا يميلون إلىٰ الشذوذ، لم يكن الرجل يميل إلىٰ الرجل حتىٰ يقول ابن عباس رضي الله عنهما : لو لم يذكر الله تعالىٰ قصة قوم لوط في القرآن لما صدقت أن رجلاً يأتي رجلاً، يعني: أن هذا أصلاً خلاف الفطرة حتىٰ الحيوانات لا تفعل ذلك يعني لايمكن أن البعير يطأ بعيرًا إنما يطأ الناقة الأنثىٰ، الوحوش الأسد والذئب وغيرها كذلك لا يمكن أن الذكر منها يعلو الذكر إنما تجد أنها فطرها الله عز وجل كما فطر

جميع المخلوقات، حتىٰ النباتات الآن لما تأتي إلىٰ النخل تجد من النخل ما هو ذكر وما هو أنثىٰ فتأخذ من الذكر وتلقح به الأنثىٰ لأجل أن ينتج عندنا الرطب، والتمر لو تأتي من الذكر وتلقح به الذكر ما طلع عندك تمر، ولو تأتي من الأنثىٰ وتلقح به الأنثىٰ ما نتج عندك تمر، كذلك جعل الله تعالىٰ هذه الفطرة في كل المخلوقات حتىٰ لو تأتي إلىٰ الحشرات تجد أن الذكر يأتي إلىٰ الأنثىٰ ويلقحها لأجل أن هذه الفطرة التي فطر الله ﷻ الناس عليها لذلك لوط ؈ كان يصيح بقومه يقول: إنكم لتأتون الفاحشة، وسماها الفاحشة لعظمها وكبر شأنها ما سبقكم بها من أحد من العالمين يعني هذا الأمر أنتم إبتدعتوه من عند أنفسكم فلوط ؈ استمر ينصح قومه ومع ذلك هم مستمرون علىٰ ضلالهم وعلىٰ غيهم فلما أذن الله ﷻ بعذابهم، وكان لوط ؈ مع موعظته لهم يقولون له: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾[الشعراء:١٦٧] يعني: يا لوط إذا ما انتهيت عن نصحنا وتوجيهنا، ترىٰ يا لوط سوف نطردك من أرضنا ولا تبقىٰ عندنا أبدًا سبحان الله!

وفي آية أخرىٰ قال: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[النمل:٥٦] سبحان الله! كيف يصل الفساد في بعض الناس إلىٰ درجة أن يقولوا مادمت أنك تتطهر يا لوط عما نفعله نحن لا نريد أن نجالسك، أذكر مرة ألقيت محاضرة في سوق بإحدىٰ دول الخليج فتكلمت عن العفة وما يتعلق بها واحد من الشباب قلت: يا جماعة يا شباب من عنده مثال يصلح أن يذكره لنا أو قصة فواحد من الشباب رفع يده وأعطيناه الميكرفون قال: يا دكتور أنا ذهبت مرة مع مجموعة من زملائي إلىٰ إحدىٰ الدول العربية يقول: حذرتهم منذ البداية قلت: يا شباب أنا لا أريد فسادًا لا أريد أن أشرب خمرًا، لا أريد أن أفعل بفواحش نذهب فقط نتمشىٰ، ونرىٰ الأنهار لكن لا نقع في شيء من المحرمات، قالوا: لك ذلك، يقول فلما وصلنا فإذا هم يقعون في أنواع من الكبائر، وأنا بعيد عنهم سبحان الله! يقول: صاروا مثل ما قال قوم لوط له: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[النمل:٥٦].

يقول: بدأوا يحاولون إضلالي؛ لأنهم لايريدون أن يكونوا هم فقط يشربون

الخمر، ويقعون بالفاحشة، وأنا نظيف، ويقول: أنا أقول أعوذ بالله منكم ومن عملكم، ففي ليلة من الليالي ذهبوا هم إلىٰ أحد أماكن البغاء والفساد يقول: فذهبت إلىٰ الشقة وأغلقت علي الباب لأنام، يقول: فاستيقظت من النوم فإذا أصواتهم في الصالة وإذا معهم مجموعة من النساء الفاسدات وشيء من المسكرات، يقول: وهم يضحكون فبدأوا يطرقون علي الغرفة، قلت: أعوذ بالله منكم ومن عملكم واتقوا الله، يقول: فطرقوا الباب قالوا: نحن نريد مفتاح السيارة من الغرفة فقمت فتحت الباب ليأخذوا مفتاح السيارة، فيقول: لما قمت دفعوا الباب، وأدخلوا إحدىٰ النساء، وأخذوا المفتاح بسرعة وأغلقوا علي الباب، يقول: يبدو أنهم جعلوا لها مالاً لأجل إضلالي، فبدأت أقول: أعوذ بالله افتح الباب وبدأت أسب، يا شباب افتحوا الباب، والمرأة تحاول أن تغويني، يقول: فلما رأيت الشيطان بدأ يتمكن مني أردت أن أطردها عني فقلت لها: اذهبي عني أنا عندي إيدز عندي إيدز اذهبي، يقول: فقالت: عادي أنت الإيدز عندك منذ متىٰ؟ قلت: أنا الإيدز عندي من سنة كاملة فإن الإيدز متمكن من جسدي، فقالت: طيب عادي أنا عندي الإيدز من سنتين، يقول: سبحان الله! لما قالت ذلك أيقنت أن الله تعالى يريد نجاتي يقول: فبدأت أصرخ بهم يا شباب إيدز إيدز يقول: فطردوا من عندهم وفتحوا لي الباب.

المقصود، سبحان الله! أن بعض الناس لا يرضيه أن يكون غيره طاهرًا تقيًّا نقيًّا ويبقىٰ هو علىٰ فساده لا علىٰ معصيته، بل يريد أنك تكون مثله لذلك يقولون: ودت الزانية لو أن النساء كلهن زنين، وذكروا أن عمر رضي الله عنه يقولون: مر يوم من الأيام فسمع غناء في أحد البيوت في الليل يقول: فأخذ كسرة فحم من الأرض وعلم بها علىٰ الباب حتىٰ الصبح يحاسبه يقول: لماذا أقمت الحفلة عندك والغناء والطرب؟

يقولون: فخرج صاحب البيت فرأىٰ عمر ذاهبًا ورأىٰ العلامة ماذا يفعل؟ هل يمسح العلامة؟ لا. بل أخذ الرجل كسرة الفحم وبدأ يضع علامات علىٰ بقية البيوت، كأنه يقول: أود أن جميع هؤلاء يفعلون مثل فعلي، هذه مشكلة حقيقة كذلك قوم

لوط.

هل ارتبط الحديث عن البحر الميت بقوم لوط؟ هل فعلاً ثابت أن قوم لوط تواجدوا في هذه المنطقة أم لا؟

أنا بحثت المسألة مع مجموعة من علماء الشريعة وغيرهم من المتخصصين في مثل هذه المسائل وأكثرهم كان يقول لي إن البحر الميت مع طوله ذكرنا أن طوله كم؟ سبعين كيلو متر وبالتالي قالوا: إن قرىٰ قوم لوط كانت خمس قرىٰ، وهذه القرىٰ الخمس كان فيها أربعمائة ألف شخص يمكن أن يجتمعوا في منطقة لا تزيد أحيانًا عن منطقة صغيرة وإذا كانت كل قرية فيها مثلاً سبعين ألف، أو ثمانين ألف فإن أكثرهم قال: إنها في منطقة قريبة من منطقة الكرك في طرف البحر الميت أما المناطق الأخرىٰ قالوا: إنها لم يقع فيها العذاب لكنها هناك، قوم لوط لما فعلوا الفاحشة عاقبهم الله تعالىٰ وأُغرقوا أيضًا بالماء.

يقول أهل العلم: أن أعظم عقوبة نزلت علىٰ قوم هي العقوبة التي نزلت بقوم لوط فما هذه العقوبة التي واجهها قوم لوط؟ وكيف وقعت عليهم؟ بعد ما أنذرهم لوط عليه السلام وحذرهم من عاقبة فعلهم وبدأ يعظهم ويذكرهم قالوا: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ إذا ما انتهيت نطردك ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت:٣٠] أو قال: رب انصرني بما كذبون فاستجاب الله ﷻ له، وأرسل مجموعة من الملائكة، هؤلاء الملائكة قبل أن يصلوا إلىٰ لوط يأتون إلىٰ لوط مروا علىٰ فلسطين وعلىٰ مَنْ مِنَ الأنبياء؟ إبراهيم الخليل بشروه بماذا؟ بغلام عليم، إبراهيم عليه السلام كان قد كبر سنه ولم يرزق بأولاد فبشروه بغلام أعطوه معلومتين:

الأولى: بشروه بالغلام.

الثانية: أخبروه أنَّهم سيذهبون إلىٰ قوم لوط لأجل عذابهم، إبراهيم عليه السلام استبشر بالغلام وفرح وامرأته فرحت غاية السرور علىٰ الرغم من كبر سنه يرزقه الله تعالىٰ بنعمة الأولاد، ولكن كيف بشره الله تعالىٰ بهذه النعمة؟

بعث إليه الملائكة علىٰ صورة بشر وعند ذلك نفر سيدنا إبراهيم منهم وأضمر من جهتهم خوفًا وفزعًا، فقالوا له: لا تخف، فضحكت امرأته سرورًا لذهاب الخوف والفزع عن زوجها ومن هنا قال تعالىٰ: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾ [هود:٧١]، وبذلك جاءته البشارة من ربه بالذرية الصالحة الطيبة، فلما أرادوا أن يخرجوا جعل يمشي مع الملائكة طبعًا الملائكة جاءوا في صورة شباب، النبي ﷺ رأىٰ جبريل في الدنيا، ورآه عند سدرة المنتهىٰ وله ستمائة جناح؛ جناح واحد من الأجنحة حمل به قرىٰ قوم لوط فهو أصلاً له شأن عظيم وخلق عظيم، وما يعلم خلق الله تعالىٰ إلا هو فجعل إبراهيم يقولون: يمسكهم يمسك الملك ويمسك جبريل كما قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ﴾ [هود:٧٤-٧٥] إن إبراهيم لحليم أواهٌ منيب يقولون: أمسك إبراهيم جبريل وجعل يمشي به ويقول: ألا تستأني بهم؟ ألا تنتظر بهم؟ ألا تؤخرهم؟

من رحمة إبراهيم ما قال: نعم يا جبريل افعل بهم واصنع بهم وعذبهم عذابًا شديدًا يقولون: أمسك جبريل، وجبريل في صورة بشر يقول: لا تفعل؟ لا تفعل؟ ولازال يحاول كما قال تعالىٰ يجادلنا في قوم لوط طبعًا جاءت الرسل إلىٰ قوم لوط وصلوا إليه، وأخذ إبراهيم يُجادل الملائكة في شأن قوم لوط لأنه كثير الحلم والتضرع إلىٰ الله، لوط ﵇ ما يدري يظن أن هؤلاء ضيوف، قال تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ﴾ [الذاريات:٢٣-٢٨]؛ فإن نبي الله إبراهيم خاف منهم، لأنه لما قام بضيافتهم مثل أي بشر فإنهم لم يأكلوا من العجل السمين الذي شواه علىٰ الحجارة وقدمه إليهم.

فمن هنا جاءه الخوف والفزع من جهتهم فقالوا له: لا تخف نحن رسل ربك نحن ملائكة أرسلنا الله تعالىٰ إليك ونحن لا نأكل ولا نشرب.

ولكن السؤال هنا ما العلاقة بين سيدنا إبراهيم وبين لوط؟ ما القرابة التي بينهما؟ كان إبراهيم عم لوط عليه السلام، ما علاقة لوط عليه السلام بالبحر الميت؟ بقي الكلام حقيقة عن حكم زيارة البحر الميت حكم الاستشفاء بطينه ونحو ذلك.

أسأل الله ﷻ أن يجزيكم خير الجزاء وأن ينفعنا وإياكم بما قلنا، وأن يقينا حر النار ويقي إخواننا أيضًا حر النار، بارك الله فيكم وصلىٰ الله وسلم علىٰ رسول الله ﷺ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لا نزال مع حديث عجب من حديث البحر الميت إلينا، لو أذن الله تعالىٰ لقطراته أن تنطق بماذا كانت ستحدثنا؟ وما الأخبار التي ستسوقها إلينا؟

بقي معنا الكلام عما ذكره القرآن عن البحر الميت، ما الأحكام المتعلقة بهذا البحر الذي بين أيدينا؟ ما أحكام الطهارة بماءه؟

هل هناك علاقة لأحدٍ من الأنبياء بهذا البحر الميت؟

ما الشريعة التي شرعها الله ﷻ لنا عندما نزور هذا البحر؟

هذا ما نقف عليه في حديثنا عن البحر الميت.

هذا البحر كما تعلمون تطل عليه الأردن، تطل عليه فلسطين الضفة الأخرىٰ منه، فلسطين المحتلة، ما يُسمىٰ اليوم بإسرائيل وهي التي ترونها الآن تلك الجبال التي لايفصلنا عنها إلا القليل من الكيلو مترات، العرض، عرض البحر الميت ثلاثة عشر كيلو متر وأحيانًا أحد عشر وأحيانًا يصل إلىٰ خمسة، يختلف اتساع العرض من مكانٍ إلىٰ آخر، البحر الميت يتجه من الشمال إلىٰ الجنوب أليس كذلك؟ كم طوله؟

سبعون كيلو. عمقه ما تكلمنا عنه، كم عمقه؟ لم يجزم أحد أنه استطاع أن يصل إلىٰ القعر إلىٰ قعر البحر الميت؛ لأجل أن يكتشف كم العمق قرأت أنه يصل إلىٰ ستة عشر مترًا، قرأت أنه يصل إلىٰ ستة وثمانين مترًا، أخبرني بعض الإخوة أنه يصل إلىٰ مئة متر أحيانا أربعمائة متر، البحر المتوسط علىٰ سبيل المثال ملوحته بالنسبة إلىٰ

ملوحة البحر الميت تصل إلىٰ أربعة في المائة سبحان الله! انظر إلىٰ شدة الملوحة لذلك ما أنواع الحيوانات والمخلوقات التي تعيش فيه عادة؟

اكتُشف حديثًا الطحالب يعني قبل القريب من خمسين أو ستين سنة لم يكن يعرف حتىٰ الطحالب طحالب لا تكاد تذكر هي دقيقة جدًّا قالوا: بعض أنواع البكتيريا أيضًا توجد فيه، إما أسماك أو أشجار كما يوجد في عدد من البحار مزروعات أحيانًا بعض البحار سبحان الله! يوجد بها نباتات بحرية تجد فيها مثل الغابات من المرجان.

إذًا تذكرنا البحر الميت نعلم أنه أخفض بقعة في العالم يدل علىٰ ذلك قول الله تعالىٰ:﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الروم:٢-٣] كم يبلغ نسبة إنخفاضه؟

درجة الحرارة في المنطقة المرتفعة فوق سطح البحر مثل عَمَّان (عاصمة الأردن)، تصل إلىٰ خمس عشرة درجة مئوية قبل الفجر بقليل، وتصل هنا عند البحر الميت في نفس الوقت إلىٰ ثلاثين، أو أربعين درجة مئوية، انظر لقد تضاعفت درجة الحرارة إلىٰ ضعفين، أو ثلاث، سبحان الله! الدرجة التي فوق البحر الميت لها قصة اشتهرت مع نبي من الأنبياء، وهو الذي لو أذن الله لقطراته أن تنطق ربما حدثتنا بهذه القصة من هذا النبي؟ لوطعليه السلام.

نبي الله لوط عندما جاءت الملائكة إلىٰ قوم لوط، وأرادت أن تهلكهم وسوف نتكلم عن الملائكة وعن كيفية نهاية قوم لوط، لوطعليه السلام بعد ما نصح قومه مِرارًا وقد كانوا يأتون الفاحشة ما سبقهم بها من أحد من العالمين، كانوا يأتون الرجال شهوة من دِون النساء لما نصحهم لوط قال بعضهم لبعض:﴿أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل:٥٦] يعني: لأجل أنك تتطهر يا لوط مما نفعله، نحن لا نريدك أن تبقىٰ عندنا، فطردوه من بينهم، عندها أذن الله تعالى بعذابهم فأرسل الله عز وجل الملائكة، الملائكة قبل أن يأتوا إلىٰ لوط مروا علىٰ واحد من الأنبياء في فلسطين، فهم قبل أن يأتوا إلىٰ لوط في قرىٰ سدوم في إمتداد البحر الميت قرىٰ سدوم يقال: إنها خمس قرىٰ لقوم لوطعليه السلام فمروا بنبي من الأنبياء في فلسطين ثم جاءوا إلىٰ لوط من هذا النبي؟ ابراهيمعليه السلام ،ابراهيم ما القرابة بين إبراهيم ولوط؟ عمه.

إبراهيم عليه السلام هو عم لوط عليه السلام فمروا بإبراهيم جاءت الملائكة لإبراهيم وأعطته معلوماتين ماهما؟

بشروه بالغلام بعد ما كبر ولم يرزق بأولاد والثاني... أخبروه أنهم سيعذبون قوم لوط لما جاءوا إليه، وأخبروه أنهم سيعذبون قوم لوط ما كانت مشاعر إبراهيم؟

هل فرح فرحًا شديدًا وقال لهم: شدوا عليهم بالعذاب واجعلوهم يتأدبوا؟

لا. بل ماذا فعل؟

إنه أمسك بيد جبريل وجعل يمشي معه كما قال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ ماذا فعل ﴿يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ۝٧٤ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود:٧٤-٧٥] يقولون: أمسك بيد جبريل عليه السلام فكان يمشي معه يقول: لو أخرتوهم لو استأنيتم بهم، لو فعلتم يحاول أن يؤخرهم، ومع ذلك قال: ﴿قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾[هود:٧٦] يا إبراهيم ليس هناك مجال للنقاش العذاب آتيهم آتيهم، ودخلوا إلىٰ قرىٰ قوم لوط هي خمس قرىٰ وذكروا أن عدد السكان فيها؟ تقريبًا أربعمائة ألف أقبلوا إلىٰ لوط ودخلوا عليه، إبراهيم لما جاءوه الملائكة، جاءوه في صورة بشر لذلك وضع لهم طعامًا، فلما رأىٰ أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة جاءوا إلىٰ لوط عليه السلام ودخلوا عليه لما جاءوا إلىٰ لوط ودخلوا عليه ورآهم شبابًا مُلاحًا وهو يعلم أنه يعيش بين قوم فساق فجار، بين مجموعة ممن تعلقت قلوبهم بالشذوذ والفسق والفجور، قال: هذا يوم عصيب والله هذا يوم صعب أسأل الله العون في هذا الأمر العصيب، الضيوف الشباب المُلاح، يعينني الله أن أخفيهم من هؤلاء الفجرة الذين عندي؟

يقول الله تعالىٰ أن لوط قال: ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾[هود:٧٧] ثم قال الله: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ [هود:٧٨] ما معنىٰ يُهرعون إليه؟ يسارعون جاءوا ركضًا كل واحد يريد أن يصل قبل الثاني وجاءه قومه يُهرعون إليه قال الله: ﴿وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[هود:٧٨]، يريد لوط أن يدفع قومه ويمنعهم من الدخول، وهم يقولون له: ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الحجر:٧٠] وهو يقول لهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ﴾

[الحجر:٦٨]، قال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود:٧٨]، أي: يا قوم هؤلاء ضيوفي، يا قوم لا تفضحوني مع ضيوفي، هو لا يدري أن ضيوفه هم الملائكة، رجلٌ صالح تقي وجاءه ضيوف يطرقون بابه ليلاً فماذا يصنع معهم؟ ما كان منه إلا أن رحب بهم وأدخلهم منزله، ليُكرمهم ويُقدم لهم الطعام والشراب، فما ظنكم بلوط الصالح الكريم عندما يقول له قوم: نحن عابري سبيل؟

بدأ يقول: ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَٰلَمِينَ﴾ [الحجر:٦٩-٧٠] ألم نقل لك إذا أردت البقاء بيننا لاتخالط الناس؟ وإذا خالطت أحدًا من الناس سنفعل به ما نشاء؟ في هذه اللحظة ماذا حدث؟ وكيف حمىٰ الله تعالىٰ هؤلاء الملائكة؟ وكيف كان الهلاك؟ وما علاقة البحر الميت بقصة هؤلاء في عذابهم؟

قوم لوط عليه السلام أقبلوا إليه يُهرعون قال الله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّـَٔاتِ﴾ كانوا يفعلون السيئات جاءوا ليزيدوا السيئات بضيوف لوط، فلوط عليه السلام ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ [هود:٨٠] لما بدأ يدفع قومه لكن الكثرة تغلب الشجاعة، إذا كنت واحدًا وأمامك مئة شخص كلهم يريدون أن يدخلوا بيتك لا تستطيع أن تدفعهم. قال: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ يا ليت عندي ركنًا شديدًا أو عندي قبيلة شديدة تمنعني عندها نطق هؤلاء الملائكة وصرحوا له أنهم ملائكة ماذا قالوا؟

﴿قَالُوا يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا إِلَيْكَ﴾ [هود:٨١] لا نحن ولا أنت ما يستطيعون نحن ملائكة مايستطيعون أن يفعلوا بنا شيئًا ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ الَّيْلِ﴾ في الليل خذ أهلك المؤمنين خذهم واخرج بهم حتىٰ لا يصيبك العذاب معهم؛ لأن العذاب لن يأتي إلىٰ آحادهم، لن يأتي مَلَك يقتل هذا واحدًا واحدًا إنما هو عذاب عظيم سينزله الله تعالى بالقرىٰ كلها؛ لأنهم كلهم اشتركوا في المعصية قال: ﴿لَن يَصِلُوٓا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ الَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ [هود:٨١] إذا مشيتم خرجتم لا تلتفتوا قد تسمعون صراخا وراءكم وعذابًا لا تلتفت امش إلىٰ الأمام ولا يلتفت منكم أحد قالوا: ﴿إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ

بِقَرِيبٍ ﴾ [هود:٨١] ثم قال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود:٨٢].

العذاب الذي وقع على قوم لوط يقول أهل العلم: لم يقع على غيرهم من الأمم يعني قوم نوح عليه السلام ما العذاب الذي نزل بهم؟ الطوفان وغرقوا وماتوا، عاد أخذتهم الصيحة ريح صرصر، لكن قوم لوط أول شيء قال الله تعالى: ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ [القمر:٣٧] طمسنا أعينهم أصيبوا بالعمى، ثم خسفت بهم الأرض، ثم بعد ذلك أمطرت عليهم حجارة من سجيل منضود.

لذلك «وونر كيلر» باحث ألماني في الآثار يقول: إنهم اكتشفوا تحت البحر الميت، بعض الأشجار المتحجرة وبعض آثار لخمس قرى، يقول: فهذه القرى التي اكتشفت وتلك الآثار تدل على أنه كان هنا أقوام يقول: وهذه الأحجار هي حجارة بركانية نجمت عن غازات وإشعاعات كانت موجودة مثلما قال الله تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم﴾ [الأعراف:٨٤] ليس مطر من ماء إنما حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد وأهلك قوم لوط... نجى لوطًا وأهله إلا امرأته لأنها كانت عونًا لقومها.

لقد ربطنا بين البحر الميت وقوم لوط، ولكن هل يجوز وجودنا في هذه المناطق؟ مناطق المنتجعات السياحية البرك العلاجية، مستحضرات البحر الميت هل يجوز لنا استخدامها؟ هل يجوز لنا الوضوء بالماء؟

بالنسبة للعذاب فهو كما ذكرت جهة منطقة الكرك والبحر الميت طوله سبعين كيلو متر ليس كله على هذا الحال والبحر الميت أصلاً كان موجودًا قبل قوم لوط، ليس بعدهم، وكانوا هم يعيشون في طرفه عند الكرك، والكرك الآن ليس فيها مناطق سياحية، فالهلاك وقع هناك لم يقع في هذه المناطق.

الأمر الثاني: حتى لو قيل إنها كلها منطقة عذاب أهل العلم استدلوا بقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ﴾[الروم:٤٢] قال: إذا جاء إلى

هذه الديار لأجل أخذ العظة والعبرة ليس في هذا بأس كذلك من أخذ من طينه إذا ثبت طبيًا أن الطين يفيد في علاج أنواع من الأمراض الجلدية، ونحو ذلك، ليس في ذلك بأس أما بالنسبة للوضوء فماؤه طاهر يجوز الوضوء به لعموم قول النبي ﷺ عن البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته، البحر الميت ماؤه طاهر وميتته أيضًا حلال.

لو كان فيه ميتة، لأنه ليس فيه سمك.

قوله تعالى على لسان سيدنا لوط: ﴿هَٰؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ ماذا كان يقصد ؟

سؤال مهم عندما جاء إليه قومه يُهرعون إليه وكانوا من قبل يعملون السيئات ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ٧٨ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ﴾[هود:٧٨] لم يقصد لوط عليه السلام هؤلاء بناتي افعلوا بهن الفاحشة ويجل ويعز عن ذلك ﷺ وكانت له ابنتان وكانتا مؤمنتين إنما قيل في ذلك أقوال: قيل: هؤلاء بناتي يعني: نساءكم لأن النبي نبي كل أُمة هو أب لهم كما قال الله ﷻ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾[الأحزاب:٦] قال ابن عباس: وهو أبوهم ما دامت عائشة أم المؤمنين معناه أنه ﷺ أبو المؤمنين لذلك النبي ﷺ كان يزوج المرأة من غير إذن وليها لأنه هو وليها وهو ولي وليها أيضًا فقالوا: إن هؤلاء بناتي يعني نساءكم وقيل: إن لوطًا عليه السلام يقول: هؤلاء بناتي لأثنين من كبارهم كانوا قد جاءوا إليه وكانوا قد تزوجوا ابنتيه فلما ظهر عندهم الفساد سحب البنات منهم فيقول: أرجع لكم نساءكم بناتي ولكن اتركوا ضيوفي هي زوجتك في الأصل ولكن أنا منعتك عنها لفسادٍ فيك، وقيل: هؤلاء بناتي تزوجهن بالعقد الشرعي لكن لايظن بلوط عليه السلام أنه يقصد أن هؤلاء بناتي يعني يقعون في الفاحشة.

زوجة النبي لوط ﷺ لماذا استثناها الله ﷻ من النجاة من العقوبة ؟

امرأته كانت امرأة سوء، يقول وكانت تُعين قومها علىٰ مثل هذا الفساد ولا تنكر عليهم، هي التي أخبرت هؤلاء القوم الفجرة بمجيء الشباب إلىٰ لوط عليه السلام، وبالتالي هم جاءوا إليه، لأجل الإفساد، هذا البحر هو البحر الذي عذب فيه قوم لوط.

ابن كثير ذكر البحر الميت وقال: جعله الله تعالىٰ عليهم بحيرة منتنة سيئة المنظر إلىٰ آخره لكن ما في شيء حقيقة يدل دلالة مائة في المائة علىٰ أن هؤلاء هم قوم لوط لكن الأقرب أنهم في الطرف، كما ذكرت، وقد ذكر الله تعالىٰ ذلك عندما قال سبحانه لقريش - قريش كانوا يخرجون من مكة يذهبون بالتجارة إلىٰ أين؟ إلىٰ الشام، وهم كانوا يمشون شمالاً، ويمرون بالأردن ويمرون بهذه المنطقة، وربما كانوا يمرون بالمنطقة التي عند الكرك هناك فقال الله ﷻ لهم: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات:١٣٧] فذكروا أن قريشًا كانت لشدة الحرارة هنا في سفرهم يجعلون المرور جهة البحر الميت، يجعلونها إما في الصباح مع الإشراق؛ حتىٰ يكون الجو أجمل وإما بالليل حتىٰ يتقوا الحرارة الشديدة، فهم يمرون مصبحين ويمرون بالليل، فالله تعالىٰ يقول: أنتم تمرون علىٰ ديار الذين عُذبوا في هذين الوقتين أفلا تعقلون؟ أفلا تُبصرون؟ أفلا تتعظون؟ هذا، الحقيقة أمر مهم.

الأمر الثاني: وينبغي أن ننتبه إليه أيضًا: أن الشذوذ مع الأسف الذي وقع فيه قوم لوط أنا سمعت بعض الدعاوىٰ اليوم إلىٰ هذا الشذوذ وإلىٰ هذا الفعل القبيح، بعض الناس يقول في سبب تعلقه بهذا الشذوذ والفسق والفجور يقول: هذه فطرة أنا فطرت عليها يقول: أنا بطبيعتي لا أميل إلىٰ النساء أنا أصلاً أميل إلىٰ غيرهن ويبدأ يفسر لنفسه تفسيرات ما رأيكم في الرد علىٰ هذا الكلام؟ هل هو فعلاً في فطرته لا يستطيع أن يدفع عن نفسه في الغالب أنه ليس كذلك، لذلك لوط عليه السلام يقول لهم: ما سبقكم بها من أحد من العالمين لو كانتِ هذه الفطرة موجودة يولد هذا الرجل يميل إلىٰ امرأة، وهذا الرجل يولد يميل إلىٰ رجل مثله، لو كانت موجودة لوجدت في ملايين الناس بل مئات الملايين الذين وجدوا قبل لوط عليه السلام.

الأمر الثاني: الله تعالىٰ عدل لا يظلم أحدًا لو كانت هذه في فطرته لايستطيع أن يدفع عن نفسه لما عذبه الله تعالى عليها أليس كذلك؟ رب العالمين ألقاه في اليم مكتوفًا وقال له: إياك إياك أن تبتل بالماء يعني الله تعالى يجعل في فطرته الميل إلىٰ رجل مثله ثم يعذبه، لماذا تقع في الفاحشة؟ يارب فأنت جعلت في فطرتي انشأتني علىٰ هذا لذلك

هذا لايمكن أن الله تعالى يفطر علىٰ هذا ثم يعذب عليه.

الأمر الثالث: أن الله ﷻ عذب هؤلاء بعدد من الأمراض، أما في الوطء الشرعي الذي أباحه الله تعالىٰ وهو أصل الخليقة، قلت إنه في كل المخلوقات لا يوجد ذكر يميل إلىٰ ذكر قلت لكم في الإبل: لا يمكن أن يطأ بعير بعيرًا، في الخرفان في ذكور الغزلان في ذكور الفيلة حتىٰ في النباتات لا يمكن ان تأخذ من الشجرة الذكر وتلقح بها الشجرة الذكر التي مثلها كذلك في الإناث منهن إنما جاء الله تعالى كما قال ﷻ: ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [هود:٤٠] لذلك ما نتج الآن من أمراض كله، بسبب هذا الشذوذ ومع الأسف الآن ما انتشر من قنوات فضائية تدعو إلىٰ هذا ما انتشر مع الأسف من مواقع انترنت ونحو ذلكَ وأنا حقيقةً نفسي أدعو الجميع إلىٰ أن يتفكر في عذاب الله ﷻ الذي أنزله علىٰ قوم لوط وأنهم لما فعلوا هذه المعصية عذبهم الله تعالىٰ بعذاب ما عذب به أحدًا من العالمين، وجعل الله تعالىٰ عليهم من النكال والعبرة للمعتبرين، جعل عليهم لأبد الأبدين لذلك الإنسان يحذر أولاً من إطلاق بصره في الحرام حتىٰ لايصيبه مثل هذا العذاب، لذلك حتىٰ أهل العلم قالوا كما قال النبي ﷺ : «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به». ويقول ﷺ «ملعون من عمل عمل قوم لوط، ملعون من عمل عمل قوم لوط، ملعون من عمل عمل قوم لوط». ويقول ابن عباس رضي الله عنهما : «من مات وهو يعمل عمل قوم لوط من غير توبة مُسخ في قبره خنزيرًا لأن هذا الفعل لا يفعله البشر إنما يفعله يعني أمثال هؤلاء الشواذ الذين تقدموا الإنسان يحذر يغض بصره عن الحرام، يعظم قدر رب العالمين لايتبع بصره في المحرمات لايخلو أيضًا بمن يظن أنه قد يفتن به ونسأل الله تعالىٰ أن يتوب علينا وعليكم وأن يعفنا ويعفكم.

أسأل الله ﷻ أن يجزيكم خير الجزاء وأن ينفعنا وإياكم بما قلنا، وأن يقينا حر النار ويقي إخواننا أيضًا حر النار، بارك الله فيكم وصلىٰ الله وسلم علىٰ رسول الله ﷺ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

۞ ۞ ۞

سوفانا بنت حاتم الطائي

اليوم سأتكلم عن امرأة عاقلة كريمة أبوها لا يكاد عربي يجهله.

ورغم أن أباها لم يدرك الإسلام ولم يدخل الإسلام، إلا أنه لا يزال يضرب به المثل في الجود والكرم، حتىٰ إنهم ليقولون: الكرم الحاتمي، إذا أرادوا أن يمدحوا فلانًا بكرمه.

الرجل هو حاتم الطائي، كان يسكن في جبال طيئ، وجبال طيئ هذه في شمال المملكة العربية السعودية في (حائل) وكان رئيس قومه، وبرز فيهم بشدة الكرم، التي لم يكن لها نظير؛ حتىٰ إنهم يقولون عنه بعدما مات -وكان لا يكاد يبقىٰ في يده مال ولا إبل ولا غنم من كثرة ما يذبح ويهدي-: إنه أعطىٰ ابنته يومًا أربعين من الإبل، فلم يمس عليها الليل إلا وقد فرقتها.

ابنته هي سوفانا بنت حاتم الطائي.

وسوفانا أدركت الإسلام وأسلمت -ولها قصة سنذكرها الآن- وهي التي سنقف معها إن شاء الله في هذه الحلقة.

يقولون: أعطاها هذه الأربعين فوزعتها مباشرة: خمسةٌ هديةٌ لفلانة، وهذه لفلانة فنفدت مباشرة، فما كان يبقىٰ بيد أبيها شيء ولا بيديها هي الأخرىٰ.

حتىٰ إنه جاءها يومًا وقال لها: يا ابنتي، إنه إذا اقترن كريمان في بيت واحد هلك، لا يصلح أن أعطي أنا وأنت أيضًا تعطين، لا بد أن يمسك أحدنا بعض الشيء؛ حتىٰ نستطيع العيش.

قالت: أما أنا فأُغلب علىٰ العطاء، أنا يا أبي لا أصبر -ويا للعجب بعض الناس - سبحان الله- اليوم تأكله يده إذا لم يحاسب، فمثلاً: يذهبون إلىٰ مطعم أو نحو ذلك فتجده لا يستطيع إلا أن يحاسب، هكذا طبيعة عنده لا بد أن يحاسب.

وأنا أعرف بعض الناس هكذا، والمشكلة تكمن فيما لو دعا أحدًا خاصة شخصًا من زملائه المقربين إذ يكلفه هذا كثيرًا.

فأقول له: لماذا يا فلان كل هذه التكلفة؟

يقول: يا أخي لا أستطيع أن أقاوم نفسي؛ أي: أحيانًا يتجاوز الكرم إلىٰ حد الإسراف- نعود إلىٰ القصة..

يقولون: إنه قال لها: يا ابنتي نحن قرينان؛ فلا يصلح في كل مرة أن أعطي وتعطي، فإما أن تمسكي وإما أن أمسك؟

قالت: أما أنت فإن إردت أن تمسك فأمسك -تريد أن تبخل فابخل، أما أنا يا أبي فلا أستطيع.

فاتفق معها وأعطاها نصف ماله.

يقولون: فلم يمض عليه وقت حتىٰ نفد.

ويقولون: إن حاتمًا الطائي بعدما مات مر رجل ببيته، فلما مر ببيته رأىٰ إحدىٰ بناته جالسة علىٰ الباب وعليها ثياب رثة قديمة، ظاهر عليها الفقر، فقال لها: ابنة حاتم الطائي الكريم علىٰ هذه الحال؟!

فقالت له: نعم. كرم أبي سيرني إلىٰ ما ترىٰ، تقول: من شدة كرمه ما بقي معنا شيء بعدما مات؛ لأنه وزع كل شيء. كرم أبي سيرني إلىٰ ما ترىٰ.

سوفانا هذه ليست هذه قصتها، سوفانا لها قصة عجيبة مع النبي ﷺ:

لما بدأ النبي ﷺ يرسل الناس إلىٰ الأمصار يدعوهم للإسلام، كان أحيانًا يرسل دعاة إلىٰ الأمصار، وأحيانًا تأتي القبائل من تلقاء أنفسها إلىٰ النبي ﷺ وتدخل في الإسلام أو تعطيه الولاء والطاعة؛ لأنه ﷺ سيطر علىٰ المدينة وسيطر علىٰ مكة وخيبر.

وبدأ يرسل إلىٰ اليمن، ويرسل إلىٰ كسرىٰ، وإلىٰ قيصر، فالنبي ﷺ يمتد امتدادًا وتتسع دولته.

وصار أصحاب القبائل: خزاعة، بكر، أسلم، ثقيف، أصحاب حاتم الطائي وغيره، يرسلون إلىٰ النبي ﷺ يدخلون في الإسلام أو يعاهدونه علىٰ أن يقروا له بالولاء والطاعة؛

ونبقىٰ علىٰ ديننا إلىٰ غير ذلك.

حاتم الطائي كان قد مات وصار عدي بن حاتم هو الرئيس علىٰ قومه وعنده أخته سوفانا وعنده زوجاته وبناته؛ فشعر عدي بن حاتم الطائي أن مجيء النبي ﷺ إليه أمسىٰ قريبًا، اليوم، غدًا، بعد غد.

فقال لراعي غنم عنده: أنت تذهب عادة لرعي الغنم يعني: تذهب جنوبًا وغربًا جهة المدينة.

قال الراعي: نعم.

قال عدي: فاسأل الرعاة الذين يأتون من هناك إذا كان هناك أي جيش قادم من المدينة، وتعال مباشرة وأخبرني. وأقبل عدي إلىٰ مجموعة من الإبل عنده ووضع عليها الرحل وجهز معها الزاد (علق التمر والماء) حتىٰ إذا جاء أي خبر يركب هذه الإبل ويهرب من فوره.

وجهز مجموعة من الإبل، ومضت الأيام، ثم أقبل إليه الراعي في يوم وقال له: يا عدي ما كنت صانعًا لو علمت أن محمدًا أرسل إليك جيشًا؟ قال عدي: أركب هذه الرواحل وأهرب.

فقال الراعي: فاصنع ذلك الآن؛ فإنه ممسيك أو مصبحك (بمعنىٰ: إما أن يأتي الليلة أو غدًا في الصباح).

بالمناسبة المسافة بين المدينة وحائل ٤٠٠ كم اليوم بالطريق المسفلت، يعني: في ذلك الزمان تقريبًا مسيرة أسبوع.

فأخذ عدي زوجته وركب الإبل ورحل مباشرة إلىٰ الشام؛ لأنه كان نصرانيًّا؛ لأن أهلها نصارىٰ وترك أخته سوفانا مع بعض محارمه، ووصل جيش المسلمين ولم يجد قائدًا يقاتل ويقود الجيش، فانتصر المسلمون وأخذوا النساء سبايا، ورجعوا بسوفانا وبعض النساء إلىٰ المدينة.

جاءوا بسوفانا والنساء ووضعهن في مكان معين، له جانبان من حرب ويحتاج الوضع إلىٰ ترتيب.

خرج النبي ﷺ من المسجد ماضيًا إلىٰ حاجة له، فقامت سوفانا بنت حاتم الطائي، وقالت: يا رسول الله، هلك الوالد وغاب الوافد وأنا ابنة حاتم الطائي، قد كان أبي يكرم الضيف وينصر المظلوم ويعين الضعيف فأحسن إليَّ.

فالتفت النبي ﷺ وقال: «هذه صفات مؤمن» فهو سيد الناس ويكرم الضيف ويعين الضعيف وينصر المظلوم هذه صفة مؤمن.

من أبوك؟ قالت: أنا ابنة حاتم الطائي، فتذكر النبي ﷺ قال: أنت تقولين: هلك الوالد وغاب الوافد.

الوالد عرفناه حاتم، الوافد من هو؟ قالت: عدي بن حاتم. قال: آه الفار من الله ورسوله، لم يقف ليحارب أو يسلم أو يأتي يتشاور معنا لكنه يفر إلىٰ النصارىٰ، يذهب يقوي هرقل علينا. طبعًا النبي ﷺ لم يقل هذا الكلام؛ ولكن هذا ما يدور في الذهن.

هو قال: «الفار من الله ورسوله» ثم سكت النبي ﷺ ومضىٰ وتركها، فلما خرج إلىٰ الصلاة التي بعدها، قيل: من غد. وقيل: الصلاة الأخرىٰ؛ قامت سوفانا إليه، وقالت: يا رسول الله، هلك الوالد وغاب الوافد وأبي كان سيد قومه كان يكرم الضيف وينصر المظلوم ويعين الضعيف.

فظن أنها امرأة أخرىٰ، قال: «من وافدك الذي غاب؟» قالت: عدي بن حاتم، قال: «هذه هي امرأة أمس»، امرأة جريئة.

إذن ما دام عندها مسألة فاشرحي مسألتي.

فقال رسول الله ﷺ: «الفار من الله ورسوله»، ذهب مرة ثانية.

فلما كان في اليوم الثالث، لم تقم. فكان وراء الرسول ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأشار لها أن قومي، فقامت وكان النبي ﷺ لا يسأل الشيء ثلاث مرات إلا أعطىٰ إياه، يخجل ﷺ ويستحي، إذا سأله مرة قال: لا يصلح، وفي المرة الثانية كذلك لا يصلح؛ فإذا سئله للمرة الثالثة يستحي ويقول: خذوه.

وعلي يعلم أن النبي ﷺ إذا طلب منه الشيء ثلاث مرات وافق، فأشار إليها أن

قومي الآن أدركي نفسك، فقامت وقالت: هلك الوالد وغاب الوافد.

قال: «من وافدك؟» قالت: عدي بن حاتم. قال: «قد أحسنا إليك، إذا رأيت قافلة ذاهبة إلىٰ ديار قومك فأخبرينا نبعثك معهم».

نستفيد من هذه القصة: أن المرأة إذا كان لها حاجة وطلبتها مرة ولم تأخذها، فلا ينبغي أن تقول: انتهىٰ الموضوع، إني أخجل أن أطلبها مرة ثانية؛ بل الواجب عليها أن يكون عندها جرأة في طلب ما تريده، وهذا نوع من الإصرار.

وهذه نقطة جيدة للإنسان عمومًا والمرأة خاصة. ما دام يوجد له طلب معين ويشعر أنه من حقه وليس فيها تعدٍّ علىٰ حقوق الآخرين ولا ظلم لهم.

والشخص الذي أمامك يستطيع أن يعطيك إياها، فلا يوجد مانع من الإصرار، لكن لا تصل إلىٰ عشرين مرة أو ثلاثين. فمثلاً: الاستئذان ثلاث مرات، فإن أذن له وإلا يرجع، ذلك أزكىٰ لكم.

بعد أيام قالت: يا رسول الله، هنا قافلة ثقاة من قومي سيذهبون إلىٰ بلادنا فجاء النبي ﷺ وأعطاها بعيرًا وأعطاها زادًا وأعطاها مالاً.

أحسن إليها بأنواع الإحسان المختلفة، وهي ما زالت بنت أعدائه حتىٰ الآن الذين فروا.

قال: «اذهبي إلىٰ قومك»، وهي من ذكائها لم تذهب مباشرة إلىٰ طيئ وجلست في ديار قومها في القصر.

لم تفعل ذلك بل كانت سببًا في إسلام أخيها في الشمال عند هرقل عند الروم؛ إذ ذهبت سوفانا إلىٰ جبال طيئ ولم تستقر هناك، اصطحبت معها عبدًا مملوكًا ومضت مباشرة إلىٰ الشام لتحضر أخاها.

ترون الهمة العالية التي عندها.

قالت: أخي هذا الذي ضيع ملكه وضيع الإسلام، وهذا النبي الصالح الذي

يحسن إلىٰ كل من يأتيه، كيف يغيب أخي عنه؟ مضت حتىٰ وصلت الشام وجعلت تسأل عن عدي بن حاتم، حتىٰ دلوها عليه.

يقولون: فأقبلت عليه فإذا هو جالس مع قوم وقد ضاق صدره؛ فهو ملك علىٰ قوم وقد ضيع ملكه وأخواته، وهو الآن في الشام في بيت.

فلما أقبلت إليه أخذ يعتذر منها وأخذت تسبه، تقول: كيف تضيع نساءك وتضيع إخوانك وتهرب مع امرأتين أو ثلاث وتترك نساءك وأخواتك؟

فقال: اعفي عني... إلخ.

فقالت: دعك من ذلك، وهي في الطريق راودها عن نفسها العبد المملوك الذي معها.

ترىٰ الخلوة يا أخي كيف تصنع بالإنسان حتىٰ لو كان عبدًا مملوكًا؟ راودها عن نفسها؛ فتورطت فهم في البر وحدهم، ثم سيسافرون من طيئ حتىٰ يصلوا إلىٰ دمشق -يعني: مسافة لا تقل عن ٧٠٠ كم، ٨٠٠ كم أو قد تزيد عن ذلك، فربما يستغرق أكثر من شهر تقريبًا في هذا السفر.

فلما راودها العبد المملوك الذي معها عن نفسها أخذت تقول له: سيحصل في وقت آخر وهكذا تتهرب منه، فهي تحاول أن تتخلص من الموقف حتىٰ وصلت إلىٰ هناك فسلمته إلىٰ أخيها، وخبرته بما جرىٰ.

فقتله عدي بن حاتم، وكان القتل عندهم مع الأسف منتشرًا في أيام الجاهلية أو عند الجاهلين الذين لم يسلموا.

الشاهد: قالت له: يا عدي، أين ذهب بك عقلك؟ هذا الرجل والله كل من جاءه تراه يحسن إليه، وجعلت تقنعه اقتنع، وجاءت به حتىٰ أوصلته إلىٰ طيئ وقالت: اذهب الآن إلىٰ المدينة أدرك نفسك وادخل الإسلام.

ترىٰ يا أخي قوتها وجرأتها وثباتها، مضىٰ عدي حتىٰ وصل إلىٰ المدينة، طبعًا هو دخوله إلىٰ المدينة كان غريبًا؛ لأن الناس يعرفون عدي بن حاتم ويسمعون عن أبيه،

فلما دخل، جعل الناس يقولون: عدي بن حاتم، عدي بن حاتم.

دخل علىٰ النبي ﷺ وأقبل إليه ثم مد يده، فقام ﷺ صافحه وقال ﷺ «من؟» قال: عدي بن حاتم، قال ﷺ «الفار من الله ورسوله» فسكت.

والنبي ﷺ من إكرامه له قام من مجلسه معه إلىٰ بيته مبالغة في إكرامه، إذ كان من عادته أنه إذا جاءه أحد يقول: يا أبا بكر، قم معه. يا عمر، قم معه. أما مع حاتم فلا أفعل بل أنا أقوم معك يا عدي.

في أثناء الطريق حدثت ثلاثة مواقف أسوقها لكم سريعًا:

طبعًا، عدي الآن يمشي مع النبي ﷺ وهو يرىٰ أن الرأسين متساويان:

أنا ملك علىٰ قومي وهو ملك علىٰ قومه.

أنا علىٰ دين سماوي النصرانية وهو علىٰ دين سماوي الإسلام.

أنا عندي كتاب مقدس الإنجيل، وهو عنده كتاب مقدس القرآن.

ما بيننا فرق. في أثناء الطريق حدثت ثلاثة مواقف:

الأول: أقبلت امرأة، قالت: يا رسول الله، اسأل الله لي إليك حاجة، فأقبل يستمع إليها وهي امرأة ضعيفة.

أخذ عدي ينظر، فقال: ما هذه والله بأخلاق الملوك، هذه أخلاق أنبياء، الذي يقف مع امرأة ضعيفة ويستمع ليس بملك، لو أنه ملك من الملوك لقال: يا وزيري انظر في أمرها ويمشي.

الثاني: بعد قليل أقبل رجل وقال: يا رسول الله، الفقر أتعبنا والجوع... إلخ، طبعًا صعُب علىٰ عدي بن حاتم أن يسمع هذا الكلام، النبي ﷺ يريد أن يدخله في الإسلام وهو يسمع أن المسلمين فقراء.

فقال النبي ﷺ للرجل كلمتين وجعله ينصرف ..

جاء رجل آخر: يا رسول الله، أشكو إليك عدم الأمن في الطرق وكلما ذهبنا يمينًا

أو يسارًا حاربنا الكفار، إنا لله! ما الذي جاء به أيضًا أمام عدي. فقال له النبي ﷺ كلمتين ومشاه.

دخلا إلىٰ البيت وجلسا فقال ﷺ: «يا عدي ما يضرك أن تقول لا إله إلا الله؟!» قال عدي: إني علىٰ ديني. قال ﷺ: «أنا أعلم أنه ما يمنعك من الدخول في الإسلام إلا خصاصة تجدها في قومي، إن قومي فقراء مساكين، بدليل الرجل الذي جاء قبل قليل، وأنك ترىٰ الناس مجتمعين علي وعلىٰ قومي.

يا عدي، هل أتيت الحيرة (مدينة بالعراق)؟» قال: ما أتيتها لكني أعرف موضعها، قال ﷺ: «يا عدي لئن طالت بك حياة لترين الظعينة (المرأة) تخرج علىٰ بعيرها من الحيرة حتىٰ تأتي إلىٰ الكعبة وتطوف لا تخاف إلا الله».

طبعًا، هي إذا خرجت من الحيرة حتىٰ تصل إلىٰ الكعبة فمعنا ذلك أنها ستمر بقوم عدي (قوم حاتم) يقول عدي: فقلت في نفسي عجبًا: فأين عنها دعار طيئ (سراق طيئ) الذين سعروا البلاد؟ أيمكن أن يتركها قومي تمر من غير أن يأخذوا منها شيئًا (من غير جمركة).

ثم قال ﷺ: «وليفيضن المال حتىٰ يهم الرجلَ من يأخذ صدقته»، يخرج الواحد الزكاة ويقول: يا جماعة بالله ابحثوا لي عن فقير أعطيه الصدقة، فيقولون: لا يوجد فقراء.

ثم قال: «ولتفتحن كنوز كسرىٰ بن هرمز»، ثم قال: «يا عدي ما يضرك أن تقول: لا إله إلا الله؟».

قال عدي: إني علىٰ ديني، قال ﷺ: «أنا أعلم بدينك منك، ألست ركوسيًّا» (الركوسية ديانة محددة في النصرانية) ما قال: ألست نصرانيًّا، بل عرفه مذهبه.

مثلما يقول لك: ألست حنبليًّا أو شافعيًّا؟ لا يقول لك: ألست مسلمًا. فتقول: يا أخي من أدراه أني حنبلي أو شافعي وتستغرب منه.

قال: بلىٰ، قال: فإنك إذا غزوت مع قومك تأخذ المرباع (المرباع أن يأخذ الرئيس ربع الغنيمة) قال: نعم.

قال: فإن هذا حرام في دينك؟ بدأ يفتيه علىٰ مذهبه، قال عدي: والله حرام في ديني، قال ﷺ: نقول متمسك بدينك، وأنت تضيع دينك أصلاً.

يا عدي: ما يضرك أن تقول: لا إله إلا الله، أوَ تعلم مِن إله أعظم من الله؟! قال: فإني حنيف مسلم أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

ودخل عدي في الإسلام ودخل قومه بعده في الإسلام.

طبعًا، عدي يحدث بهذا الحديث بعد سنين يقول: والله لقد كنت فيمن فتح كنوز كسرىٰ بن هرمز مثلما أخبرني ﷺ، ورأيت الظعينة تخرج ما تخاف من قطاع طريق لقوة الإسلام، وليأتين الثالث كما أخبرني النبي ﷺ ترىٰ ثقته في النصر، طبعًا هو أسلم علىٰ يد سوفانا أخته.

شيخ، نحن استنتجنا حسن التعامل مع الأسيرات، وبعد الحادثة رجعت لأخيها لكي تهديه للإسلام.

أنا أظن أن سبب تأثرها بالإسلام ودعوتها لأخيها هو تعامل النبي ﷺ معها، بالله انظر اليوم إلىٰ أسيرات المسلمين في فلسطين في العراق ربما في أفغانستان، في عدد من البلدان.

انظر كيف يتعامل معهن سواء الأسيرات المسلمات أو غير المسلمات، ثم انظر كيف تعامل النبي ﷺ مع هذه الأسيرة بهذا الأسلوب الرائع.

أول شيء جرأتها العجيبة والآخر حسن تعامل الرسول ﷺ مع عدي بن حاتم ومع أخته، لو حصل هذا مع أحد من الزعماء أو الملوك وجاء إليه هذا الذي فعل مثلما فعل عدي بن حاتم إليه عند عرشه، لانقض عليه العسكر، ولوضع في السجن، ولما قام معه وأحسن إليه.

هذا أيضًا مهم؛ إذ النبي ﷺ ليس قصده تثبيت ملكه وقوته علىٰ الآخرين، بل

قصده هداية الناس إلىٰ الخير، فكأنه يقول: يا عدي، ولو فررت مني وكنت تقول: كذاب وكاهن وساحر. فأنسىٰ الماضي مثلما قال النبي ﷺ لقريش -الذين قالوا فيه: كذاب وساحر وكاهن- عندما تمكن منهم في فتح مكة قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء». وجاءوا مسلمين بعد.

يا أخي، من أعظم صفاته ﷺ: أنه لم يكن ينتقم لنفسه، لم يكن يجعل المسألة حظ نفسه؛ لكن أهم شيء حظ هذا الدين ونصرته.

النبي ﷺ جاءه عدي وهو في ملكه وفي عرشه ويستطيع أن يقول: خذوه فغلوه، اقطعوا رأسه مكانه، لكن ما كان ذلك قصده، بل قصده أن تهتدي؛ لذا قام معه. انظر إلىٰ إكرامه ﷺ لعدي.

درس آخر نتعلمه: وهو أن هذا رجل رئيس في قومه يستحق الإكرام، ينبغي أن يكون له نوع معين من التعامل، لكن لو أن النبي ﷺ صافحه بطرف يده، من عدي بن حاتم؟ يا أبا بكر بالله قم معه، ما كان ليتقبل، ولكن عندما يقوم النبي ﷺ ويحتفي به، فالأمر يختلف.

يا أخي، يبقىٰ أن هؤلاء بشر؛ ولذلك ينبغي أن نكون مثلما قال النبي ﷺ: أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم.

أي: ينبغي أن يعطىٰ كل إنسان قدره في التعامل وفي الأخذ والرد.

أيضًا يا شيخ، قالت سوفانا لأخيها: اذهب وانجُ، فكانت واثقة بنصر الله ﷻ وواثقة أن الله ﷻ لن يخيب ظنها، دلها علىٰ ذلك كرم النبي ﷺ، وأيضًا إلىٰ ثقة عدي رضي الله عنه بأن الله سينصر هذا الدين.

الآن يوجد بعض المسلمين وهم يرون واقع المسلمين اليوم وهو واقع ربما يكون فيه آهات عليهم ونحو ذلك، فيتعجب أحيانًا بعض المسلمين من سماع أن هذا الدين سينتصر، وأن الله ﷻ ناصر دينه، وأن النبي ﷺ ذكر أن هذا الدين منصور وأنه لن يكون بيت وبر ولا مدر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عز يعز الله به

الإسلام، وذلاً يذل الله به الشرك، وتقول له: يقول الله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [التوبة:٣٣] فالدين ظاهر، الدين منتصر.

ويبدأ بعض الناس يقول لك وينظر يمينًا ويسارًا: كيف ينتصر يا أخي والمسلمون يفعل بهم كذا في المكان الفلاني ويقع عليهم كذا في المكان الآخر، ويحصل لهم كذا... إلخ.

يقيس الأمور بالقدرات البشرية الموجودة عنده، وينسىٰ أننا إنما ننتصر بقوة الله وليس بقوتنا نحن.

عدي بن حاتم وهو كافر يسمع النبي ﷺ يقول له: الدين سينتصر ويصدق نعم سينتصر، ولما يحدث بعد سنين بهذا الحديث يقول: أما التي أخبرني النبي ﷺ أن الظعينة ستخرج فرأيتها قد خرجت، وأن كسرىٰ ستفتح بلاده فأنا كنت فيمن فتحها.

ثم قال: والله لتأتين الثالثة.

أنا أقول: ينبغي علينا ونحن نخدم هذا الدين اليوم رجالاً ونساءً جميعًا، أن نستشعر أننا نخدم دينًا منصورًا مثلما قال ابن القيم:

وَالْحَقُّ مَنْصُورٌ وَمُمْتَحَنٌ فَلا   تَعْجَبْ فَهَذِي سُنَّةُ الرَّحْمَنِ

الدين قد يمر به أحيانًا أوقات ضعف؛ لكنه لا يموت؛ لأنه دين الله تعالىٰ هو الذي أنزله، ما اخترعناه نحن.

أما الشيوعية التي اخترعها الناس وقاتلوا عليها وعملوا من أجلها، فماتت بعد ٧٣ سنة.

الدين البوذي لما كان من اختراع الناس فهو يموت.

طرق كثيرة من الطرق الفاسدة تموت؛ لكن هذا الدين الذي أنزله رب العالمين وهو الذي تكفل بحفظه باقٍ، والشرف لمن يعمل شيئًا لأجل نصرته، هذا هو الذي

نريده.

لذلك أنا أقول: لو لم نستفد من هذا وخاصة أخواتنا إلا أن تحرص علىٰ أن يكون لنا تأثير في خدمة هذا الدين، وأن تكون جريئة في المطالبة بما لها وفي عرض أفكارها، وأن تكون جريئة في دعوة غيرها.

سوفانا لم تذهب وتجلس في بيتها، بل ذهبت إلىٰ الشام وأحضرت أخاها ووجهته إلىٰ النبيﷺ.

امرأة ذكية وعاقلة وكريمة.

الأمر الثالث أيضًا: هو حسن العبارة فيما يريد الإنسان، فهي عندما أرادت أن تتكلم مع النبيﷺ ما قامت وقالت: يا محمد أنا أسيرة ومسكينة، لا.

بل انظر كيف جاء الكلام مرتبًا، هلك الوالد وغاب الوافد، كان أبي يكرم الضيف وينصر المظلوم ويكسب المعدوم ويعين الضعيف، وكان أبي سيدًا في قومه فأحسن إليّ.

ترىٰ هذه المقدمة الطويلة كلها حتىٰ تقول: أحسن إلي؛ حتىٰ تحرجه، فالنبيﷺ لما رأىٰ أن المرأة أبوها بهذا الحال، وهي امرأة طيبة وأهلها طيبون، قال بلسان الحال: ما نملك إلا أن نقول: نعم.

كذلك لو أن المرأة أرادت شيئًا من زوجها أو من أخيها... فما أجمل أن تقدم لأجل ذلك مقدمة رصيد عطف تمكنها أن تطلب بعد ذلك ما تريد، ويستجاب لها.

۞ ۞ ۞

امرأة ذات تأثير

الناس يتفرعون إلىٰ أنواع في حياتهم:

بعض الناس عنده نوع من البروز وله تأثير تجد مثلاً مُدرسة لها تأثير في المَدْرسة، طبيبة لها تأثير في مستشفاها، امرأة لها تأثير أيضًا في المسجد الذي بجانبها

مع أنها لا تصلي فيه، وكلما كانت قدرات الإنسان أكثر ومطورًا لنفسه أكثر استطاع أن يكون أكثر تأثيرًا في هذه الأمة.

أنا أعطيكم مثالاً: جاءت أسماء بنت يزيد بن السكن إلىٰ النبي عليه الصلاة والسلام، قالت: يا رسول الله غلبنا عليك الرجال، نحن نريد أن نتعلم، ودائمًا الرجال هم الذين يتزاحمون عليك، فاجعل لنا يومًا. اجعل للنساء يومًا. فقال ﷺ: «لكم يوم الاثنين». فجعل للنساء درسًا في كل يوم اثنين.

انظر حرصها علىٰ أن تطور نفسها، جعلها تأتي وتقول: أنا لا بد أن أطور نفسي لا بد أن أتعلم ديني يا رسول الله، كيف أستطيع التعلم وأنا كلما جئت فإذا حولك عشرة أو عشرون رجلاً لا أستطيع أن أزاحمهم.

لا بد أن توجد لي حلاً يا رسول الله دبرنا. فجعل لهن النبي عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين.

عائشة كانت من أكثر الناس استفادة من النبي ﷺ لذلك تزوجت النبي عليه الصلاة والسلام وهي امرأة عادية تزوجت وقد تربت في بيت أبي بكر، لكن انظر عندما استفادت من النبي عليه الصلاة والسلام وطورت نفسها كثرت الأسئلة: يا رسول الله أكل ما يكتمه الناس يعلمه الله؟ يا رسول الله، هل يوجد عذاب قبر أم لا؟ عندما جاءت إليها امرأة يهودية وسألتها اليهودية أن الناس يعذبون في قبورهم أو ينعمون؟ فسألت عائشة النبي عليه الصلاة والسلام.

طورت ذهنها إلىٰ درجة أن عبد الله بن الزبير أو عروة يقول: كنا إذا اختلفنا في شيء في المدينة لا نجد لنا مخرجًا إلا عائشة. نأتي إليها نسألها في المواريث، نسألها في كل شيء.

بل قال لها عبد الله بن الزبير: يا أم المؤمنين لا أعجب أن يكون عندك علم في الحديث وعلم في التفسير وعلم في الفقه؛ لكنني أعجب أن عندك علم في الطب، فكيف لك؟

قالت: لما مرض النبي ﷺ كان الأطباء يأتون إليه فكانوا يعرضون عليه طبهم، كل واحد يأتي لرسول الله ويقول: يا رسول الله هل تشعر بحرارة مثلاً في جسدك؟ يقول: نعم، يقول: إذًا لعلك مصاب بكذا وكذا، إذًا الدواء كذا وكذا.

يأتي الثاني: يا رسول الله عندك صداع؟ فإذا قال: نعم، قال: إذًا الدواء كذا وكذا.

يأتي الثالث: تشعر بثقل في قدميك؟ يقول: نعم. فيقول: إذًا الدواء كذا وكذا.

فعائشة كانت تفهم وتتلقن بسرعة وتحفظ وحريصة علىٰ أن تستوعب هذا كله؛ حتىٰ صار لها مثل هذا التأثير في الأمة.

المقصود: أنهم يحرصون علىٰ أن يطوروا من ذواتهم.

أي إنسان لا يطور نفسه فسيعيش في آخر الركب ولن يلتفت إليه أحد، كذلك أنا أقول لكل أخت الآن تشاهدنا وتتابعنا: احرصي علىٰ أن تطوري نفسكِ لا يكون يومك مثل أمسك.

يقول الوزير ابن هبيرة: من كان يومه مثل أمسه فقد عق يومه، وظلم نفسه.

الذي يمر عليه يوم واليوم الثاني والثالث والرابع وهو ما تطور في أي شيء فهذا ظالم لنفسه ومضيع لوقته؛ لكن ينبغي علىٰ الإنسان إذا أراد أن يكون له تأثير أن يعرف كيف يدرس المسائل ويتعلمها.

أذكر تجربة قرأتها في بعض الكتب تتكلم عن تطوير الذات، ذكروا أن رجلاً أراد أن يكتشف اكتشافًا يتعلق بالضفدع، فالناس كل واحد يطلع علينا باكتشاف جاذبية، اكتشاف كذا، فهذا الرجل كان يريد أن يكتشف اكتشافًا يتعلق بالضفدع، يقولون: فجاء بضفدع، وقال: له اقفز فقفز، فجاء وقطع يده هذه -مثال- وقال له: اقفز فقفز.

فجاء وقطع إحدىٰ رجليه، قال: اقفز، فما بقيٰ إلا يد ورجل؛ لكن استطاع أن يقفز قفزة سريعة.

فجاء وقطع الرجل الباقية عنده، وقال: اقفز ما بقيٰ إلا يد ومع ذلك اتكأ علىٰ اليد

وقفز.

فجاء وقطع الرجل الأخيرة -أي: القوائم كلها راحت- فقال له: اقفز فما قفز.

تدرون ما الاكتشاف الذي كتبه؟

إن الضفدع إذا قطعت يداه ورجلاه يفقد السمع، هو ما فقد السمع لكن ما عاد يقدر أن يقفز بعد أن قطعت يداه ورجلاه.

الأخوات اللاتي يردن أن يطورن أنفسهن، لا بد أن تعرف كل واحدة الطريقة التي ستطور بها نفسها، ليست القضية هكذا خبط عشواء؛ لكن بالإجماع أنك إذا سلكت الطريق الصحيح تصل، أما إذا سلكت الطريق الخطأ فلا يمكن أن تصل مهما بلغت بالعلم أو الفضل أو نحو ذلك.

وحتىٰ يكون كلامنا عمليًا أريدكم يا شباب أن تعصفوا بأذهانكم قليلاً: هَبْ الآن أن بعض الأخوات أو الإخوة من المشاهدات والمشاهدين قال: فعلاً أنا لا بد أن أطور ذاتي؛ لأجل أن يكون لي تأثير في مجتمعي ولا يكون حضوري كغيابي مثلما قالوا:

ويُقضى الأمر حين يغيب تيمٌ ولا يستأمرون وهم شهودُ

أنا ما أحد يعرفني ولا تأثير ولا شيء، كيف تستطيع المرأة يا جماعة أن تطور من ذاتها؟

أعتقد يا شيخ، بثقة المرأة بنفسها.

جميل:أن يكونَ عندها ثقة بنفسها، أنها تستطيع أن تؤثر في المجتمع، المشكلة أن بعض النساء وبعض الرجال تجد عندهم نظرة دونية لأنفسهم.

وما دام كلامنا عن النساء فلنجعل الأمثلة عن النساء، تنظر إلىٰ فلانة عندها أسلوب جميل في المجلس فتقول: لماذا لا أكون مثلها؟

ثم تقول في نفسها:أصلاً أنا لا أستطيع. أنا عاجزة فاشلة؛ ما عندها ثقة بنفسها

أبدًا نفسها محبطة.

أو رأت فلانة لها تأثير عندها عشرون عائلة فقيرة هي التي تجمع لهم صدقات فتقول: يا ليتني أكون مثلها.

ثم تقول في نفسها: لكن أنا لا أقدر أنا لا أستطيع أنا أصلاً ضعيفة ومسكينة.

ثم تنظر إلىٰ فلانة الثالثة حافظة القرآن فتقول: ما شاء الله يا ليتني مثلها، ثم تقول: لكن أنا أصلاً لا أقدر أن أحفظه، وأنا غبية وهي ذكية.

فإذا لم يكن عندها ثقة بنفسها فلن ترىٰ أنه يمكن لها أن يصبح لها أي نوع من التأثير؛ لذلك انظر كيف كان النبيﷺ يزرع الثقة في الصحابيات في زوجاته فصار لهن تأثير:

مثلاً: أم سلمة لما كان النبيﷺ في الحديبية وكتب الصلح بينه وبين المشركين علىٰ أن يرجع من غير عمرة فرجع إلىٰ الصحابة وهم مُحرِمون وجاءوا لأجل العمرة وقال: احلقوا رءوسكم واذبحوا هديكم.

قالوا: يا رسول الله، ما اعتمرنا.

قال: تعتمرون السنة القادمة، احلقوا رءوسكم واذبحوا هديكم. فتثاقلوا ولم ينفذوا الأمر؛ رجاء أن يغير رأيه، ويقول: هيا اعتمروا.

فدخل علىٰ أم سلمة.. فما جلست أم سلمة هكذا ما تتكلم حتىٰ تُسأل ولا تنطق حتىٰ تستأذن، لا. أم سلمة امرأة جريئة وعندها ثقة بالنفس فقالت: يا رسول الله، لماذا أنت متضايق؟ والنبي ﷺ كان يحب الذي عنده ثقة بنفسه ما قال: ما دخلك أنت؟ أنت أيش دخلك؟ احمدي ربك أننا جئنا بك أصلاً، لا بل قال: «يا أم سلمة، أمرتهم أن يذبحوا هديهم ويحلقوا رءوسهم ولم ينفذوا».

قالت: يا رسول الله، أنا عندي رأي -واثقة بنفسها- تعرض رأيها فإن قبله فالحمد لله وإن لم يقبله فلا توجد مشكلة أجرب رأيي ثانية وثالثة ورابعة، ترىٰ الثقة بالنفس.

قال: «ما هو؟»، قالت: اخرج أنت إليهم الآن ولا تقل أي كلمة ولا تكلم أحدًا، وادعُ حالقك وقل له: احلق رأسي، واذبح هديك، فإذا فعلت ذلك نفذوا هم.

فخرج النبي ﷺ برأي أم المؤمنين، خرج وأم سلمة أصغر منه ﷺ ورضي الله عنها بسنين وهي أم المؤمنين من عدة نساء عنده، خرج عليه الصلاة والسلام حتىٰ وصل إلىٰ هديه ونحر الهدي وحلق الرأس ففعل الصحابة ذلك.

أول شيء يكون عندها ثقة بنفسها، وتدع عنها كلمة (لا أقدر، لا أستطيع، لا أفهم) فهذه الكلمات كلها اجمعيها وألقيها في البحر.

هذه الكلمات والكلمات التي تؤدي إلىٰ الإحباط هي التي تقتل الناس.

أنا من وجهة نظري أن الإنسان يجب أن تكون همته عالية خاصة النساء فهن يحتجن ذلك أكثر من الرجال؛ لأن طابعَ النساء أن الحياءَ يغلب عليهن. فمثلما قال المثل:

ومــن يتهيــب صــعود الجبــال يعــش أبــد الــدهر بــين الحفــر

فيجب علىٰ الإنسان أن يرسم لحياته أهدافًا؛ فتطور الذات يلزمه أن يضع له هدفًا معينًا.

لو افترضنا أنه في هذا العام (١٤٢٩) أعرف أني يجب أن أحقق هدفًا، فبهذه الطريقة أعمل تقييمًا كل ستة شهور لشخصيتي أو للإنتاج الذي حققته.

وأنا أتوقع أن الإنسان بهذه الطريقة يمكن أن يطور ذاته وينجح ويصل للهدف المنشود.

هذا أيضًا مهم جدًا للمرأة والرجل عمومًا، لكن ما دمنا نتكلم عن النساء فنقول: يجب أن يكون عندها مشروع معين وبرنامج معين في حياتها تمشي عليه، إذا وضعتا لها برنامج ومشروع أفلحت.

أذكر أن امرأة عمرها ستون سنة جاءت إلىٰ إحدىٰ دور التحفيظ النسائية التي

تعمل العصر، قالت: أنا أريد أن أحفظ القرآن، قالوا: يا أمي أنت ستون سنة والدار مفتوحة لبنات (١٨،٢٠) قالت: لا. حفظوني.

قالوا: تفضلي، قالوا في أنفسهم: ستداوم أسبوعًا.. اسبوعين وتبدأ العجوز تتعب.

فجاءت ودخلت إلىٰ أحد الفصول، أعطتها المعلمة المصحف؛ تريد أن تمتحن قراءتها فأمسكت المصحف بالمقلوب. قالت: يا أمي لا المصحف يمسك هكذا.

قالت: والله يا بنتي ما أدري لأني لا أعرف أن أقرأ ولا أكتب، كيف نحفظك القرآن وأنتي لا تقرئين ولا تكتبين قالت: دبروا نفسكم.

قالت: أنت عمرك ستون سنة نعلمك الآن القراءة والكتابة.

قالت: والله دبروا حالكم؛ فأدخلوها قسم محو الأمية ودرست سنة كاملة كيفية القراءة، ثم دخلت وعمرها إحدىٰ وستون سنة، انظر الإصرار والكفاح، دخلت وعمرها إحدىٰ وستون سنة إلىٰ قسم حفظ القرآن، وحفظت بعد أربع سنوات القرآن كاملاً، همه تخرجت وعمرها خمس وستون سنة، هذه واقعة في إحدىٰ مدارس الرياض.

قدرة المرأة علىٰ أن يكون عندها مشروع مثلما ذكرت شيء مهم، تقول: أنا مشروعي للسنة القادمة مثلاً حفظ ثلاثة أجزاء من القرآن.

مثلاً: تَحفظ القرآن لثلاث أو أربع شغالات أو ثلاث أو أربع ممرضات من المسلمات الجدد أو كبيرات السن.

أهم شيء أن يكون عندي مشروع معين أشعر أنني خلال هذه السنة انتهيت منه.

إذا تحقق مثل هذا المشروع استطاعت المرأة فعلاً أن تشعر أنها فعلت شيئًا.

والحمد لله عندي معطيات عندي منتجات، فلا بد من حرص المرأة علىٰ تطوير ذاتها ولابد أن يكون لها مشروع معين أو خطة معينة في حياتها تحاول أن تسير عليها.

أقول: إن الأهداف التي توضع لمرحلة معينة النتائج المحققة منها تكون أكبر دافع لاجتياز المرحلة التي بعدها.

وتوجد نقطة معينة أحب أن أعقب عليها وهي: أن بعض النساء لا توجد عندهن جرأة علىٰ السؤال فإذا كانت لا تقول: أسكت؛ خشية أن يقولوا: جاهلة أو مزعجة بأسئلتها.

ولا يوجد حرج من التعلم فلا بد أن يسأل ليعرف الأمر، ولا بد أن يكون عندها جرأة في المجتمع. فمثلاً بعض النساء يحرمن من كثير من حقوقهن؛ لأنهن ليس عندهن جرأة كي يطالبن بحقهن، ويدافعن عن أنفسهن في العمل.

يوجد نساء جائرات نوعًا ما وجريئات تجهد لئلا تهضم حقوق النساء، والساكتات اللاتي يقلن: والله نستحي.

أنت ذكرت نقطة مهمة الحقيقة وهي مسألة الجرأة في المشاركة في المجتمع بأي شيء، فينبغي علىٰ المرأة ألا يقتلها الخجل؛ لدرجة أنه يكون حصنًا حولها لا يمكنها من فعل شيء.

أنا أتذكر ما رواه البخاري لما ذكروا أن النبي عليه الصلاة والسلام كان في الحج فوقف عليه الصلاة والسلام في عرفة وكان راكبًا علىٰ بعيره.

وفي أثناء ركوبه علىٰ البعير رفع النبي ﷺ يديه يدعو، فاختلف الناس؛ لأنه أطال الدعاء، هل هو صائم، أو ليس بصائم.

والذي حل الموضوع امرأة مؤمنة وهي أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب.، قالت: يا جماعة أنا أدبر لكم الموضوع.

قالت: تعال يا ولدي، فجاء، فقالت: خذ هذا اللبن اذهب به إلىٰ النبي ﷺ وهو علىٰ بعيره وناوله إياه، نعرف أهو صائم أم غير صائم؟

انظر إلىٰ فعلها. مع النبي ﷺ آلاف الناس ولم يحل واحد منهم المشكلة إلا هذه

المرأة، ولو أنها قالت: أنا أيش دخلي ما دام الرجال موجودين، لربما تعلقت المشكلة.

فذهب به ابنها إلىٰ النبي ﷺ فرفعه إليه وهو علىٰ بعيره فتناوله النبي ﷺ وشرب.

فقال الناس: إذًا هو ليس صائمًا كلوا واشربوا.

فقدرتها في الحقيقة علىٰ أن تكون جريئة في اتخاذ قرارتها في إبداء رأيها، وجرأتها في الدفاع عن حقوقها أيضًا شيء مهم.

لا يتكلون علىٰ أن غيرهن يحل المشكلة، غيري يمكن أن يحمل همّ الدعوة إلىٰ الله يوجد دعاة، أنا ليس عندي علم ولا عندي منشورات، إذن اطلبي علمًا خذي منشورات، ادعي مثلك مثلاً غيرك.

الحقيقة: أن النساء لو فعلن مثل ذلك أعني مثلما ذكرنا المدرسات الطالبات الأمهات في البيوت إلىٰ غير ذلك لو صار عندهن مثل هذه القدرة حقيقة وهذه الجرأة لانطلق الإنسان في أشياء كثيرة.

الحقيقة عندي شيئان:

الشيء الأول: من خلال قضيتين ذكرتهما يا شيخ، الأولىٰ هي أن تبدي رأيها بشكل ملائم للواقع.

الشيء الثاني: وهو الأهداف والمشروع والخطة والهمة والشهر والشهران والسنة، أن يكون أمامها شيء واضح.

هذا مثال لرجل ولكن ما يمنع أن يكون لامرأة، كان هناك تحد لطالب في السنة الأخيرة فوجد درجاته ضئيلة جدًا في مادة، فقال: أنا سآخذ شهادة أخرىٰ، وبعد فترة فعلاً أخذ شهادة أخرىٰ غير تخصصه وصار طالب علم في البخاري ومسلم والقرآن وابن ماجه وأصبح علمه ما شاء الله بسبب كلمة واحدة وهي: أنا أقدر أن أفعل أفضل من ذلك.

نحن نبهنا إلىٰ هذا أن لا يوجد شيء يقتل الهمة مثل مسألة: لا أقدر.. لا أستطيع .. أنا مسكين، أنا لست في ذكاء فلان ولا في قوة فلان ...

السؤال يا دكتور.. بعض النساء ما يسألن ويكن جاهلات بأشياء كثيرة، حتىٰ لو سألت إحداهن وأخذت وأعطت في السؤال لا يكون عندها إصرار وعزيمة في الشيء نفسه الذي تسأل فيه.

هذا أمر مهم جدًا أحيانًا يغلبها الخجل تكون جاهلة في عدة أشياء ولا تسأل.

مثلاً: تجدها راكبة مع زوجها في السيارة ودخلا في نفق فينطفئ الهاتف معها فلا يتصل، فتخجل أن تقول له: لماذا لا يوجد بث؟

هي لم تسأل لأنها تخشىٰ أن يقول لها زوجها: أنت لا تدرين، هذا واضح لأن الذبذبات تتوقف؛ لأنك تحت وهذا كل الناس يفهمونه، إلىٰ آخره.

اجعليه يضحك عليك مرة مرتين، أفضل من أن تبقي جاهلة، ولذلك قيل لابن عباس رضي الله عنهما: كيف حصلت العلم؟ قال: بلسان سؤول وقلب عقول وبكور كبكور الغراب.

اطلع الفجر للدروس وأستفيد مما يلقىٰ علي سواء من عهد الصحابة رضي الله عنهم أو من عهد النبي عليه الصلاة والسلام.

أنا أدعو جميع الأخوات حقيقة إلىٰ أن يسألن عن أي شيء لا يعرفنه سواء في دينها أو في دنياها، حتىٰ لو جاءت وأكلت عند واحدة من زميلاتها طعامًا لا تخجل أن تقول لها: كيف عملت هذا الطعام، كونك تشعرين بالإحراج الآن وتستحين أن يضحكن منك ويقلن: ما تعرفين أن تطبخي الأرز أو كذا سيسبب لك مشاكل. لكن اجعليهن يضحكن عليك قليلاً أفضل من أن تبقي جاهلة بالموضوع.

يا جماعة، لا بد أن نتنبه إلىٰ أنه ما قتل العلم التطور مثل خجل الإنسان من السؤال عما يجهله.

أي شيء لا تعرفه اسأل عنه، حتىٰ يكون عندك علم به.

وهذه نقطة مهمة، وأيضًا من يوجه إليه السؤال، إذ بعض الآباء عفوًا أو بعض الأزواج أو بعض المشايخ وربما طلبة العلم، إذا سأله سائل سواء امرأة أو رجل سؤالاً عاديًّا يسخر به ويهزأ منه.

أنا ذات مرة اتصل بي سائل يقول: يا شيخ أنا صائم اليوم في رمضان وأمسكت نفسي لم أتبول حتىٰ قبل أذان المغرب بنصف ساعة واضطررت أن أذهب وأتبول فهل أقضي مع الإطعام أم أقضي فقط؟

قلت: ها. يظن أن التبول ينقض الصيام مثل الأكل والشرب. جهل طبعًا؛ لكني لم أضحك عليه؛ بل شجعته قلت له: ما شاء الله عليك جزاك الله خيرًا، سؤالك جيد والله يوفقك وطَيب أن تسأل علىٰ الأشياء التي لا تعرفها وكذا؛ لكن يا أخي هذا لا ينقض الصيام وصيامك صحيح، واحرص علىٰ أن تقرأ كتابًا عن أحكام الصيام حتىٰ تستفيد أكثر.

ولو أني قلت له: لا حول ولا قوة إلا بالله يا أخي كم عمرك، قال: عمري (٢٥) سنة.

متىٰ أسلمت؟

يا شيخ، أنا مسلم مولود مسلمًا.

أنا يا شيخ عندكم في السعودية أنا في الرياض.

أيش شهادتك؟

أنا والله معي ثانوية، معاك ثانوية وتجهل هذه المسألة! فلا بد للذي يُسأل أيضًا ألا يحتقر من يسأله حتىٰ تشجعه علىٰ أن يسأل.

الخلاصة: أن الإنسان لم يخلق عالمًا، حتىٰ العلماء لم يصلوا إلىٰ هذه الدرجة وهذه المرحلة إلا بالسؤال وبالكفاح والدراية والدراسة.

مثلما قيل:

تعلم فليس المرء يولد عالمًا ... وليس أخو علم كمن هو جاهل

دعوني أقف معكم وقفة علىٰ بعض الأمهات اللاتي طورن أنفسهن ثم كان لهذا التطور تأثير واضح فيمن جاء من بعدهن.

أم أحمد بن حنبل لم تكن طالبة علم لكنها كانت متميزة في فهمها وعقلها وإدراكها، وكانت تحرص علىٰ أن يكون ولدها عالمًا فكانت تقول له: يا بني -لأنه كان فقيرًا ونشأ يتيمًا- اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي، فلا تحتاج أن تشتغل يا ولدي، أنا أغزل وأبيع وأنت تطلب العلم.

يقول: فانصرفت في طلب العلم حتىٰ أستأذنها في السفر من العراق إلىٰ بلد آخر ليطلب العلم، فرجع إليها بعد أشهر.

فلما جاء قالت: يا ولدي قد عرفت من أصحابك من يحسدك ومن لا يحسدك.

قال: كيف؟

قالت: أما من يحسدك علىٰ طلبك للعلم فكان يأتي إلي ويقول: تركك ولدك وحدك وأنت ربيته وتعبت عليه كيف يتركك ويسافر؟

تقول: فهذا يحسدك ولا يريد أن تطلب العلم، وأما من كان يقول: يأم أحمد، اصبري أنت علىٰ خير وإن شاء الله أنت مأجورة وكذا فهذا يحبك. انظر إلىٰ فهمها وعقلها.

أم سفيان الثوري كان لها تأثير فيه؛ لذلك أنا أدعو إخواتي إلىٰ أن يأخذن مثل هذه النماذج أسوة لهن هي؛ إذا طورن أنفسهن مثلما قيل:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبًا طيب الأعراق

إذا كانت الأم متطورة بلا شك، تؤثر في أولادها، وإذا كانت الأم جاهلة ولا تطور نفسها وليس عندها همة فهذه لن تنتج لنا شعبًا إلا ربما مثلها، والزوجة بلا شك لها دور فالأم تؤثر في زوجها أيضًا أحيانًا.

أم سفيان الثوري كانت تشجعه أيضًا علىٰ طلب العلم وهي أيضًا كانت تغزل

وتبيع وتعطيه المال لأجل طلب العلم، فقالت له: بعدما طلب العلم أسبوعين أو ثلاثة قالت: يا ولدي إذا كتبت عشرة أحاديث -لأنهم كانوا يذهبون يكتبون الأحاديث عن العلماء- فانظر هل أثرت في دينك وإيمانك وعلم، طورتك أم لا؟ فإن كان كذلك فاطلب عشرة أخرىٰ وإن لم تكن أثرت في ذاتك يا ولدي فبالله عليك اشتغل وأرحني من الغزل، لأني أنفخ في قربة مشقوقة ممزقة، أحرك الرحىٰ بدون قمح يطحن فكذلك حرص الأم في الحقيقة علىٰ أن تؤثر.

أنا أدعو أخواتي جميعًا إلىٰ أن يضعن فيهن همة مثل ما ذكرنا. أن يكون لدىٰ الواحدة مشروع في أولادي عندي مشروع في ابني أحمد أن يحفظ القرآن في خلال كذا.

وعندي مشروع في ابني خالد أن يكون خطيب جمعة فمن الآن أدربه علىٰ الإلقاء.

عندي مشروع في بنتي أن تكون كذا.

عندي مشروع أن أفتتح بقالة أفتتح مستشفىٰ أفتتح مستوصفًا، وهكذا حتىٰ تنهض الأمة ويكون الجيل القادم في الأمة الذي ولد علىٰ آهات المسلمين وآلام قويًا لا تقتلوه هذه الآهات والآلام بل تزيده إصرارًا وشدة.

۞ ۞ ۞

قصة أصحاب السبت

نكمل ما حدثنا به البحر من قصة أصحاب السبت تلك القرية التي كانت حاضرة البحر لو أذن الله لقطرات الماء أن تنطق وأن تتحدث بماذا كانت ستخبرنا؟

تقع هذه القرية علىٰ ضفاف البحر الميت، وذكر الله لنا هذه القرية في سورة الأعراف فقال: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ﴾ [الأعراف:١٦٣]، فما معنىٰ: ﴿يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ﴾ ؟ أي: يتعدون علىٰ يوم السبت، أي: أُمروا بعدم الصيد يوم السبت؛ لأنهم يعظمونه مثل ما نحن نعظم يوم الجمعه، فهم كانوا يعتدون بالاحتيال ينصبوا شباكهم

يوم الجمعة ويرجعون إليها يوم الأحد تكون ممتلأة بالحيتان.

حيث كان عيشهم أصلاً علىٰ السمك، لكن لن يموتوا من الجوع يأكلون من صيد يوم الجمعة بالليل فأمرهم أن يكون يوم السبت يوم عبادة لا تصيدوا فيه فصاروا يحتالون، أي يضعون الشباك يوم السبت ويأخذونها يوم الأحد.

ومن هنا انقسم أهل هذه القرية إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: عُصاة - الذين يصيدون يوم السبت.

والقسم الثاني: هم المُنكرون الذين يُنكرون الصيد يوم السبت ويحذرون من الصيد في هذا اليوم.

أما القسم الثالث: هم اليائسون أي: أنهم يئسوا من الإصلاح في هذه القرية.

فذكر الله ﷻ ذلك يقول الله ﷻ: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾[الأعراف:١٦٣] ما معنىٰ شُرَّعًا؟ كثيرة ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾إنما يذهبون إليها كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون ما معنىٰ نبلوهم؟ نبتليهم ونختبرهم ثم قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[الأعراف:١٦٤] إذًا أنا أنكر علىٰ الآخرين لأجل سببين:

الأول: معذرة إلىٰ الله حتىٰ لا يقول لي: لماذا رأيته علىٰ منكر ولا أنكرت، هذا السبب الأول.

والسبب الثاني: ولعلهم يتقون ويمكن يستفيد من نصيحتي عندما أذهب إلىٰ إنسان يبيع خمر وأُسلم عليه، وأقول كيف الحال؟ عساك بخير الله يوفقنا ويرزقنا وإياك الرزق الحلال، الله يجمعنا وإياك في الجنة، عبارات لطيفة ثم أقول: لا يجوز أن تبيع الخمر والنبي ﷺ قال: لعن الله الخمر، وعاصرها، ومعتصرها، وبائعها، ومبتاعها، وحاملها، والمحمولة إليه، لا يجوز مثل فعلك قد لا يقبل مني لكن أنا ربحت أحد شيئين وهو معذرة إلىٰ الله، إن الله تعالىٰ لن يقول لي يوم القيامة: لماذا لم تنكر عليه؟

أقول: يا ربي أنا أنكرت عليه، والغاية الثانية قد تتحقق يمكن أن يتوب، من يدري،

فلا تيأسن من الإصلاح فأولئك لم يقبلوا واستمروا في الصيد كل يوم يقول الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ﴾ [الأعراف:١٦٥] أولئك الفساق نسوا ما ذُكِّروا به، نسوا يعني غفلوا عنه، ولم يلتفتوا إليه، جاء العذاب قال الله: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٥].

العجيب أن الآية تكلمت عن مجموعتين فقط: أنجينا الذين ينهون عن السوء، ما قال الصالحون، إنما قال أنجينا الذين ينكرون وأخذنا الذين ظلموا، ولكن بقيت مجموعة ما هي؟ مجموعة المثبطين اليائسين ما تكلم الله عنهم سكتوا فسكت عنهم، ثم قال الله ﷻ في نوع العذاب ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأعراف:١٦٦] لما زادوا في الغي ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾ [الأعراف:١٦٦] وفعلاً أولئك الصالحون لما رأوا أنهم لا يبالون بنصحهم اعتزلوهم قالوا: والله لا نُساكنكم في بلادكم، ولا نجلس معكم، وإلىٰ آخره وجعلوا بينهم حصنًا جدارًا، ثم في يوم من الأيام أقبلوا ودخلوا عليهم فإذا هم قردة وخنازير .

يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فصار أولئك الصالحون الواحد منهم لا يعرف أين أبوه، وأين أخوه، وأين ابن عمه؟ لا يعرف، كلهم قردة وخنازير أما القردة والخنازير فيعرفونهم قال: فكانوا يأتون إليهم ويبكون بين أيديهم يقولون: ألم نُحذركم؟ ألم نخوفكم من عذاب الله؟ فلبثوا ثلاثة أيام ثم مات أولئك القردة والخنازير.

لكن لماذا بالتحديد سخطهم الله إلى قردة وخنازير ؟

الله تعالىٰ يختار ما يشاء ﷻ والنبي ﷺ بين في عدد من الأحاديث انه يقع مسخ في آخر الزمان قد يمسخ إلىٰ قردة وخنازير، أو يمسخ إلىٰ غيرهم لكن لانعرف ما الحكمة؟ لكن عمومًا الخنزير هو حيوان مستقبح مستقذر والقرد كذلك حيوان فيه نوع من الأستقذار في حركته، وفي عبثه بأعضائه التناسلية وغير ذلك، الله تعالىٰ لم يختر لهم خيولاً أو غزلان جميلة أو نحو ذلك.

من خلال هذه القصة هل يجوز أن نقول عن اليهود الموجودين حاليًا أحفاد القردة والخنازير ؟

طبعًا هو القول بأن اليهود الموجودين أحفاد قردة وخنازير هذا غير دقيق لأن النبي

ﷺ أخبر أن المسخ لا يكون له عقب إذا الله تعالى مسخ شيئًا إلىٰ قرد أو خنزير ما يكون له عقب لا يكون له ولادات لذلك هؤلاء عاشوا ثلاثة أيام وماتوا، لكن قد يقال إخوان القردة والخنازير بناء علىٰ أن هؤلاء إخوانهم، والله ﷻ ذكر في القرآن قصة أصحاب السبت، قال الله ﷻ: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾[الأعراف:١٦٣]، سل اليهود عن القرية التي كانت حاضرة البحر، سلهم يعرفونها هؤلاء أجدادهم لما أراد اليهود أن يقاتلوا النبي ﷺ في قصة بني قريظة بعد معركة الخندق قال لهم حيي بن الأخطب: ما رأيكم أن تخرجوا إليهم في يوم السبت وتقاتلوه فإنه يأمننا في يوم السبت، يعني: النبي ﷺ مستعد طوال الأيام إلىٰ قتالكم إذا جاء يوم السبت يرتاح لأنه يعلم أنكم تعظمونه ولا تقاتلون فيه قالوا له: كيف تريدنا أن نقاتل يوم السبت فيقع لنا ما وقع لمن علمت؟! يعني: لأصحاب السبت فالمقصود: أن يوم السبت له تعظيمه عندهم، لكن كما ذكرت إذا مسخ الله تعالىٰ شيئًا لا يجعل له عقبًا، لا نزال نستمع إلىٰ البحر وقطراته تحدثنا بالأعاجيب ولو أذن الله تعالىٰ أن تنطق ربما أخبرتنا بشيء من أخبارها وأسرارها، كنا نتكلم عن قصة القرية التي كانت حاضرة البحر، هي قرية إيلات لا تزال موجودة إلىٰ اليوم وأنا رأيتها بعيني لما كنت في مدينة حقل في شمال السعودية كنت أراها من العقبة، يعني بينها وبين مسافة البحر تقريبًا سبعة عشر كيلو متر، فهي ليست بعيدة ولكن في أي زمن حدثت قصة أصحاب السبت؟

قيل: إنها حدثت بعصر داود عليه السلام لكن عمومًا أي زمن حدثت ربما لا يهمنا كثيرًا بمقدار ما يهمنا العبرة التي وقعت منها.

وهناك شيءٌ جميل نخرج به من هذه القصة، وهو أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولقد رأينا كيف نجىٰ الله الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؟! ولقد أمرنا الله بذلك في كتابه حين قال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران:١٠٤].

ولقد أمرنا الرسول ﷺ بذلك حين قال: «من رأىٰ منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الإيمان».

وبهذا وصف الله المؤمنين والمؤمنات في قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٧١].

فكان أول ما وصف الله به المؤمنين والمؤمنات في هذه الآية هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن كيف يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

وكيف أرقق قلب العاصي؟ وكيف أدخل إليه؟ وكيف أرقق قلب ذلك المتبسط للآخرين؟ وكيف أجعله ينتقل من السلبية إلىٰ الإيجابية.

فمثلاً.. في الجامعة تمشي وقت الصلاة، وتُشاهد الكثير من الناس جالسين يقضون الوقت في اللهو واللعب والضحك، وقد تجد اختلاطًا بين الأولاد والبنات، فهؤلاء الناس عندما تنصحهم تجد منهم من يلين قلبه ويستجيب، ويذهب معك إلىٰ المسجد، وقد تجد آخرين يقولون لك: اذهب أنت وصلِ، ليس لك شأنٌ بنا، أنت عامل فيها شيخ، وغيره من قبيح الكلام...، وقد تسمع هذا الكلام من الأهل والأقربين فمن الأهل من يقولون لأولادهم، أنت تذهب إلىٰ الجامعة لتتعلم وتأخذ الشهادة لكي تحصل بعد ذلك علىٰ الوظيفة ولا يُذكرونهم بالعمل للآخرة، وعلىٰ الرغم من ذلك إلا أن هذا قليل، والأغلبية ما زال فيها الخير والحمد لله.

تسعة وتسعين في المئة وأنا لا أذكر في الحقيقة أني قلت لأحدٍ تعالىٰ لكي تُصلي ولم يستجب، أحيانًا تكون الأقامة قريبة والشباب يلعبون كرة أو واقفين يتحدثون فأفتح النافذة السلام عليكم منذ أن أقول: السلام عليكم يفهمون مُرادي، يقولون: إن شاء الله سنذهب، إن شاء الله سنذهب إلىٰ المسجد، لكن المقصود أنه لا ينبغي أن يقع في قلوبنا يأس إذا تمكن اليأس من القلب وأصبح الإنسان يائسًا من الإصلاح هذا إيذان بوجود المنكرات، وانتشارها. النبي ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك الله أن يعمهم بعقاب من عنده» وأنت من الممكن أن تُنكر بأساليب متعددة بحيث أن الإنسان يصبح له نوع من الإنكار، أنا حدث معي موقف سأذكره لكم، كنت

أسجل حلقة في برنامج فواحد من الشباب أشعل سيجارة بعيدًا عني فرفعت يدي وقلت: اللهم تُب علىٰ المدخنين. مباشرة خفض السيجارة وطفأها هذا نوع من أنواع إنكار المنكر من غير ما تقول له يا فلان الله يجزيك خير لايجوز أن تدخن، هو يدري أنه حرام، لكن يحتاج إلىٰ تنبيه معين.

فالمقصود: أننا إذا استعملنا الأسلوب المناسب في إبداء النصيحة للآخرين وتقديمها لهم بالأسلوب الجميل قبلوها منا، نحن مشكلتنا إما عندنا نوع من اليأس أو أحيانا نوع من التكاسل والجبن أو ربما أحيانا الشيطان يبدأ يثبطنا ويقول لنا: أنهم لن يقبلوا.

ولكن كيف التعامل بالنصيحة مع كافة شرائح المجتمع، مع العامل، مع المهندس، مع الطبيب؟ فكيف نتعامل مع كل واحد حسب مرتبته؟

من أهم ما يجعل الإنسان يقبل منك النصيحة أنك تُهيئه لقبول النصيحة يعني مثال النبي ﷺ لما أراد أن يقدم نصيحة إلىٰ معاذ بن جبل رضي الله عنه في ذكر يقوله بعد الصلاة جاء النبي ﷺ قال: «يا معاذ» قال: لبيك يا رسول الله قال: «والله إني أحبك» انظر إلىٰ العبارة الجميلة، المتوقع بعدما يقول إني أحبك توقع يقول له بعدها مثلاً: خذ مالاً، ستتناول العشاء عندي الليلة، لا بل، قال: «والله إني أحبك»، ثم قال: «فلا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» انظر أراد أن يقدم له نصيحة هيأه قبل أن يعطيه النصيحة، هيأه لقبولها كذلك مثال آخر عمر رضي الله عنه كان يزاحم عند الحجر، عمر أعطاه الله تعالىٰ قوة، يُزاحم عند الحجر الأسود ويُقبل، فقال ﷺ له: «يا عمر إنك رجل قوي» فيفرح عمر عندما يسمع هذا الثناء ثم قال: «فلا تزاحمن عند الحجر» أنت ما شاء الله عليك قوي، والله يا عمر لا تزاحم عند الحجر، ما أجمل يا أخي عندما آتي لأنصح شابًا يتعرض لفتيات الناس بالغزل ويحاول إغوائهن عبر البلوتوث أو أرقام يحاول أن يفعل شيئًا من الفساد فآتي وأقول له: يا أخي أنت إن شاء الله علىٰ خير، وأنت إنسان مسلم، وأنت إنسان طيب لكن لعلك، إن شاء الله تترك كذا!

مثلاً: دخلت إلىٰ بقالة تبيع أشياء مُحرمة، قلت: - ما شاء الله - البقالة جميلة ومعاملتكم للزبون حسنة، وأخلاقكم حميدة، والمواد عندكم نظيفة وجديدة؛ لأجل

أن يفرح، ويلين قلبه بهذا الكلام، ولكن لن يكتمل جمال البقالة إلا إذا خلت من هذا الدولاب الذي يوجد به مائة وثلاثون نوعًا من السجائر، فما أجمل بقالتكم لو خلت من السجائر، والله يوفقكم لما فيه خير الدنيا والآخرة...

وقد ترىٰ في الطريق رجلاً يسير ومعه ولده، وهذا الولد يلبس بنطالاً ضيقًا قد جسَّمَ عورته، وحلق رأسه بطريقة لا تليق بمسلم، وقد تشبه في لباسه وهيئته بالكافرين من اليهود وعُبَّادِ الصليب، فيمكن أن أذهب إلىٰ ذلك الرجل وأقول له بأسلوب مُهذب: ما شاء الله هذا ابنك، الله يجعله قُرة عين لك، ويرزقك بره، ويقيه الفتن ويجعله بارًا بك، ويجعله فخرًا لك، ويُنجحه في دراسته.

انتهىٰ الأمر بعد هذا الكلام اللين الرقيق، فقد ملكت قلبه وشرحت صدره فلو طلبت منه أن يُلقي بنفسه من أعلىٰ الجبل لفعل، ثم تقول له: طريقة الحلق هذه لا تجوز، لا يجوز لمسلم أن يحلق بعض الشعر ويترك البعض فقد نهىٰ ﷺ عن القزع، وهذه الملابس لا تليق لمسلم، فنحن مُطالبون أن ننصح الآخرين.

فليس الشخص الذي أمامك غاية في الخبث، حتىٰ تُلقي كل اللوم عليه وتقول: إنه شخص لا يقبل النصيحة، ولن يتغير أبدًا، ولا سبيل لإصلاحه، هذا كله يؤدي إلىٰ اليأس، ولكن ابدأ بنفسك أولاً،وابحث عن الطريق المناسب للنصيحة، والأسلوب المُلائم لكل شخص واعمل بقوله تعالىٰ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[النحل:١٢٥]، فإذا كان الآخرون لا يتغيرون لنصيحتك فالعيب فيك أنت، أنت لا تعرف كيف تنصح الآخرين؟ ثم المطلوب منك ألا تيأس، ولا تجعل اليأس يتسلل إلىٰ قلبك من إصلاح الآخرين، فهذه القرية التي كانت حاضرة البحر كان فيها المثبطون اليائسون، الذين يقولون: هؤلاء القوم لا سبيل إلىٰ إصلاحهم، لقد تعلقت قلوبهم بالصيد وبالأموال، وإيمانهم ضعيف، لن يقبلوا النصيحة، فما الفائدة من تعبنا ونصبنا معهم؟ لا فائدة من تضييع الوقت معهم.

هذا لا يجوز، النبي ﷺ بين أن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه أوشك أن يعمهم

الله بعقابه وقال ﷺ «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن علىٰ يد السفيه» شخص سفيه تأتي وتقول له: هذا لا يصح، هذا لا يجوز، تأخذ علىٰ يده ولتقصرنه علىٰ الحق قصرًا، أو ليضربن الله قلوب بعضكم لبعض ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم. وهناك نقطة مهمة أيضًا أن أولئك الصالحين لما رأوا أن هؤلاء لا يقبلون وتوقعوا أن يأتيهم العذاب اعتزلوهم خوفًا علىٰ أنفسهم، بمعنىٰ إذا كنت أنا ساكنًا في غرفة مثلاً، مثل السكن الجامعي ومعي شاب يُشاهد ما حرمه الله في التلفاز، ونصحته مرة، واثنتين، وثلاث بعدم مشاهدة هذه الأشياء التي تُغضب الله، ولم يتغير هذا الشخص ولم يستجب لكلامي، وجب عليَّ أن أعتزله وأترك له المكان خوفًا علىٰ نفسي من أمرين:

الأمر الأول: هو أن أفتن بهذه المناظر ويدخل في قلبي حبها وأعتاد رؤيتها.

الأمر الثاني: هو أن ينزل عذاب الله عليَّ معه إذا جاورته في المكان.

فإذا خشيت علىٰ نفسي عندها يشرع لي أن أفارق مكان المنكر مثل ما قال الله ﷻ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء:١٤٠] يقول الله ﷻ: إذا جلستم في مجلس وكان فيه أُناس يستهزئون بآيات الله ويذكرون الطرف والنكت علىٰ الدين، فإما أنك تُنكر أو أخرج لأنك لو جلست ستعجبك النكتة، وربما ضحكت معهم، لحلاوة النكت ربما ضحكت معهم، فالله تعالىٰ يقول فلا تقعدوا معهم، إما أن تنكر، أو تقوم خوفًا علىٰ قلبك أن يفسد به لذلك قال الله تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨]، ولما وصف الله تعالىٰ نبيه ﷺ قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٧] ماذا يفعل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر؟ لاحظ أول صفة ذكرها الله تعالىٰ في القرآن من صفات النبي ﷺ في هذه الآية بعد ما ذكر أنه ورد ذكره في التوراة والإنجيل

قال الله تعالىٰ: إنه يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، ولذلك في هذه عبرة حقيقة لنا وللأخوة والأخوات جميعا أيضًا نحن عندما نقرأ القرآن ويذكر لنا ربنا جل وعلا قصة تلك القرية التي كانت حاضرة البحر، ونرىٰ البحر ينبغي أن نسمع حديثه إلينا وأن هذا البحر قد كانت تسكن عنده قرية من شأنها كذا وكذا، وكانوا يصيدون منه السمك وكانوا يعصون الله تعالى فعذبهم الله تعالى ومسخهم قردة وخنازير، فإذا رأيت البحر ذكرت الله تعالى إذا رأيت السماء ذكرت الله إذا رأيت شيئًا علمت أنه إما أن يأمرني بمعروف أو ينهاني عن منكر، أو أن يكون لي فيه موعظة تزيد من إيماني أسأل الله جل وعلا أن ينفعنا بما علمناه ويُعلمنا ما ينفعنا.

أسأل الله ﷻ أن يجزيكم خير الجزاء وأن ينفعنا وإياكم بما قلنا، وأن يقينا حر النار ويقي إخواننا أيضًا حر النار، بارك الله فيكم وصلىٰ الله وسلم علىٰ رسول الله ﷺ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

۞ ۞ ۞

هاجر زوجة إبراهيم عليهما السلام

هي هاجر، وهي تتميز بعدة أشياء:

هاجر هي أول من سعىٰ بين الصفا والمروة.

هاجر هي أول من سكن في الحرم.

هاجر هي أول من شرب من زمزم.

هاجر لها بعد ذلك مميزات في تربيتها لولدها إسماعيل عندما جاء الشيطان وكان إبراهيم عليه السلام سيذبح ولده.

والقصة قصة الذبح مشهورة، أقبل الشيطان إليها ورمته... إلخ.

وإذا ذهبنا نتكلم عن سيرتها فلن ننتهي إلا بعد ساعة أو ساعة ونصف والحلقة لا تتجاوز خمسًا وعشرين دقيقة.

لكني سأتكلم عن أمر مهم تميزت به هاجر وهو سرعة الاستجابة لأمر الله والاستسلام لأمر الله، سأتكلم عن الاتباع والاستسلام.

تعريف الإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك.

هذا حفظناه منذ كنا صغارًا، وهو أن الاستسلام لأمر الله يكون بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، أي: ألا يكون عند الإنسان في المسألة قولان إذا جاءه الأمر من الله ﷻ؛ لكن ما دام الله تعالىٰ أمرني فسمعًا وطاعة.

انتهىٰ الموضوع، نفذ وأنت ساكت سواءٌ اقتنعت أو لم تقتنع، عائشة ﵂ جاءت إليها امرأة، فقالت لها: يا عائشة يا أم المؤمنين ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ - تسأل لأنه إذا جاء الحيض في رمضان تترك شيئين: الصوم الصلاة. فالمرأة تسأل وتقول: يا أم المؤمنين ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟!

فقالت لها عائشة: أحرورية أنت!

الحرورية: هم الخوارج خوارج عن الدين - قالت: لا والله ولكنني أسأل، فقالت لها عائشة وأعطتها نصًا ودرسًا قالت: قد كان يصيبنا ذلك -يعني: الحيض- علىٰ عهد رسول الله ﷺ فكان يأمرنا بقضاء الصوم ولا يأمرنا بقضاء الصلاة. فسكتت.

هذا أمر من الله ﷻ، تريديني أن أقنعك عقليًا فلن أقنعك عقليًا، هذا أمر أمرنا الله تعالىٰ به وانتهىٰ الموضوع.

أم سلمة ﵂ كانت لها ماشطه تمشطها في البيت -حيث كانت بيوت النبي ﷺ ملاصقة له ومباشرة، الباب من البيت إلىٰ المسجد مباشرة، ولم يكن هذا حال بيوت النبي ﷺ وحده، بل كذلك بيوت الصحابة أيضًا- فأم سلمة كانت تمشطها ماشطتها فسمعت النبي ﷺ يقول: أيها الناس أنصتوا أنصتوا، وكانت أم سلمة تتكلم مع ماشطتها وتتكلم مع النساء اللاتي عندها.

النساء مجتمعات، فلما سمعت النبي ﷺ يقول: أيها الناس أنصتوا أنصتوا، سكتت وأسكتت الماشطة فقالت لها الماشطة، لماذا، إنما يكلم الرجال؟!

فقالت: لا، إنما قال: أيها الناس وأنا من الناس، ما دام قال: أنصتوا، فوجب أن نسكت.

انظروا ياجماعة إلىٰ شدة الاتباع التي كانت عند الصحابيات؛ لأن هذا ينبغي أن يكون عند الناس جميعًا.

أعود إلىٰ هاجر، هاجر عندما جاء بها إبراهيمعليه السلام مع ولدها إسماعيل جعل معهما جرابًا فيه تمر وسقاء فيه ماء -وهي قربة صغيرة من جلد فيها ماء- جاء بهما من مصر ثم فلسطين ثم إلىٰ وادٍ غير ذي زرع.

أنت الآن لو تذهب إلىٰ مصر، رأيت نهر النيل ورأيت الخضرة، والجو أحسن من مكة أبرد وألطف، مكة حر شديد، تذهب إلىٰ فلسطين تجد أيضًا الخضرة والماء وغير ذلك؛ فلِم ينقلها إبراهيمعليه السلام من مصر إلىٰ فلسطين، ثم يذهب بها مباشرة إلىٰ الجنوب ويذهب بها إلىٰ مكة ويدخل بها بين جبال؛ لأن مكة تعرفون أنها بين جبال أصلاً؛ لذلك سماها الله تعالىٰ واديًا، والوادي هو المكان المنخفض بين الجبال؟

فجاء إبراهيم ووضعها ووضع ولدها إسماعيل، وأعطاهم ظهره، فإذا بها تنظر يمنة ويسرة فلا أنيس ولا جليس، فقالت: يإبراهيم إلىٰ أين تذهب وتتركنا أنا والولد في البر وحدنا وما تحتنا إلا الرمال والتراب حتىٰ إنه لا يوجد فيه زرع؟ فسكت ومضىٰ.

قالت: يإبراهيم ماذا فعلت لتتركني -لأن إبراهيم عنده زوجة ثانية فوقع في قلبها كيف وأنا زوجتك الثانية ترميني في البر ومعي الولد- يا إبراهيم، فسكت.

فقالت له: آلله أمرك بهذا؟

فلم يلتفت إبراهيم وقال: نعم، قالت: إذن لين يضيعنا. رجعت وجلست عند ولدها.

انتبه إلىٰ شدة الاستسلام لأمر الله، ما قالت: نعم؛ لكن الأكل لا يكفي يا إبراهيم،

أو تعال اجلس معنا علىٰ الأقل يومين أو ثلاثة حتىٰ نأنس؛ لكن ما دام أن الله أمرك إذن انتهىٰ الموضوع، إذن لن يضيعنا.

اختبأ إبراهيم وراء ثنية من الثنايا -هضبة- ورفع يديه وقال: يارب إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة.

الطلب الأول: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم:٣٧].

والثاني: ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ يا ربي أريد أن يكون معهم ناس وعندهم أكل حتىٰ تطمئن.

سؤال: هل كان البيت (الكعبة) مبنيًّا عندما وضع إبراهيم ولده وزوجته؟!

الجواب: البيت لم يكن مبنيًّا، فكيف قال إبراهيم: عند بيتك المحرم، ولم يكن فيه بيت؟ قال ذلك لأن القواعد كانت موجودة.

قواعد البيت الحرام أول من بناه هم الملائكة، ثم انهدم فبناه بعض أولاد آدم، ثم انهدم فبناه إبراهيم ﷺ لذلك قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البقرة:١٢٧]. ما قال: بنىٰ البيت، لا هو وجد قواعد فوضع عليها الأحجار ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾.

معنىٰ ذلك أن الكعبة كانت موجودة قبل إبراهيم؟

نعم، كانت موجودة قبل إبراهيم، كانت موجودة في عهد من كان قبله في عهد نوح وغيره وانضمرت بالطوفان؛ يعني: بيت الله تعالىٰ؛ لذلك قال جبريل لهاجر: هنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه، قال هذا لما جاء جبريل وحرك الأرض بعقبه أو بجناحه (روايتان) فنبع الماء، قال: هنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه، بنفس المقاسات التي وضعها الملائكة.

طبعًا الكعبة الآن ليست كما كانت في أول مبناها، الحجر أخرجته قريش عندما بنت وقصرت بهم النفقة، وإلا فالحجر أصلاً في الكعبة، والكعبة كذلك ليس شكلها مربعًا، لكن شكلها يبدو من جهةٍ زاويةً حادة أقل من ٩٠ درجة، ومن جهة قوسًا؛

لذلك عندما طلبت عائشة من النبي ﷺ أن تصلي داخل الكعبة، قال: «صلي في الحجر فإنه من الكعبة».

فالذي يصلي اليوم في الحجر فكأنما صلىٰ في الكعبة، لذلك يمكن أن تسأل واحدًا مسألة وتقول له: ما تقول في رجل تعمد أن يولي الكعبة ظهره وصحت صلاته؟

الجواب: هذا في الحجر.

أنت الآن إذا دخلت الكعبة وأردت أن تصلي، وأنت داخل الكعبة تتوجه إلىٰ أي جهة، شرقًا غربًا شمالاً، وبالتالي فعندما تكون داخل الحجر وتصلي فأنت في الحقيقة داخل الكعبة، وبالتالي إذا أعطيت الكعبة ظهرك وصليت، فصلاتك صحيحة؛ ولكن لا ننصح ألا يفعلها الواحد أمام الناس حتىٰ لا يضطرب الأمر عليهم وتكون مشكلة.

نعود إلىٰ قصة هاجر، هاجر حصل لها نوع استسلام مثلما قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب:٣٦]. ما يوجد شيء اسمه أن الواحد يختار، إذا جاء الأمر من الله، فلا يوجد مجال للاختيار.

لا يوجد إلا سمعنا وأطعنا مثلما قال الله: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور:٥١].

فيجب علىٰ الإنسان أن يكون هذا هو دأبه، عائشة قالت: أحرورية أنت، الصحابة الكرام كانوا إذا جاءهم الأمر وأرادوا أن يقترحوا شيئًا في الدين فقبل أن يقترحوا يتأكدون، يا رسول الله ﷺ يمكن أن نقترح أم لا؟

لما جاء النبي ﷺ في معركة بدر وخرج إلىٰ القتال جاء ﷺ إلىٰ مكان المعركة وجاء إلىٰ بئر بدر فجعل البئر بينه وبين الكفار ونزل بالجيش فأقبل إليه الحباب بن المنذر، قال: يا رسول الله، هذا الموطن الذي نزلت فيه هل هو أمر من الله تعالىٰ أمرك به فلا نملك إلا السكوت والاتباع، أم هي الحرب والمكيدة؟

فقال ﷺ: «بل هي الحرب والمكيدة»، هذا رأيي أنا. فقال: يا رسول الله، فبئس

الموطن، هذا المكان لا يصلح، لكن تقدم عن البئر فيكون البئر وراءنا، فإذا صار البئر وراءنا إذا عطشنا أثناء القتال نشرب؛ لأن البئر خلفنا، أما هم إذا عطشوا أثناء القتال فلا يستطيعون أن يشربوا؛ لأنه حتىٰ يصلوا إلىٰ البئر فلا بد أن يشق الجيش (جيشنا) ويشرب، وبالتالي لا يستطيع أن يشق الجيش فيبقوا عطشىٰ، وبالتالي يتعبون أثناء القتال.

فقال ﷺ: «نعمت الرأي»، ثم تقدم.

انظر إلىٰ شدة الاتباع.

والآن أمر مهم نشير إليه وهو أن القضية عند الصحابة ما كانت أن يعرفوا الحكم الشرعي فقط، لكن القضية أنه إذا جاء الأمر من الله تعالىٰ أو من الرسول ﷺ مثلما قال الله: ﴿أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ فلا يوجد اختيار، مسألة الحكمة والاقتناع بالحكم الشرعي أطبقه أو لا؟ عند العجز عن تطبيق الحكم الشرعي، كيف يكون التعامل معه؟

الإسلام هو الاستسلام لله، يكون الإنسان كالميت بين يدي مغسله يقلبه كما يشاء وهو يغسله، ومثل المريض الذي فتح بطنه الطبيب ويشتغل في عملية معينة، لا يوجد عنده اقتراح، يقول: يا دكتور المصران اعمله كذا وكذا.

لا اقتراحات ولا مناقشات أنت مريض وأنا طبيبك.

يا شيخ بالنسبة لمسألة الاتباع، يوجد بعض الأشخاص عندما يعملون بحكم معين أو يسمعون حديثًا ما فيه افعل كذا ولا تفعل كذا أو يحرم كذا، يقول: ما الحكمة؟ مثلاً لماذا لا يلبس الرجال الذهب، ويحاول أن يبحث عن الحكمة، بالرغم من أن رئيسه في العمل إذا أمره بأمر نفذه دون نقاش، بينما مع ربه لا بد أن يعرف الحكمة، سبحان الله!

ما رأيك يا أبا مروان؟

الله تعالىٰ يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]. نحن عبيد

لله ﷻ، فالانقياد واجب علينا، لو قال: لماذا صلاة الظهر أربع ركعات والفجر ركعتان؟ نقول: نحن عبيد لله ﷻ.

لو الإنسان عنده خادم وقال له: أعطني قهوة، وقال الخادم:: لا اشرب الشاي.

يقول له السيد: أنا أريد قهوة، فالخادم ينفذ ما يريده السيد، فما بالك ونحن عبيد؟

طبعًا الإنسان إذا أقر بالعبودية لله فالأصل أنه ينفذ الأمر سواءٌ عرف الحكمة أو لم يعرف.

الأمر الثاني: نحن نعلم أن الله تعالىٰ ما أمر بشيء إلا لحكمة وما نهىٰ عن شيء إلا لحكمة، مثلما قال الله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون:١١٥]. نحن نعبث ونحن نخلقكم.

ويقول الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ [الدخان:٣٨]. نحن ما خلقناهم إلا بالحق، مثل ما جاء في سورة الأنبياء.

لا بد أن نقتنع تمامًا أن الله لا يأمر بشيء إلا لحكمة، قال الخنزير: حرام. إذن توجد حكمة عرفناها أم لم نعرفها، الخمر حرام فالحكمة قائمة عرفناها أو لم نعرف، الظهر أربع ركعات فهذا له حكمة قد يعرفها من بعدنا.

يظهر الآن في الإعجاز العلمي، لماذا قال: إذا سقطت الذبابة في الإناء فاغمسها؟

نقول: اكتشفوا أن في إحدىٰ جناحيها ميكروبًا وفي الثاني مضادًا له.

لماذا حرم الزواج من أختك من الرضاعة؟

نقول: اكتشف أن الحليب خلال السنتين الأوليين من حياة الإنسان يؤثر في تكوين الإنسان الفسيولوجي والنفسي وغير ذلك؛ فإذا تزوج من أخته في الرضاعة تظهر أمراض وراثية.

هناك أشياء الله تعالىٰ لم يأمر بها، وليس هذا تضيقًا علىٰ العباد، إذا كان الله ﷻ

يريد أن يضيق لكان قال: حرام شرب الماء البارد، حرام أن تأكلوا اللحم مشويًا كلوه فقط مسلوقًا بالماء، حرام أن تعصروا الفواكه كلوها هكذا برتقالاً، المانجو حرام أن تعصر.

فلا بد أن نعرف أن الله تعالىٰ لا يقصد إتعاب عباده والتضييق عليهم.

ولذلك الأصل أنه إذا قال لك إنسان: ما الحكمة؟ قل له: لا يلزم أن تعرف الحكمة، بدليل مثلما ذكرتم، أنك إذا كان عندك موظف معين وقلت له: بالله اطبع لي هذه الورقة بالخط الكوفي، فقال: لا سأطبعها بالأندلسي.

فستقول: اطبعها بالكوفي أنا الذي أصرف لك راتبك آخر الشهر والورقة هذه تخصني.

فإذا قال: لا أنا غير مقتنع سأطبعها بالأندلسي، فإنك تقول له: هذه حقوقك واطلع.

فإذا كانت هذه الحالَ في تعاملاتنا مع بعضنا فكيف يليق بنا أن نأتي ونعامل الله بذلك؟!

تجد الإنسان يقول: اقنعني أن الزنا الآن حرام، في السابق كان يمكن، تجده يقول لك: يا أخي الموسيقىٰ لا تؤثر في قلبي، ولا تشغلني عن الصلاة.

فهذا نقول له: لا تبحث عن الأسباب، فالله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[الأحزاب:٣٦]. نفذ وأنت ساكت.

يوجد بعض الناس يقولون: نعجز عن بعض الأحكام الشرعية؟

هناك بعض الناس خففت الشريعة عنهم؛ كما لو عجز واحد عن الوقوف في الصلاة، أو عن الوضوء أو ما أشبه ذلك، لذلك النبي ﷺ يقول حديث عمران بن الحصين في الصحيحين: «صل قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلىٰ جنب».

إذا عجز الإنسان فالشريعة جعلت له مخارج.

حتىٰ في أكل المحرمات، الله تعالىٰ عندما ذكر المحرمات قال: ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة:١٧٣]. لو أكل خنزير مضطرًّا ولم يبغ ولم يتعد وأكل بقدر ضرورته، وهذا يقيسه بينه وبين الله ﷻ.

مثال علىٰ الاضطرار: كنا مرة مسافرين علىٰ إحدىٰ الخطوط الأجنبية، فأحد الزملاء كان في وجبته خنزير، فقال: نحن مضطرون أن نأكله الآن، فقلت له: يا أخي الرحلة كلها خمس ساعات فما الداعي للاضطرار ولأكل الخنزير، ونحن لن نهلك إن لم نأكل؟

مسألة الاضطرار تكون إذا وصل إلىٰ حد الموت، علىٰ ذكر الخنزير كنت مرة في (كلايس جير) في جنوب (نيوزلاندا) كنت أدرس هناك لغة إنجليزية، فخرجت من المعهد ومررت بمطعم بيتزا، فقلت أتغدىٰ ثم أعود إلىٰ المنزل، فدخلت وقلت: ما البيتزا التي عندك؟ قال: عندنا كذا وكذا، فقلت له: هات لي خضارًا فقط بدون أي إضافات.

قال: خضارًا فقط؟

قلت: نعم خضارًا فقط.

فأعطاني بيتزا خضار، ووضع فوقها جزرًا وطماطم؛ فجئت وقطعت أول قطعة، وأكلت فشعرت أن فيها قطعًا صغيرة لونها وردي، والعجيب: أن الخنزير له أحد عشر اسمًا عندهم؛ لذلك الذي يسافر الخارج لا بد أن ينتبه ويحفظ الأسماء كلها.

الشاهد: أنني لما شككت أخرجتها ووالله ما أكملتها، وأخذت المنديل مباشرة وأخرجت ما في فمي وأخذت الطبق وقمت عنه، وقلت له: ما هذه القطع؟ قال: هذه قطع صغيرة، قلت: ما هي؟ قال: خنزير. قلت: أنا أقول لك: لا أريد لحم خنزير؟

فقال: هذه خلطة لتحسين الطعم، (متوصي بي يا أخي ما قصر)! فيتنبه الإنسان.

لو جاء معي واحد، وقال: ما الحكمة -يعني: أن هذه القطع الصغيرة لن تقتلك؟

ليست القضية ما الحكمة؟ إنما القضية أن الله تعالىٰ قال: إنه محرم. فانتهىٰ

الأمر.

قال: صلوا صلاة الفجر قبل طلوع الشمس، فنصلي قبل طلوع الشمس، انتهينا فليس شرطًا أن يقتنع الإنسان بعقله عندما يريد أن يفعل شيئًا، لأن هذه أصبحت مشكلة، فتجد بعض الناس يقول: اقنعني عقلاً، أنا ليس عندي استعداد أن أسلمك عقلي.

نقول: إذا لم تقتنع بالأمر الرباني وبالعبودية لله تعالىٰ، تقنعك النار يوم القيامة - نسأل الله العافية -.

لا بد أن يتبع الإنسان مباشرة مثلما كان الصحابة - رضوان الله تعالىٰ عنهم - يفعلون، لا يتبع الأمر القرآني فقط ، بل يتبع كذلك ما جاء في السنة.

النبي ﷺ يقول: «ليأتين زمان لا ألفين أحدكم - يعني: لا أجدن أحدكم- متكئًا علىٰ أريكته، يقول: ما وجدنا في كتاب الله أخذناه وما وجدنا في غيره تركناه»، فقال ﷺ: «ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معًا» ألا وإن ما قال رسول الله مثل ما قال الله؛ يعني: مثلما قال الله في وجوب الاتباع، وإلا فهو بشر والله رب ﷻ، لكن المقصود لزوم الاتباع.

والآن يخرج لك بعض الناس ويقول: أعطني دليلاً من القرآن علىٰ أن السجائر حرام، أو أن الأغاني حرام؟

بعضهم يقول: الأحاديث هذه من آلاف السينين والزمان اختلف - طبعًا هذا لجهلهم بالسنة-.

نحن يا أخي ابتلينا بأقوام يجهلون مصطلح الحديث ويجهلون طرق اكتشاف الحديث الصحيح والضعيف، ثم السنة ليست من آلاف السنين، أول ما كتبت السنة في عهد عمر بن عبد العزيز كتبها ابن شهاب الزهري المتوفىٰ في سنة ستين أو سبعين؛ يعني: كتبت والصحابة الذين سمعوها من النبي ﷺ مباشرة لا زالوا موجودين.

فلما يقول لك واحد: يا أخي النبي ﷺ مات من ألف وأربعمائة سنة، ما يدريك أنه قال الحديث؟! نعم، لكن الحديث كتب بعد وفاة النبي ﷺ بوقت يسير ثم إنه كتب

في أقوام سمعوه منه مباشرة، فلم تكتب السنة بعد وفاة النبي ﷺ بمائتي سنة مثلاً أو ثلاثمائة سنة.

يعني: لو جئت مثلاً إلىٰ مسند الشافعي، أو مسند أبي حنيفة، أو مسند الإمام أحمد، عند البخاري، عند مسلم لوجدت أن كلهم كانوا في السنين الأولىٰ، فأما أن بعضهم أدرك الصحابة كحال ابن شهاب الزهري وعدد، وأما أن بعضهم أدرك من أدرك الصحابة وروىٰ مباشرة عن فلان من التابعين الذي سمعها من الصحابي.

فأنا أقول: الحقيقة أننا إن لم نخرج من هذه الحلقة إلا بأن الإنسان إذا جاءه الأمر من الله تعالىٰ أو من الرسول ﷺ اتبع لكفىٰ.

قال الله تعالىٰ للمرأة: تحجبي، فتتحجب، والله يوجد فتنة أو لا توجد فتنة، جاء الأمر الشرعي بتحريم الاختلاط، فلا تقل: نعم. لكن أنا سأختلط وأحافظ علىٰ نفسي، ما دام الشرع جاء انتهينا، ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف:٤١].

لذلك لما قال الله تعالىٰ: ﴿ يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور:٥١]. قال: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ ثم قال: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور:٥٢].

هؤلاء هم الذي يفوزون عند الله، الذين يفلحون حقيقة في هذا الاتباع، وإذا وقع الإنسان في شيء من الريب والمخالفة؛ فليسارع إلىٰ الاستغفار.

أسأل الله أن يوفقنا وإياكم لكل خير، وأن يجزيكم خير الجزاء، وأن يجعلنا وإخواننا جميعًا وأخواتنا من أتباع من تكلمنا عنهم من رسول الله ﷺ وممن كان قبله أيضًا، هاجرُ من شدة اتباعها، أو عائشة أوغيرهن من الصالحين.

۞ ۞ ۞

موسى عليه السلام والبحر

نحن الآن مع: حديث البحر، هذا الحديث الذي ذكره الله تعالىٰ لنا في القرآن، وقصه

علينا رسول الله ﷺ في السنة نحن مع حديث عجيب من أحاديث هذا البحر الذي بين أيدينا ما هذا البحر؟ وما ذلك الحديث؟ ومن النبي الذي سنعيش معه خلال هذه القصة.

نحن نتكلم عن حديث يحدثنا به البحر ولو أذن الله تعالىٰ لقطرات البحر أن تنطق لشهدت بما يشهد به التاريخ من قصص أنبياء الله تعالىٰ ورسله، يعني مثلاً لو تكلم البحر لقص علينا قصة يونس عليه السلام، وكيف نادىٰ في الظلمات: أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين؟! لقص علينا قصة فرعون كيف أنه نادىٰ وقال: آمنت أنه لا إله إلا الذي أمنت به بنو اسرائيل؟! لقص علينا أيضًا قصة موسىٰ عليه السلام موسىٰ حقيقةً لما تأملت فيه وجدت أن علاقته بالماء وعلاقته بالبحر عمومًا في كثير من حياته.

بدأت علاقة موسىٰ عليه السلام مع الماء منذ أن كان في بطن أمه ثم ولد فأوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ أمه أن ألقيه في اليم إذا خفت عليه، استمرت قصته في الماء مع فرعون لما ضرب البحر بعصاه.

واستمرت قصته مع الماء أيضًا لما جاوز البحر ثم احتاج قومه إلىٰ ماء فأوحىٰ الله إليه أن اضرب بعصاك الحجر فضرب الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينًا، قد علم كل أُناسٍ مشربهم، علاقة موسىٰ عليه السلام بالماء متواصلة وفي كل واحدة من هذه العلاقات قصة وعمومًا موسىٰ عليه السلام ذكر الله تعالىٰ عنه أعاجيب يعني له علاقة بالجبل لما قال الله تعالىٰ: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ [النساء:١٥٤]، له علاقه عليه السلام بالشجر لما ناداه الله تعالىٰ عند الشجرة المباركة، له علاقة بالحجر لما ضرب الحجر، له علاقة بالبحر لما ضرب البحر، له عدد من العلاقات، ولو ذهبت تتكلم بموضوع عن الأشجار لذكرت قصة موسىٰ تتكلم عن الجبال، لا بد أن تأتي بقصة موسىٰ تتكلم عن البحر في الغالب أنك ستجد قصة موسىٰ عليه السلام حاضرة والعجيب أيضًا أن موسىٰ عليه السلام هو النبي الوحيد الذي ذكر الله تعالىٰ قصته في القرآن مفصلةً صغيرًا وكبيرًا يعني مثلاً عيسىٰ عليه السلام مر الله جل وعلا في آياته الكريمة علىٰ قصة عيسىٰ عليه السلام مرورًا سريعًا، لما ولدته

أمه وأتت به قومها تحمله، قالوا: يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا أخت هارون إلىٰ آخره... فأنطقه الله تعالىٰ قال ثلاث أو أربع كلمات وانتهىٰ يعني: انتهت المعجزة المتعلقة الآن بكلامه ثم عاش كما يعيش بقية الصبيان لكن موسىٰ عليه السلام ذكر الله تعالىٰ خوف أمه والحالة الاجتماعية للعائلة، وماذا فعلت أخته أيضًا؟ وحال فرعون لماذا أصلا أمه خافت؟

موسىٰ عليه السلام ذكر الله قصته قبل أن يولد وبعد ولادته أعطني نبيًا آخر ذكر الله قصته قبل أن يولد ليس هناك نبي، الله تعالىٰ يقول: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ [القصص:٤].

في سورة النمل وسورة القصص وغيرها نقول: عندما نقرأ بدايات هذه السور، نسأل: هل سيتحدث الله عن قصة فرعون؟ أم سيورد قصة موسىٰ؟ أم سيتكلم عن العبودية؟

إن الله ﷻ يسوق ثلاث أو أربع آيات عن فرعون وعن هامان ثم يقول بعد ذلك: وأوحينا إلىٰ موسىٰ إذًا الكلام عن فرعون يعتبر مقدمة للكلام عن موسىٰ عليه السلام، هذا أمر تميز به موسىٰ أن الله تعالىٰ ذكر الحالة الأجتماعية أو الأمنية أو حالة المجتمع في مصر لفرعون قبل أن يولد موسىٰ عليه السلام.

الأمر الثاني: أن الله ﷻ أيضًا فصل في هذه القصة يعني فصل في موسىٰ وكيف أخذه آل فرعون لم يقل الله تعالىٰ فالتقطه آل فرعون ثم قال: وربوه حتىٰ كبر لا ليكون لهم عدوًا وحزنًا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا ظالمين، انتهت. لا وقالت: امرأة فرعون إذًا امرأة فرعون اكتشفنا أن امرأة فرعون عقيم لا تُنجب، وما علاقة هذا بالموضوع؟

ذكر الله تعالىٰ قصة موسىٰ خمسة وعشرين مرة في القرآن، وذكر اسم موسىٰ عليه السلام مائة وثلاثة وثمانين مرة كلها يكررها رب العالمين مرارًا لأجل أن فيها العظة والعبرة.

ذكر الله في القرآن خمسة وعشرين نبيًا، الأنبياء كثر، الله ﷻ بعث إلىٰ بني اسرائيل وحدهم أكثر من مائة ألف نبي، فما بالك بعدد الأنبياء الزائد علىٰ هؤلاء الذين بعثوا

إليهم لكن الذي ذكره الله تعالىٰ في القرآن ذكر خمسة وعشرين نبيًا هؤلاء الأنبياء فصل الله تعالىٰ قصة بعضهم ذكر الله ﷻ واليسع، لكن ما ذكر لنا تفاصيل قصته، وإدريس لو سألتكم ما تفاصيل قصته؟ لن تجدوها في القرآن مفصلة كذلك في السنة لا أذكر أنها كانت موجودة حتىٰ إذا قرأت كلام ابن كثير أو غيره ممن تكلموا عن الأنبياء لا تجد أن عندهم تفصيلات يعني موسىٰ قصته في قصص الأنبياء كتاب قصص الأنبياء لابن كثير تصل إلىٰ خمسين صفحة، قصة إدريس صفحة ونصف فما في تفصيلات عنه، لكن الله ﷻ يذكر في كتابه من قصص الأنبياء ما كانت أمتنا محتاجة إليه يعني ذكر قصة شعيب في فتنة قومه بالمال واحتيالهم لأن قريشًا كما قال النبي ﷺ: «فتنة أُمتي في المال» حتىٰ ينبهنا انتبهوا من أكل الأموال بالباطل ذكر قصة غيره من الأنبياء، قصة موسىٰ مثلاً ليذكرنا أنه كما أن موسىٰ كان عند فرعون كذلك تجدون خلال التاريخ فراعنة كانوا يتجبرون علىٰ الناس ويردون الحق، لأنهم يريدون فقط مصالح أنفسهم ونحو ذلك فلا يذكر الله تعالىٰ إلا ما كان فيه مصلحة للناس، والذي لا يحتاج إلىٰ تفصيل لا يفصله مثل ما ذكر الله تعالىٰ مثلاً قصة أصحاب الكهف، قال: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾[الكهف:١٨] ولكن ما لون هذا الكلب؟ كم عمر هذا الكلب؟ لماذا كان معهم هذا الكلب؟ لا نحتاج إلىٰ معرفة ذلك. آدم ﷺ لما أكل من الشجرة، ما نوع الشجرة؟ لماذا أكل؟ ما نوع الثمر؟ هذا غير مهم فكذلك قصص الأنبياء يختار ربنا ﷻ ما يكون فيه الفائدة.

بقي معنا شيء من الكلام عن علاقة موسى ﷺ أيضًا بالبحر.

ذكرنا ما يتعلق بموسىٰ ﷺ وعن حال مصر قبل ولادة موسىٰ وكيف أن فرعون كان يقتل أبناءهم ويستحيي؟! أي: يستعبد نساءهم طبعًا لن نتكلم عن تفاصيل قصة موسىٰ لأنه لو تكلمنا عن تفاصيل قصة موسىٰ ﷺ قد نحتاج إلىٰ الكثير من الوقت. لكننا نتكلم عن ما يتعلق بالبحر من قصة موسىٰ ﷺ لكن لا بد أن نمر مرورًا سريعًا أيضًا علىٰ بقيته، فرعون قد رأىٰ رؤية أن ملكه يزول علىٰ يد رجل من بني إسرائيل، ولكن هل سكان مصر كانوا كلهم من بني إسرائيل؟ أم كانوا نوعين؟

سكان مصر في ذلك الوقت كانوا نوعين: المصريون الأصليون، وبنوا إسرائيل الذين جاءوا من فلسطين.

إسرائيل: هو يعقوب عليه السلام (إسرا) معناها: عبد، (ئيل) معناها: الله، مثل: جبرائيل، ميكائيل، إسرائيل معناها: عبد الله فهم من نسل يعقوب عليه السلام متىٰ جاء يعقوب إلىٰ مصر؟ لما يوسف تولىٰ الوزارة وأصبح وزيرًا وأصبح عزيز مصر فجاء أبواه وإخوانه ماذكر الله تعالىٰ في قصة يوسف لما خروا له سجدًا وقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا﴾[يوسف:١٠٠].

المقصود: أنه رأىٰ أن ملكه يزول بدأ يقتل أبناءهم فقال له: كل من يولد يقتل؟ قالوا له: أصحابه بعد خمس أو ست سنوات أو سبع سنوات، الآن كل بني اسرائيل كبار نحن نحتاج إلىٰ صغار يشتغلون في بيوتنا قال: إذا نقتل سنة ونترك سنة، السنة التي يقتلون فيها ولد موسىٰ عليه السلام لما ولد كتمت أمه أمرها عن جميع القابلات عن جميع النساء اللاتي يولدن وتحيرت وجاء الجند لأجل أن يفتشوا في البيوت، فأوحىٰ الله تعالىٰ إليها أن أرضعيه فإذا خفت عليه لم يقل لها خبئيه تحت السرير، أو أعطيه جيرانكم حتىٰ يذهبوا به ولكن قال: ﴿فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾[القصص:٧].

فإن عادة الأم إذا خافت علىٰ الولد ضمته إلىٰ صدرها وحرصت علىٰ أن يكون معها دائمًا ومع ذلك الله تعالىٰ يقول لها: إذا خفت عليه ففارقيه وفارقيه ليس فراقًا عاديًا فارقيه ألقيه في البحر طبعًا هي كانت علىٰ النيل فقال: ﴿فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ قال: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[القصص:٧] يعني هذا سيكون من المرسلين فهي وقع في قلبها اليقين، والوحي إلىٰ أُم موسىٰ لم يكن عن طريق جبريل إنما هو عن طريق الإلهام كما قال الله ﷻ: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ [النحل:٦٨] ما جاء جبريل إلىٰ النحل وقال: ﴿ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ﴾[النحل:٦٨] النحل ليست رسلاً يأتي إليها جبريل إنما ألهمها الله في نفسها، أن تفعل الشيء الفلاني فكذلك أم موسىٰ جعلت تفكر ماذا أفعل الآن؟ الجنود سيأتون ويأخذون ابني ويذبحونه ذبحًا؟ هذا الصبي الصغير ماذا أفعل؟

فألقىٰ الله تعالىٰ في قلبها هذا وقوة يقين بالله ﷻ وربط علىٰ قلبها أن تفعل هذا الشيء وتقرره، وفعلاً وضعته في صندوق وألقته في البحر في اليم وأصبحت فعلاً هذه أول علاقة موسىٰ عليه السلام مع الماء وبدأ يسبح به هذا اليم فإذا بفرعون الذي طغىٰ وتجبر وتكبر وكان حريصًا علىٰ ألا يبقىٰ حيًا هذا الولد الذي سيزول ملكه علىٰ يده، إذًا بالله ﷻ يأتي بموسىٰ ويوقفه عند بيتك يا فرعون ونتحداك يا فرعون تذبحه، نتحداك يا فرعون تتقي أذاه لك في المستقبل، نتحداك يا فرعون أنواع من التحديات، وفعلاً يأخذه فرعون ويلقي الله ﷻ في قلب امرأة فرعون محبة موسىٰ كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه:٣٩] برعايتي وحفظي كلمة يا جماعة ألقيت عليك محبةً مني هذا إذا حصلها العبد يعني النبي ﷺ ذكر أن بعض العباد جعل الله تعالىٰ لهم قبولاً في الأرض، فأنت أحيانًا تُلاحظ بعض الناس يقولون: إنهم شعروا بالارتياح لأشخاص بمجرد رؤيتهم لهم، سبحان الله! ما السبب في ذلك؟ علىٰ الرغم أنه لا يوجد سابق معرفة بينهم.

هذا قبول يضعه الله تعالىٰ في الأرض كما قال الله ﷻ عن موسىٰ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ عندما فتحوا الصندوق ونظروا إلىٰ هذا الصبي مباشرة فرعون قال: أنا لا أدري هذا من بني اسرائيل، أم من المصريين هذا حمله البحر من بلد أخرىٰ لا ندري لكن أنا من باب الاحتياط سأذبحه، فقالت له: قُرة عينٍ لي ولك لا تقتله، أرجوك اتركه عسىٰ أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا فبين الله ﷻ أنه حفظه، وكذلك مكن الله ﷻ وحفظ موسىٰ عليه السلام تربىٰ موسىٰ عليه السلام في بيت فرعون، تربىٰ تربية عادية ما ذكر في القرآن كيف كانت تفاصيل تربية فرعون، سوىٰ مسألة واحدة مسألة إرضاعه جعلوا يبحثون له عن مرضعة، نلاحظ هنا من الأحداث الظاهرة أنها شر؛ فإلقاء موسىٰ في اليم الظاهر منه الشر، وذهابه إلىٰ بيت فرعون الظاهر منه الشر ولكن ما نراه نحن شرًّا يُقدر الله فيه الخير للإنسان، يقدر الله تعالىٰ له قدرًا يراه الإنسان في ظاهره ضررًا عليه مثل ما قال الله ﷻ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[البقرة:٢١٦]، وقال ﷻ: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[النساء:١٩].

وهذه قصة من الواقع أذكرها لكم لتعلموا أن الخير كله فيما قدر الله، حتىٰ وإن كنا

نراه خلاف ذلك.

هذه قصة شاب أراد أن يخطب فتاة قد تعلق قلبه بها، فخطبها وعقد عليها وقد تعلق قلبه بها ثم البنت نفسها تراجعت عن الزواج قالت: لا أريده فتم تطليقه منها قبل أن يدخل بها تقطع قلبه عليها تزوجها شخص آخر وكاد قلب الأول أن ينفلق من شدة الحب والشوق، بعد زواجها من الثاني بثلاثة أسابيع أصيبت بسرطان في الثدي الأيسر وجلست تتعالج منه فترة فقطع الثدي، ثم انتقل مباشرة إلىٰ الثدي الأيمن السرطان وقطع ثم بعدها مباشرة يعني سبحان الله! متتابعة الأمراض، والرجل ينظر ثم ظهر عندها مشكلة في الدماغ وأصيبت بالعمىٰ، توفيت خلال تسعة أشهر، زوجها الثاني صار ما بين ممرض في البيت، وما بين سائق سيارة يذهب بها ويأتي وما بين منفق للمال عليها لم يستمتع بها ساعة، فكنت أقول للأول وعسىٰ أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم بالله لو أنك تزوجتها صحيح إنك ستؤجر - إن شاء الله - علىٰ عنايتك بها لكن سيُصيبك تعب والمتعة التي كنت تنشدها والسعادة لن تجدها، فكذلك ينبغي لنا الاستسلام لله لذلك النبي ﷺ يقول: «ارض بما قسم الله لك تكن مؤمنًا» ويقول في حديث ابن عباس رضي الله عنهما، يقول ﷺ: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك».

يعني: أنت ابذل واعمل لكن ما قدره رب العالمين سيحدث وليس علينا غير العمل لذلك أم موسىٰ يقال لها ولدك هذا الذي هو قطعة من جسدك وفلذة كبدك ألقيه في اليم. تقول: أرميه في البحر ألقيه في اليم؟ نعم ولا تخافي ولا تحزني غدًا أنت المنتصرة، وولدك المنتصر وفعلا يذهب موسىٰ عليه السلام، وبعد سنين يرجع إلىٰ أمه طبعًا هو رجع إليها مباشرةً وأرضعته سنذكر ذلك - إن شاء الله - لكن يرجع بعد ذلك مرسلاً ويكون له عليه الصلاة والسلام الملك علىٰ الناس علىٰ بني اسرائيل والحكم فيهم وقيادتهم وما شابه ذلك كيف أرضعته أمه؟ ماذا كان لموسىٰ عليه السلام بعد ذلك؟ لماذا خرج من مصر؟ كيف كانت علاقته بالبحر بعد ذلك؟ هذا ما سأذكره لكم إن شاء الله.

أسأل الله ﷻ أن يجزيكم خير الجزاء وأن ينفعنا وإياكم بما قلنا، وأن يقينا حر النار ويقي إخواننا أيضًا حر النار، بارك الله فيكم وصلىٰ الله وسلم علىٰ رسول الله ﷺ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ماذا حدث لموسىٰ عليه السلام بعدما ألقي في اليم؟ كيف أرضعته أمه؟ كيف عاد إليها؟ لم نتحدث بالتفصيل عن قصة موسىٰ عليه السلام، إنما سنذكر ما تجدد بعد ذلك من علاقته بالماء وعلاقته بهذا البحر الذي يحدثنا بشيء من أخباره وأسراره نتحدث عن موسىٰ عليه السلام وأن علاقته بالماء علاقة متصلة يعني يضرب الحجر فيخرج منه الماء انبجست منه اثنتا عشرة عينًا منذ أن ولد يلقىٰ في اليم يلقىٰ في الماء هلاك فرعون أيضًا وموسىٰ عليه السلام يراه أيضًا كان في الماء ولو أذن الله تعالىٰ أيضًا لذاك الماء أن يتحدث لأخبرنا بقصة موسىٰ عليه السلام معه تعالوا نمر مرورًا سريعًا علىٰ ما مضىٰ حتىٰ نربط - أحبتنا - بما سبق، موسىٰ عليه السلام ولد في عصر فرعون ألقته أمه في اليم لما خافت عليه ألتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوًا وحزنًا جعلوا يبحثون له عن مرضعة، يعني تعرفون في السابق ما عندهم رضاع صناعي لا بد أن يكون رضاع طبيعي فيبحثون له عن امرأة ترضعه أصبح فؤاد أم موسىٰ فارغًا.

وما معنى فارغًا؟

أي: أنها لا تفكر في شيء، سوىٰ ابنها موسىٰ لذلك قال الله تعالىٰ: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[القصص: ١٠]، حتىٰ إنها أرسلت أخته لتتعرف أخباره وتبحث عنه، فعلمت أخته أنه في بيت فرعون، وأنه يأبىٰ الرضاعة من جميع النساء فقالت للجواري في قصر فرعون: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ﴾[القصص:١٢]، فرجعناه و رددناه إلىٰ أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق لما قال: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾[القصص:٧]، قال: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ معناها: وعدي حق ففعلاً أصبح مع أمه وكبر موسىٰ.

كيف خرج موسىٰ عليه السلام من مصر؟ وكيف حدثت له قصة أخرىٰ مع الماء؟ جعل موسىٰ عليه السلام كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي

ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[القصص:١٤] ودخل المدينة يعني مصر علىٰ حين غفلةٍ من أهلها حين غفلة من أهلها يعني: قبيل الظهر، لأنهم كانوا من الفجر يشتغلون في مزارعهم وغير ذلك ثم ينامون قبل الظهر، ثم من بعد الظهر إلىٰ الليل إلىٰ المغرب تقريبًا يشتغلون ثم يرتاحون فدخل قبيل الظهر ووجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته يعني من بني إسرائيل، قلنا إسرائيل من هو؟ يعقوب، نعم. هذا من شيعته وهذا من عدوه، أي: من قوم فرعون فاستغاثه الذي من شيعته علىٰ الذي من عدوه جاء موسىٰ يفصل بينهم، وكان المصري من أهل البلد، ويرىٰ نفسه أفضل من بني إسرائيل؛ لأنهم مُستضعفون، والمصريون أهل قوة وبطش يستحيون نساء بني إسرائيل، ويذبحون أبناءهم وكان المصري هو المعتدي جاء موسىٰ وضربه ووكزه موسىٰ، وكزه موسىٰ: ضربه عند انفصال العظام، العظام تلتقي عند النحر وهنا يبدأ البطن، فجاء موسىٰ وضربه في هذه المنطقة وإذا ضربت إنسانًا فيها يصاب بضيق نفس وينكتم نفسه وربما مات مع قوة الضربة، فالرجل أُصيب بضيق في النفس وقع ومات ووكزه موسىٰ فقضىٰ عليه لما رأىٰ الرجل ميتًا قال: ﴿ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾[القصص:١٥] مباشرة استغفر قال: ربي اغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال: ﴿ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾[القصص:١٧].

وكذلك الإنسان إذا تاب إلىٰ الله المفروض ينتهي عن المعاصي، أصبح في المدينة خائفًا يترقب، وفي الصباح علم الناس أنه يوجد قتيل وأخذوا يتساءلون: من الذي قتله؟ وكيف قتله؟

لا أحد يعرف الخبر من الناس إلا موسىٰ ورجل من بني إسرائيل، وهو الرجل الذي استغاث بموسىٰ، فأصبح في المدينة خائفًا يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخ اليوم: يا موسىٰ قال: إنك لغوي أنت صاحب مشاكل إنك لغوي مبين فلما أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما - وهو المصري - من قوم فرعون أقبل موسىٰ عليه السلام إلىٰ الاثنين وهو غضبان، فالذي من بني اسرائيل لما رأىٰ موسىٰ مقبلاً، تذكر إقباله أمس إلىٰ المصري قال: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾ [القصص:١٩]مباشرة انتشر الخبر إلىٰ الناس بدءوا يقولون نحن عرفنا الذي قتل الرجل هو موسىٰ وتعالوا إلىٰ موسىٰ نقتله، ولكن موسىٰ عليه السلام تربىٰ في قصر فرعون أليس كذلك؟ إذن هو ابن فرعون بالتبني.

والأمر الثاني: أن له هذا العز والشرف ما دام في بيت فرعون معناه إن الحاشية التي عند فرعون والخدم كلهم أصحاب لموسىٰ عليه السلام كيف هؤلاء يجرءون ان يأتوا إلىٰ موسىٰ ليقتلوه؟ كما قال الله ﷻ: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [القصص:٢٠] كيف يتجرءون أن يقتلوا موسىٰ عليه السلام وهو الذي تربىٰ في قصر فرعون؟

لما بدأ موسىٰ عليه السلام يكبر بدأت الأمور بينه وبين فرعون لا تسير كما كانت عندما كان صغيرًا، بدأ فرعون يشعر بميل موسىٰ بميله إلىٰ بني إسرائيل، بنصرته للمظلومين بوقوفه مع الضعفاء، وهذا المنهج لا يعجب فرعون، فرعون يريد أن يقول للناس الشيء يكون، الأمر الثاني الذين تآمروا بموسىٰ ليسوا عامة الناس إنما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ ...﴾ الملأ يعني الوزراء والكبراء والحاشية والتجار الكبار ثم قال: يأتمرون ما زالوا يتشاورون هل يعارضهم فرعون أم لا؟ لكن هناك احتمال يا موسىٰ أنك تقتل ولو اغتيالاً فاخرج أفضل، اخرج لأنك لا تضمن السلامة، فعلاً خرج موسىٰ عليه السلام من هذا المكان.

فخرج منها خائفا يترقب وتوجه تلقاء مدين ثم قال ﷻ: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ﴾ [القصص:٢٣] وجد عليه أُمة من الناس ماذا يفعلون؟

يسقون. ووجد من دونهم إمرأتين تذودان الغنم، معهم مجموعة من الغنم وهؤلاء يأتون إلىٰ البئر يستخرجون الماء منها ويسكبونه في حوض بجانب البئر ثم إذا انتهوا أغلقوا فم البئر بصخرة، لأجل ألا يأتي شيء من الطير، أو من الكلاب وتقع فيه وتفسد عليهم الماء، فيغلقونه ويبقىٰ شيء من الماء اليسير في هذه البركة، أو هذا الحوض الذي بجانب البئر فالمرأتان لا تريدان أن تختلطا بالرجال فتذودان الغنم، موسىٰ عليه السلام

قال: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ شي غريب يعني كل الغنم تشرب وعطشىٰ إلا الغنم التي معكما ﴿مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾[القصص:٢٣] لما يصدر الرعاء ويبتعدون نأتي نحن ونسقي، فحتىٰ لا يقول موسىٰ عليه السلام: ما الذي أخرجكما من المنزل إذا كنتما تخافان الاختلاط بالرجال؟ قالتا: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ ففهم موسىٰ عليه السلام أنهما ليس لهما أخ لأنهما لم تذكرا الإخوة ما ذكرتا الإخوة معناها أن الأب هذا لم يرزق من الذرية إلا ببنتين وهذا المسكين لا يستطيع أن يمشي ويتنقل مع الغنم، وبالتالي الغنم تحتاج إلىٰ من يرعاها من يضبطها، من يحفظها من الضياع، من يحفظها من الذئاب، لو جاء إليها ذئب فقام موسىٰ عليه السلام وسقىٰ لهما، ولكن ماذا نفهم من قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾[القصص:٢٣ - ٢٤].

نفهم من هذه الآية عدة أشياء:

أولها: شهامة سيدنا موسىٰ عليه السلام ومروءته حيث بادر لمساعدتهما وسألهما ما خطبكما وكأنه يعرض عليهما المساعدة، كلام مُختصر يتحقق به النفع والمصلحة دون الإطالة في الحديث مع النساء بغير نفع أو مصلحة، كما يحدث من بعض الشباب اليوم، فقد يتصل بأحد الشباب فتاة ويكون الاتصال سببه خطأ في الرقم، فلا يُنهي الشاب المكالمة بسرعة، ويقول لها: الرقم خطأ، ولكن يُطيل في الحديث، فإذا سألته: هل أنت أحمد؟ يقول لها: من أحمد؟ وأي أحمد تريدين؟ ومن تقصدين، وما الرقم الذي تريدينه؟ ويطيل معها الحوار بطريقة لا تليق بمسلم، حتىٰ إنه لا يقبل أن يحدث ذلك مع أخته، وإن قبل ذلك فقد نُزعت منه الغيرة والمروءة.

وثاني الفوائد من هذه الآية: هو خُلق الحياء الذي تتمتع به كلتا الفتاتين حيث إنهما كانتا تبعدان الغنم حتىٰ لا يختلطان مع الرجال، ويدل علىٰ ما لديهما من دين وحرص علىٰ عدم الاقتراب من الرجال.

ثالث الفوائد: أن المرأة لا تخرج إلا بعذرٍ شرعي، كما هو الحال في هذه القصة،

فالفتاتان لم تخرجا إلا مع عدم وجود الأخ الذي يقوم برعاية الغنم، ومع ضعف قوة الأب بسبب كبر السن.

قال الله تعالىٰ: ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ﴾ [القصص:٢٤] يقول المفسرون: جاء موسىٰ عليه السلام إلىٰ الصخرة التي يحملها أربعة رجال أزاحها عن البئر الدلو كبير عادة يملؤنه ويبدأ يسحبه أربعة أو خمسة جاء موسىٰ وسحب الدلو وكان موسىٰ عليه السلام فعلاً يتميز بالقوة وسقىٰ لهما رأت المرأتان الذي يقوم به الرجال الأشداء أربعة أو خمسة قام موسىٰ عليه السلام به وحده، زد علىٰ ذلك أن موسىٰ عليه السلام سقىٰ لهما مُسرعًا، عادت المرأة تجمع الماء وغيره فرجعتا إلىٰ أبيهما مبكرتين فسألهما أبوهما: ما الحدث؟ فقصتا عليه ما حدث؟ وكيف سقىٰ لهما موسىٰ؟ ولاحظ أيضًا موسىٰ لما سقىٰ لهما تولىٰ إلىٰ الظل ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ . . . ﴾ [القصص:٢٤]، ونلاحظ أن موسىٰ عليه السلام لم يطلب من الفتاتين شيئًا لم يقل لهما أنا ظمآن، أعطياني شيئًا من الحليب، لم يطلب منهما شيئًا فكان عمله خالصًا لوجه الله تعالىٰ، وهذا يدل علىٰ إحسان موسىٰ إلىٰ الآخرين، وأنه لا يسأل العبد شيئًا ولكن يسأل الله عز وجل .

بعد ما رجع الفتاتان إلىٰ أبيهما، أخبرتاه بما حدث وما شاهداه من قوة موسىٰ ومعاونته لهما، فأرسل الأب إلىٰ موسىٰ إحدىٰ ابنتيه، وقد يقول قائل: كيف يرسل فتاة واحدة إلىٰ موسىٰ في ظلام الليل؟ وقد تحدث الخلوة غير الشرعية مع موسىٰ، ولكن يبدو أن ظروف الأب كانت لا تسمح بذهاب البنتين.

يقول الله تعالىٰ: ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾ [القصص:٢٥] والآن المشي علىٰ الاستحياء قليل، الآن تجد أن المرأة أكثر جرأة من الرجل بمشيها وضحكها والصوت العالي قال الله: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص:٢٥-٢٦] كيف أنها عرفت أنه قوي وأمين؟ من كان أمينًا علىٰ النساء إلىٰ هذه الدرجة اعرف يا أبي أنه سيكون علىٰ غيرها أمين، لذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ان فتنة

بني إسرائيل في النساء» يعني النساء أشدة فتنة عليهم.

أسأل الله ﷻ أن يجزيكم خير الجزاء وأن ينفعنا وإياكم بما قلنا، وأن يقينا حر النار ويقي إخواننا أيضًا حر النار، بارك الله فيكم وصلىٰ الله وسلم علىٰ رسول الله ﷺ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

۞ ۞ ۞

السيدة مخة أخت بشر الحافي

بشر الحافي كان زاهدًا من الزهاد، كان في عصر الإمام أحمد وكان الإمام أحمد بن حنبل: يثني عليه كثيرًا في زهده وورعه.

مخة أخت بشر الحافي كانت امرأة عابدة عندها نوع من الورع.

الورع: يعرفه العلماء فيقولون: أن تترك ما لا بأس به خوفًا مما به بأس؛ يأتي شخص إلىٰ إنسان يقول له: لقد اكتشفوا أو صنعوا نوعًا جديدًا من العصير أو نوعًا من المرطبات مثل المرطبات المشهورة الآن مثل البيبسي والكولا.

وهو مرطب جديد جميل ولذيذ ومسموح به ويباع، يشتريه الكبير والصغير؛ لكن يبدو أن فيه نسبة قليلة جدًا جدًا من مادة تستعمل في صنع الخمر.

فقال: تعني أنه مسكر.

قال: ليس بمسكر.

هل شرب الكثير منه يسكر، فالنبي ﷺ يقول: «ما أسكر كثيره فقليله حرام».

قال: لا. كثيره وقليله لا يسكر، لكن فيه مادة تشبه بعض المواد التي تستعمل في الخمر، عندما تقرأ المكونات وتقرأ مكونات الخمر تجد فيه تشابهًا في مادة واحدة، لكن بنسبة قليلة، فهو جائز الشرب والعلماء أفتوا بجوازه، هذا المشروب الذي ليس مسكرًا ولا خمرًا، بل مرطبات.

فيقول صاحبنا: والله يا أخي، ما دام فيه مادة تشبه الخمر إذًا ابعدني عنه كله.

قال: لماذا؟

فقال صاحبنا: يا أخي الأنواع كثيرة، أنا سأشرب أي نوع من العصائر والمرطبات وليس ضروريًا أن أشرب هذا النوع.

أنا لن أتساهل بشربه حتىٰ لا يكون هذا مرحلة للتساهل فيما هو أشد منه مثل السارق، السارق لا تكون أول جريمة سرقة خمسة ملايين أو ستة ملايين. في الغالب يسرق من البقالة التي بجانبه ثم يسرق مائتي أو ثلاثمائة ريال ثم يبدأ في سرقة الهواتف الجوالة ثم يسرق أكثر فأكثر.

فالمقصود: أن الورع هو أن تترك ما لا بأس به خوفًا مما به بأس؛ خوفًا من أن تتساهل، ففي الصلوات مثلاً تجد الإنسان الذي يحرص علىٰ أن يصلي السنة التي قبل الصلاة لا بد أن يبكر للمسجد أصلاً، وبالتالي لن يضيع تكبيرة الإحرام ولا تفوته أبدًا، لكن لو تساهل في السنة القبلية فستفوته تكبيرة الإحرام.

وإذا تساهل في تكبيرة الإحرام شيئًا فشيئًا تفوته الصلاة كلها، ويبدأ يصلي مع الجماعة الثانية التي في المسجد.

هذا كله من تساهل الإنسان في مثل ذلك، وهذا هو الورع الذي نذكره: هو أن تضع حول المحرمات سدًا منيعًا حتىٰ لا تستطيع الوصول إليها.

ما علاقة المرأة البطلة التي سنتكلم عنها بهذه القضية؟

المرأة كانت ورعة شديدة الورع وشديدة الخوف من أن يكون الشيء الذي تفعله محرمًا!

أعطيكم مثالاً: كانت المرأة تغزل وتتكسب المال من الغزل -والغزل: هو أن تأخذ خيوط الصوف وتصنع منها قماشًا- فأحيانًا ينطفئ السراج عندها في الليالي المقمرة فتغزل علىٰ ضوء القمر، تجلس في فناء المنزل وتغزل علىٰ ضوء القمر، وتبيع.

جاءت مرة إلىٰ أحمد بن حنبل، قالت له: يا أبا عبد الله، قال: نعم. قالت: عندي

استفتاء، قال: نعم؟ قالت: أنا أغزل علىٰ ضوء السراج فأكمل الغزل علىٰ ضوء القمر، فهل يجب علي عندما أريد أن أبيع أن أبين لهم أن هذا غزل علىٰ السراج وهذا غزل علىٰ ضوء القمر؟ مع أن الغزل واحد لا يوجد فرق، هو قماش واحد لا يوجد فرق؟

فقال الإمام أحمد: أبينهما فرق؟

قالت: لا والله ما بينهما فرق، لكن جرت العادة أن الناس يظنون أننا نغزل إما في النهار وإما علىٰ ضوء السراج، وأنا أستفيد أني أوفر الزيت وأغزل علىٰ ضوء القمر، فهل يجب علي أن أخبر الناس أم لا؟

فقال: أنتْ مَن؟ لأن المرأة محجبة تمامًا، قالت: أخت بشر الحافي.

قال: آه مِن بيتكم خرج الورع، أنتم الذين عندكم مثل هذه الدقة ثم أفتاها بما أفتاها به وذهبت.

وفي رواية: أنها سألته سؤالاً آخر، قالت له: يأبا عبد الله، أحيانًا وأنا أغزل في فناء المنزل يجيء الشرط (الشرطة الذين يسيرون في الليل) معهم شعل من نار (يشعلونها ويمشون ففي الماضي ما كانت توجد أنوار) تقول: فأحيانًا يأتي هؤلاء ويقفون بجانب البيت يتحدث بعضهم إلىٰ بعض، وشعلة النار مشتعلة وبالتالي تضيء لي وأنا في المنزل، تقول: فأفرح وأطفئ السراج حتىٰ أوفر الزيت وأغزل علىٰ ضوء هذه الشعلة.

ثم قالت: فهل يجب علي أن أستأذن منهم؛ لأجل أن أغزل علىٰ ضوء الشعلة التي معهم؟

الآن يأتي واحد ويسألك عن حكم معين تقول له: حرام، فيقول: يا شيخ حرام جدًّا جدًّا، ما فيه قول آخر، حرام كثير ولا حرام (شوي)، ولو بان أنه حرام (شوي) يفعله، وأحيانًا يتساهل.

بالنسبة للتساهل تجد الشخص مثلاً إذا لم يجز له الشيخ ما يريد يذهب لشيخ آخر حتىٰ يحصل علىٰ الفتوىٰ التي يبغيها.

أحيانًا يذهب الشخص لتتبع الفتاوىٰ، وتتبع الفتاوىٰ لا يجوز؛ لكن هذا يجري

للكلام عن مسألة أنواع النساء في الورع، ما دام برنامجنا حول القوارير وحول أخواتنا وأمهاتنا ونسائنا عمومًا.

أنواع النساء حتىٰ في الورع ينقسمن إلىٰ قسمين:

منهن المتساهلات فتجد الواحدة تأتي إلىٰ الشيخ وتقول له: فضيلة الشيخ ما الحكم إذا أردت أن ألبس ملابس إلىٰ الركبة وأجعل (البلوزة) تخرج شيئًا من صدري وشيئًا من ظهري. يقول: هذا يا ابنتي لا يجوز.

فتقول: لا يراني إلا النساء في عرسي.

يقول: حتىٰ لو في عرس يا ابنتي لا يجوز مثل هذا اللبس.

تقول: يوجد شيخ مرة أفتىٰ وقال: إن المرأة عورتها من السرة إلىٰ الركبة، وشيخ آخر أفتىٰ بكذا، فهذه متساهلة تبدأ تتبع الرخص مع أن الذين أفتوا أن المرأة عورتها من السرة إلىٰ الركبة لم يقولوا: إن المرأة هذا هو أصل لباسها،إنما تخرج ما فوق السرة وما تحت عند الحاجة.

مثلاً: امرأة جالسة مع مجموعة نساء فأرادت أن ترضع ولدها فكشفت ثديها وأرضعت ولدها فهذا جائز، لكن لو أرادت مثلاً أن تحك فخذها فلا يجوز لها أن تخرج فخذها أمام النساء وتحكه حتىٰ إذا كان لحاجة، تذهب وحدها وتحك فخذها ثم تعود.

أو لو عندها مثلاً لزق أو مسحة طبية أو أي أمر فأرادت لأجله أن تعطي لنفسها إبرة أنسولين أو كذا فلا يجوز أن تكشف فخذها أمامهم، بل يجب أن تذهب وحدها؛ لأن العورة ما بين السرة إلىٰ الركبة.

ومثلاً: امرأة جلست وكانت تغسل في البيت أو هكذا، فخرجت ساقها، فهذا الأمر فيه سهل، فليس الأصل في الجواز أن المرأة تفصل لباسها أصلاً علىٰ هذا اللباس بالشكل الكاشف.

فلما تأتي امرأة متساهلة وتقول: يا أخي أصلاً أنتم لماذا تشددون علينا أنتم

أعطيتم الموضوع أكبر من حجمه،هناك مشايخ يفتون بغير ما تقولون به:

أنت تقول: الأغاني حرام، ويوجد شيخ يقول: حلال ...

هؤلاء المتتبعات ليس عندهن أي نوع من الورع مع الأسف، فهذه كيف تأتي إليها وتحدثها بخبر مخة أخت بشر الحافي التي تقول: أنا أغزل علىٰ ضوء هؤلاء لا بد أن أستأذن منهم أم لا؟

أعجبني سؤال من أحد الشباب سئل لي من عدة أيام يقول: يا شيخ أحد جيراننا ركب عنده (مودم خاص بالإنترنت) وهو شيء خاص بـ(DSL) للإنترنت وأحيانًا (المودم) يكون مداه طويلاً، فيقول السائل: يا شيخ، إنني عندما أشغل الكمبيوتر عندي أجد فيه (DSL) يعمل.

يقول: وأظنه من إحدىٰ الشقق التي حولت في العمارة، وهو لا يضطره أن يضعه برقم سري أو يتركه مفتوحًا؛ لأن (الصرفية) واحدة بالشهر مثلاً: يدفع في الشهر خمسمائة ريال سواء استعمله ٢٤ ساعة أو استعمله ١٠ دقائق. مدفوع التكلفة واحدة.

فيقول الشاب: أنا يا شيخ عندما أفتح الإنترنت عندي علىٰ ذبذبات تأتيني لا أدري مِمن؟ ولا أدري من الذي يدفع حسابها؟ فهل يجوز لي أن أستعملها أم يجب أن أذهب إلىٰ الشقق وأضرب عليهم الباب وأقول يا جماعة من منكم عنده إنترنت (DSL)؟ هل تأذن لي أم لا؟

أنا يعجبني هذا النوع من الورع، فكنت أفتيه وأقول: ليس عليه ضرر وأنت لا تستعمله إلا في طاعة، فلا بأس.

مثلما يأتي جارك ويضع (لمبة) أمام بابه وتأتي أنت وتجلس أمام بابه بغير ضرر، تذاكر كتبك اعتمادًا علىٰ الضوء الذي خرج منه، فليس عليه ضرر وأنت ليس عليك في ذلك بأس؛ لكني أوردته لأبين مسألة الورع عند البعض.

هذا هو النوع الأول من النساء المتساهلات.

النوع الثاني: المتشددات جدًّا حيث يجعلن كل شيء فيه حرج، وكل مسألة من

الزينة المباحة تقول: لا والله مرة شيخ أفتى، إذًا أنا سأتركها مع أنه ربما يكون إجماع العلماء على جوازها، لكن مع ذلك تحاول أن تبتعد عنها.

الورع بالمناسبة له أنواع كثيرة:

منها ورع اللسان: وهو أن يخاف الإنسان أن يقول كلمة وربما تكون هذه الكلمة مرحمة، لكنه يقول: الأفضل أن أسكت.

وهذا يذكرني تعالى بحديث عائشة ﵂ وكانت صائمة وفي أثناء صومها أذن المغرب وحل لهم الأكل، أحيانًا يؤذن عليك المغرب وأنت لست عطشان ولا جائعًا، فتأتي وتبكر من باب تطبيق السنة ويكمنك أن تواصل ساعتين زيادة على دخول الوقت.

فقالوا لها: يا أم المؤمنين نقرب إليكِ المائدة؟ هي لا تحتاج طعامًا!

قالت: هاتوا الطعام يعبث به، ثم قالت: أستغفر الله أستغفر الله، أعبث بنعمة الله، ثم أرسلت بمالها واشترت عبدين مملوكين وأعتقتهما لوجه الله؛ توبة من هذه المعصية.

ترى الورع في اللسان؛ لأن النبي ﷺ يقول: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه» وفي رواية قال: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً تهوي به في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب » كلمة واحدة.

ويقولون عن الإمام أحمد بن حنبل: إنه عاد رجلاً، فلما عاد هذا الرجل أقبل إليه فإذا الرجل مريض قد اشتد مرضه، فقال له أحمد: أتيت الطبيب (ركزوا معي في اللفظ) قال: أتيت الطبيب، فقال الرجل: نعم. أتيت فلانًا الطبيب، فقال أحمد: لا، اذهب إلى فلان فإنه أطب منه أي: أفضل منه في الطب.

ثم قال أحمد: أستغفر الله أراني قد اغتبت الأول.

فكيف حالنا نحن اليوم؟

أرأيت ورعهم في اللسان حتىٰ إن أحدهم ليدقق علىٰ نفسه بهذه الكلمات، وهذا يدلك علىٰ أنه لن يتكلم متعمدًا بحرام.

لأن النبي ﷺ يقول: «الغيبة ذكرك أخاك بما يكره» فهو يكره هذا الكلام، ترىٰ الدقة في مراقبة النفس ومحاسبتها.

فمسألة الورع مسألة مهمة.

ونعود إلىٰ مخة أخت بشر الحافي وكيف أنها كانت تدقق في محاسبة نفسها في مسائل الورع حتىٰ في أسئلتها؛ حتىٰ ذكر أنها جاءت مرة إلىٰ الإمام أحمد -وهي تأتي إليه لأنه عالم ذلك الزمان- جاءت إليه يومًا فسألته قالت: يا إمام أنين المريض، تعني قول المريض: آه آه، هل يعد من الشكوىٰ أم لا؟

قال: كيف؟

قالت: هل يعد شكوىٰ لغير الله فينقص أجري أم لا توجد مشكلة؟

بينما الناس الآن إذا مرضوا أو مرض أولادهم لم يفكروا في الأجر، بل يبادرون بقول لم يا رب... إلخ.

وهذا اعتراض علىٰ قضاء الله وقدره.

الورع في المال والتساهل فيه:

مثل الأسهم: فتجد بعضهم يقول: أنا أرضىٰ بفتوىٰ شيخ واحد فقط أحلها وأنا أضعها في ذمته، ولعله يكون عالمًا وموقنًا في قرارة نفسه أنها حرام؛ لكنه يبغي شيخًا يقول: حلال.

والورع: أن يخاف الناس الله سبحانه حق الخوف فإذا وُجد شيخ واحد أفتىٰ أن هذا الشيء فيه شك والباقين كلهم قالوا: لا يوجد فيها شيء؛ تركه لوجه الله، وقال: يبدلني الله خيرًا منها.

مثال ذلك: الأسهم كما ذكرت وغيرها، فكون الإنسان يتورع في مسألة المال،

أمر مهم؛ ذلك أن النبي ﷺ يقول: «الحلال بيّن والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمن كثير من الناس».

مشتبه أي: لا أدري هو حلال أم حرام؟

العلماء أنفسهم لا يقدرون أن يفتوا بما فيها؛ لأنه لا يعلمها كثر من الناس، ويأتينا الدواء قال ﷺ: «فمن اتقىٰ الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه».

استبرأ لدينه؛ كيلا ينقص مني شيء وأصاب بسيئات، واستبرأ لعرضه؛ حتىٰ لا يتكلم الناس في عرضه.

مثلاً: الآن لو أن واحدًا رأيته داخلاً إلىٰ سوق، وهذه السوق مشتهرة مثلاً بالتكشف والغزل، وفيها أكثر من محل يبيع الخمر ونحو ذلك، أفلا يكون ذاك مدعاة لكلام الناس في عرضه؟ بلىٰ.

يقولون: ما السبب في ذهاب فلان إلىٰ هذه السوق؟ ما الذي أدخله هذا المكان؟ لو كان فيه خير لما ذهب إليه.

فالنبي ﷺ نصح وبين الطريق التي نتخلص بها من مثل ذلك؛ يقول ﷺ: اتق هذه الأماكن التي بها مشكلة وشبهة، «فمن اتقىٰ الشبهات فقد استبرأ لدينه». لا أنظر إلىٰ حرام.

واستبرأ لعرضه أي: لسمعته، بمعنىٰ: طلب البراءة والسلامة لسمعته.

ثم قال: «ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام». هذا في الذي يتساهل في الوقوع في الأمور المشتبهة شيئًا فشيئًا؛ مثلما ذكرنا عن السارق أول مرة يسرق حلويات وهو شيء صغير فإذا كبر سطا علىٰ المصارف والبنوك وغير ذلك، فيقول: «ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام».

ثم قال: «كالراعي يرعىٰ حول الحمىٰ يوشك أن يرتع فيه».

الحمىٰ: كان الملوك والخلفاء في السابق يجعلون لهم مجموعة من الإبل

ويجعلون لها حمىٰ؛ أي: مكانًا معينًا ممنوعًا أن يرعىٰ الناس فيه إبلهم وغنمهم؛ هذا المكان وهذه الدائرة مخصصة لإبل فلان وحده لا يشترك معه غيره فيها، فهذا هو الحمىٰ.

فيأتي بعض الرعاة ويرعىٰ حول هذا المكان والزرع والنبت فيه كثير؛ لأنه حمىٰ، فيبدأ الراعي يقول: لن أدخل الحمىٰ؛ ولكن أطوف حوله؛ فإذا جاء حول الحمىٰ يوشك أن يرتع فيه؛ يعني: يرعىٰ فيه.

ثم قال ﷺ: «ألا وإن لكل ملك حمىٰ ألا وإن حمىٰ الله محارمه».

الله تعالىٰ وضع حمىٰ بداخلها يوجد زنًا وشرب خمر... وإلخ ووضع سياجًا وتحذيرات: لا تقربوا هذه المحرمات؛ فكون الإنسان يجترئ ويقول: أنا لن أزني لكني أحوم حول الحمىٰ، أدخل إلىٰ المرقص وأنظر إلىٰ النساء، أنظر فقط.

فهذا نقول له: أنت تحوم حول الحمىٰ.

إنسان قال: أنا لن أشرب حمر؛ لكن أدخل البار وأنظر الذين يشربون.

أنت تحوم حول الحمىٰ.

إذا قال: لن أدخن؛ لكن أشم الرائحة وأخذ شرفة.

نقول له: أنت تحوم حول الحمىٰ الآن.

قال: أنا لن أكلم بنات ولكن أدخل الشات وأرىٰ المكالمات والمحادثات بينهم، نقول: أنت تحوم حول الحمىٰ.

ابق بعيدًا ولا تكن كالراعي يرعىٰ حول الحمىٰ يوشك أن يرتع فيه.

الورع في النظر وإطلاق النظر:

عندما ذكر الله تعالىٰ النساء قال: ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا ﴾ [النور:٦٠]، مثلاً امرأة عمرها تسعون سنة، فهذه لا ترجو نكاحًا، حتىٰ لو تزينت وتجملت ووضعت أنواع (المكياج) فلن يخطبها أحد.

قال: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾، تنزع حجابها، تكشف وجهها ثم قال: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾، يعني: لا تتزين ولا تضع (المكياج).

ثم قال: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾، حتىٰ لو كان عمرها تسعين سنة فالأفضل لها أن تتحجب وتتغطىٰ.

يا رب أنت قلت: القواعد، نعم قواعد؛ ولكن إذا سترت نفسها فأحسن وأفضل لأجل النظر.

ولعل هذا مما يدفع المفاسد مثاله: إنسان جاء وبدأ يطلق بصره في النساء، وقال: هذه عمرها تسعون سنة ولا شيء علي إن نظرت لها.

وهذه عمرها خمس وثمانون، ثم يقول: وهذه عمرها سبعون فهي قريبة منها، وهذه متزوجة وعندها عيال ولا توجد مشكلة، وهذه قريبة: زوجة عمي، زوجة خالي ونحو ذلك؛ فربما ينساق حتىٰ ينظر إلىٰ ما هو أدنىٰ من ذلك.

بالنسبة لموضوع المال والأوراق المالية:

تجد التجار والذين ينفذون المشاريع أمرهم عجيب، فعندما يكون المشروع مسئولاً عنه التاجر؛ تجد المسئول مثلاً يقول: ما شاء الله المشروع كلفك مبلغًا وقدره ١٠ ملايين مثلاً فيقول: لا أكثر من ذلك قاصدًا رشوة من الـ ١٠ الملايين، بالرغم من أن المشروع تم؛ ولكنه يقول: المرة القادمة حاول أن يكون لنا نصيب، فموضوع الرشوة مسألة كبيرة وخطيرة.

حتىٰ الموظفون الصغار يا شيخ يمكن أن تتعقد مسألة في معاملة معينة إلىٰ أن تجد عن طريق غير مباشر شخصًا أو مكتبًا يدفع لهذه الجهة؛ لكي تتسير هذه المعاملة.

والله أنا أقول: تساهل الناس بالرشوة اليوم ووقوعهم فيها أصبح مشكلة عامة في الأمة، النبي ﷺ يقول: «لعن الله الراشي والمرتشي» ومع ذلك نجد أن بعض الناس لا

يوجد عندهم مشكلة في الرشوة، والنبي ﷺ يقول: «يأتي على الناس زمان لا يبالي الرجل من أين اكتسب المال من حلال أم من حرام».

الرجل والمرأة سواء همهم الأكبر جمع الفلوس، ولا يضر أحلال أم حرام، لا تدخلني في هذا الموضوع؛ أهم شيء بدل أن يكون عندي ألف يكون عندي عشرة آلاف، وأن أزيد الأصفار وأزيد الرصيد.

قال: لا يبالي الرجل من أين أخذ المال من حلال أم من حرام، وهذه الحقيقة مشكلة وتساهل الناس بها سيؤدي بهم إلى عظام.

النبي ﷺ دخل بيته فلما جلس على فراشه التفت فرأى ثمرة وكان جائعًا فأخذ هذه الثمرة ورفعها ومسحها، فلما أراد أن يأكلها قال: «لولا أني أخشى أن تكون من تمر الصدقة لأكلتها، فتصدق بها».

يقول: الناس يجمعون عندي الصدقات وأنا أوزعها على الفقراء، فأخاف أن تكون هذه التمرة وقعت من أحد الناس.

وفي يوم آخر كانت الصدقة بين يديه ﷺ وكانت من تمر فأقبل الحسن أو الحسين ابن بنته طفل صغير وأخذ تمرة ووضعها في فيه فقام النبي ﷺ وأمسك يده وأخرجها من فيه وقال: «كخ كخ. أما علمت أنها من الصدقة، والصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد» ومسحها النبي ﷺ وأعادها مع التمر.

والآن -سبحان الله- نتساهل في أكل الأموال الحرام وأموال اليتامى والاحتيال على الناس.

بعض الناس في الحقيقة إذا رآكِ تتورع عن بعض الأمور، قاسك على نفسه، فإذا كان متساهلاً ١٠٠٪ ورآك أنت متشددًا إلى ١٠٪، ٢٠٪، قال: يا شيخ، لماذا تتشدد؟ أنا لا أريد أن أكون مثلك.

مثل مرأة عارية ترى امرأة قد لبست لباسًا قصيرًا فتقول يا أختي لماذا تشددين على نفسك؟! نقول: بل أنتِ التي خربتِ الأمور كلها!!

فالمقصود: أن نضبط هذه المسألة؛ لذلك أقول: ينبغي أن نستفيد أشياء منها:

أولاً: ورع الإنسان فيما يخرج من لسانه.

ثانيًا: ورع الإنسان فيما يدخل في جوفه مثلما قال النبي ﷺ: «أن أول ما ينتن في الإنسان بطنه، فمن استطاع منكم ألا يدخل في بطنه إلا طيبًا فليفعل» أوكما قال ﷺ.

ثالثًا: الورع فيما ينظر إليه؛ فلا يتساهل الإنسان بالورع في مثل هذا، ولنكن دائمًا مستحضرين ما قال النبي ﷺ: «فمن اتقىٰ الشبهات» أي شيء يعترضك فيه شبهة فقل: اللهم سلمني.

«قد استبرأ لدينه وعرضه» يا أخي، سلامة الدين لا يعادلها شيء.

كون الإنسان يبقىٰ سليمًا في دينه فهذا لا يعدله شيء.

يا شيخ بالنسبة للقروض التي من البنوك التساؤل عنها كثير وبعض الناس يقول: لماذا التشدد، فكل الناس تأخذها ولست وحدي في هذا، ويوجد أكثر من شيخ تكلموا عنها وأحلوها؟

طبعًا، قروض البنوك مسألة مهمة، ونحن الآن لا نكلم أخواننا الذين فقط في المملكة، بل في العالم كله في أوربا وأمريكا وأستراليا وغيرها، والمغرب العربي ومصر.

البنوك تختلف، ولكني أقول: إن البنوك التي لديها قروض غير شرعية ليست تعاملاتها مبنية علىٰ فتاوىٰ لعلماء ثقاة؛ فلا ينبغي للإنسان أن يتساهل بها، بل لا بد أن يحرص علىٰ ألا يدخل إلىٰ جوفه إلا المال الحلال.

۞ ۞ ۞

فرعون البحر

لا يزال كلامنا حول ما حدثنا به البحر عن فرعون، كيف أغرقه الله تعالىٰ في هذا البحر؟ لو أذن الله تعالىٰ له أن ينطق بماذا سيحدثنا عن غرق فرعون؟

بماذا سيذكر لنا من استغاثته وهو في سكرات الموت؟

لماذا أغرق الله تعالىٰ فرعون في البحر؟

هل فرعون الموجود اليوم هو فرعون الذي كان مع سيدنا موسىٰ ﵇؟

ما العبر والعظات التي يجب علينا أن نقف عليها عندما نتكلم عن فرعون مع هذا البحر؟ هذا ما سيحدثنا به البحر.

تكلمنا عن حديث البحر إلينا وإخباره لنا عن قصة موسىٰ ﵇ معه وكيف أن موسىٰ ﵇ بدأت قصته مع البحر منذ أن كان عمره أربعة أيام، أو خمسة أيام، ألقته أمه في اليم، ثم استمرت قصة موسىٰ ﵇ مع اليم ومع البحر حتىٰ وصل إلىٰ ما يتعلق أيضًا بالماء لما سقىٰ للمرأتين نقف علىٰ قصة من بعث إليه موسىٰ ﵇ لأجل أن ينذره وقال الله تعالىٰ له: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٤].

لاحظ الكلام عن فرعون الذي يقول أنا ربكم الأعلىٰ ومع ذلك رب العالمين يقول لموسىٰ: لا تيأس لا تستبعد هداية أحد يا موسىٰ هل رأيت فرعون الذي يقول ماعلمت لكم من إله غيري فرعون الذي يقتل أبناء بني إسرائيل ويستحيي نساءهم، فرعون الذي ينظر إلىٰ الناس بازدراء واحتقار؟! ومع ذلك لعله يتذكر أو يخشىٰ؛ يا موسىٰ لا تيأس من أحد.

لما انتهىٰ موسىٰ ﵇ من الرعي عند الرجل الصالح أقبل بعد ذلك إلىٰ فرعون، موسىٰ ﵇ رجع إلىٰ مصر بزوجته وأبنائه لكن في أثناء الطريق رأىٰ نارًا فجاء إلىٰ النار فكلمه الله تعالىٰ جل وعلا من السماء، ونبأه أنه من المرسلين وأمره أن يذهب إلىٰ فرعون فذهب موسىٰ ﵇ حتىٰ وصل إلىٰ فرعون معه دلالتان وآياتان معجزتان أنه نبي فما الآية الأولىٰ؟ العصا.

العصا بدأت قصة موسىٰ ﵇ من البداية معها لما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ [طه:١٧-٢٠] فموسىٰ ﵇ لما رأىٰ ذلك فأوجس في نفسه خيفة موسىٰ يعني خاف من هذه الحية واضطرب، فأمره الله تعالىٰ أن يأخذها إلىٰ فرعون قبضها موسىٰ بيده فرجعت عصا

مرة ثانية وأخرج يده بعد أن أدخلها في جيبه فإذا هي بيضاء للناظرين موسىٰ ﷺ كان آدم لونه آدم كيف آدم؟ أسمر اللون، فكان ﷺ لما أخرج يده فإذا هي بيضاء للناظرين يشع منها البياض فيقول لفرعون: لست أنا من صنعها ولكن رب العالمين، رب العالمين الذي خلقها سمراء يخلقها متىٰ شاء بيضاء، هاتان آيتان عصا موسىٰ ﷺ لها قصة عظيمة مع فرعون، ومع هذا البحر نقف عليها الآن، جاء موسىٰ ﷺ إلىٰ فرعون دخل علىٰ فرعون، إني رسول من رب العالمين أن أرسل معي بني إسرائيل، فرعون جعل ينظر أهذا الذي ربيناه قبل عندنا؟ هذا الذي ضرب رجلاً ووقع قتيلاً فقال فرعون لموسىٰ وهو يذكره بماضيه، وهذه المشكلة موجودة عند بعض الناس في زماننا، فعندما تُذكر أحد منهم بالله وتقول له: يا أخي اتق الله، لا يجوز لك أن تشرب الخمر أو يكون لك علاقات مع البنات، يقولون: ألست أنت من كان يصب لنا الخمر في الكؤوس؟

وهكذا فعل موسىٰ مع فرعون يُذكره بذنبه القديم، ويقول له: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الشعراء: ١٩]، أنت الذي قتل الرجل المصري وهرب، تأتي الآن وتقول: إنك نبي؟

فيجيبه موسىٰ بكل ثقة قائلاً: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء:٢٠]؛ أي كنت في هذه الأيام ضالاً ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:٢١]، يا فرعون نحن أبناء اليوم لما ألقىٰ العصا فإذا هي حية، أخرج يده فإذا هي بيضاء للناظرين، قال فرعون: إن هذا لساحر مبين، هذا ساحر، عندنا سحرة فأرسل فرعون في المدائن حاشرين آتوني بكل سحار عليم، جعل السحرة يأتون جاء السحرة إلىٰ فرعون قالوا: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الأعراف:١١٣-١١٤] أعطيكم أموالاً وأجعلكم مقربين عندي ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ [الأعراف:١١٥] ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟﴾ [طه:٦٦] فألقوا حبالهم وعصيهم جعلوا يربطون العصا بطرفها حبلاً ويحركونه وسحروا أعين الناس قال الله ﷻ: ﴿سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ [الأعراف:١١٦]

خوفوهم، وجاءوا بسحر عظيم، فألقىٰ موسىٰ عصاه فإذا هي حية تسعىٰ، وفي آية اخرىٰ: ﴿فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف:١١٧] ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ [الأعراف:١٢٠] عرفوا هذا ليس سحرًا نحن لا نستطيع أن نقلب العصا إلىٰ حية، نحن نسحر أعين الناس يتخيلون لكن نحن ندري أن هذه عصا، لكن هذه انقلبت حية تمامًا لها عينان، ولها فم، ولها أنياب، ولها لسان إذًا هي حية﴿ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف:١٢٠-١٢١] ما قالوا: آمنا بك يا موسىٰ إنك ربنا، بل قالوا: إن الذي يصنع هذا العمل ويخلق هذا الخلق هو ربٌ عظيم، آمنا برب العالمين رب موسىٰ وهارون.

ولكن لماذا كانت معجزة موسى في العصا ؟

قوم فرعون عندما برعوا في السحر وتفوقوا فيه، أراد الله أن يُريهم ما يفوق سحرهم، ويُثبت عجزهم فكانت العصا، وكذلك النبي محمد ﷺ عندما برع قومه في البلاغة والفصاحة، أنزل الله عليهم القرآن وتحداهم بما فيه من بلاغة، وفصاحة، وبيان إعجاز أن يأتوا ولو بسورةٍ من مثله.

ولذلك يجب علىٰ الداعية أن يستخدم كل الوسائل الممكنة لتوصيل دعوته للناس، أو بالطريقة التي تُسهل لهم الفهم، فموسىٰ عليه السلام أُرسل إلىٰ قومٍ كانوا مشهورين بالسحر وبرعوا فيه، ويستخدمون السحر كثيرًا، فأيده الله بالعصا التي تُشبه في الظاهر سحرهم، وهي بالطبع ليست كذلك.

الله تعالىٰ إذا بعث نبيًّا، أرسل معه من المعجزات ما يفهمه قومه، عيسىٰ عليه السلام أرسله الله إلىٰ قومٍ برعوا في الطب وعلاج الأمراض، فجعله الله يُبرئُ الأكمه والأبرص وأيضًا يُحيي الموتىٰ بإذن الله، فكان يُعالج ما عجزوا هم عن علاجه من الأمراض وهم الذين تفوقوا في الطب فكان هذا إعجازًا لهم.

كذلك الداعية يجب أن يدخل للناس من البوابة التي تُناسبهم وتَصلُح لهم، حتىٰ يتحقق له مقصده من الدعوة.

نُكمل حديثنا عن فرعون والبحر، وكيف جعل الله في هذه القصة العبرة والعظة للناس؟ بعد ما أرسل فرعون إلىٰ السحرة مُتحديًا موسىٰ بهم، وجمع الناس في يوم الزينة، وكانت الغلبة لموسىٰ ﵇ عندما تحولت العصا إلىٰ حية تسعىٰ، تبتلع حبال السحرة وعصيهم، آمن السحرة قبل غيرهم لأنهم هم الذين يستطيعون أن يُميزوا بين السحر والمعجزة، ولكن فرعون المتكبر لم يتركهم، بل قام بقتلهم بعدما قطع أيديهم وأرجلهم.

واستمر موسىٰ ﵇ في دعوته لم يُصبه الوهن أو الضعف، وآمن معه الكثير من الناس، ومع زيادة المؤمنين يزيد غضب فرعون، فيُقرر فرعون هو وقومه الانتقام من موسىٰ والذين آمنوا معه، فيوحي الله تعالىٰ إلىٰ موسىٰ: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾[الدخان:٢٣]، واستجاب موسىٰ لأمر الله، فجمع الناس ليلاً، وخرج من مصر مُتجهًا ناحية الشرق إلىٰ فلسطين أو الأردن، موسىٰ والذين آمنوا معه يسيرون علىٰ أقدامهم ليس معهم خيول أو دواب، وفرعون يتبعه هو وجنوده بخيولهم السريعة، حتىٰ إذا وصل موسىٰ إلىٰ خليج السويس وتوقف السير ورأىٰ هو وأصحابه فرعون وجنوده، قال أصحاب موسىٰ: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾[الشعراء:٦١]، وذلك في مقاييس البشر، وفي ظنهم وعقولهم المحدودة أنه لا نجاة لهم إما الموت غرقًا أو الموت علىٰ يد فرعون وجنوده، ولكن الله أراد شيئًا آخر.

في هذه اللحظة يمتلئ قلب فرعون بالسرور، ما هي إلا لحظات ويهلك موسىٰ ومن معه، إما بالغرق في البحر، وإما بالقتل علىٰ يد جنود فرعون، فرعون في هذه اللحظة لديه يقين بهلاك موسىٰ ومن معه، وموسىٰ عنده يقين بنجاته هو ومن معه من فرعون، فقال بلسان الواثق من ربه: ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾[الشعراء:٦٢]، أي: سيُلهمني ربي، سيُنقذني ربي، سيهديني ربي طريق النجاة من فرعون، ينظر موسىٰ إلىٰ البحر، وفرعون يقترب أكثر مُسرعًا، أصحاب موسىٰ يكاد الخوف أن يقتلهم، تبلغ القلوب الحناجر، ينظرون إلىٰ فرعون في خوف وفي تلك اللحظة يوحي الله إلىٰ موسىٰ: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ

ﭐلۡعَظِيمِ ﴾ [الشعراء:٦٣]، أي: أصبح كل فرقٍ كالجبل العظيم، فجعل الله له طريقًا يبسًا داخل البحر حتىٰ يمر فيه موسىٰ ومن معه.

موسىٰ ﷺ كان عنده ثقة ويقين في الله وقت الشدة ووقت الرخاء فنجاه الله من فرعون، ضرب موسىٰ البحر بعصاه فانفلق نصفين مر موسىٰ هو وأصحابه، ﴿ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًا ﴾ [يونس:٩٠] فغرق هو وجنوده في البحر، وذكر بعض المفسرين أن فرعون جاء إلىٰ البحر وهو علىٰ فرس، فجاء جبريل ﷺ في صورة رجل يركب فرسًا ومر أمام فرعون، فلما رأىٰ حصان فرعون ذلك انطلق وراءه حتىٰ أصبح في وسط البحر فتلاطمت عليه الأمواج من كل جانب.

والعجيب أنه في عام ١٩٨١ لما حُملت جثة رمسيس الثاني - الذي هو فرعون - إلىٰ فرنسا، أستاذ علم التشريح الذي قام بتشريح الجثة اكتشف أن عظام هذه الجثة ماتت غرقًا، وكان فيها بقايا من الملح واكتشفوا أيضًا أن هذه العظام تكسرت بفعل الغرق؛ لأنه لا يوجد جروح في الجلد ولكن بفعل ضغط الماء فوق هذه العظام تكسرت، وأخذ الرجل يُعد بحثًا ليعرض فيه ما توصل إليه، فهمس في أذنه أحد الذين معه إن هذا موجود في القرآن عند المسلمين، فجاء الرجل إلىٰ مصر، وأعد مؤتمرًا عرض فيه ما توصل إليه من اكتشافات، فقام إليه أحد الحاضرين من المسلمين قائلاً هذا موجود عندنا في القرآن في قوله تعالىٰ: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾[يونس:٩٢].

عندها صرخ وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحمدًا رسول الله، غير معقول يكون محمد - عليه الصلاة والسلام، سيدنا ونبينا - يعرف قصة بهذا التفصيل، قصة كانت قبله بآلاف السنين ومع هذا يعرفها بهذا التفصيل، ثم جلس موريس بوكاي لمدة عشر سنوات، يبحث في مطابقة ماجاء في القرآن لأحداث العلم والتشريح وغيره، ثم ألف كتابًا اسمه «القرآن والتورارة والإنجيل والعلم»، والكتاب منشور بعدد من اللغات، ونفذت كثير من نسخه.

المقصود: أن فرعون لما بدأت تتلاطم عليه الأمواج بدأ يصيح ويقول: ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس:٩٠] لما ارتفع دعاؤه إلىٰ السماء قالت الملائكة: ياربي هذا صوت منكر من عبد منكر في أرض غريبة، من هذا؟

قال: هذا فرعون؛ فقال الله تعالىٰ: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ [يونس:٩١ - ٩٢].

هكذا ينصر الله عباده المؤمنين، وينصر الله رسله وحق قوله ﷻ: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج:٤٠]، وفي ذلك ﴿ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [يوسف:١١١] بأن الله يستطيع أن يهلك الظالمين في كل وقت وكل حين، ولكنه قد لا يقع النصر للمؤمنين في بعض الأوقات، مثل نهاية سيدنا زكريا ﵇، ومثل نهاية سيدنا يحيىٰ ﵇، عندما قتله قومه من بني إسرائيل، ولكن النصرة تكون للدين، فعندما قتل أصحاب الأخدود بقي الدين، وهذا فرعون الذي تكبر وتجبر لم يجد أمامه ملجأ غير الله تعالىٰ يلجأ إليه وقت الشدة.

عندما أقرأ الآية: ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [يونس:٩٠] لماذا لم يقل فرعون: آمنت بالله، وقال: آمنت بالذي آمنت به بنو إسرائيل؟

إما أن الله ﷻ حال بينه وبين أن ينطق اسمه أو أنه لما رأىٰ نجاة بني اسرائيل غفل عن أي اسم من أسماء الله لكن قال: الرب الذي أنجاكم آمنت به، الرب الذي تدعو إليه يا موسىٰ أنا آمنت به بصرف النظر من هو؟ من اسمه؟ لكن رأيت قدرته وبالتالي أنا آمنت به؛ كذلك الإنسان لا ينبغي أن يعتمد علىٰ قوته أنت ذهبت ولا جئت ولا قعدت أنت عبد مملوك لرب العالمين وهذا فرعون الذي غرق في البحر نعلم أن الله جل وعلا جعله فعلاً عبرةً وعظة وأن الإنسان يزداد إيمانًا فعلاً لا بد أن يقوم بنصرة الدين بقدر استطاعته أن يكون متعرفًا إلىٰ الله تعالىٰ في الرخاء والشدة حتىٰ ما يقال الآن وقد عصيت قبل، بل يقال له نعم كما قيل ليونس ﵇: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الصافات:١٤٣ - ١٤٤]، لكن فرعون يقال له: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾ [يونس:٩١]، أنتم أيضًا أيها الأحبة الكرام أسأل الله أن

يجزيكم خير الجزاء وأن نكون فعلاً لنا عبرة بفرعون لأن الله ﷻ يقول: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ [يونس:٩٢] نسأل الله أن لا نكون من هؤلاء الغافلين نحن اليوم نتكلم بما يحدثنا به البحر من قصة فرعون، لأجل أن نعرف العبرة فعلاً والعظة وأن الإنسان مهما كبر جاهه ومنصبه، فمن الممكن أن يزول هذا بطرفة عين إذا أراد الله جل وعلا ذلك.

أسأل الله ﷻ أن يجزيكم خير الجزاء وأن ينفعنا وإياكم بما قلنا، وأن يقينا حر النار ويقي إخواننا أيضًا حر النار، بارك الله فيكم وصلىٰ الله وسلم علىٰ رسول الله ﷺ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

۞ ۞ ۞

خطيبة النساء أسماء بنت يزيد

اليوم سنتكلم عن امرأة سماها أهل التاريخ خطيبة النساء، قد لا يكون في الحقيقة لها قصص كثيرة في السيرة.

لكن عندما أردت أن أختار النساء اللاتي سأتكلم عنهن حاولت أن أتجنب قدر المستطاع النساء اللاتي يكثر الكلام عليهن غالبًا مثل خديجة وعائشة وحفصة زوجات النبي عليه الصلاة والسلام المشهورات. أو غير المشهورات من نساء الصحابة والتابعين.

ونحن لو تكلمنا عن الخنساء وغيرها ففي الغالب أن الكلام لم يكثر علىٰ هؤلاء النساء، وبالتالي يصبح ما يسمعه منا الإخوة والأخوات تكرارًا لما كانوا يسمعونه من غيرنا، فأردت أن أمر علىٰ أسماء غير مشهورة.

نحن سنتكلم اليوم عن امرأة هي خطيبة النساء.

هذه المرأة جاءت يوم إلىٰ النبي عليه الصلاة والسلام وهو بين أصحابه، قالت: يا رسول الله نحن معشر النساء نجلس في البيوت وأنتم تخرجون إلىٰ الجهاد في سبيل الله، فإذا خرجتم وذكرت فضل النساء علىٰ الرجال وأنتم يا رسول الله تشهدون

الجماعات وتجاهدون في سبيل الله وتطلبون العلم ونحن قواعد في البيوت يا رسول الله، فهل نشارككم في الأجر، فالتفت النبي ﷺ إلىٰ أصحابه وقال: هل سمعتم امرأة أحكم أو أبلغ أو أعقل من هذه المرأة قالوا: لا يا رسول الله، والمرأة قالت يا رسول الله أنا رسولة من ورائي من النساء في أول كلامها قالت: أنا رسولة من ورائي من النساء إذًا معنىٰ ذلك أن النساء أجتمعن ثم تكلمن بشيء مفيد وبدأن يتناقش في شيء ينفع الأمة، وبدأت كل واحدة تقول لماذا الرجال يجاهدون ونحن لا نجاهد، لماذا الرجال يصلون الجمع والجماعات واجبة عليهم ونحن غير واجب، فبالتالي ربما نتكاسل عن الخروج للجماعة والجماعات، فلما تناقشنا في ذلك قالت أسماء أنا أنهي لكم الموضوع، أنا أذهب وأسأل النبي عليه الصلاة والسلام فجاءت وجلست بين يديه وقالت هذا الكلام، قالت: نحن معاشر النساء كذا وكذا وكذا وذكرت ذلك، فقال عليه الصلاة والسلام: لهم كما تقدم هل سمعتوا امرأة أحكم أو أعقل أو أبلغ من هذه المرأة، قالوا: لا. فقال ﷺ: «اذهبي فأبلغي من ورائك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها -يعني: عنايتها بزوجها وتجملها له وتغنجها له ونحو ذلك- وعنايتها بولدها وحفظها لبيتها يعدل ذلك كله».

يكون هو نفس الأجر، ما معنىٰ هذا الكلام؟ معناه يا جماعة أن النبي عليه الصلاة والسلام، يشير لها أن المجتمع ينقسم علىٰ قسمين جبهة خارجية وجبهة داخلية، الجبهة الخارجية لا يمكن أن تستمر إذا لم توجد جبهة داخلية، والجبهة الداخلية لا يمكن أن تستمر إذا لم توجد جبهة خارجية، إذا الجبهة الخارجية لو الرجل يذهب يجاهد في سبيل الله ويحضر الجمع والجماعات ويسافر في سبيل الدعوة إلىٰ الله أو غير ذلك وبيته ليس به أحد يحفظ البيت ويقوم علىٰ مصالح الأولاد ويحفظ المال ويغسل ملابسه ويعد له طعامه ويبيت معه في ليلة ويؤانسه ونحو ذلك إذا لا يوجد أحد عنده في البيت يفعل هذا. مشكلة لن يستطيع أن يواصل وهو في الخارج في الجبهة الخارجية، كذلك المرأة في جبهتها الداخلية.

أن يكن هناك أحد يحميها ويصون عرضها وينفق عليها ويقوم علىٰ شأنها ويرفع رأها ونحو ذلك.

وإلا لن تستطيع هي أيضًا أن تقوم بالجبهة الداخلية فالنبي عليه الصلاة والسلام ينبه علىٰ هذا الأمر يقول أخبري من ورائك من النساء أن المرأة إذا قامت بواحد اثنين ثلاثة أربعة وذكر لها واجبات المرأة في البيت أنه يعدل ذلك كله. يعدل كل ما يفعله الرجل من أمور.

حقيقة لي بعض الوقفات أسماء بنت يزيد ابن السكن رضي الله تعالىٰ عنها روت عن النبي عليه الصلاة والسلام عدد من الأحاديث وهي وفدت عليه في السنة الأولىٰ من الهجرة، جاءت مهاجرة إلىٰ المدينة وتوفيت في السنة الثلاثين من للهجرة.

أسماء بنت يزيد هي التي روت قول النبي عليه الصلاة والسلام عن اسم الله الأعظم في ثلاث آيات في كتاب الله في البقرة وفي آل عمران وطه هي التي روت هذا الحديث، وهذه الصور الثلاث اجتمعت في قول الله تعالىٰ تكرر فيها كلها في سورة البقرة آية الكرسي: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، في أول سورة آل عمران: الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم، في أواخر سورة طه: وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما، فهي التي ردت هذا الحديث، فذكره ابن القيم وابن تيمية وعدد من أهل العلم عن اسم الله الأعظم الذي إذا دعىٰ به أجاب وإذا سئل به أعطىٰ هو الحي القيوم وهي التي روت هذا الحديث تميزت أسماء في عدة ميزات من أهم هذه الميزات، احب أن أسمعها منكم حتىٰ نحرككم قليلاً لا يغلبكم النوم، ماذا تستفيده من أسماء ومن قدراتها وغير ذلك.

الشيخ الكريم نستفيد أنها استطاعت أو عرفت أن تجد سؤالها الذي تسأله نحن الآن في فوضىٰ من الفضائيات وما شابه ذلك وكل يومين يطلع من لا يفقهون في العلم شيء ويفتون وهذا فيه خطر شديد علىٰ الأمة الإسلامية فلابد من تحديد مكان معين للفتوىٰ والسؤال فيه.

طبعًا هذه مسألة مهمة مسألة توحيد مصدر التلقي أن صح التعبير، يعني هي لما أرادت أن تسأل لم تذهب إلىٰ مثلاً أبي بكر أو عمر ولا إلىٰ غيرهم من الصحابة ومثلاً تسأل زوجها، مع أن أبا بكر وعمر وربما زوجها أيضًا هم قادرون علىٰ أن يجيبوها لكنها ذهبت إلىٰ المصدر الذي هو خير من غيره وهو الذي يفتيها. أيضًا اليوم حقيقة فيمن نتلقىٰ منه العلم، هي المرأة كانت حريصة علىٰ طلب العلم، فيمن نتلقىٰ منه العلم الأصل ألا يتلقىٰ العلم إلا من أهل الثقة أما يا جماعة عندما نبدأ نستمع إلىٰ كل أحد يتكلم ونتلقىٰ منه العلم دون أن نعرف مقدار علمه ومقدار فهمه، فقد يبدأ يتلاعب بعقولنا مع الأسف يعني واحد كان يتكلم في إحدىٰ الفضائيات قبل فترة فاتصلت به امرأة تسأله عن عذاب القبر ونعيمه فقال لها يا ابنتي لا يوجد شيء اسمه عذاب القبر هذه أقوال ضعيفة وأحاديث ضعيفة، ذهبت وبحثت المسألة أنا تخصص في الدكتوراة عقيدة ومذاهب معاصرة وأديان، فهذا هو تخصصي؟ تعذيب القبر والنعيم والصراط وغير ذلك، بحثت المسألة فوجدت فيها خمسين حديثًا عن رسول الله ﷺوثلاثة آيات في القرآن لما ذكر الله تعالىٰ آل فرعون قال: النار تعرضون عليها غدوًا وعشية ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب، معناها يعرضون علىٰ النار في قبورهم، كما قال عليه الصلاة والسلام أن القبر إما أن يكون روضة من رياض الجنة أو حفة من حفر النار، فكون الإنسان يبدأ يتكلم بغير علم شرعي ويتلقىٰ من الناس هذه مشكلة، ذلك أن أشير إلىٰ ما أشار إليه عمر وهو أن يكون مصدر التلقي موثوقًا، نعم نقول نحن لأخواتنا وبناتنا احرصوا علىٰ طلب العلم لكن ليس في أي موقع للانترنت تقبلينه، ليس أي متحدث تقبلين منه ليس أي رسالة تأتي إلىٰ هاتفك تبدأين ترسلينها أنشر تؤجر، أحيانًا أحاديث ضعيفة، كلام لا ينبغي ولا يستفيد من هذا إلا شركات الاتصالات.

حرص الصحابيات علىٰ العمل وسابقاتها علىٰ العمل الصالح.

هي أول سؤال سألته للنبي عليه الصلاة والسلام قالت: يا رسول الله سبقنا

الرجال، معنىٰ ذلك لماذا يسبقوننا الرجال؟ الهمة العالية، حقيقة الصحابة عمومًا كانوا يتميزون بهذا، أعطكم مثالاً، عمر رضي الله تعالىٰ عنه يقول: كنت أتمنىٰ يومًا أن أسبق أبا بكر، أن سبقته يومًا، يقول: دعا النبي ﷺ الناس إلىٰ الصدقة يومًا، فوافق ذلك مالاً عندي، فجئت وقسمته نصفين والقصة مشهورة فلن أكملها فجاء أبي بكر بماله كله.

جاء مرة الفقراء إلىٰ النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله سبقنا إليك الأغنياء سبقنا الأغنياء. لماذا سبقوكم الأغنياء، قالوا: أن إخواننا الأغنياء يصلون كما نصل ويصومون كما نصوم ويجاهدون كما نجاهد، ولكن عندهم فضول أموال يعني أموال زائدة عن حاجتهم فيتصدقون ولا نجد نحن ما نتصدق به.

دبرنا يا رسول الله، نحن لا نريدهم أن يسبقونا إلىٰ الله، فقال ﷺ: أما جعل الله لكم شيئًا تتصدقون به، قالوا: من أين ما عندنا يا رسول الله قال ﷺ: ألا أدلكم علىٰ شيء إذا فعلتموه سبقتم من قبلكم ولم يدرككم أحد ممن يجيء بعدكم، قالوا: بلىٰ، قال: تسبحون في دبر كل صلاة ثلاثة وثلاثين وتحمدون ثلاث وثلاثين وتكبرون ثلاث وثلاثين، وفي رواية أنه أمرهم أن يتموا المائة بقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير.

بدأ الصحابة الفقراء يفعلون ذلك، يعني بعد الصلاة بدأ أبو هريرة يسبح، أبو ذر يسبح، أو الدرداء يسبح، بدأوا يسبحون، الأغنياء عبد الرحمن بن عوف وأبو بكر أغنياء الصحابة بدأوا ينظروا فإذا فيه تسبيح، قالوا: ما هي القصة، قالوا والله علمنا النبي عليه الصلاة والسلام.

فبدأ الأغنياء يسبحون، ترىٰ التسابق يا أخي للخير، جاء الفقراء مرة ثانية، يا رسول الله قال: نعم، قالوا: بلغ إخواننا الأغنياء ما فعلنا ففعلوا مثلنا فدبرنا فقال ﷺ ذلك فضل الله تعالىٰ يؤتيه من يشاء، أنا أقول ينبغي علىٰ المرأة أن تتسابق إلىٰ الخير كما الرجل يسابق، تخيل يا أخي أن أسماء بنت يزيد بن السكن قاتلت في معركة

اليرموك، لما اجتمع المسلمون في معركة اليرموك وكان معهم النساء، فلما كان في آخر القتال اشتدّ القتال علىٰ المسلمين حتىٰ بدأ بعض المسلمين يفر، فجاءت أسماء مع مجموعة نساء وأخذن أعمدة يعني خشب أعمدة من خشب وأخذن يقفن في آخر الصفوف الرجل الذي يرجع يضربونه ويقلن له ارجع قالت، ما الذي يجعلك تهرب؟ تروا هذه القدرة حقيقة علىٰ الشجاعة والثقة بالنفس جعلتها تستحق أن تتكلم عنها عن أسماء بنت يزيد والصحابيات كثير ومع ذلك لم نتكلم عنهن لكن لأنها متميزة.

كان توجد صحابيات في عهد النبوة ﷺ قالوا: أعمار أمتك بين الستين والسبعين، ومن قبلنا كانت أعمارنا أكثر من ذلك، فكيف ندركهم في أعمالهم فقال الله أبدي لكم ليلة القدر والاستغفار.

أحسنت، الكلام صحيح وإن كنت أنا لا أذكر الحديث الذي ذكره النبي ﷺ لكن فعلاً الأمم السابقة كانت أعمارهم أطول من هذه الأمة، حتىٰ يذكر من الطرائف أن امرأة من الأمم السابقة مات ولدها الصغير فجلست تبكي عنده.

فمر بها رجل حكيم، قال لها: لماذا تبكين، قالت: ولدي مات صغيرًا ما تمتع بشبابه، فقال: كم عمره لما مات، قالت: عمره خمسمائة سنة، مات صغير فقال: اصبري فسيأتي بعدنا أقوامًا أعمارهم بين الستين والسبعين قالت: بين الستين والسبعين، قال: نعم، فقالت: لو أعطاني الله أعمارهم لقضيتهما في سجدة واحدة.

لكن الله ﷻ حن بليالي فاضلة وغير ذلك، وهذا أيضًا يدلك علىٰ وجوب استغلال الأوقات والمسابقة في الخيرات.

أعود إلىٰ أسماء بنت يزيد بن السكن، حقيقة هذه المرأة عندما رأت أبوابًا من الخير لا تستطيع المرأة أن تطرقها بدأت تبحث أن أبواب أخرىٰ مسموح للمرأة أن تطرقها بمعنىٰ مثلاً المرأة لم تخاطب بأمر الجهاد.

الرجل هو الذي خاطب، فلما قرأت هي في القرآن أن أمر الجهاد له فضل عظيم عند الله، قالت: أنا أريد أن أحصل هذا الفضل، طيب أنتي لا تستطيعين أن تحصليه

لأنكي امرأة لم تأمري بالجهاد، فما الذي فعلته؟ ذهبت إلىٰ النبي عليه الصلاة والسلام، يا رسول الله دبرنا، يا رسول الله ابحث لنا عن حل، نحن ما عندنا استعداد أن الرجال يسبقوننا إلىٰ الخير ونحن جالسون هكذا، فأخبروها النبي ﷺ بما أخبرها به.

شيخ محمد، هذا مثال علىٰ همتها العالية أن تطرق أبواب الخير ولم يمنعها وجود الرجال أو وجود صحابة، جرأتها كانت واضحة جدًا وفيها عبرة بعكس الوضع الحاصل اليوم شدة الخجل، وأن لا أستطيع أسأل، يوجد رجال، صعوبة الوصول، وما شابه ذلك، مجرد محاولة بسيطة ونكتفي.

طبعًا الأصل أن المرأة لا تتحدث بحضور رجال إلا بقدر الحاجة هذا هو الأصل وهي جاءت تكلمت مع النبي ﷺ لأنه نبي ولأنها محتاجة إلىٰ الكلام ومتحشمة أيضًا تمامًا ولأن الذين موجودين عند النبي عليه الصلاة والسلام حالهم من الأخيار ومن الصحابة الكرام.

لكن أنا سأعرض عليكم مسألة، تكلمها أمام الرجال بهذا الأسلوب وبهذه الصراحة ويا رسول الله نحن نحفظ بيوتكم ونفعل ونفعل هل هذا يعني اطلاق العنان لكلام المرأة مع الرجل الأجنبي عنها دون قيود؟ ما رأيكم أنتم إذا احتاجت امرأة أن تصلح هاتفها فاتصلت علىٰ شركة الاتصالات وقالت: أنا والله عندي الهاتف عطلان وأريدكم أن تعدلوا كذا أو تصلحوا كذا وكذا، هل هذا حرام؟ أو مثلاً ذهبت للطبيب قالت: يا دكتور أنا ولدي عنده حرارة وعنده كحة وكذا.

عمومًا كلام المرأة الرجل الأصل فيه الجواز، يعني ما فيه بأس الأصل فيه الجواز يعني أنت مثلاً لو دخلت امرأة أجنبية بيتكم، وقالت: السلام عليكم يا فلان كيف حالك لعلك بخير، وهي ابنة عمك أو ابنة خالك. دون أن يكون فيه تهنج وترقيق للصوت وميوعة في الكلام ومحاولة استثارة الغرائز إذا كان كلام جاد، فلا بأس فيه، هؤلاء النساء يتصلن علىٰ البرامج الفضائية وتسأل أسئلة جادة وتتكلم بكلام جاد.

وهناك مجموعات من النساء أعقل والله من الرجال، أليس بعض النساء في

عقلهن وادراكهن وحكمتهن أحكم بمراحل من آلاف الرجال، بل وأي عقل يقارن بعقل بعض النساء اليوم الداعيات المخترعات العاقلات، بعضهن مشرفات علىٰ مواقع علىٰ الانترنت، دكتورات في جامعات، أساتذة، بلا شك أن هذا له تأثيره لذلك مكالمة المرأة لرجل فلا بأس فيها عمومًا لكن أهم شيء أن تكون للحاجة بقدر الحاجة وأن يكون منها نفع وبدون تغنج وترقيق صوت ونحو ذلك حتىٰ لا يؤدي هذا إلىٰ استمتاعه بصوتها، لأن صوت المرأة نوع من الاستمتاع به، وحتىٰ لا يحصل له تعلق بها ويحصل عندها هي تعلق به.

توجد مسألة أخيرة مهمة حقيقة يجب أيضًا أن نطرحها وهي: حرص أسماء ﵂ لما رأت مشكلة عند النساء علىٰ أن تبحث لها عن حل، هي جاءت قالت: يا رسول الله أنا رسولة من خلفي من النساء، دليل أن النساء لها جلسن ما كانت سوالفهن عادية، لا النساء الصحابيات عندما جلسن تكلمن في مواضيع، مهمة تكلمن لماذا الجهاد للرجال فقط، فقامت أسماء وقالت أنا أبحث لكم عن الحل، أنا أذهب الآن وأحضر لكم حل المشكلة، فذهبت إلىٰ النبي عليه الصلاة والسلام تعالىٰ اليوم وانظر إلىٰ مجالس نسائنا الآن النساء يجتمعن ربما غير الموظفات يجتمعوا حيانا في الضحىٰ وأحيانًا في العصر أو بعد العشاء يجلسن جلسات أحيانًا مع بعضهن البعض.

فما هو نوع الأحاديث والسواليف التي تثار في هذه المجالس، لا نقول غيبة حتىٰ لا نسيء الظن بهن حتىٰ الرجال تراهم لا يسلمون من الغيبة، فالمسألة هنا وهنا، لكن أحيانًا قد لا يكون غيبة إن شاء الله لكن يكون كلام غير مفيد أحيانًا متىٰ عند الرجال لو أسألكم الآ، أمس عندما جلستم في الاستراحة ما هي سواليفكم؟

قل هو الله أحد. لا. في الغالب أنها سواليف رياضية وعن العمل واتصل بي مرة واحد وقال كذا، والهاتف الفلاني عطلان، أو عندي أخي بيتزوج، وقصة زواجه، في الغالب أنها أحاديث عادية، لكن الذي نريد أن نصعد به مجالس رجالنا ومجالس نسائنا واركز علىٰ النساء لأن المثال الذي نذكره مثال للنساء، أن يكون الحديث الذي

يثار أحاديث يستفاد منها.

النبي عليه الصلاة والسلام يقول فيما رواه أبو داود: «ما جلس قوم مجلس ثم لم يذكروا الله ولم يصلوا علىٰ نبيه ﷺ إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، كأنما اجتمعوا علىٰ جيفة حمار ثم تفرقوا عنها»، وفي رواية: «إلا كان عليهم هذا المجلس يعني حسرة وندامة يوم القيامة»، دل هذا علىٰ أن المجالس التي تجلسها النساء لا بد يا أخي أن تكون فيها نوع من الفائدة. ما الذي يمنع مثلاً من أنهن عندما جلسن، قالت: واحدة يا جماعة ما رأيكم أن أقرأ عليكن تفسير سورة: قل هو الله أحد، وموجودة معها في الهاتف، مثلاً أرسلت إليها بلوتوث فقرأتها، ما رأيكم أن أقرأ عليكن أحكام الحيض عند المرأة، سئل الشيخ فلان الفلاني عن أحكام الحيض عند المرأة وكذا وكذا.

أنا فوجئت وأنا إمام مسجد فوجئت بعض الأخوات يخبرنني في رمضان، ففي رمضان تأتي النساء يصلين التراويح مع الإمام ففوجئت أن بعضهن تأتي متأخرة فتدرك معنا ركعة واحدة مثلاً والتي هي الركعة الرابعة، ثم تسلم وخلاص ما تقضي لا تعلم ولا تدري كيف تقضي الصلاة وراء الإمام، فالحقيقة نوع من الجهل طيب أنتي ستذهبين وتصلين مع الجماعة يا بنتي فلماذا لم تحرصي علىٰ أن تتعلمي ما دام أنك جئتي فلماذا لم تحرصي علىٰ أن يكون عندك معلومات تفيدك في كيفية الصلاة، الآن بعض الأخوات أحيانًا تكثر السؤال عن أحكام الحيض وتأتي رسائل كثيرة علىٰ هاتفي.

فضيلة الشيخ أنا خرج مني دم لونه كذا وانقطع كذا ثم جاء كذا، يا أختي لو قرأتي كتيبًا عشرين صفحة عن أحكام الحيض ما احتجتي أن تسألي كل مرة، أحيانًا بعضهن يقع عندها أمور في الصلاة ثم نفاجأ أن ما عندها معلومات.

إذن ما الذي يمنع أن تحرصي علىٰ أن تتعلمي هذا الذي أقصده أنا، وهذا الذي فعلته أسماء رضي الله عنها لاحظت أن النساء يجهلن شيئًا معينًا يتناقش في أمر معين.

فقالت: أنا أذهب الآن وآتيكم بالخبر وذهبت إلىٰ النبي عليه الصلاة والسلام

وسألته، ثم رجعت بعد ذلك، حرص المرأة علىٰ أن تتعلم بالقراءة، الاستفادة مما تجلس عليه بالانترنت وأنا أدعو دائمًا أخواتي إلىٰ هذا حقيقة، ما دام أنك جلستي علىٰ الانترنت لمدة ربما ساعة وساعتين لا يكون هذا الوقت كله يقضي عليك هكذا هباءًا وربما شات أو النظر في بعض المنتديات وتسلية ولعب وغير ذلك لا. احرصي علىٰ أن يكون الذي تقرأ فيه أشياء تزيدك معلومات.

مثلاً المواقع التي فيها فتاوىٰ، الآن يوجد موقع للشيخ ابن باز فيه فتاوىٰ، يوجد موقع للجنة الدائمة للإفتاء في المملكة ولغيرنا، حتىٰ يوجد مشايخ لمصر ومشايخ المغرب العربي والشام واليمن والعراق وغيرها، وطبعًا إذا كانوا ثقات الذين كتبت فتواهم وإن شاء الله لن نعدم هنا أو عند غيرنا مشايخ ثقات يستدلون بادلة شرعية في أثناء كلامهم وحوارهم.

قدرة المرأة علىٰ أن تستفيد من هذه الأمور وأن تنقلها أيضًا إلىٰ غيرها هي مأجورة.

أخيرًا أختم بشيء مهم، أن النبي ﷺ عندما رأىٰ من أسماء هذه الجودة مدحها وأثنىٰ عليها، فماذا قال عندما انتهت من سؤالها.

قال: هل رأيتم أحكم أو أعقل أو أبلغ من هذا السؤال.

إذا جاء إنسان وفعل شيئًا حسنًا، ولدك أو زوجتك أو المرأة زوجها مثلاً فعل شيئًا حسنًا، أو أي إنسان، ينبغي يا جماعة كما أننا نقول للمسيء أسأت ينبغي أن نقول للمحسن أحسنت، فكما أني أقول لولدي يا ولد قم ذاكر دروسك، كذلك أنا إذا دخلت ورأيته يذاكر، أن أقول له بيض الله وجهك، أنت بطل، أنت أحسن واحد لأنك تذاكر دروسك.

نحن جرت عادتنا مع الأسف أننا لو مثلنا اتصلت علىٰ خطوط الطيران.

اتصل احجز الذي في الخطوط صارت أخلاقه سيئة تجدني أتضايق في الآخر وأقول يا أخي تأدب أو ربما كتبت فيه شكوىٰ.

بينما لو رد علىٰ واحد أسلوبه جميل لا تجدنا في آخر المكالمة نقول، نشكر لك لطفك يا أخي وأخلاقك الحلوة فالناس تقول هذا شغله أصلاً، ويأخذ راتب علىٰ هذا العمل، طيب يا أخي ما الذي يمنع أن كان حتىٰ يأخذ راتب فما المانع من الكلمة الطيبة.

حتىٰ في تعامل المرأة مع زوجها أحيانًا يأتي الزوج وتقول له زوجته أنت مقصر الثلاجة فارغة لا يوجد بها فاكهة، لا يوجد بها طعام، فيذهب ويحضر إذا يوم من الأيام أحضر من غير طلب، لا تقول له الله يكثر خيرك ويبارك فيك ويغنيك ممكن تقول أصلاً هو واجب عليه أن يفعل كذا.



قصة أم سليم

أبو طلحة رجل كريم وبطل وزوجته كذلك وهي التي تزوجته من خلال شهادة أن لا إله إلا الله؛ فاجتمع هذان في بيت واحد.

وأبو طلحة في الإسلام ولدت له ولدًا اسمه أبو عمير، وله مع النبي ﷺ قصة حيث كان لأبي عمير طير صغير اسمه النغير ومات الطير وكان النبي ﷺ يمر به ويقول له: «يا أبا عمير ما فعل النغير؟» فيقول: مات يا رسول الله ويضحك النبي عليه الصلاة والسلام.

وكان أبو طلحة يحبه حبًّا عظيمًا ولم يرزق منها إلا بهذا الولد فتعلق قلبه به؛ ومرض أبو عمير واشتد مرضه وحزن أبو طلحة، ثم قام إلىٰ النبي ﷺ لعمل له.

وبقيت هي عند ولدها، فإذا به يحتضر ويموت بين يديها وليس عندها إلا أنس وهذا الولد.

وليس عندها من أبي طلحة إلا هذا الولد فقط.

ولما حصل ذلك؛ صاح من في البيت فالتفتت إليهم وقالت: من أرادت أن تبكي فلتخرج الآن.

وإذا جاء أبو طلحة فلا تخبروه بموت ولده ودعوني أخبره بما حصل.

لقد كان عندها قدرة علىٰ تغليب عقلها علىٰ عاطفتها أكثر من الرجال الذين لا يستطيعون ذلك الآن.

مات ولدها ولكنها مضت إلىٰ المطبخ وصنعت العشاء لزوجها ومشطت شعرها وتطيبت ولبست لباسًا حسنًا، وجاء أبو طلحة فأراد أن يتوجه إلىٰ الولد فقالت له: دعه. فقال: كيف هو؟ قالت: هو أسكن ما كان.

وقصدها بكلمة (ساكن) أنه ميت فظن هو أنه نام فأكل طعامه وجلس مع زوجته حتىٰ أتىٰ منها مايأتي للرجل من أهله.

علمًا بأن ولدها ميت، وهذا كله من الإيمان بالقضاء والقدر، وهنا يقول مؤلف كتاب (العادات السبع) وهو من أشهر الكتب التي ألفت لأربعين لغة يقول: لو عرفت عقيدة القضاء والقدر عند المسلمين لما ألفت كتابي ولكنت قلت للناس: اقرءوا القضاء والقدر عند المسلمين؛ لأن الكتاب كله يتكلم عن تحمل الهموم وكيف تستطيع إذا فاتك شيء أن تتحمل فواته عنك.

نعود إلىٰ حديثنا: أصاب من المرأة زوجها فلما ارتاح، قالت له: يا أبا طلحة ألا يعجبك أمر جيراننا؟

قال: ما بالهم؟

فقال: استعاروا عارية من جيرانهم، فلما جاء إليهم أصحاب العارية أبوا أن يعطوهم عاريتهم.

فقال: ما لهم حق بهذا الفعل.

فقالت: احتسب ولدك عند الله تعالىٰ.

فولدك كان عارية عندك وقد استرده الله منك. فقال: سبحان الله تركتني حتىٰ إذا تلطخت بما تلطخت به تخبريني.

فقال: لا تغلبيني علىٰ الصبر سوف أصبر أكثر من صبرك؟

فقالت: قم وأصلح من حال ولدك، فقام أبو طلحة وغسل ولده مع زوجته، فجاء أبو طلحة مع ولده إلىٰ النبيﷺ ليصلي عليه، وانتهوا من الصلاة؛ فجعل أبو طلحة يحدث رسول الله بما فعلت أم طلحة. فقالﷺ : «اللهم بارك لهما في ليلتهما».

يقولون: فولدت ولدًا اسمه عبد الله، ولقد رزق عبد الله بعشرة من الولد كلهم حفظوا القرآن الكريم وكانوا من قراء المدينة.

لم يبارك الله بالولد الذي دعا له فقط بل بالأولاد أيضًا.

سؤال: هناك مشكلة تحدث عندنا أنه أحيانا يتصل بك شخص ليخبرك عن موت

أحدهم فيقول لك مباشرة: فلان مات دون تمهيد، فهنا أحيانًا قد يصاب الإنسان بمرض أو حالة نفسية من خلال هذه المفاجأة في نقل الخبر؟

الجواب: أحسنت؛ فهذا سؤال مهم، فطريقة إبلاغ الخبر إلىٰ الآخر عند الموت أو عند المصائب كسرقة سيارة أو موت أحدهم وهو عزيز عليك لا بد أن يتبع التخفيف في إبلاغ هذه المصيبة للآخرين، وقد يحدث هذا أحيانًا مع الشرطة فيتصل ويقول: هذا بيت فلان؟

فيقول: مات فلان فتعالوا وخذوا جثته من عندنا، وهنا قد يقع من يستمع إلىٰ الخبر بحالة نفسية عظيمة فلا بد أن نتعلم من أم سليم.

سؤال: من وجهة نظري يا دكتور، أن أم سليم لا بد أن تكون قدوة لنساء المسلمين ونحن الآن نرىٰ مشكلة في إخبار المرأة بموت عزيز عليها والقصة بخلاف الواقع.

الجواب: هذا كلام صحيح، وهذه قصة ليست فقط للنساء بل للرجال، وأنا اليوم لا أتكلم عن الرجال؛ لكنني أتكلم عن امرأة هي خير من آلاف الرجال.

والنبي ﷺ يقول في حق أم سليم: «سمعت خشفة في الجنة فإذا هي أم سليم تمشي في الجنة».

لقد بشرها بالجنة وهي حية، بالله عليكم كم من الصحابة مات دون أن يبشر بالجنة، فالمسألة كما قال الشاعر:

فليس التأنيث لاسم الشمس عيبًا ولا التذكير مدح للهلال

فالمسألة ليست أنها أنثىٰ أو ذكر؛ فالله تعالىٰ قال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧] أيًّا كان أنثىٰ أو امرأة ماذا عندك يا حمد؟

سؤال: الدعوة غير مقتصرة علىٰ الرجال بل هنالك نساء لهن أعمال أفضل من الرجال؟

الجواب: صحيح بل أكثر من ذلك، انظر إلىٰ شدة تأثيرها في زوجها فالآن يتصل كثير من الأخوات بي ويرسلون لي (إيميلات) يسألونني فيه أنه هنالك مشاكل مع أزواجهن وهي تسأل عن الطلاق منه.

وهنا أسألها لماذا تفكرين بالطلاق ولا تؤثرين في زوجك فيغير ما هو عليه؟ وأنا أعرف مجموعات من الشباب، وبعضهم كان من طلابي في الجامعة تزوج وربما كان لا يصلي إلا قليلاً، وربما كان مبتلىٰ بتدخين وبالسفر إلىٰ بعض البلدان وشرب الخمر، ولما تزوج لاحظته فإذا به يصلي الفجر ويصلي الجمعة عندي مبكرًا، وفي السابق كان يأتي متأخرًا بعدما تبدأ الخطبة.

فأسأله وأقول: الظاهر أن زوجتك ملتزمة؟

فيقول: نعم. وهي تكرمني إكرامًا، أضطر أن أمشي وراءها في الحق.

لهذا أنا أوجه هذا الكلام لكثير من الأخوات فأقول: إن أول شيء لأجل أن تؤثري في زوجك الذي يشرب الخمر أو لا يصلي أن تكسبيه بأخلاقك وطيبك واحتفائك به.

إضافة إلىٰ الدعاء للزوج بالصلاح؛ فأم سليم كانت علاقتها بربها علاقة قوية ولا بد أن تنتبه نساؤنا لهذه العلاقة فغالب نسائنا يتوجهن نحو أسباب الأرض دون أسباب السماء.

يا أختي لماذا لا ترفعين يدك إلىٰ السماء وتدعين له ولا تشعرينه بأنك ند وأنك عدوة له؟

وكوني كما فعلت أم سليم عندما جاءها أبو طلحة فقالت: يا أبا طلحة، والله إني فيك راغبة؛ لكنك كافر فحبذا أن تسلم، وإسلامي هو مهري.

وكذلك النساء اليوم لو فعلت بالرجل كما فعلت أم سليم وقالت له: والله إنك عزيز عندي ومكانتك عالية لولا ما فيك من كذا، فإذا تركته فستجدني طائعة لك.

سؤال: هناك ملاحظة من قصة أم سليم في مسألة تخفيف المصائب التي تنزل

علىٰ الزوج.

الجواب: أحسنت. مسألة تخفيف المصائب التي تنزل عليه مسألة مهمة فأحيانًا يكون عنده مشكلة مع رئيسه فيأتي ويشكو رئيسه لزوجته، والأصل: أن الزوجة مع زوجها كالجسد الواحد وروحان في جسد واحد فلا بد أن تظهر له أنها تعيش معه ولا بد أن تمتص غضبه وتبعد عنه ما يكدر عليه صفو حياته إن استطاعت، وتفعل كما فعلت أم سليم عندما قالت لمن حولها: لا أحد يخبره فأنا سأخبره.

وهنا هل زوجاتنا عندهن مثل هذا الكلام من خلال تهدئة ما يشعر به الزوج؟ للأسف هناك كثير من النساء تفتقد مثل هذا الأمر، وهذا يعود إلىٰ تطوير الذات، وسيكون لنا حلقة في تطوير الذات تتعلم المرأة من خلاله تطوير فهمها وذاتها وطريقة تعاملها.

وهنا وقفة صغيرة سأقف معها وهي نقطة مهمة وهي:

أن أم سليم عندما جاءت بولدها إلىٰ النبي ﷺ وقالت: هذا أنس بن مالك يخدمك بماذا توحي إليكم هذه النقطة من العبر؟

أم سليم عندما رأت لنبي ﷺ قادمًا، وكل واحد من الصحابة يقدم شيئًا للإسلام، فأبو أيوب الأنصاري يقول: يا رسول الله انزل في بيتي، وآخر من الأنصار قال: يا رسول الله، ابنوا المسجد في أرضي، ثم اشتراها النبي ﷺ.

ففكرت أم سليم ماذا يمكن لي أن أقدم للإسلام؟

فقالت: ولدي أجعله خادمًا للنبي ﷺ وعمره تسع سنوات.

ولو أن كل امرأة قالت: ماذا أستطيع أن أقدم للإسلام لكانت النساء بخير.

فهذه مثلاً تقول: لدي أيتام بجانبي سأهتم بتعليمهم احتسابًا لله تعالىٰ، ورجل قال: مسجدنا فرشه متسخ سأستأذن الإمام وآتي أنا وزوجتي لننظف المسجد.

هي بصمة للإسلام؛ فأنا لا أستطيع أن آتي بشركة تنظف المسجد علىٰ حسابي؛

لكنني أستطيع أن أفعل ذلك مع عائلتي؛ فافعله لله تعالىٰ.

وأيضًا شخص ثالث جاء ووجد أن المسجد أو الأيتام أو الفقراء بحاجة له فأحضره لهم؛ فهذا قدم للإسلام شيئًا.

فإذا فعلنا مثل ما فعلت أم سليم بقدر ما تستطيع من خدمة الإسلام؛ فلن تبقىٰ الأمة علىٰ حالها، لكن سيصبح لدينا ملايين الناس من المسلمين كل واحد له بصمات في الإسلام.

۞ ۞ ۞

موسى والخضر

ستتحدث عن حديث من أحاديث البحر أيضًا والبحر مليء بالأعاجيب والأسرار، ذكر الله ﷻ في كتابه قصة موسىٰ، وذكر أن للخضر عليه السلام قصة مع البحر، الخضر اختلف فيه، هل هو نبي من الأنبياء أم أنه رجل صالح؟

والصحيح من أقوال أهل العلم: أنه نبي من الأنبياء؛ وذلك لأنه يقول في الآيات: ذلك مما علمني ربي، يعني: هذا من تعليم الله تعالىٰ لي، أو من وحي الله تعالى لي ويقول كذلك وما فعلته عن أمري إذًا معناه عن أمر الله، كذلك إقدام الخضر علىٰ اتخاذ قرارات معينة مثل قتل الولد، قتل الغلام، خرق السفينة، هذه لا يمكن أن يفعلها الإنسان بناء علىٰ اجتهاد وتوقع، يعني السفينة ممكن أن يخلع منها شيئًا بناء علىٰ اجتهاد وتوقع، لكن أن يقتل غلاما بناء علىٰ اجتهاد هذا لا يجوز ولا يكون إلا بوحي من رب العالمين، أوحاه الله تعالى إليه لذلك يقول وما فعلته عن أمري إنما هو عن أمر ربه تعالىٰ الخضر عمومًا نبي وكذلك لا يتصور أن الله جل وعلا يأمر نبي من الأنبياء أن يتعلم من رجل عادي في الغالب النبي سيتعلم من نبي مثله بصرف النظر هل كان هذا النبي يعني أرفع منه أم أدنىٰ؟ الصحيح أن موسىٰ عليه السلام أفضل من الخضر، وأهل العلم لما ذكروا قصة موسىٰ والخضر ذكروا بأنه من تعلم الفاضل من المفضول، موسىٰ عليه السلام مع أنه أفضل من الخضر لكنه تعلم منه، ولكن لماذا سمي الخضر

خضرًا؟

ذكر النبي - عليه الصلاة والسلام - في «صحيح البخاري» أن الخضر جلس علىٰ فروة بيضاء، يعني علىٰ عشب أبيض مِن قلة ما أصابه من مطر السماء أصبح أبيض يحتاج إلىٰ ماء حتىٰ يتحول إلىٰ أخضر فلما جلس عليه انقلب تحته أخضر؛ لبركته، فسُمي الخضر بناءً علىٰ ذلك كيف التقي موسىٰ ﷺ بالخضر؟ وكيف وقعت لموسىٰ ﷺ مع الخضر الحادثة في جوف البحر؟ وماذا حدثنا به؟

هذا البحر التي وقعت لموسىٰ القصة فيه ربما كان هذا البحر الأبيض المتوسط عند التقائه مع النيل وربما كان هو البحر الذي جهة خليج العقبة مع قناة السويس، موسىٰ ﷺ قام في بني اسرائيل واعظًا فلما قام واعظًا قال له رجل: يا نبي الله أتعلم رجل أعلم مني؟ لأنه أخذ يفتيهم ويتكلم ويفسر التوراة ويبين العلم؛ فالناس تعجبوا من علمه فقال له قائل: يا نبي الله أتعرف أحد أعلم منك فوجب عليه أن يقول: الله أعلم ولكن قال: لا، لا أحد أعلم مني طبعًا يقصد البشر فأوحىٰ الله تعالى إليه أن يا موسىٰ إن رجلاً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك فقال موسىٰ ﷺ: يا ربي دلني علىٰ هذا الرجل كيف أستطيع أن أصل إلىٰ هذا الرجل؟ دلني عليه فأمر الله تعالى موسىٰ ﷺ أن يأخذ حوتًا في مكتل. حوتًا يعني يأخذ سمكة من البحر ويضعها في مكتل (إناء معه) ثم يحملها معه فأوحىٰ الله تعالى إليه إن الموضع الذي ستفقد فيه الحوت هو الموضع الذي فيه هذا الرجل الصالح. فعلاً أخذ موسىٰ ﷺ هذا المكتل وأخذ معه فتاه يوشع بن نون، وكان أيضًا نبي من الأنبياء وكان عمره بين الثامنة عشر والخامسة العشرين.

أخذ موسىٰ ﷺ مع يوشع المكتل فيه هذا الحوت جعل الله تعالىٰ هذه علامة بمعنىٰ أن الله ﷻ أمر موسىٰ ﷺ أن يجعل حوتا في هذا المكتل الحوت طبعًا ميت وأمره أن يسير معه فإذا فقد هذا الحوت فإن موضع ذلك الرجل الصالح يكون فيه قد يقول بعضكم: لماذا لم يجعل الله تعالىٰ علامة أخرىٰ؟ لماذا لم يقل لموسىٰ سترىٰ شجرة وحجمها كذا وكذا؟ أو ترىٰ مثلاً جبلاً معينًا، الله تعالى يخلق كما يشاء ويختار وأراد ﷻ أن يبين لموسىٰ حتىٰ يرىٰ موسىٰ بعينه قدرة الله جل وعلا علىٰ إحياء الموتىٰ لأن الحوت انبعث حيًا، وكان موسىٰ

ﷺ حريصًا على أن يطلب العلم، وعلى أن يتعلم، ولم يتكبر، ومع المشقة في الرحلة لطلب العلم إلا أنه ﷺ حرص على أن يذهب إلى هناك فعلاً لأجل أن يطلب العلم وهذا كان حال السلف - رحمهم الله-.

الشاهد: وصل موسى ﷺ إلى مواطن كان يتنقل، خرج من جهة القاهرة مثلاً وجعل يسير ويسير ويمشي في عدد من المواضع وهذا المكتل معه وفيه الحوت ومعه الغلام يوشع بن نون جعلا يمشيان حتى وصلا إلى موطن معين الذي قال فيه النبي عليه الصلاة والسلام: مجمع البحرين حتى إذا بلغ مجمع البحرين.

ووصل موسى ﷺ إلى هذا الموضع، وكان معه يوشع بن نون، ووضع يوشع المكتل، وناما إلى صخرة، فلما ناما إلى هذه الصخرة، وأراد الله تعالى أن يبعث الحوت، خرج هذا الحوت من مكانه بعد ما أصابه شيء من رائحة الماء، أحياه الله ﷻ! خرج الحوت من مكتله وسار في البحر، ولكن يوشع بن نون لم يتنبه إلى ذهاب الحوت في البحر، ولما استيقظا أخذا المكتل ومضيا، وفي أثناء الطريق أصابهما النصب والتعب، وهذا التعب أضعاف التعب الذي أصابهما في الأيام الماضية، وذلك لما مشيا يومًا كاملاً وليلةً كاملةً أي بعد أربع وعشرين ساعة شعر موسى بالجوع فقال لفتاه: آتنا غداءنا، والغداء هو الفطور؛ لأنه يأكله في وقت الغدوة وهو الصباح؛ لذلك قال الله تعالى: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف:٦٢]، ومعنى النصب: هو التعب والمشقة، وقول الله ﷻ: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾، أي: تعب ومشقة، والعجيب أن المُفسرين ذكروا أن موسى ﷺ لم يشعر بالتعب إلا بعد ما سار في الطريق الخطأ، الذي لا يؤدي إلى الخضر؛ وذلك لأن الله تعالى يوفق الإنسان إذا سار في طريق الصواب، أما إذا بعد عنه فإنه يشعر بالنصب والتعب.

والسؤال الآن: هل كان موسى ﷺ عنده يقين أنه أعلم أهل الأرض في ذلك الوقت؟ ويرى أنه لن يبلغ أحدٌ منزلته في العلم، فقد يرى بعض الناس أنه أفضل من غيره ويحكم على الآخرين أنهم أقل منه علمًا.

فلا ينبغي للإنسان أن يرى نفسه أفضل من غيره، وينبغي أن يكون متواضعًا، ونبي الله موسى كان أكثر الناس تواضعًا وتشعر بهذا التواضع عندما تنسب العلم إلى الله تعالى حتى

نبي الله ﷺ، عندما سأله رجل: ما أحب البقاع إلىٰ الله؟ وما أبغضها إليه؟

قال: «لا أعلم حتىٰ أسأل جبريل». سأل ﷺ جبريل، فقال: لا أعلم حتىٰ أسأل ربي ﷻ، فأخبره الله ﷻ أن أحب البقاع إلىٰ الله المساجد، وأبغضها الأسواق.

ولكن أين التقى موسى عليه السلام بالخضر عليه السلام؟

يقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف:٦٠]، أي: لا أزال ماشيًا حتىٰ أبلغ مجمع البحرين أي: حتىٰ أصل إلىٰ المكان الذي يلتقي فيه البحران، أو أمضي حُقبًا أي: أو أسير زمنًا طويلاً، ومجمع البحرين هو ما بين خليج العقبة وخليج السويس، ولما وصل موسىٰ هذا المكان التقىٰ بالخضر عليه السلام.

ولما جاء موسىٰ عليه السلام إلىٰ الخضر قال: السلام عليك، فقال الخضر: أنىٰ السلام بأرضك؟ أي: أنا لا أسمع أحد يقول السلام في هذه الأرض، من أنت؟ قال: أنا موسىٰ، قال: موسىٰ بني إسرائيل؟ قال: نعم.

قال له الخضر. إنك علىٰ علم من علم الله علمك الله إياه، لا أعلمه أنا، وأنا علىٰ علم من علم الله علمني الله إياه لا تعلمه أنت، انظروا إلىٰ تواضع سيدنا الخضر عليه السلام وأدبه مع الله، عندما نسب العلم إلىٰ الله، وانظروا إلىٰ تواضعه عندما قدم أخاه موسىٰ عليه السلام علىٰ نفسه، فقال: إنك علىٰ علم من علم الله علمك الله إياه، لا أعلمه أنا، فقد ذكر علم موسىٰ قبل أن يذكر ما عنده من علم، ويظهر تواضع موسىٰ عليه السلام عندما قال: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:٦٦]، ويظهر هذا التواضع أكثر حين قال: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف:٦٩].

رأينا كيف كان موسىٰ عليه السلام متواضعًا مع الخضر؟ مع العلم أن موسىٰ عليه السلام أعلىٰ منزلةً من الخضر بلا خلاف وعلىٰ الرغم من ذلك يقطع موسىٰ هذه المسافات الطويلة ويذهب؛ ليتعلم من الخضر عليه السلام، وهذه من عجائب البحر مع موسىٰ عليه السلام ففي البحر يلتقي موسىٰ بالخضر، والبحر جنديّ من جنود الله، فكان البحر سببًا لنجاة موسىٰ من فرعون، والبحر عذب الله به فرعون وأغرقه وقومه فيه. فالبحر من جنوده تعالىٰ والله هو الذي يجعله يثور ويهيج ويضرب بأمواجه القوية السفن العملاقة، فيجعلها كالورقة في مهب الريح يقلبها كيف يشاء، ولقد رأينا ما حدث للسفينة

العملاقة تيتانيك، التي كانوا يعتبرونها تحدي كيف أغرقها الله تعالىٰ بمن فيها، من أول رحلة لها: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر:٣١]، فالنار يعذب الله بها قومًا ويجعلها بردًا وسلامًا علىٰ آخرين كما كان الحال مع إبراهيم ﷺ.

ونرجع إلىٰ لقاء موسىٰ بالخضر، فلما وصل موسىٰ ﷺ مجمع البحرين والتقىٰ الخضر ﷺ، وطلب منه أن يُرافقه، الخضر ﷺ يعلم أن موسىٰ أكثر علمًا منه في بعض النقاط، والخضر أعلم من موسىٰ في أشياء أخرىٰ، وكل منهما لديه علم من عند الله.

الخضر ﷺ يقوم ببعض التصرفات الصحيحة، ولكن موسىٰ يراها خطأً، تمامًا كما يطلب مني أحد أبنائي الذهاب للعب مع أحد أصدقائه، فأقول له: لا تفعل. فترىٰ الزوجة هذا التصرف خطأً، وتقول: لماذا تمنع الولد من اللعب والترويح عن نفسه؟

طبعًا هي لا تعلم ما أعلمه من أن هذا الولد الذي يريد ابني اللعب معه يتعاطىٰ مخدرات أو إنه عنده مشكلة أخلاقية، وأنا لا أريد أن أبوح لها بشيء من هذا حتىٰ لا تجلس مع النساء وتتحدث عن الولد، وتقول: ابن فلان مُدمن مخدرات وتحدث مشكلة.

لذلك يشترط الخضر علىٰ موسىٰ ﷺ ألا يسأل عن شيءٍ حتىٰ يوضحه له الخضر؛ لأنه ليس لديه ما عند الخضر من معلومات.

فذهبا سويًا يبحثان عن سفينة تنقلهما إلىٰ الشط الآخر من البحر، فمرت سفينة تعمل بالأجرة، أي: تحمل الركاب مقابل دفع أجرة علىٰ ذلك، فلما رأوا الخضر عرفوه فإذا هو الرجل الصالح.

فركب الخضر وموسىٰ السفينة ومعهما فتىٰ موسىٰ (يوشع بن نون)، فلما ركب الخضر أقبل إلىٰ لوحة من سفينة هؤلاء المساكين - الذين يعملون في البحر بالصيد، أو تحمل الركاب مقابل الأجرة، فخلعه الخضر بالقدوم، فلما رأىٰ المساكين الماء يدخل إلىٰ السفينة، أخذوا يصلحون فيها محاولين منع الماء من التسرب إليها، فتعجب موسىٰ ﷺ من ذلك، وسأل الخضر مُستنكرًا ما فعل: لماذا خرقت السفينة؟ أخرقتها لتغرقنا وتغرق أهلها؟ فما فعلته هذا شيئًا عظيمًا في بشاعته وشناعته، كما قال الله تعالىٰ: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾[الكهف:٧١].

أسأل الله ﷻ أن يجزيكم خير الجزاء وأن ينفعنا وإياكم بما قلنا، وأن يقينا حر النار ويقي إخواننا أيضًا حر النار، بارك الله فيكم وصلىٰ الله وسلم علىٰ رسول الله ﷺ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

۞ ۞ ۞

نهر النيل

نحن مع حديث جديد من أحاديث اليم، من أحاديث البحر، نحن عند النهر عند اليم، الذي أُلقي فيه سيدنا موسىٰ ﷺ نحن علىٰ ضفاف نهر النيل، كيف لو تحدث النيل؟ بماذا سوف يخبرنا؟ ما أخباره وأسراره؟ ما أحاديثه التي أوقعها الله تعالىٰ عليه حتىٰ جعله لنا عبرة؟

عندما نراه الآن سيحدثنا نهر النيل بأحاديث عجيبة.

نحن الآن علىٰ ضفاف اليم؛ هذا اليم الذي أُلقي فيه نبينا وسيدنا موسىٰ ﷺ وقد تكلمنا عن نبي الله تعالىٰ موسىٰ ﷺ ، كيف لما ولدته امه وخافت عليه وكانت في عصر فرعون أوحىٰ الله تعالىٰ اليها أن تلقيه في اليم، وبالفعل وضعته في الصندوق والقته في ماء هذا النيل؛ ولو أذن الله تعالىٰ لهذا النيل ان يتكلم لأخبرنا بقصة موسىٰ عليه السلام، وكيف حملته قطرات هذا الماء حتىٰ أوقفته إلىٰ أبواب قصر فرعون ثم حُمل إلىٰ فرعون.

نهر النيل جاءت فيه بعض الأحاديث، النبي ﷺ لما أُسري به، ثم عرج به إلىٰ السماء ﷺ ، ذكر أنه رأىٰ نهرين اثنين منهما ظاهرين واثنين منهما باطنين، فأخبر ﷺ أن النهرين الظاهرين اللذين رآهما هما النيل والفرات.

النيل والفرات: هما من أنهار الجنة، هذا النيل علىٰ طوله طبعًا جعل الله تعالىٰ فيه بركة عظيمة للبلدان التي يمر بها، فهو يمر بأكثر من عشر دول أفريقية، يمتد من الشمال إلىٰ الجنوب طوله ستة آلاف وثمانمائة واثنان وثمانون كيلو، طويل جدًّا يقولون: إن مساحة حوضه تمتد إلىٰ أكثر من ثلاثة ملايين كيلو متر مكعب، بمعنىٰ أنها

كبيرة جدًّا، النيل ينقسم إلىٰ قسمين هذه معلومة سريعة عن الأمور الجغرافية حتىٰ يفهم إخواننا المراد من الكلام عنه، هو ينقسم إلىٰ قسمين: النيل الأزرق، والنيل الأبيض، يلتقيان في السودان، ثم يجري بعد ذلك إلىٰ مصر، يُذكر أيضًا في عام ١٩٨٥ اكتشف المكان الذي ينبع منه كانوا يقولون ينبع من بحيرة فكتوريا وغيرها.

المقصود: أن هذا النيل أجراه الله تعالى من فترة طويلة وجعل الله تعالىٰ فيه من البركة للناس ما ينبغي علىٰ الناس أن يشكروا الله تعالى عليه والله جل وعلا جعل في البحر خاصةً، وفي الماء عمومًا للناس منافع كما بين الله ﷻ ذلك لما قال: ﴿لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الجاثية:١٢] فابتغاء فضله يعني الإنسان يجد فيه كثيرًا من الفوائد المتجددة، السابقون كانوا يستفيدون من اليم ومن النيل علىٰ السواء، جريان الفلك فيه وصيد الأسماك، اليوم الناس يستفيدون أشياء كثيرة أخرىٰ إضافةً إلىٰ الحلي، وبعض الأمور الطبية، وبعض الكيماويات إلىٰ غير ذلك، النيل أيضًا كان له قصة كما ذكرنا مع موسىٰ عليه السلام، وقد ذكرنا قصته من قبل وكيف أنه أُلقي فيه موسىٰ عليه السلام؟ ثم كان بعد ذلك موسىٰ ﷺ نبيًّا كما تقدم معنا، كذلك النيل له قصة مع نبي الله تعالىٰ يوسف من قبل موسىٰ، لذلك في سورة غافر لما بَيَّن الله ﷻ قصة موسىٰ مع فرعون قال ﷻ: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ﴾ [غافر:٢٨] رجل يظهر للناس ولفرعون أنه من ملتهم بينما هذا الرجل كان يكتم إيمانه كان مؤمنا بموسىٰ عليه السلام قام يدافع عن موسىٰ ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَـٰدِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ [غافر:٢٨] إلىٰ آخره ثم قال بعدها بآيات قال: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ [غافر:٣٤] فيوسف ﷺ كان قبل موسىٰ أم بعده؟

كان قبل موسىٰ وهذا واضح من كلام الله تعالىٰ، وقال هذا الرجل المؤمن: لفرعون وقومه، لقد كذبتم بيوسف من قبل وقد جاءكم بالبينات، فكيف تكذبون بموسىٰ وقد أرسله الله إليكم كما أرسل يوسف من قبل؟

ويوسف عليه السلام له قصة مع ملك مصر، ولما رأىٰ سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات وجعل يقول للناس: نبئوني عن رؤياي، أخبروني عن رؤياي إلىٰ غير ذلك، ثم سألوا يوسف عليه السلام، يوسف عليه السلام أخبرهم بتأويل الرؤية قال: إنه تأتيكم سبع سنين يكون فيها خصب وزرع وما شابه ذلك، ثم يأتي بعدها سبع سنين عجاف وشداد يأكلن ما قدمت لهن وما قد حفظتموه خلال السنين السبعة الأولىٰ التي فيها خصب وزرع سَيَفْنَىٰ خلال السبع سنوات الأخيرة؛ لأنه ليس فيها زرع.

بمعنىٰ أن السماء تمسك مطرها، فلماذا يكون هناك جدب ونهر النيل موجود؟ النيل الذي فيه ثلاثة مليون كيلو متر مكعب، أتدرون كم يبلغ عمقه في بعض الأماكن؟ يبلغ عمقه في بعض الأماكن خمسين أو أربعين مترًا، وهذا يعني أن به ماء كثيرًا جدًّا، فكيف يقول يوسف عليه السلام ستأتي سنون عِجاف؟!

كيف تأتي السنون العِجاف ونهر النيل موجود وبه ماء كثير؟!

قبل كما ذكر وإن كانت الرواية لم أتأكد منها، في عهد عمرو بن العاص رضي الله عنه لما فتح مصر وأقبل إليه أهل مصر وقالوا: إنه في شهرين معينين إذا لم نفعل فعلة نفعلها كل سنة فإن النيل يجف قال: ماذا تفعلون قالوا: نأتي إلىٰ فتاة حسنة جميلة بكر فنرضي أبويها ثم نزينها بأكثر ما نستطيع من الحلي ونلقيها في النيل، فقال: هذا من أمر الجاهلية وهذا ظلم، ولا تفعلوا ذلك، فذكر بعد ذلك أن النيل فعلاً جف، وأصبح الناس لا يرون إلا التراب، فهموا بالجلاء عن النيل يبحثون عن ماء آخر، فأرسل إلىٰ عمر رضي الله عنه وأخبره، أرسل إليه بطاقة من أمير المؤمنين، عمر بن الخطاب إلىٰ نيل مصر فإن كنت تجري بأمرك فلا تجري، وإن كان الله الواحد القهار الذي يُجريك، فنسألك بالله أن تجري، أو نسأل الله الواحد القهار أن يُجريك، وأمر عمرو رضي الله عنه أن يُلقيها في النيل فألقاها فجرىٰ النيل من غد بأكثر من ستة عشر ذراعًا يعني تقريبًا ثلاثين متر لأن الذراع تقريبًا ستة وأربعين سنتيمتر.

المقصود: سواء ثبتت هذه القصة أو لم تثبت في عهد يوسف عليه السلام أكيد أنه حصل

شيء جعل الناس يمنعون من الاستفادة من النيل هذا أمر، كذلك في عهد فرعون من المعجزات التي كانت لموسىٰ ﷺ معجزة تتعلق بالنيل أليس الله تعالىٰ يقول: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ﴾[الأعراف:١٣٣]، عجيب الدم! وما علاقة الدم بنهر النيل؟ فإذا نظرنا إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾[الأعراف:١٣٣]، فأما الطوفان، فقد أمر الله الماء أن يزيد ويثور حتىٰ بدأ يهلك المزارع ويغرق الحرث؛ لأنه عندما يزيد الماء في النيل نجد أن المزارع التي حوله التي هي طعام الناس وبيعهم وشراؤهم تغرق، فعاقبهم الله عن طريق النيل بهذه العقوبة الشديدة، أيضًا قال ﷻ: ﴿وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ ﴾ تخرج من النيل وأصبح الواحد يأتي ليكشف طعامه فيجد فيه ضفادع، ينظر إلىٰ ملابسه يجد فيها ضفادع، يريد أن ينام ينقلب يجد ضفدع يقفز علىٰ وجهه، وهذا لا شك فيه بلاء عظيم من رب العالمين، لو أردت أن تنام وذباب أشغلك ما استطعت أن تنام فما بالك عندما يكون ضفادع تملأ البيت بمائة أو مائتين ضفدع، وهذه أيضًا كلها أخرجها الله تعالى من النيل ثم قال جل وعلا: ﴿ وَٱلدَّمَ ﴾ معنىٰ الدم: أنهم إذا أخذوا ماء من النيل ليشربوه ينظر إليه فرعون وقومه علىٰ أنه ماء فإذا قربه إلىٰ فمه تحول إلىٰ دم فتكرهه نفسه ولا يستطيع أن يشربه، أما بني اسرائيل إذا رفع أحدهم الماء فيجده ماء كما هو ويشرب منه، فهذه كلها أيضًا مما حدثنا الله تعالىٰ به من أمر النيل، وذكره الله ﷻ في كتابه،

وأيضًا لو أذن الله تعالىٰ لهذا النيل أن يتحدث ربما ذكر لنا أنه صار علىٰ قوم فرعون عذابًا وأنه أرسل الضفادع إليهم وأنه حمل موسىٰ ﷺ إلىٰ غير ذلك.

فيجب التأدب مع الله بحُسن استخدام هذه النعم، وحُسن شكر الله تعالى عليها، واستخدام هذه النعم في طاعة الله، وليس في محاربة الله وفعل ما حرم الله، حتىٰ لا تتحول هذه النعمة إلىٰ سبب لنزول عذاب الله وغضبه، كما هو الحال في نعمة النيل حين لم يُحسن فرعون وقومه شكر الله عليها، بل كانت سببًا في تكبر فرعون وعناده وجبروته حتىٰ قال: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا

تُبۡصِرُونَ ﴾ [الزُخرُف:٥١]، فنعم الله عليه كانت سببًا في كفره وتكبره فجعلها الله سببًا لعذابه، وعذبه بها.

فلا يجوز أن يُعصىٰ الله تعالى في نِعمهِ، فإذا أعطىٰ الله شخصًا مالاً فلا يعصىٰ الله تعالى في هذا المال؛ بإنفاقه فيما حرم الله، بل يستخدمه في طاعة الله وينفقه فيما أحل الله؛لأنه مسئول عنه، ومن أنعم الله عليه بالجاه، فلا يكون هذا الجاه سببًا في تكبره وتسلطه علىٰ الناس واحتقاره لهم وظلمهم، وأكل أموالهم بالباطل، فالأصل أن تكون النعمة في طاعة الله وليس في معصيته، وكلما زادت النعم يزيد العبد من طاعته لله، وذُله وإنكساره له حيث تفضل عليه وأعطاه هذه النعم دون استحقاق منه لهذه النعم، فيشهد منة الله عليه، ويعترف بفضله، ويزيد من شكره تعالىٰ وليحذر عذاب الله، ويحذر قوله تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النور:٢٤]، وقد ذكر رسول الله ﷺ أيضًا: أن المؤذن يشهدُ له الحجر والشجر كذلك الحجر والشجر يشهد علىٰ الإنسان إذا وقع في معصية.

هل نهر النيل سيكون في الجنة كما هو في الدنيا بنفس صفته ؟

فقد روىٰ البخاري لما أخبر النبي ﷺ أن نهر النيل والفرات هما نهران من أنهار الجنة، هل هذا معناه أن الجنة فيها نهر اسمه النيل؟ وكيف يكون من أنهار الجنة؟

هذا ذكر فيه ابن حجر وذكر فيه النووي، والمناوي عدد من شراح الحديث قالوا: إنه ينبع من تحت سدرة المنتهىٰ كما أخبر النبي ﷺ لكن كيف ينبع نحن ما نرىٰ ماء ينزل من السماء إلىٰ النيل مباشرة؟ فقالوا: لعل المطر الذي يغذي النيل يتفجر من سدرة المنتهىٰ فيتفجر ويتحول إلىٰ مطر، ويغذي نهر النيل ويكون نهر النيل مختلطًا بماء من الجنة هذا أولاً، وقيل: معنىٰ النقطة الأولىٰ ذكرها ابن حجر قال النووي: معناها لكثرة بركته التي جعلها الله تعالىٰ فيه كأنه نهر من أنهار الجنة، فكما أن أنهار الجنة أنهار مباركة كذلك النيل لما جعل الله تعالىٰ فيه من البركة، هذا قول آخر لبعض أهل العلم.

ويذكر ابن سينا بالمناسبة: أن نهر النيل لا يماثله نهر في العالم، وأنه يجري علىٰ صخور،

وليس علىٰ طحالب وأشجار مؤذية، الآن لا أدري ربما مع تغير الأجواء وكثرة الاستعمال له واختلاط الكيماويات، ربما فسد الماء فيه لكن في السابق كان فعلاً كما يقول ابن سينا: إنه أنظف المياه وأحسنها.

ونخرج من حديثنا عن النيل بمسألتين:

الأولى: أن الله جعل النيل سببًا لحياة الناس فتجمع الناس حوله، وكانت حياتهم، وبيعهم، وشرائهم، ومزارعهم، وبيوتهم حول النيل وعلىٰ جانبيه.

والمسألة الثانية: هي قلب الله للنيل فبعد ما كان ماؤه عذبًا فُراتًا مُستساغًا للناس، تحول هذا الماء العذب بقدرة الله تعالىٰ إلىٰ دم، وكيف تستسيغ النفوس شرب الدم؟ فلا أحد يستطيع أن يشربه، فالله تعالىٰ هو خالق النيل، وهو القادر علىٰ أن يفعل به ما يشاء، وهو الذي شرع لنا صلاة الاستسقاء، إذا أصابنا الضر والقحط، وشرعت صلاة الاستسقاء إذا جف ماء النيل، كما حدث في عهد يوسف ﷺ، وانتشر القحط في السنين العجاف، وحاكم مصر في هذه الفترة وهي فترة وجود يوسف بمصر لم يكن يُسمىٰ فرعون، ولكن كلمة (فرعون) كانت تُطلق علىٰ أي حاكم مصري، وكذلك أي حاكم فارسي كان يُسمىٰ كِسرىٰ، وحاكم الشام يُسمىٰ قيصر، ومن يحكم الإسكندرية يُسمىٰ المقوقس، ومن يحكم الحبشة يُسمىٰ النجاشي، وكذلك الحال في زماننا فنحن نطلق علىٰ الحاكم رئيس أو ملك، دون النظر إلىٰ اسمه محمد أو أحمد أو حسين وكان الحاكم في عهد يوسف ﷺ يُسمىٰ (الملك) كما ذكر الله تعالىٰ في كتابه.

لذلك قال الله ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ ﴾ [يوسف:٤٣] ما قال وقال فرعون: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ ﴾ [يوسف:٤٣] ثم قال في الآية التي بعدها: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ ﴾ [يوسف:٥٤] إلىٰ أخره دل ذلك علىٰ أن هؤلاء الذين حكموا مر عليهم النيل، وهم أذهبهم الله تعالىٰ لكن لا يزال هو عبرة بين أيدينا يظهره الله تعالىٰ متىٰ شاء.

لذلك يجب أخذ العظة والاعتبار من نهر النيل، فكلما مررت به، تذكرت ما وقع فيه من أحداث، لأن تذكر هذه الأحداث له تأثير في القلب، لذلك يقول الله تعالىٰ:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الروم:٤٢]، فتذكُر الآيات عند رؤية النيل هي المطلوب.

أسأل الله ﷻ أن يجزيكم خير الجزاء وأن ينفعنا وإياكم بما قلنا، وأن يقينا حر النار ويقي إخواننا أيضًا حر النار، بارك الله فيكم وصلىٰ الله وسلم علىٰ رسول الله ﷺ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

۞ ۞ ۞

قصة قريش مع البحر

ذكر الله تعالىٰ (قصة قريش مع البحر) ذكرها في القرآن، ولو سألنا هذا البحر ربما حدثنا بشيءٍ من خبرهم، ولو سألنا النهر لحدثنا بشيءٍ من قصتهم، فما قصة قريش مع البحر؟

وما قصة عبد الواحد بن زيد ؟ سنتكلم عن القصتين إن شاء الله.

ذكر الله ﷻ في القرآن حديثًا لقريش وخبرًا لهم مع البحر، فقال الله ﷻ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت:٦٥]، يعني يدعون الله ﷻ دون أن يدعوا الآلهة التي يُشركون بها مع الله، وهم إذا سُئلوا لماذا تعبدون اللات والعزىٰ؟ قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزُّمَر:٣].

لكن إذا ركبوا في الفلك عرفوا أن النفع والضر ليس مُتعلقًا باللات ولا بالعزىٰ ولا بهُبل ولا مناة ولا غيرها، إنما النفع والضر عند رب العالمين قال الله ﷻ: ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس:٢٢].

يا رب، إذا أنجيتنا من لُجة البحر ومن الغرق وأنقذتنا منه؛ لا يمكن أن ندعوا إلهًا غيرك، ولا نسجد لربٍ سواك، يا رب ما نعبد إلا أنت وحدك لا شريك لك قال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [يونس:٢٣].

وفي الآية الأخرى: ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥]، فبين الله ﷻ أن هؤلاء إذا وقعوا في الكرب عرفوا أنه لا خالقًا ولا معبودًا بحق إلا الله ﷻ، وهذا الذي كانت تفعله قريش.

لذلك لما روىٰ البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات»، أن قريشًا اجتمعوا يومًا وجعلوا يتذاكرون حالهم مع النبي ﷺ، فقال حُصين بن المنذر الخزاعي - واحد من كبار قريش -: يا قوم أنا أحل لكم المشكلة مع محمد ﷺ، يعني أنتم الآن متضايقون؛ لأنه يدعوكم إلىٰ ترك آلهتكم، تغيير دين آبائكم وأجدادكم، أرسلوني إليه، فدخل إلىٰ النبي ﷺ، فقال: يا محمد أنت فرقت جماعتنا، وشتت شملنا، وفعلت وفعلت، فإذا تريد مالاً أعطيك، وجعل يعرض علىٰ النبي ﷺ عروضًا كثيرة، فقال له رسول الله: «يا أبا عمران أفرغت؟» انتهيت من عروضك؟ قال: نعم، قال: «أجبني عما أسألك عنه» قال: «كم إلهًا تعبد؟» قال: أعبد سبعة، ستة في الأرض وواحد في السماء، فقال ﷺ: «فإذا هلك المال من تدعو؟» قال: أدعو الذي في السماء، قال: «فإذا مرض الولد من تدعو» قال: أدعو الذي في السماء، قال: «فإذا أجدبت الأرض من تدعو» قال: أدعو الذي في السماء، قال: «فيستجيب لك وحده، أم يستجيبون لك كلهم» قال: لا بل يستجيب لي وحده، وتشركهم معه في الشكر؛ لأن العبادة شكر للمُنعم، أليس كذلك؟

فإذا كان هو وحده الذي يشفيك، وهو وحده الذي يسقيك عند عطشك، وهو وحده الذي يُطعمك عند جوعك، هو وحده الذي ينصرك عند مظلمتك، لماذا لا تشكره وحده؟! لماذا أنت الآن تشكر عدة آلهة معه؟! أم إنك تخاف أن يغلبوه عليك تخاف إذا ما عبدتهم معه أنهم يضرونك؟ فأنت إرضاءً لهم وإسكاتًا تعمل لهم عبادة، فقال أبو عمران: لا ما يقدرون عليه؛ هو أقوىٰ منهم.

فقال ﷺ: «يا أبا عمران أسلم وأعلمك كلمات ينفعك الله بها، اترك عنك اللات والعزىٰ ومناة، اترك عنك عبادة غير الله ﷻ، يا أبا عمران أسلم وأعلمك كلمات ينفعك الله بها»، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ثم مشىٰ مع النبي ﷺ، يقول: وجعلت أتباطأ في المشي؛ كي يعلمني، فلما كدنا أن نبلغ الباب، قال: يا رسول الله علمني. قال: «سأعلمك كلمات ينفعك الله بها، قل: اللهم اغفر ذنبي، وقني شُح نفسي، اللهم اغفر لي ذنبي، وقني شُح نفسي».

ومع الأسف تعلقت قلوب مجموعة من الناس اليوم بغير الله تعالىٰ كما تعلقت

قلوب قريش بغير الله، بعض الناس اليوم إذا مرض لم يقبل قلبه علىٰ الله، ولكن يقبل قلبه إلىٰ القبر وإلىٰ الضريح، بعض الناس يتعلق قلبه بغير الله، فيظن أن شفاء مرضه، أو أن نُصرته عند مظلمته أو أن صلاح ولده إذا لم يكن صالحًا عند غير الله، مع أن النبي ﷺ يقول: «إن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يُقلبها كيف يشاء»، والله تعالىٰ يقول: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزُّمَر:٢٣]، ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ [الزُّمَر:٣٧].

فإذا علمنا أن الضلالة والصلاح والرزق والشفاء، وأن الخير والشر وكل ما في الدنيا بقدرة الله وتقديره ومشيئته، فهذا يدفعني إلىٰ عدم الذهاب إلىٰ ضريح لأطوف به، وأقول له: أنا لا يأتيني أولاد، فارزقني أولادًا، أو تأتي المرأة إليه وتلصق جسدها به وتقول: أنا لا أحمل، فاجعلني أحمل أو ربما جاءت وتمسحت به أو أكلت من ترابه؛ لأجل أن تشفىٰ من مرضها؛ أو من أجل أن تُرزق ذرية أو؛ من أجل أن تتزوج ينبغي أن نحذر من هذه الأفعال التي تجعل المرء مع من يشكرون بالله ﷻ عند دعاءهم عند كربتهم أن يدعوا معه غيرهم الأصل أن لا تدعوا إلا الله ﷻ، يقول الله ﷻ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧] لا رادّ لفضله، أي لا يستطيع أحد أن يمنعك من فضل الله؛ فلا كاشف له إلا هو أي لا يستطيع أحد أنه يكشف عنك ضرًا أنزله الله بك.

والسوال الآن: ما علاقتنا بهؤلاء الصالحين الأموات، أو كيف نتبرك بهم ؟

فإذا كنا نتكلم عن الأموات: الصالحون من الأموات حقهم علينا أن ندعوا الله تعالىٰ لهم مثلاً يمكن نتصدق عنه ممكن أحج عنه، ممكن أعتمر عنه لكن لا يجوز أن أذهب إلىٰ قبره وأسجد إليه مثلاً أو أذهب إلىٰ قبره وأطوف عليه كما أطوف علىٰ الكعبة، أو أذهب إلىٰ قبره أقول له: يا ولي الله أنا لم أرزق بذرية، ارزقني سبحان الله.

الله تعالىٰ يقول: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى:٤٩].

وأنت تقول: ارزقني، او اشفع لي عند الله، هل الصحابة لما وقعوا في الكروبات

كانوا يلجأون إلىٰ قبر النبي ويسألونه ويتوسلون إليه ويطلبون منه تفريج الكروب؟

أبو بكر ﷺ لما وقعت حادثة الردة ردة العرب، بعد وفاة النبي ﷺ ، هل ذكر أنه ذهب إلىٰ قبر النبي ﷺ ، قال: يا رسول الله انصرنا يا رسول الله اشفع لنا عند الله، لا كان يلجأ إلىٰ الله تعالىٰ لذلك كان أبو بكر ﷺ صاحب المقولة المشهورة، من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، لذلك الدعاء وطلب الشفاء وطلب فك الكروبات وغيره لا يطلب إلا من الله تعالىٰ ولا يلجأ إلا إليه ﷻ.

ولكن هل إذا توسمت الصلاح في شخصٍ، وطلبت منه أن يدعو لي يكون هذا منهيًّا عنه ومُنكرًا؟

فهذا لا يدخل تحت الموضوع الذي نتحدث عنه، أو تحت الأمور التي نحذر منها، فهذا السلوك يُشبه الرقية، كأن يقرأ الشخص القرآن علىٰ إناء ويعطيه للمريض ليشرب منه، فهذا ليس فيه بأس. فهذه الأمور وردت في السنة وكانت عائشة ﷺ تفعل مثل ذلك ربما رقت بعض النساء، أو قرأت في ماء كما رواه أبو داود في «سننه» وأعطته الناس ليشربوا لكن الذي أتكلم عنه، هو ما يقع مع الأسف اليوم من بناء الأضرحة العظام علىٰ بعض القبور حتىٰ أصبحت كالكعبة، وأصبح الإنسان أول ما يمرض صار يُفكر في الضريح، ولا يُفكر في رب العالمين مباشرة يقول: ماذا سأقدم اليوم للضريح حتىٰ يشفيه ويبدأ يأخذ له دجاجًا أو خاروفًا، أو يأخذ له مثلاً طيبًا، أو يذهب يتصدق بجوار صاحب الضريح حتىٰ يشفيه، يا أخي اربط قلبك برب العالمين، ولا تربطه بغيره تعالىٰ هناك قصة عجيبة للعبد الواحد بن زيد أيضًا تتعلق بالبحر لعلي أذكرها إن شاء الله لكم.

هذه قصة قريش مع البحر، وفيها تأكيد علىٰ أهمية توحيد الله ﷻ وأن يكون الإنسان مُقبلاً بقلبه إلىٰ الله ﷻ.

ولكن زيارة القبور بنية أخذ العظة، والاعتبار، وتذكر الموت وسكراته، والقبر وما فيه من أهوال وعذاب، وما فيه من نعيم ورحمة، وسؤال الملكين فهذا مطلوب ومرغوب.

زيارة القبور النبي ﷺ أمر بها، وقال النبي ﷺ: «كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور،

فزوروها فإنها تذكركم بالآخرة»، وكذلك لما دفن النبي ﷺ بعض أصحابه، جعل عند رأسه لما دفنه لبنة قطعة لبن - يعني طوب من طين - وقال: «أعرف بها قبر أخي وأدفن إليه من مات من أهله» أو كما قال ﷺ.

المقصود: أن زيارة القبر الدعاء عند القبر، دعاء الله تعالىٰ يعني أنا لما أزور قبر حبيبنا وسيدنا محمد ﷺ وأقول مثلاً: اللهم اجمعني مع رسول الله في جنته هذا ليس فيه بأس لما آتي وأزور أبي في قبره مثلاً أو أزور جدي وأقول مثلاً: اللهم اغفر لأبي وتجاوز عنه واجمعني به في الجنة، اللهم اجعل قبره روضة من رياض الجنة ليس فيه بأس لكن الذي لايجوز هو أن أذهب إلىٰ القبر وأقول لصاحب القبر للميت المدفون فيه: اشفع لي عند الله، ارزقني ذرية، أنا جئت إليك، أنا داخل عليك، أنا مفتقر إلىٰ فضلك، أنا مفتقر إلىٰ رحمتك، هذا الكلام يقال لله تعالىٰ ما يقال للبشر، والصحابة لم يذكر أنهم قالوا لقبر رسول الله ﷺ ولا قالوه لقبر غيره بل كانوا إذا نزل بهم الضر والكرب ينزلونه بالله جل وعلا ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:١٧] ويقول ﷻ: وقال ﴿رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠] ولا يجوز أن ندعوا غير الله ﷻ.

ونسمع من بعض الناس مع الأسف، من يقول: أنا أستريح في مسجد مولانا كذا، أو في مسجد سيدنا كذا، ويذكر أسماء المساجد التي بها قبور.

أما إذا كان القبر خارج المسجد في الساحة لا بأس أن تصلي فيه، أما إذا كان القبر في داخل المسجد نفسه، فإنه لا يجوز الصلاة فيه، والنبي ﷺ يقول: «لعنة الله علىٰ اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر مما صنعوا، النبي ﷺ لماذا نهىٰ عن بناء المساجد علىٰ القبور؟

لسبب وهو: أن المسجد الأصل أن يكون القلب متوجهًا فيه إلىٰ الله ﷻ، ولكن عندما تذهب إلىٰ المسجد الذي فيه قبر لفلان، وأنت عندك حاجة معينة أو تريد المغفرة أو تريد أجرًا، أو ما شابه ذلك، أو أنت مريض، تذهب إليه أنت في الحقيقة دخلت المسجد والقلب ليس متوجها مائة بالمائة إلىٰ الله، ولكن القلب متوجه ثمانين في

المائة إلىٰ الله وعشرين بالمائة إلىٰ القبر، أليس كذلك؟ وكلما كان الرجل أصلح صار ثلاثين في المائة، وإذا كان له قصص كرامات والقبر والضريح يلمعان من كثرة الذهب والفضة يرتفع إلىٰ ستين أو سبعين في المائة وربما سجد عنده أو ما شابه ذلك، فالله تعالىٰ يقول: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨] لا يريد مكان العبادة الذي هو لله أن يُتوجه فيه لغير الله، وأن يُطلب قضاء الحوائج من غيره.

نشاهد ونسمع بعض الناس في البقيع، يُكثرون من البكاء الشديد والصراخ والعويل والنياحة، فهذا ليس المقصد من زيارة القبور، فالمقصد من زيارة القبور هو العظة والاعتبار، وأن يسأل كل شخص كيف يكون حاله إذا كان ميتًا داخل القبر، وهل استعد لذلك اليوم الذي يدخل فيه قبره؟

فهؤلاء الناس انقطعت أعمارهم وتوقفت أعمالهم، فلم يعد لهم أعمال في الدنيا يؤجرون عليها، إلا أن يكونوا خلفوا علمًا ينتفع الناس به، أو تركوا صدقة جارية أو أولادًا صالحين يدعون لهم، النبي ﷺ يقول فزوروها فانها تذكركم بالآخرة، وأمر بترقيق القلب لكن البكاء العويل النياحة والصياح والصراخ الذي يحصل عند القبور، ونحو ذلك هذا كله منهي عنه ومن هذا الباب نهىٰ بعض أهل العلم عن زيارة النساء للقبور، وقالوا: إن المرأة إذا زارت القبر رقتها ويعني وعدم قدرتها علىٰ التحكم في عواطفها في الغالب وإن كانت بعض النساء قويات وثابتات، لكن عدد من النساء لا تستطيع أن تتحكم بعواطفها، وبالتالي تجد أنها إذا جاءت لهذا القبر لم تستطع أن تمسك نفسها، فربما ناحت وبكت وصرخت؛ فنهىٰ النبي ﷺ عن ذلك، وأخبر ﷺ أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه، يعني يعذب نفسيًا إذا علم بحزنهم وبكائهم وما شابه ذلك، هذا أيضًا مما ذكره أهل العلم حول هذه المسألة.

وهناك أمر مهم إن بعض الناس ربما يكون أشد شرًا من كفار قريش، مع الأسف كفار قريش إذا كانوا في الرخاء أشركوا بالله ودعوا غيره وعبدوا غيره، وإن كانوا في الشدة لجئوا إلىٰ الله تعالىٰ وحده لا شريك له، بعض الناس اليوم مع الأسف ربما مع الشدة وشدة الضرر والمصيبة عليهم، ومع ذلك ينادي بأسماء بعض الأولياء، وبعض

الصالحين، ذكروا أن عبد القادر الجيلاني رحمه الله وكان رجلاً صالحًا تقيًا زاهدًا قالوا: أنه ذهب مرة في سفر فضل الطريق حتىٰ جاءه الليل وأظلمت الدنيا عليه فرأىٰ أنوارًا من فوقه وإذا منها صوت يقول: يا عبد القادر الجيلاني أنا ربك وقد أحللت لك ما حرمت عليك، يقولون فأخذ من تراب الأرض قال: اخسأ عدو الله ورماه يقول: فانطفأت الأنوار وسمع الصوت يقول له: يا عبد القادر كدتني يعني تغلبت علي والله لقد أفسدت في هذه الحيلة مائة من العباد وإذا هو الشيطان جاء وتصور بهذه الصورة ليفسد عليه يقول: الزنا كان حرامًا عليك أحللناه لك، الخمر كان حرامًا عليك أحللناه لك، الربا السرقة إلىٰ آخره يقول: فسألوا عبد القادر الجيلاني انظر إلىٰ العلم عند هذا الإمام الزاهد قالوا: يا عبد القادر الجيلاني كيف عرفت أنه الشيطان؟

عرفت أن الله تعالىٰ لما أنزل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣] أن الله تعالىٰ بعد ذلك لا يغير ولا يبدل، ما دام أن الله تعالىٰ أنزل هذه الأحكام، معناه لا يوجد شيء يحل ما كان محرمًا أو شيء كان حلالاً يحرم، لذلك تلاعب الشيطان مع الأسف مع بعض هؤلاء، وأحيانًا بعض القصص التي تُشاع عن أصحاب القبور والأضرحة وإذا جاء إليك يقول صاحب هذا الضريح شفىٰ فلانًا من مرضه، ورزق فلانة بعدما كانت لا تُرزق أولادًا، وفلانة كان أولادها يموتون فلما جاءت وتمسحت بالقبر والضريح ومسحت به بطنها أصبح أولادها يعيشون، وفلان هذا كان ولده ضالاً، فلما جاء بالولد إلىٰ القبر ومسح عليه أصبح مُهتديًا، وقد كان واحد من الناس يقول: أنا كنت مصابًا بمرض السكر، وكنت واضعًا يدي علىٰ الضريح فقال: الذي بجانبي الحس يدك بعد ما وضعتها، عرقت اليد، قال: فلحست يدي فلما لحستها شفيت من السكر، يعني أنسولين مركز هنا صارت المشكلة زيادة هذه القصص والنبي ﷺ يقول للإمام وسيدنا علي رضي الله عنه: «لاتدع قبرًا مشرفًا إلا سويته لا تدع قبرًا مشرفًا إلا سويته».

الميت إذا مات حقه علينا أن ندعوا الله له، أن نتصدق عنه، أن نحج عنه، نعتمر عنه، نذكره بالخير، أن نعتني بأولاده من بعده، أن نستغفر له، أن نبني له مسجدًا، نعمل

عملاً يبقىٰ له لكن ليس حق هذا الميت علينا بعد موته أن ندعوه من دون الله تعالىٰ، وبالله عليك لو رأىٰ الآن بعضُ هؤلاء الأولياء الصالحين الأتقياء الأنقياء الذين هم مدفونون اليوم تحت التراب، هؤلاء الصالحون العباد لو رأوا وسمعوا بعض من يدعوهم اليوم من دون الله ويقول: أنا لم أرزق بأولاد ارزقني هل تتوقع أنه يفرح بهذا الكلام هل يرضىٰ به؟ تعال إلىٰ سيدنا وإمامنا علي رضي الله عنه لو سمع اليوم بعض من يدعونه من دون الله إلىٰ الإمام العظيم الحسين الشهيد البطل لو سمع اليوم بعض من يدعونه من دون الله يا حسين عند كربتهم، يا حسين عند مرضهم، يا حسين عند فقرهم، هل تتوقع أن الحسين يرضىٰ بذلك ويقول: نعم أنا أشفيكم من أمراضكم أنا أنقذكم من كرباتكم أنا أغنيكم بعد فقركم، هل يقول ذلك؟

يقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ ﴾ [الأعراف:١٩٤] عباد أمثالكم محتاجون إلىٰ الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين، الله تعالىٰ يُبين أن هؤلاء الأموات في قبورهم أحوج ما يكونون إلىٰ رحمة الله تعالىٰ بهم ولطفه وإحسانه إليهم ولا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا فضلاً عن أن يُملِّكُوه لنا.

حتىٰ النبي ﷺ مع علو مكانته وشرف منزلته لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، وقد أمره الله أن يقول ذلك للناس في قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٨].

ولكنه إذا كان هناك أُناس صالحون لهم كرامات حال كونهم أحياء فهل معنىٰ ذلك أن لهم كرامات بعد موتهم، ومن الممكن أن يُصيبنا شيء من كرامتهم ومن نفعهم؟

فهؤلاء الصالحون لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا، وهم أحياء فكيف ينفعون غيرهم وهم أموات؟

وأما بالنسبة للكرامات لا تستطيع أن تجزم بها أنها كرامات، أحيانا ربما تكون أشياء عادية لكن الناس يعطونها أكبر من حجمها، هذا شيء.

الشيء الثاني: إذا مات الإنسان انقطع عمله النبي ﷺ يقول: «اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولدٌ صالح يدعو له» حديث. بمعنىٰ أنه إذا مات صار هو أحوج منك إلىٰ العمل؛ فلا يستطيع أن ينفع نفسه؛ أو أن يقضي لك نفعًا، أو أن يدفع عنك ضرًا، والأصل أنك تنتفع بمحبته، يعني أنا أحب هذا الميت أدعو له وكلما دعوت له قلت اللهم اغفر له وارحمه، قال الملك: آمين ولك مثله، اللهم ارفع درجته قال الملك: آمين ولك مثله، هذا النفع، أما أن أذهب إليه وأدعوه عند كربتي، يا أخي إذا فتح الباب، سيبدأ الناس يتوجهون إلىٰ القبور دون الله ﷻ، وتصبح المساجد فارغة من العباد وأصحاب الحاجات، وتصبح الأضرحة هي التي فيها الناس أصحاب الحاجات.

والأصل: إذا كنت ذا حاجة أن تلجأ إلىٰ الله ﷻ، فهو خير مُعين لك، وهو الذي يُجيب المُضطر إذا دعاه ويُغيث الملهوف، ويُنقذ المكروب، ويزيل الهم، ويكشف الضر، أليس هو القائل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦]؟

وهو القائل: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢]، فإذا كان الله أقرب ما يكون إليك، فكيف تدعو غيره؟ وهو الذي يُجيب الداعي إذا دعاه؟

أسأل الله ﷻ أن يجزيكم خير الجزاء وأن ينفعنا وإياكم بما قلنا، وأن يقينا حر النار ويقي إخواننا أيضًا حر النار، بارك الله فيكم وصلىٰ الله وسلم علىٰ رسول الله ﷺ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

۞ ۞ ۞

وله الجوار المنشآت في البحر

من أعجب ما قرأت من أخبار هذه الجواري وهذه السفن ذكروا أن عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالىٰ قالوا كان قد ركب سفينة ذات مرة في البحر فهاجت بهم السفينة في البحر حتىٰ رست بهم علىٰ جزيرة فيقول: فنزلنا في هذه الجزيرة وجعلنا ننظر، قال:

فإذا رجلٌ بين يديه صنم يسجد له ويركع ويعبد، قال: فقلنا له: أنت ماذا تعبد؟ قال: أعبد هذا الصنم، قلنا له: هذا صنم إنما صنعته من بعض هذه الأشعار. كيف تعبده؟ هذا لو وضعته في النار لاحترق ولو وضعته في الماء لانتفخ ولو أهملته لأقبلت إليه السباع وبالت عليه وتغوطت. هذا إلهك؟ هذا ربك؟

قال: فأنتم من تعبدون؟ قلنا: نحن نعبد الله.

قال: فمن الله؟ قلنا الذي في السماء مُلكه، وفي الأرض عظمته، وفي البحر قدرته.

فقال: وكيف عرفتم الله ربكم هذا كيف عرفتموه؟ قلنا: «أرسل إلينا رسولاً.

قال: أين هذا الرسول؟ قلنا: مات. الرسول مات.

قال: هل بقي عندكم من هذا الرسول علامة؟ قلنا: نعم.

قال: ما هي؟ قلنا: كتاب أنزله إلينا الملك ﷻ الإله الذي نعبده أنزل إلينا كتابًا.

قال: هل معكم هذا الكتاب؟ قلنا: نعم.

قال: أعطوني إياه، يقول: فناولناه الكتاب، فجعل يُقلب المصحف، وما فهم شيء، قال: إني لا أفقه ذلك، خذوه اقرأوا عليَّ.

قال: فأخذناه وقرأنا عليه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:١- ٤]، قال: فدمعت عيناه، وقال: ينبغي أن تكون كتب الملوك حسنة وهذا كتاب حسن. ما هذا الكلام؟ أنا ما سمعته من قبل. قلنا هذا كلام الله.

قال: فعلموني الدين. قال: فعلمناه الدين فدخل في الإسلام. فقال: هذا المكان الذي عبدت فيه غير الله لا أريد أن أبقىٰ فيه احملوني معكم في السفينة.

قال: فترك صنمه وحملناه معنا في السفينة فلما أظلم علينا الليل ونحن في السفينة، قال لنا: يا قوم - وقد أخذنا فرشنا لننام - قال: يا قوم. قلنا: نعم.

قال: هذا الملك الذي دللتموني عليه الرب ﷻ الذي نعبده. هذا الملك إذا نام عباده هل ينام؟ قلنا: لا. إنه حيٌ قيوم لا ينام، قال: بئس العبيد أنتم أتنامون وسيدكم لا ينام؟ يقول ثم كبر يُصلي، قال: فو الله ما رأينا أعبد منه».

هذا يا أخي الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب يقول: فوالله ما رأينا أعبد منه. قال: فلا يزال هذا حاله وحالنا حتىٰ وصلنا إلىٰ مدينتنا يعني إلىٰ البلد التي يقصدونها.

قال: فلما أردنا أن ننزل قلت لأصحابي: اجمعوا شيئًا من المال نعطيه هذا الرجل صدقة، والرجل نازل إلىٰ هذا البلد لا يملك شيئًا فاجمعوا له مالاً نعطيه إياه. قال: فلما ناولناه المال، قال: ما هذا. قلنا له: هذا مال تستعين به علىٰ أمورك. أنت جديد علىٰ البلد وتستعين به، قال: سبحان الله أنا كنت في جزيرة في البحر أعبد غيره وهو يرزقني، أفعندما عبدته وحده لا شريك له يُضيعني؟ مثلما كان يرزقني في البحر في الجزيرة تلك وأكتسب وأشتغل ويرزقني وأنا أعبد غيره، أعبد صنمًا أيضيعني بعد ما عبدته وحده لا شريك له. لا حاجة لي في مالكم أنا سأكسب لنفسي، يقول: فذهب يكتسب لنفسه وغاب عنا.

هذه القصة ذكرها ابن قدامة في كتابه «التوابين» وذكر قصص أخرىٰ لكن تعجبت منها من ثقة هذا الرجل بالله وانكساره بين يديه وإقباله عليه، تعجبت أيضًا من حرص عبد الواحد بن زيد ومن معه علىٰ هداية هذا الرجل وفي قلوبهم همّ الدين ما دام هذا الرجل يعبد غير الله فإننا مُطالبون أن نُعلمه هذا الدين، أن نحمله معنا، أن نُحسن إليه، مُشكلتنا اليوم مع بعض الناس أنه مع الأسف لا يحمل هذا الهم، يعلم أن جاره يسكر، يعلم أن فلانًا يقع في أنواع من الفواحش، يعلم أن فلانًا يقيم علاقات مع كذا من الفتيات ويلعب بعقولهن، وربما وقع بالفاحشة ومع ذلك تجد أن هؤلاء الناس يرون هذه المنكرات ثم لا يتحمسون للإصلاح، يمر علىٰ هذه الأمور دون أن يشعر أنه مُخاطب في قول الله تعالىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل:١٢٥]، أنا مسلم معناه من رأىٰ منكم مُنكرًا فليُغيره بيده بلسانه بقلبه وذلك أضعف الإيمان، شعور الإنسان بهذا الشعور أمر مهم.

هدهد سُليمان كان له من الهمّ أشياء - مع الأسف - ربما غير موجودة عند الناس اليوم، لعلي أذكر لكم ما يتعلق به وما له علاقة أيضًا بهذا البحر ونذكره تفصيلاً، وكيف أن هذا الهدهد حمل الهم وشعر أنه مُطالب أن يكون له نوع من الإصلاح وكان

إيمان (بلاد سبأ) بلاد اليمن كلها بسبب هذا الهدد، لما جاء سليمان ثم أخذ الرسالة ونقلها إليهم وكيف كان له هذا الهم؟ وسأذكر لكم كيف نستطيع نحن أن نصنع هذا الهم في أنفسنا؟

لا نزال نتكلم عن تسخير الله جل وعلا لنا الفلك لتجري في البحر بأمره تعالىٰ وأن هذه ﴿ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ بيَّن ربنا جل وعلا أنه لو يشاء تعالىٰ لأمسكها من المسير، وذكرنا أيضًا كيف أن عبد الواحد بن زيد كان له همّ أن يدعو إلىٰ الله تعالىٰ ويُصلح الناس.

أحيانًا يكون الإنسان بداخله همّ للدعوة، ولكن أحيانًا هو نفسه يكون مُخطئًا فيقول كيف لي أن أكون سيئًا ومُخطئًا، وكيف أقضي علىٰ هذا الهمّ وهو نفسه غير أهل لهذا الأمر؟

يا أخي لو لم يعظ الناسَ مُذنب، فمن يعظ العاصي بعد مُحمد ﷺ يعني لو كل واحد قال هذا الكلام ما أحد منا نصح. خطيب الجمعة إذا رقىٰ المنبر وبدأ يتكلم فرضًا عن غض البصر هل هذا يعني أنه أحسن واحد يغض بصره؟

لما يتكلم عن تجريم الغيبة هل هذا يعني أنه أعف الناس للسانه؟

لا.. لا يعني هذا إنما نحن مُطالبون أن نبذل للخير، حتىٰ ولو كنا مُقصرين نقول: لعل حسنة تذهب بالسيئة، لعل الإنسان إذا أحسن ما بينه وبين الله تعالىٰ واتقىٰ الله ﷻ ونصح الناس صار له أثر وبصمة معهم بلا شك أنه بإذن الله يوفقه الله.

أعطيك مثلاً.. واحد من الصحابة كان اسمه عبد الله وكان مشهورًا بلقب حمار، مثلما نُسمي نحن الآن لا أدري موجودة بمصر أم لا، نحن عندنا أسماء مشهورة مثل ذئب وصقر، يقولون أن فيه من صفات الذئب يعني القوة والإقدام، والصقر إلىٰ آخره. فكانوا يسمونه حمارًا لجلده وقوته، هذا الرجل كان يحب النبي ﷺ حبًا عظيمًا وكان يأتي يتلقىٰ الأعراب الذين يأتون من خارج المدينة الذين معهم متاع إذا أعجبه، يقول: أنا اشتريته منك تعال ورائي لأُسلمك ثمنه ثم يذهب إلىٰ بيت النبي ﷺ ويطرق عليه الباب ويقول: يا رسول الله هذه هدية فالنبي ﷺ يشكره ثم يقول: «أعطه ثمنه»، يقول

النبي ﷺ: «ألم تهده إلىٰ كيف أعطيه ثمنه؟» يقول: ما معي فلوس يا رسول الله ولكن أحب أن أهديك أعطه الثمن، فيضحك النبي ﷺ ويعطيه الثمن. هذا الرجل كان مُحبًا للنبي ﷺ كان مُعظمًا له والنبي ﷺ كان مُحبًا له ومازحًا. بقي أن تعلم أن هذا الرجل كان مُدمنًا للخمر وكان يؤتىٰ به كما في صحيح البخاري مرارًا إلىٰ النبي ﷺ ويُجلد ثم يخرج ثم يؤتىٰ به ويُجلد ويخرج ثم يؤتىٰ به ويُجلد ويُجلد مرارًا، فلما جُلد مرة وخرج قال أحد الصحابة: لعنه الله ما أكثر ما يؤتىٰ به، فقال النبي ﷺ: «لا تلعنه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله».

ترىٰ يا أخي كيف ينظر النبي ﷺ إلىٰ الجانب الخيِّر، هذا الرجل، ما قال في نفسه أنا مُدمن خمر أُقيم علاقة مع النبي ﷺ وأنا مُدمن خمر؟ لا. كان يعلم من سعة رحمة النبي ﷺ ولطفه مع الناس يعلم أن هذا النبي ﷺ يقبلني حتىٰ وإن كنت مُقصرًا. هذا الذي ينبغي حقيقة أن نكون عليه حتىٰ لو كنت مُقصرًا ما يمنع أن أُنكر مُنكرًا. وأن آمر بالمعروف، أن أُكلم جاري ونحو ذلك.

قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هل هي فرض علىٰ الدُّعاة والمشايخ، الموضوع اختياري أم أنه كل واحد فينا لا بد عندما يرىٰ خطأ أن يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر؟

بلا شك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو واجب علىٰ الناس جميعًا، لذلك ﷺ يقول في حديث أبي سعيد الخدري الذي رواه البخاري: «من رأىٰ منكم مُنكرًا فليغيره بيده... فبلسانه... فبقلبه...» وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل، لو كل إنسان حتىٰ لو كان مُقصرًا عرف أن تقصيره في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو معصية أخرىٰ تُضاف إلىٰ المعاصي التي يقع فيها لقال: بعض الشر أهون من بعض دعني علىٰ الأقل آمر بالمعروف وأنهىٰ عن المنكر، لعل هذه الحسنة التي يفعلها لعلها تتسبب في توبة هذا الرَجل وما شابه ذلك، ربما تكون فيها جانب من الصلاح أحسن من أني أقع في المنكر الذي أنا فيه.

أذكر أحد الشباب إمام مسجد صديق لي يقول: طرق عليّ الباب الساعة ١٢ منتصف الليل أو

الواحدة صباحًا فخرجت فإذا شاب من عامة الشباب يعني غطرته بشكل معين وثوبه يُسحب علىٰ الأرض وشفتاه قد اسودتا من التدخين فقلت له: نعم، وأنا مُستغرب الساعة الواحدة صباحًا.

قال: أنا معي اثنان من الهنود دخلوا في الإسلام، يقول: ظننت أن عقله مختل؛ فقلت: هنود أسلموا علىٰ يدك؟ قال: نعم. قلت: أين؟ قال: في السيارة. يقول: نزلت للسيارة معه فإذا فعلاً هنود راكبين في الخلف، قلت: السلام عليكم صديقي أنت مسلم؟ قال: نعم، «أشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحمدًا رسول الله». أسلمنا، كيف أسلمتم؟

قالوا: أسلمنا علىٰ يد هذا الرجل. قلت: تعال يا أخي كيف أسلموا علىٰ يدك وأنت مقصر؟ يعني أنت إنسان محتاج إلىٰ من يدعوك كيف أسلموا علىٰ يدك؟ قال: نعم والله أنا مقصر ولن هذا ما أراده الله؛ ذهبت في يوم أصلح سيارتي في الورشة عندهم فسألتهم ما الديانة التي أنتم عليها؟ قالوا: نحن هندوس، يقول: فقلت لهم: لماذا لا تُسلمون؟ قالوا: لا نعرف ما هو الإسلام؟

قال: أنا سأوفر لكم كتبًا عن الإسلام. يقول: فأحضرت كتبًا عن الإسلام وأعطيتهم إياها ثم جئت مرة ثانية وأوقفت السيارة فقالوا: والله الكتب حلوة أعطنا كتبًا زيادة، فأحضرت لهم ثم جئت مرة ثالثة سيارته خربانة دائمًا ولله الحمد وهذا خيرٌ له يقول: فلما أوقفت السيارة جاء واحد من النافذة، والثاني من النافذة الثانية، وقالوا: نحن أسلمنا «أشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحمدًا رسول الله» فماذا نفعل الآن.

يقول: قلت: والله أنا ما أدري - أنا مسلم من زمان - الذي يسلم وهو كبير ماذا يفعل؟ يقول الشيخ: فذهبنا بهم إلىٰ مكتب مُخصص للمسلمين الجُدد وأعطيناهم بطاقات إلىٰ آخره.

فالمقصود: أن هذا الشاب مع تقصيره إلا أنه يشعر أنه لا بد أن يُقدم شيئًا للدين وقد أسلموا علىٰ يده. فالشيطان عندما يقول للفرد: أنت مُقصر لا تخدم الإسلام هذه مُصيبة كبيرة حتىٰ ولو كنت مُقصرًا اخدم الإسلام.

دائمًا الغير مسلم عندما يدخل الدين الإسلامي يشعر بإقبال وعنده همة رهيبة في

الدين غير الذي يكون مولودًا وهو في نعمة الإسلام وربنا أكرمه بها؛ لأنه رأىٰ الحياة الأخرىٰ وعندما دخل في الإسلام رأىٰ حلاوة الإيمان، حلاوة الحياة في طاعة الله ورضاه؟

يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تنقض عُرىٰ الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية» يعني أنا لاحظت مجموعة ممن كانوا علىٰ ضلال مثل الرجل الذي ذكرنا سيرته الذي كان في الجزيرة في البحر، وصار هؤلاء في البحر حتىٰ وصلوا إليه ورأوا هذا الرجل بعدما دخل في الإسلام كان يعبد قطعة خشب، فلما دخل في الإسلام وتمكن الإيمان من قلبه، وذاق حلاوة الإيمان، تجد أنه زاد إقباله يقول كيف تنامون والملك ﷻ لا ينام، ثم قام يُصلي خجلاً من رب العالمين بينما أعداد كبيرة من الناس اليوم من المسلمين يمر عليهم الليالي المتواصلة دون أن يصلي الوتر ولو ركعة واحدة وأنا رأيت أيضًا عددًا ممن كانوا قساوسة ومع ذلك عندما دخلوا في الإسلام أصبحوا من أكابر الدُّعاة، وأكثر حماسًا ممن نشأوا في الإسلام، ودرسوا في المدارس الإسلامية، وربما كانوا في صغرهم في حلقات تحفيظ في المساجد، وربما بعضهم حفظ القرآن أو حفظ كثيرًا منه ومع ذلك ما تجد عنده هذا الحماس، لذلك معرفة الإنسان بفضل هذا الدين عليه فعلاً، وأن الله تعالىٰ أعطاني فضلاً وكرمًا ينبغي عليّ أن أجلب الآخرين عليه وألا أكون أنانيًا شعور أولئك الذين كانوا مثلاً قساوسة أو غيره شعورهم كنا في ضلال، أنا كنت أعبد حجرًا كنت أعبد صنمًا، أنا كنت أقول الله ثالث ثلاثة، أنا كنت أقول عزير ابن الله، أو ذاك كان يعبد ربما بقرة، أو يعبد فأرًا، ثم هُديَّ إلىٰ الإسلام شعوره أنني كنت ثم أصبحت، يجعله يتحمس أكثر وأكثر للإسلام، نحن ما نحتاج أن نذهب ونكفر ثم نُسلم حتىٰ نتحمس للدين. لا. بل نسأل الله تعالىٰ أن يُثبتنا عليه وأن نكون كما قال النبي ﷺ «سبعة يُظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله» وذكر منهم «شاب نشأ في طاعة الله» ليست الفضيلة لمن كان كافرًا ثم أسلم، لا. إنما الفضيلة الأكبر لمن كان أصلاً في الإسلام ثم ازداد تمسكًا به ودعىٰ الناس إليه.

الحقيقة أريد أن أدعو الإنسان أن يُصبح أولاً داعية إلىٰ الله تعالىٰ ناصحًا للناس ألا يتردد في نصح أحد كما رأىٰ عبد الواحد بن زيد ذلك الرجل في جزيرة في البحر وقد هاجت بهم السفينة وضاعت في البحر حتىٰ وصلوا، ربما أن الله تعالىٰ ساقهم سوقًا إلىٰ هذا الرجل لأجل أن ينصحوه. أن يكون حماس الإنسان للدين وإصلاح الناس هو الأصل، الذي عنده دائمًا أن يكون عنده من الشجاعة والأسلوب الحسن الرقيق اللين ما يستطيع به أن يجذب الناس إلىٰ الخير، أن يدعو الله تعالىٰ أن يجعل الصلاح والتقوىٰ أيضًا علىٰ يده حتىٰ يهتدي الناس به.

أسأل الله ﷻ أن يجزيكم خير الجزاء وأن ينفعنا وإياكم بما قلنا، وأن يقينا حر النار ويقي إخواننا أيضًا حر النار، بارك الله فيكم وصلىٰ الله وسلم علىٰ رسول الله ﷺ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

۞ ۞ ۞

قصص ومواعظ وأخبار من خلال شبكة الانترنت

في زمن تعددت فيه وسائل الاتصال والإعلام وعمت أنحاء العالم وأصبح الكثير يتقن التعامل معها، كان من ضمن هذه الوسائل وأروعها الإنترنت أو ما سمي بالشبكة العنكبوتية التي تهافت الناس عليها وأصبح عدد الداخلين اليها يعد بمئات الملايين، الشبكة التي قربت البعيد ونقلت الأحداث.

فكان لا بد من خلال هذه المجريات أن يكون لأمة الأسلام نصيب من هذه الشبكة والدخول إليها، وكثيرًا ما نسمع من أخبار شباب وفتيات جعلوا من هذه الوسيلة طريقة لخدمة دينهم؛ فقاموا بتصميم مواقع ونقلوا المحاضرات والدروس إلىٰ شتىٰ بقاع العالم. فكم من حائر اهتدىٰ

وكم من مهتدٍ عرف ما يشكل عليه عن طريق تلك المواقع.

وكم من خير عم الأرجاء من خلال هذه النافذة الصغيرة التي أصبحت أسهل

وسيلة اتصال.

وبالجانب الآخر كم من الناس يجلس حائرًا أمام شاشة الإنترنت كيف يضع بصمة صالحة من خلاله، وربما صرف وقت جلوسه فيما لا ينفع.

ونحن نسلط الضوء عن نشر الخير عن طريق هذه الوسيلة.

هذا باختصار ما سنتعرض له هذا إن شاء الله تعالى.

أنا أعلم أن الكلام عن الإنترنت كما تعلمون كلام طويل جدًّا، وحين نتكلم عن إمكانية التأثير من خلال الإنترنت نحتاج إلىٰ كلام كثير؛ لكنني سأسلط الضوء علىٰ بعض النقاط المهمة في ذلك.

تعلمون أن وسائل الاتصال بين الناس تتطور والنبي عليه الصلاة والسلام كانت تفتح بين يديه وسائل كثيرة فكان ينتهز هذه الوسائل مباشرة لتبليغ الدين إلىٰ الآخرين بل كان يحرص عليه الصلاة والسلام علىٰ أن يذهب إلىٰ الأماكن التي يبلغ فيها الصوت إلىٰ أكبر عدد ممكن من الناس، فكان يدخل إلىٰ الأسواق كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ [الفرقان: ٢٠] أي: إنهم بشر ﴿وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ ليس مشيًا في الأسواق للمعصية بل لينذر الناس ويذكرهم.

كان النبي عليه الصلاة والسلام في مكة إذا جاءت وفود الحجاج من كل مكان يذهب اليهم ويقف عند مزينة يقف عند ثقيف.. ويقول: «من يؤيني لأبلغ رسالة ربي، إن قريشًا منعتني».

ويبدأ هل لكم أن تعبدوا إلهًا واحدًا؟ فكان عليه الصلاة والسلام يحرص في هذا الوقت أن يذهب ويتكلم مع الناس.

إذًا ذهاب الناس إلىٰ الأماكن التي فيها اجتماع كبير للناس ليس أمرًا مذمومًا بل محمودًا، والإنسان يؤجر عليه بل هي الطريقة الصحيحة؛ لأجل أن تستطيع أن تضع

لك بصمة علىٰ مئات الآلاف الذين يجتمعون بين يدي الإنترنت بدل أن تضع بصمة علىٰ خمسة أو ستة.

في الحقيقة تستطيع أن توصل صوتك إلىٰ أعداد كبيرة جدًّا من الناس لا يكاد يعلمهم إلا الله ﷻ، إذ يقدر عدد المشاركين دوريًّا في الإنترنت حسب التقارير الحديثة بأكثر من مائتي مليون إنسان، فضلاً عن الذي دخل يومًا من الأيام وخرج. وهذا بلا شك رقم كبير.

فإذا علمت أنه يمكن أن أتحدث حديثًا فيقرأه علىٰ الأقل مليون إنسان فبلا شك هذا شيء نافع.

إقبال الناس على الإنترنت له أسباب:

منها: أنه وسيلة لا تكلفة فيها.

ومنها: أنها ليس فيها مشاكل أمنية.

أدخل الإنترنت وأكتب قال ﷺ: «من قال: سبحان الله وبحمده غرس الله له نخلة في الجنة» وانتهىٰ ولن أسأل أين بطاقتك؟ من الذي أذن لك ونحو ذلك؟ وأيضًا بعض الأخوات إذا أرادت أن يكون لها نشاط دعوي فلن تستطيع أن تلقي محاضرة في مسجد أمام رجال ولن تستطيع أن تخطب الجمعة، وربما يشق عليها أن تسافر في كل مرة وتخرج وتترك أولادها، لكن من خلال الإنترنت تستطيع أن تتصل بأعداد كبيرة من الناس دون أن تلتفت إلىٰ مسألة أنا لبست الحجاب أو ما لبست الحجاب، هل هناك حرج شرعي من ظهوري أمام الرجال أو لا؟

أيضًا إنه وسيلة ينتصر فيها الإنسان علىٰ ضعف قدراته، إذا كان يخجل أو لا يملك أسلوبًا، أما الإنترنت فهذا كله لا وجود له.

واعلم أن هذا الذي تدخله يبقى ببقاء الإنترنت.

أنا كنت أبحث عن شيء ونسيت الموضوع الذي كنت أريد أن أتكلم عنه في

خطبة جمعة؛ فدخلت إلىٰ محرك البحث وكتبت اسم الموضوع فأعطاني عددًا من الروابط، فدخلت علىٰ إحدىٰ هذه الروابط، فإذا هو مقال منشور في إحدىٰ المنتديات عام ٢٠٠١ قبل ثمان سنوات، وعدد الذين قرءوا المقال سبعة أنا سابعهم، لاحظ خلال هذه السنوات ما ضاع المقال، واستفدت منه في خطبتي، ونقلت منه بعض الأشياء في الخطبة وخطبتها ونشرت الخطبة في الإنترنت وسجلت في شريط والآن ستخرج في كتاب خطب.

فانظر كيف سيحصل الأجر للذي كتب ذلك المقال في البداية؟

يسر الله ﷻ له ظهور هذا الإنترنت في عام ١٩٨٢، ظهرت الفكرة في أمريكا ثم كانت في البداية محدودة بالجيش الأمريكي ثم تطورت في عام ٨٥ وصارت عامة.

بدأ الإنترنت يدخل شيئًا فشيئًا إلىٰ الدول العربية أول ما دخل عام ٩١ في تونس ثم في عام ٩٢ دخل الكويت وفي ٩٣ دخل الأمارات ومصر، بدأ يتطور ٩٤ إلىٰ البحرين ٩٥ ٩٦ حتىٰ دخل في السعودية عندنا في عام ٩٩.

وصار له حقيقة تأثير قوي جدًّا وواسع، واستطاع الإسلام أن يستفيد منه.

وهو يعد نعمة من الله خاصة في عصر المعلوماتية الذي نعيشه ولا بد أن نستغل هذي النعمة جيدًا فنعلم الناس عن طريق الإنترنت، ونفيدهم في جميع أمور دينهم.

وأعلم أن كثيرًا من الناس دخل في الإسلام، لم يدعه أحد لكن عن طريق قراءات عن الإسلام في الإنترنت.

لكن ننتبه إلى أن الإنترنت سلاح ذو حدين فهي آداة ما تزرعه بها اليوم تحصده غدًا .

ونحن نلاحظ أن من الناس من استغلها استغلالًا سيئًا فكنت أقرأ تقريرًا عن الصور التي يتم تحميلها من الإنترنت والإنترنت ينشر فيه صور بالملايين صور سيارات، صور بحر، صور غريبة إلىٰ آخره و(٨٤٪) من الإنترنت صور إباحية.

ولا شك أن هذا الرقم مهول وهذا تدنٍ إذ يتحول الإنسان لمخاطبة ما بين فخذيه

والتفكير فقط بغريزته دون أن يرتقي بهذا.

فنحن أمة الإسلام مطالبون ألّا نخاطب ما تحت السُرة فقط بل ينبغي أن يتوجه خطابنا إلىٰ ما فوق السرة، فتخاطب ما يتعلق بعقلك بانجازك بقدراتك.

لذلك تجد النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله. ألا وهي القلب».

ونذكر حديث النبي ﷺ : «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمْر النَعم».

بداية الموضوع محاولة نشر الإسلام عن طريق الإنترنت، وفي الإنترنت خطاب مجهز كامل باللغة الإنجليزية مكتوب بشكل راقٍ جدًّا، وبإمكانك أن ترسله لأي شخص، ويمكنك معرفة عدم إسلامهم عن طريق أصدقائهم؛ وهناك مواقع منتديات لغير مسلمين.

فترسل للأعضاء هذي الرسالة المكتوبة باللغة الإنجليزية التي تشرح الإسلام بشكل مفصل وجميل.

بعض الإخوة في الرياض يذكرون أنهم ذهبوا إلىٰ إحدىٰ المقاهي الخاصة بـ(النت)، وكان معهم بعض الأشرطة والكتب.

يقول الأخ: حين تكلمت تأثرالناس وشكروني، وأعطيتهم كتبًا وأشرطة عن أهمية الصلاة، بر الوالدين، وهكذا؛ فخرج معه شاب وقال: هذه الكتب ما تصلح لي؛ فتعجبت لقولته؛ فنحن أعطيناها لعرب وهي مكتوبة باللغة العربية؛ فسألته لم؟ قال: أنا نصراني.

قلت: كيف؟ وسألته عن بلده فإذا به من السعودية وهو شاب عمره قريب من ثلاث وعشرين سنة.

قلت: كيف هذا؟

قال: أنا تنصرت.

قلت: كيف تنصرت؟

فإذا به وصل إلىٰ هذا بسبب وصول عدد من الرسائل إليه تحمل عددًا من الشبهات ألقوها حول ديننا. والمسكين ليس عنده معلومات كافية عن الإسلام؛ فأثرت فيه.

فنقول: ما دام هؤلاء يستعملون مثل هذا فلمَ لا نستعمل مثل هذا الأسلوب، ونحن علىٰ دين الحق؟

وهناك رسائل مخصصة للنصارىٰ، تخاطبهم بأسلوب راقٍ، فيها تصحيح وجهات النظر عن سيدنا عيسىٰ، وإعطاؤهم صورة كاملة عنه كما في القرآن.

وأذكر أن كلامنا ليس فقط عن دعوة غير المسلمين إلىٰ الإسلام لكنه أيضًا في زيادة إيمان المسلمين.

بعض الطالبات يذكرن أنهن قمن بنشر أشرطة ومطبوعات لنصرة الرسول ﷺ؛ لكن واجهتهن صعوبة أوقفوا بسببها هذه الحملة، خشية التعرض للمساءلة القانونية، ويردن العودة؛ فماذا يفعلن؟

حقيقة كنت أود أن يحصل تنسيق مع الإدارة في الكلية.

وهناك مشكلة تقابلنا، وهي أننا في كثير من الأحيان لا نعرف الباب الذي ندخل منه والله سبحانه وتعالىٰ يقول: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة:١٨٩].

الأصل: أنه إذا أراد إنسان أن يعمل شيئًا في المسجد أن يستأذن من الإمام، وفي البيت لا بد من اعتبار رأي الأب...

وتذكر إحدىٰ الأخوات أنها كانت تعمل في إحدىٰ شركات الأدوية، وقرأت كثيرًا عن الطب النبوي، وكانت تكتب كل يوم شيئًا يتعلق بهذا الأمر، حتىٰ صار صاحباتها

يسألنها عن هذا الأمر، وهي تقول: إنها يمكن أن ترسل هذا إلىٰ الإنترنت.

حقيقة هذه فكرة رائعة جزاها الله خيرًا .

المشكلة الآن: أن هناك بعض الأشياء تأكل الوقت أكلاً، وأنت تحاول أن تبني وتصلح وهناك من يهدم ويخرب.

والله تعالىٰ يقول: ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم:٩٤].

ثم ترىٰ أن عمرك يضيع في هذا و«أعمار أمتي بين الستين والسبعين وأقلهم من يجوز ذلك» و«لن تزول قدم عبد يوم القيامة حتىٰ يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟».

فحين يسألك رب العالمين يوم القيامة عن هذا الكنز الثمين الذي هو وقتك فيم أنفقته؟

فماذا يكون جوابك؟

أستقول: كنت ألعب وأبني قرية وجاء ناس وهدموها أو كنت ألعب حربًا؟! حقيقة هذا أمر يخجل خاصة حين ترىٰ بعض البوذيين أو بعض الهندوس أو بعض اليهود أو بعض النصارىٰ يعملون لخدمة المذهب والمنهج الذين هم عليه، ويصرف وقته في هذا.

وأذكر أنني أمسكني شاب وفتاة في فنلندا وأنا في الشارع وأعطياني كتبًا عن النصرانية - والله العظيم - أعمارهما تقريبًا في التاسعة عشرة أو الثمانة عشرة.

فقلت: الكنيسة تعطيك أجرًا علىٰ توزيعها؟

قال: لا. لكن أنا وجوليا متفقان علىٰ أن نعطي ساعتين للكنيسة من كل أسبوع نخدم بها ديننا!

ولو أن كل نصراني أعطىٰ نصف ساعة لنشر النصرانية فقد تنتشر خلال ثلاثة أيام، ولو أن كل واحد من المسلمين اليوم أعطىٰ ساعة من الشهر لدينه، يعمل من خلال إنترنت أو من خلال غيره لما وصل حال المسلمين إلىٰ هذا.

يا أخي، نحن ما نقول لك: احمل سلاحًا وقاتل بل نقول: علىٰ الأقل ضع لك بصمة من خلال الإسلام.

ونحن نعجب لهؤلاء الذين يلعبون ويضيعون أوقاتهم في هذا، وأختهم العراقية تذبح، وأختهم الأفغانية تغتصب، وأختهم في الصومال يوقع عليها، وفي فلسطين وفي كل مكان؟

وهذا تارك الدنيا كلها كأن الأمر لا يعنيه!

الآن إخواننا في غزة يعيشون علىٰ الشموع، و يموت الأطفال في المستشفيات لا يجدون طعامًا ولا علاجًا، وتعطلت المدارس، والبرد قد قتلهم قتلاً.

فيأخي ضع بصمة في الإسلام أشعر نفسك أنك عضو من أمتنا، وأنك قدمت شيئًا لدينك.

والأمة إذا ظل هذا حالَها فلن تنهض أبدًا.

معي قرابة ثلاثين بصمة يمكن للإنسان أن يضعها من خلال الإنترنت، أنا أعلم أنها ربما تكون معروفة للكثيرين؛ لكن نذكر بها؛ لأنه ربما يغفل عنها الإنسان، ومن هذه الأشياء:

تنزيل بعض المقالات المناسبة.

تشجيع الكاتب المتميز إذا كان له كتابات جيدة، كما ذكرنا قبل ذلك أن التشجيع يأتي بنتائج إيجابية.

وتلك طبيعة الإنسان؛ لذلك أحاديث النبي ﷺ تجد فيها ما يحفز العبد فـ«من

قال: سبحان الله وبحمده غرس الله له نخلة في الجنة» فذكر الفضل المعين حتىٰ يحفز الإنسان للعمل.

أيضًا تشجيع الكاتب الذي عليه ملاحظات فأقول مثلاً: ما شاء الله أسلوبك جيد ورائع ولديك حماس للكتابة؛ لكن ليتك تبتعد عن مثل هذه الكتابات، لأن فيها كيت وكيت، وليتك تلتزم الأشياء الطيبة التي تنفعك وتنفع المسلمين في الدنيا والآخرة.

جمع مقالات متفرقة في موضوع معين.

تنبيه الناس علىٰ بدعة ومنكر يقع من الناس وتحذيرهم منها.

الاشتراك في عدد من المنتديات وأن تجعل فيها نفس المقال.

وعظ الناس وتذكيرهم.

دلالة الناس علىٰ محتاج أو خدمة عاجلة.

دلالة الناس علىٰ بعض مشاريع الخير في الجمعيات الخيرية.

إفادة الناس بأخبار جديدة للمسلمين؛ فما الذي يمنع أن أكتب من خلال الإنترنت في منتدىٰ معين أن عدد من دخل الإسلام من الألمان في عام ٢٠٠٦ أربعة آلاف شخص، أو أكتب خبرًا صحيحًا أبشرهم به، مثل: هل تعلم أنه في كل ساعتين يدخل مسلم جديد الإسلام في ألمانيا؟

وهل تعلم أن تقارير الحكومة البلجيكية تقول: إنه في عام ٢٠٢٥ سيكون الإسلام هو الدين الأول في بلجيكا؛ لكن أهم شيء أن يكون موثقًا.

ومن الناس من يرىٰ تفعيل الإنترنت في خدمة الحديث.

وتفاجأت بإحصائيات معينة لشركة اسمها عام ألفين وثمانية بها بيان بعدد المستخدمين للإنترنت، فاتضح أنه وصل عدد المستخدمين علىٰ مستوىٰ العالم هذه السنة إلىٰ مليار وخمسمائة مليون مستخدم.

في أسيا خمسمائة وسبعة و ثمانون مليونًا.

وفي أوروبا ثلاثمائة وأربعة وثمانون مليونًا.

وفي أمريكا الشمالية مائتان وأربعة وثمانون مليونًا.

وفي أمريكا اللاتينية مائة وتسعة وثلاثون مليونًا.

وفي إفريقيا مائة وواحد وخمسون مليونًا.

وفي أستراليا واحد وعشرون مليونًا.

وفي الصين الاستخدام نتفاجأ أنه مائتان وستة وسبعين مليونًا.

وفي الشرق الأوسط واحد وأربعون مليونًا.

ومن ناحية اللغات نلاحظ أن عدد المستخدمين للغة الإنجليزية أربعمائة وثمانون مليونًا.

ونلاحظ أن عدد المواقع التي تخدم الإسلام باللغة الصينية قليلة جدًّا ثم الإسبانية ثم اليابانية ثم الفرنسية.

ووضعت بمشاركة بعض الزملاء وبعض المشايخ أهم الأفكار لترسيخ استخدام الوسائل المختلفة مثل الإنترنت.

أول شيء أننا نلاحظ أن غالبية المواقع الإسلامية ما تستخدم المواقع الدعائية مثل: (المسنجر، الياهو، الفيس، بوك إلىٰ غير ذلك) مما هو مستخدم في التسجيل والبحث للحملات عن طريق أو الأنظمة والقوانين.

وكثير من الناس يجهل هذه الأشياء وغيرها، يدخل إلىٰ الأراضي المقدسة ولا يفقه شيئًا عن التعليمات في السعودية.

أيضًا من ناحية التعريف والتثقيف للحجاج، ومن ناحية التأهيل والتدريب.

ومعنا تجربة أنا أعتبرها استثنائية وخرافية في نفس الوقت متعلقة بموقع اسمه

(السكند لايف) هذا يسمىٰ عالمًا افتراضيًّا، هو نفس العالم الموجود في واقعنا الحياتي نراه في الإنترنت تستطيع من خلاله أن تشتري بيتًا وتبني مسجدًا أو كنيسة...

ومن الأمور المضحكة أن بعض الشركات مثل: (رويتر) و(ماكدونالدز) لها فيه ما يسمىٰ بالشرطة العالمية يطالبون الإرهابين في (السكند لايف).

تلخيص الفكرة في (السكند لايف) أن يكون لك شخصية اعتبارية بشكل معين، وتدخل هذا العالم وكأنه عالم حقيقي؛ إلا أنه مجسد علىٰ الإنترنت.

والشيء بالشيء يذكر هناك شيء أذهلني أنهم - جزاهم الله خيرًا - في موقع (إسلام أون لاين) وضعوا شيئًا يشبه الجزيرة لخدمة الحجيج.

وهو باللغة الإنجليزية والعربية وأتوقع أن يكون باليابانية.

الشيء الجميل فيه أنه يعلم الحج بطريقة حقيقية افتراضية، من بداية السعي والطواف إلىٰ آخره، وفيه لوحات إرشادية تجيب عن الأسئلة.

ويمكن من خلال (السكند لايف) أو غيره أن نوصل فكرة الإسلام للناس؛ ليبحثوا عنه ويدخلوا فيه، وقد حصل أنه أسلم أربعة أشخاص، من يوم ما أنشئت الجزيرة، هؤلاء الذين أعلنوا إسلامهم.

ونحن كمسلمين أو أي جهة سواء رسمية أو غير رسمية نحتاج إلىٰ اقتراحات تبرز فيها السلبيات من أجل تلافيها؛ ونلاحظ أن كل الشركات في العالم مثل شركة (H.P) وغيرها من الشركات التي تعمل فيما يسمىٰ بالدعم الفني عن طريق الشات أربعًا وعشرين ساعة تنتظر أي سؤال أو استفسار أو الرد عن أي مشكلة.

فلو كان عندنا نفس الفكرة: دعم فني بشكل مباشر أتوقع أنه يمكن أن نعرف الأخبار ونتنج ونجيب عن استفسارات كثير من الحجاج.

يوجد بعض الإشكال في اعتماد معلومات الإنترنت؛ لأنه لا يكون عندنا معلومات موثقة عن المستفيدين، أو كيفية خدمة المجتمع بإرشادهم إلىٰ مواقع توظيف مثلاً؛

لكن فيما يتعلق بالتوظيف هناك ٢٥٪ من الباحثين عن وظائف يتوظفون عن طريق الإنترنت.

حتىٰ التجارة العالمية في عام ٢٠٠٤ عدد ما تم شرائه وبيعه وما تم تداوله خلال الإنترنت سبعمائة مليار دولار وأربعة؛ فهو فعلًا مجال للبحث عن وظائف وغيره.

ويمكن أن نوفر بعض الكتب القيمة المصرح بتوفيرها.

ويمكن خدمة الإسلام عن طريق الشبكة تسويق بعض الروابط الإسلامية، ونشرها قدر المستطاع.

أو مواقع لتاريخ الرسول ﷺ.

أو تنزيل القرآن بقراءات كثيرة، وتفسيره بناء علىٰ هذه التوجيهات في القراءة.

ومهم جدًا أن نهتم بدعوة غير المسلمين ونشر المقولات والفوائد لحديث النبي ﷺ الذي يقول: «بلغوا عني ولو آية».

هناك مواقع الآن في المجموعات البريدية تخص مجموعة فقط للتواصل عن طريق الآيميل الأعداد فيها من مائة إلىٰ عشرة آلاف إلىٰ مائة ألف مشترك بالمجموعة؛ أنت فقط تضع رسالة وتكتبها فتصل إلىٰ مائة ألف.

كل هذه أشياء يمكن فعلها وأكثر، لكن للأسف نجد كثيرًا من الناس خاصة فئة الشباب منشغلة بالتفاهات؛ فنحن في خطر؛ بسبب الانشغال عن المهمة الحقيقية التي كلفنا الله ﷻ بها في الأرض وهي نشر الخير.

وهناك هيئة أمر بالمعروف ونهي عن المنكر في الإنترنت، معهم القائمة ترىٰ فيها أسماء البنات والشباب الموجودين الذين يتكلمون في (الروم) فيدخل أحد هؤلاء ويبدأ يذكر بالله ﷻ.

ويمكن لأصحاب المواهب والتخصصات أن يقدموا ما لديهم.

قد يحصل بين بعض الشباب أثناء الكلام مشادات ومشاحنات بينهم، فيمكن للإنسان أن يصلح بينهم، ويذكرهم بإصلاح ذات البين.

ويمكن أن أستغل بعض المقالات الموجودة، عن طريق نقلها إلىٰ منتدىٰ أناس غير ملتزمين بتعاليم الإسلام.

وهناك بعض العناوين أو الشعارات غير الطيبة يمكن أن يدخل الإنسان وينصح أصحابها.

وتحكي بعض الأخوات أنها أرسلت إلىٰ إحدىٰ زميلاتها رسالة تذكرها فيها بالله وأرسلت إليها بعض المقاطع القرآنية؛ فقبلت النصيحة بعد أن كانت تسمي هاتفها المحمول باسم لاعب كرة.

وأخرت تقول: كانت هناك واحدة تسمع بالأنترنت أغاني فأعطتها أنشودة فقالت لي: إنها في حياتها ما سمعت أناشيد.

فقالت لها: جربي واسمعي فسمعتها كثيرًا ونالت إعجابها.

هناك مواقع معينة علىٰ الإنترنت في سبيل دعوة غير المسلمين وغير الناطقين للعربية مثل (الفيس بوك) هذا الموقع يجد فيه جميع الجنسيات من جميع اللغات من جميع الديانات، لكن لا بد من الحذر؛ لأنه قد يكون هناك بعض الأشياء التي تسوء المسلم.

وأنت إذا أرسلت رسالة فقد يقرؤها كثير جدًّا في هذا الموقع؛ وبصرف النظر تأثر أو لا؛ ليس عليك إلا البلاغ، والله بصير بالعباد.

ويمكن دعوة الدارسين للغة العربية في بلادنا العربية من الأجانب غير المسلمين، وتعريفهم بقيمة هذه اللغة إذا عرفوا القرآن الكريم، وهناك موقع كامل لترجمة للقرآن الكريم ونطق كل آية وترجمتها؛ فقد يكون ذلك سببًا في إسلامهم. ازرع حملة اسمها (ازرع ابتسامة) بتوزيع مصحف.

وموجود حملة توزيع الملابس وازرع ابتسامة بتوزيع مصحف وهذا كثير والحمد لله.

ولا بد لنا من معرفة سبيل للتواصل مع أصحاب مواقع الإنترنت وأصحاب الكافيهات، نتخاطب معهم في كيفية نشر الخير.

وأنا أعرف أن أحد المواقع كان من أكبر مواقع الأغاني في العالم العربي تحول جزاه الله خيرًا إلىٰ موقع إسلامي وألغىٰ جميع الأغاني وملأه كله قرآنًا وغيره.

وهذا كله مبني علىٰ رسالة جاءته مناصحة، وهو بلا شك يؤجر علىٰ هذا.

ابن الجوزي تكلم عن الناس الفارغين البطالين الذين يأكلون ويشربون وينامون وما عندهم أية بصمة في الحياة قال: «هؤلاء هم مثل الذبان حولنا يزاحموننا في الأسواق ويغلون علينا الأسعار ويضيعون علينا أوقاتنا».

بعض الناس إذا رحت تقول له: أنت ماذا قدمت للأمة؟ ماذا قدمت للمجتمع؟ فلن تجد له بصمة.

أما نحن فلن نبتسم وكيف نبتسم وأختنا الثكلىٰ تُقتل في فلسطين يُصاب زوجها بين يديها وييتم أولادها؟

كيف نبتسم ونحن نرىٰ الجرحىٰ والقتلىٰ ونرىٰ حاجات إخواننا في غزة؟

كيف نبتسم ونحن نرىٰ أن العالم يتفرج عليهم وكأنه ينظر إلىٰ حلبة مصارعة يقتل بعض الناس فيها بعضًا؟

كيف نبتسم ونحن نرىٰ المساجد تُهدم والمصاحف تُمزق والمستشفيات تُدك علىٰ رءوس المرضىٰ ونرىٰ الجامعات لم تسلم؟

كيف نبتسم ونحن نرىٰ جرحًا في جبيننا فضحنا أمام العالم ونحن مع الأسف لا نملك له إلا الاستنكار والشجب والهرب إلىٰ مجلس الأمن والمنظمات الدولية ونرجو منهم أن ينصرونا وهم في الحقيقة هم أعداؤنا أو هم داعمو أعدائنا؟

تعالوا نتكلم عن جرح في جبيننا، عن فلسطين مهبط الرسالات وهي القبلة الأولىٰ التي اختارها الله ﷻ ليستقبلها نبينا محمد - صلىٰ الله عليه وآله وسلم - ويستقبلها المسلمون، لم يختر الله تعالىٰ بلدًا غير فلسطين ليتوجه إليها المسلمون أجسادًا وأفئدةً.

عن البلد الذي اختاره الله ﷻ ليكون مسرىٰ نبينا - صلىٰ الله عليه وآله وسلم - ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء:١].

نتكلم عن البلد الذي سينزل فيه عيسىٰ ابن مريم عليه السلام في آخر الزمان.

نتكلم عن جرحنا في غزة، ولن نتكلم عن ذلك لأجل أن نبكي مُلكًا ضيعناه؛ لكن كلامنا عنها لأجل أن يكون لنا فيها بصمة؛ لعل الله ﷻ ألاَّ يؤاخذنا بتقصيرنا مع إخواننا هناك.

وأنا في حديثي هذا استفدت من الدكتور جهاد سويلم وهو - جزاه الله خيرًا - متخصص ومستشار في العمل الخيري في فلسطين.

نسأل الله تعالىٰ أن يوفقنا جميعًا لكل خير.

تعالوا نتكلم عن جرح إخواننا في فلسطين ولا يجوز أن نتكلم علىٰ غيره أبدًا؛ فإنها النازلة وهي الميت الحاضر الذي لا بد أن يُصلىٰ عليه وأن يقدم علىٰ غيره.

ومن شهدائنا - بإذن الله - هناك الدكتور نزار ريان، وإسرائيل ضربت البيت الذي يعيش فيه هو وأولاده، دكته بخمسة أطنان من القنابل، وقد كان يكفي قنبلة واحدة ربما لا تزن ٢٠٠ كيلو أو ٣٠٠ كيلو؛ لكنها دكته بهذا.

وفي الغالب يكون الصراخ علىٰ قدر الألم؛ فهي ما ضربت هذا الضرب إلا وهي تعرف قوة هذا الرجل ومقدار تأثيره في الدعوة وفي الجهاد في سبيل الله.

وهذا الدكتور ولد عام ١٩٥٩ أي: استشهد رحمه الله تعالىٰ وهو في عمر الـ ٥٠

تقريبًا، استشهد هو وأولاده الـ١١ ونساؤه الأربع.

وهو - رحمة الله عليه - بروفيسور في الحديث الشريف، تخرج في الجامعة الإسلامية في غزة بكالوريوس والماجستير من الجامعة الأردنية والدكتوراه من جامعة أم القرىٰ في مكة المكرمة.

ورسالة الماجستير - حسب ما ذكر الدكتور عبد الله الشواهنة وهو زميل له - كانت في أحاديث الرسولﷺ في الشهادة والشهداء.

ويقول: إنه كتب في الخاتمة، اللهم ارزقني وأهلي الشهادة، فنسأل الله أن يتقبل.

وكلامنا عن الدكتور نزار لا يعني أننا نقلل من شأن غيره من الشهداء

فعمر رضي الله عنه لما عاد بعض المسلمين من معركة سألهم: من أصيب؟ فقالوا: أصيب فلان وفلان وفلان.

وهناك من قال: وأصيب أقوام لا يعرفهم أمير المؤمنين.

فقال عمر: وماذا ينفعهم أن يعرفهم أمير المؤمنين؟ يكفيهم أن الله تعالىٰ عرفهم.

وخالد بن الوليد رضي الله عنه كان يقول: ما لي أرىٰ الموت كثر علىٰ الفراش؟ يعني أنهم ما عادوا يُقبلون علىٰ الشهادة؟

أسأل الله تعالىٰ أن يرحمنا برحمته، وأن يجعلنا ممن يرفع الله تعالىٰ قدره في الجنة ويرزقنا الشهادة في سبيله.

نتكلم عن غزة ولكن هل يكفي أن نتكلم فقط وأن نكثر عليها الكلام أم أننا يمكن أن نضع في ذلك بصمات؟

بداية نقول: إن النبي عليه الصلاة والسلام أول ما بُعث كان هناك أمامه عدد من الأعداء، بل منذ أن ولد كما في (طبقات ابن سعد) تقول حليمة السعدية: لقيت نفرًا من اليهود وأنا ذاهبة بالنبي ﷺ إلىٰ قومي في بني سعد فقالوا لها: من هذا الوليد ونظروا فيه؟

قالت: هذا ولدي؛ خافت عليه.

فقالوا: أبوه حي؟ فأرادت أن يرحموه؛ فقالت: لا أبوه ميت.

فهموا به أن يأخذوه. فقالت: لا. أبوه حي وهذا أبوه، وأشارت إلىٰ زوجها.

قالوا: لو كان أبوه ميتًا لقتلناه.

قالت: إنهم قالوا: إن في وجهه الأمارات التي جاءت في كتبنا؛ فهو منذ أن كان في المهد عليه الصلاة والسلام وهم يكيدون له.

ثم كبر عليه الصلاة والسلام وترعرع وبُعث نبيًّا، فأقبل نفر من قريش إلىٰ اليهود وسألوهم، عندنا رجل يقول: أنا نبي ويأتيني الوحي من السماء وأنتم أيها اليهود أصحاب الكتاب الأول ما رأيكم؟

فقالوا لهم: أنتم أهدىٰ منه سبيلاً.

أنتم يا من تعبدون الأصنام وتذبحون لها وتُشركون بالله، أهدىٰ منه سبيلاً! ولم تلبث الأيام حتىٰ هاجر النبي عليه الصلاة والسلام إلىٰ المدينة، فإذا فيها بنو النظير وبنو قينقاع وبنو قريظة، وكلهم وقع بينهم وبين النبي عليه الصلاة والسلام حروب.

بنو النظير أول شيء أنهم حاولوا قتله واغتياله فطردهم من المدينة؛ لأنه كان بينه وبينهم معاهدة علىٰ الصلح.

وبنو قينقاع حاولوا اغتصاب امرأة مسلمة وقتلوا رجلاً مُسلمًا فطردهم عليه الصلاة والسلام أيضًا، ثم بنو قريظة شاركوا المشركين في الأحزاب وطعنوا النبي عليه الصلاة والسلام من الخلف كما قال الله ﷻ: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الأحزاب:١٠]، وحاولوا طعنه من الخلف؛ فقضىٰ الله تعالىٰ عليهم ما قضىٰ.

إذن اليهود من طبائعهم الغدر.

وأنت مهما أردت أن تقلب الخنزير طاهرًا فما تستطيع.

وهؤلاء من طبيعتهم العناد والخيانة، كما أن من طبيعة الإنسان أنه إذا أصيب

بالحر يخرج منه عرق، وأنه إذا تكلم كثيرًا جف ريقه، فمن السنن الكونية أن اليهودي هذا حاله.

ثم إن هذا الخلق من الغدر والخيانة ليس مع أمتنا فقط بل مع الناس جميعًا؛ لذلك الله ﷻ يقول: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً ﴾ [المائدة:٨٢]، عداوتهم أشد من البوذيين وأشد من الهندوس وأشد من النصارىٰ وأشد من عُبَّادِ الأوثان ﴿أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ [المائدة:٨٢]، ثم قال: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المائدة:٨٢]، فمهما حاولنا أن نتقرب فلا جدوىٰ؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [البقرة:١٢٠] إلا في حالة واحدة ﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة:١٢٠]، إلا إذا قلنا: عُزيرٌ ابن الله ولبسنا الطاقية وهززنا رأسنا عند الجدار أو حائط البراق أو المبكىٰ.

وقتها فقط يرضون عنك.

فهذه قاعدة لا بد أن نعرفها؛ فلنا ستون سنة نتفاوض معهم علىٰ موائد الذل والعار حتىٰ ضحك العالم كله لسفهنا وجبننا، ولم يتحرك فيهم ساكن بل في كل يوم يدكون منازلنا وهو يعلمون ما نحن فاعلون: سنشتم، ونستنكر، ونذهب إلىٰ مجلس الأمن الذي امتلأت أدراجه من كثرة اعتراضاتنا وأوراقنا ورسائلنا.

وحقيقةً هؤلاء لا يؤدبهم إلا ما ذكره الله ﷻ في كتابه ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾ [التوبة:٣٦].

هذا الكلام الطيب يجعل بعض الخواطر تقفز إلىٰ ذهني؛ ولعلك تلحظ أن السور المدنية تتكلم عن اليهود والصحابة لم يروا اليهود بعد أو لم يعيشوا بين اليهود، وتلك هذه دلالة مهمة.

وفي الحديث الشريف: «عدوا ستًا بين يدي الساعة: موتىٰ، فتح بيت المقدس...» وكأنه يقول للصحابة: بعد موتي عليكم فتح بيت المقدس.

فما قصروا؛ فقد توفي ﷺ في السنة الحادية عشرة من الهجرة، وفي العام الخامس عشر فتح الصحابة القدس.

وراح أبو عبيدة يتسلم المفاتيح من رجل الدين النصراني الذي قال له: حسب الأوصاف التي عندي لست من يستلم المفاتيح، فجاء عمر وخرج من الجزيرة حتىٰ يتسلم مفاتيح القدس.

فقال رجل الدين: هو بنعته وصفته كأن صفة عمر موجودة في كتابه المحرف، ثم سلمه المفتاح؛ فبكىٰ رجل الدين النصراني.

فقال له عمر: لماذا تبكي؟

فقال رجل الدين: لا أبكي لزوال مُلكي؛ ولكن أبكي لأن هذه الأرض المقدسة ستبقىٰ لكم إلىٰ أبد الأبدين.

(الله أكبر) القدس ضاعت منا إحدىٰ وتسعين سنة أيام الصليبيين ثم رجعت إلينا.

والآن القدس لها ثنتان وأربعون سنة، وستعود بإذن الله.

ونحن نذكر الشباب المسلم في كل مكان، أن لهم أملاكًا في القدس، هذه الأملاك ينبغي أن يحفظوها.

وإليكم قصة رمزية توضح هذا الأمر؛ جاء يهودي إلىٰ فلسطيني يشتري منه أرضًا، في القدس.

فقال للفلسطيني: اطلب ما تريد حتىٰ أشتري منك هذه الأرض.

فقال له الفلسطيني: سأعطيكها مجانًا.

فقال: مجانًا؟!

قال الفلسطيني: نعم. لكن بشرط.

فقال له: ما الشرط؟

فقال الفلسطيني: والدي قبل أن يموت قال لي: إن هذه الأرض معي فيها مليار و٣٠٠ مليون مسلم هم شركائي.

فإذا استطعت أن تأتي بتوقيعاتهم فهي لك مجانًا.

وهذا المعنى مهم جدًّا، أيها المسلمون لكم ميراث؛ لأن فلسطين أرض وقف إسلامي لا يجوز التفريط بها، وهذا المعنىٰ أظن أنه ينبغي أن يكون عند الناس.

والنبي عليه الصلاة والسلام قبل أن يموت جهز جيش أسامة لفتح الشام، والنبي عليه الصلاة والسلام لم يكن يعلم أنه سيموت؛ لكنه مات عليه الصلاة والسلام؛ فبعث الصحابة جيش أسامة إلىٰ الشام.

وأيضًا معركة مؤتة كانت قبل وفاته عليه الصلاة والسلام.

فالمقصود: أنه عليه الصلاة والسلام منذ أن استقرت له الأمور في المدينة وارتاح من قتاله مع قريش، كانت أول جهة التفت إليها هي تحرير بيت المقدس.

وكما أنه حرر الكعبة وهدم الأصنام من حولها، أراد أن يحرر هذا البيت الذي انتشرت حوله الصلبان ولم يحترمه القوم؛ فأراد عليه الصلاة والسلام أن يُطهره كما طهر مكة.

فالمقصود: أن لها مكانة خاصة فنحن ما نتكلم عن بلاد احتلت وأخذت وانتهىٰ الأمر.

وكان له عليه الصلاة والسلام بصمة جهاد في ذلك المكان، كما صار له بصمة جهاد في خيبر، وبصمة جهاد في كل مكان من الدنيا.

وهو بلا شك عليه الصلاة والسلام المُعلم الأول للجهاد، والمربي لأصحابه أن يكونوا كذلك.

والعلماء لما تكلموا في أحكام الجهاد قالوا: وينبغي علىٰ المسلمين أن يُجاهدوا

ويتأكد عليهم ذلك في الدول أو البلدان التي كانت مسلمة ثم اغتصبت منهم.

لذلك يتأكد ذلك فيما يتعلق بفلسطين والأندلس

والدكتور جهاد يحدثنا عن بعض الأعمال الإغاثية الخيرية الدعوية هناك، فيقول:

إن فلسطين بمزيتها ومركزيتها وقُدسيتها جعلت كثيرًا من الجمعيات الخيرية في العالم تتوق لخدمة الأهالي هناك، وازداد هذا بوجود الاحتلال.

وكل ما يحصل من حصار ونفاد طعام ووقود وأدوية؛ سببه الرئيسي وجود الاحتلال. ويذكر بعض الأرقام التي توضح حجم هذه المأساة - حصل هذا وقت الاعتداء الأخير على غزة -:

عدد الشهداء حتى في سبعة أيام أكثر من ٤٣٠ ربعهم من الأطفال والنساء، ٢٣٠٠ جريح منهم ٥٠٠ في جراح خطيرة وربعهم من الأطفال.

الآن هناك ١٥٠٠٠ شخص بين طفل وشيخ مُسن وامرأة يعيشون بلا مأوى؛ لأنه هدم ٣٥٠ منزل تحت زعم ضرب المقاومة.

لا يوجد دقيق في قطاع غزة، وغزة الآن تحتاج يوميًا ٣٠٠ طن من الدقيق.

ولا يوجد حليب في قطاع غزة، وغزة تحتاج يوميًا ٣٠ طن من الحليب.

الكهرباء ٨٠٪ من قطاع غزة محروم منها.

(المستشفيات ليس فيها كهرباء) المولدات تعمل عبر الوقود.

المستشفيات ليس فيها غاز النيتروز وهو مهم جدًا للتعقيم وللتخدير.

مستشفيات الولادة أغلقت وتحولت لمستشفيات عناية مركزة (للجرحى).

هل تصدقون أنه خلال انتفاضتين قتل اليهود من طلاب المدارس ٨٤٨ طالب وجرحوا ٤٧٩٢، نصفهم مُعاق إعاقة دائمة، وبالمناسبة وجدنا أن معظم إصابات اليهود لهم في منطقة الدماغ والأعصاب للأطفال، فالجندي اليهودي لا يختار الرِجل أو اليد؛ حتى إذا لم يمت الطفل الفلسطيني يظل مُعاقًا إعاقة دائمة.

طلاب الثانوية العامة مثلاً في الدول العربية يدرسون حوالي ٢٤٠ يوم، أما في فلسطين فـ(١٠٠) يوم، ورغم ذلك قد تستغربون إذا عرفتم أن أقل الشعب العربية أُمية الشعب الفلسطيني.

هل تُصدق أن الكيان اليهودي هو الوحيد الذي يصف نفسه بأنه شعب الله المختار وأن باقي الأقوام من البشر حيوانات أضخم سجن في العالم.

وإذا كان الكلام عن غزة فإن الضفة فيها جدار تكريس الاحتلال حول ٢.٥ مليون من خلال السجن المسمىٰ بالجدار العازل البالغ طوله ٧٥٠ كم وعرضه يصل ٩ م.

في الستين سنة الماضية تم اعتقال ٧٠٠.٠٠٠ فلسطيني (لا حول ولا قوة إلا بالله). أي: من بين كل ٤ فلسطينيين واحد.

هذه نماذج المأساة التي يعيشونها .

بل قد تعجب أكثر حين تعرف أن عداوتهم لم تقتصر علىٰ البشر بل امتدت إلىٰ الشجر؛ فمليون ومائة ألف شجرة قطعها اليهود، واقتلعوها خلال ٥ سنوات.

وكان لهم معركة مع الحيوانات فيا لها من مأساة حقيقية.

فكل هذا دفعنا أن نضع أولوية لفلسطين في برامجنا (أمة فيها خير كبير).

ويذكر أن البشائر بإذن الله كثيرة بفضل الله ﷻ، فلسطين فيها أيتام كثيرون؛ فعلىٰ تقديرنا فلسطين بها من ٥٥ إلىٰ ٦٠ ألف يتيم بفضل الله ﷻ في الجملة العام هم مكفولون.

كثير من الأسر الكريمة يقصد أسر الأسرىٰ والشهداء؛ لأن هناك أحد عشر ألف أسير بالسجون نصفهم متزوجون، وهؤلاء لهم عائلات؛ فمن خلفهم فقد غزىٰ.

وهناك بفضل الله ﷻ حلقات تحفيظ القرآن الكريم بفلسطين؛ فغزة فيها ٨٠ ألف طالب وطالبة علىٰ الأقل مُلتحقين بحلقات القرآن الكريم، خرج منهم ٥٠٠٠ حافظ،

وعندنا برنامج كلفته ثلاثة ملايين دولار لتخريج ١٠ آلاف حافظ في الصيف القادم.

والحمد لله توجد تعليم شرعي في دورات علمية مُكثفة.

وغزة ليست تحت حكم السلطة الفلسطينية (عباس ومن معه) إنما هي تحت حكم الإخوة في حماس الشيخ هنية ومن معه.

أليس جميلاً أن تعلم أن إسرائيل ليس لها أي يد عليها.

لا شك أن الأمة جسد واحد، والنبي ﷺ بيَّن أن (المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضًا).

ولا شك أن الذي ينظر إلىٰ إخواننا هناك، ويرىٰ البكاء والدماء، ثم لا تتحرك فيه نخوة ولا إيمان؛ فهذا أمر عجب عجاب.

فعلىٰ الأقل نُشاركهم ولو شعوريًّا، ولا شك أن الذي ليس عنده أي مشاعر من العيب أن ينتسب إلىٰ الإسلام.

وكذلك من العيب أن يرىٰ مثل هذه المناظر ثم يُتابع المسلسل أو فيديو كليب، كأن قلبه حجر، فلا يهتم بإخوانه أبدًا، والنبي ﷺ يقول: «ما من مسلم يخذل مسلمًا في موطن انتُهك فيه من عرضه ويذل فيه إلا خذله الله تعالىٰ في موطن يحب فيه نصرته» أو كما قال ﷺ.

ولا شك أننا بإذن الله كما قال النبي ﷺ «قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار» والإنسان يحزن لأحوال إخوانه؛ لكن: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾[التوبة:١١١] و ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾[آل عمران:١٦٩].

والنبي ﷺ أخبر أن «أرواح الشهداء تكون يوم القيامة في أجواف طير خُضر تطير في الجنة كيف شاءت»، وبيَّن النبي ﷺ «أنه يود لو أنه ما يترك كتيبة تخرج في سبيل الله إلا

خرج فيها».

وكان الصحابة إذا جاءوا النبي ﷺ يريدون أن يخرجوا للجهاد ولم يجد شيئًا تولوا وأعينهم تفيض من الدمع كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة:٩٢].

ونحن مع حزننا لما أصاب إخواننا نقول: إن أهل غزة يقاتلون نيابةً عن الأمة، يُجاهدون نيابةً عن الأمة.

نسأل الله تعالىٰ أن يُسكن رَوعهم ويُعلي قدرهم ويرفع نُزلهم.

ولا شك أن قتالهم لهذا الشعب من اليهود قتال شرعي، نسأل الله جل وعلا أن يجعلنا وإياكم من المجاهدين في سبيل الله.

ونحن نرى البعض يقول: ليت الحكام يفعلون شيئًا يتعلق بهذا الأمر؛ لأنه يرىٰ أن البصمة الوحيدة التي يستطيع أن يقدمها هي أن يحمل سلاحًا؛ لكننا نذكر أن هناك أشياء أخرىٰ يمكن فعلها.

ولنعلم أن أي إنسان لا يقوم بعمل شيء إيجابي لنصرة إخوانه؛ سيُحاسبه الله ﷻ، وسيُذكرنا التاريخ يومًا من الأيام بشيء لا نحبه ولا نريده، وهو أننا رأينا إخواننا يُقتلون ويُصابون ولم يتحرك فيهم شيء.

نذكر أن بعض الناس يقول:

نكتفي بالدعاء لهم في المساجد. نقول: نعم الدعاء مهم جدًّا؛ ولكنه لا يكفي لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [التوبة:١٠٥] أي أن الذي تفعله الآن ترجو به وجه الله ﷻ سيُنبئك الله ﷻ بما عملت وتعمل.

من الأشياء التي يمكنك تقديمها:

أن تتبرع بوقتك، بجهدك، بمالك قدر الإمكان. ولتسأل أي شخص جرب العمل التطوعي فستجد أنه يجد لذة وسعادة لا يجدها في أي شيءٍ آخر.

وإذا كنت لا تستطيع أن تعمل في جمعية خيرية تتبرع فيها بجهدك، فيمكن بذل ذلك من خلال الإنترنت، من خلال توزيع كُتيبات مُعينة، من خلال مُلصقات.

المجال واسع وكبير جدًّا، ونستطيع - إن شاء الله - أن نضع بصمات.

ولا شك أن الذي تتحرك نفسه لأجل أن يعمل أي شيء؛ فهذا عنصر إسلامي، والله تعالىٰ يريد منه مثل ذلك، ونحن لا نريد أن يرىٰ الإنسان هذه المناظر ثم لا يتحرك ليعمل شيئًا.

ولا بد أن نبادر نحن ونعمل شيئًا دون أن ننتظر من غيرنا أن يعمل؛ ونحن نعلم يقينًا أن هذه المنظمات الدولية مثل: مجلس الأمن وحقوق إنسان لن تتحرك في غزة.

وإذا كان صدام قُتل؛ لأنه أعدم وقتل ١٤٨ شخص بعد أن حاكموه سنتين؛ فماذا عن هؤلاء الذين قُتلوا في خلال يوم واحد فقط ٢٣٣ فضلاً عمن أُصيبوا.

وسائل الإعلام في هذه الأحداث التي نراها في التليفزيون كل تركيزهم علىٰ عدد الضحايا علىٰ عدد الشهداء علىٰ عدد الجرحىٰ، ونسوا الجانب الإنساني.

ويجب أن نركزعلىٰ الجانب الإنساني لكي نبين للعالم أن إسرائيل أو اليهود لا يركزون حربهم ضد الإرهاب بل يركزونها بعشوائية لقتل المدنيين.

وبمناسبة ذكر وسائل الإعلام قال أحد المراسلين في تقريره: إنه سيرسل إلىٰ العالم وينبههم إلىٰ قضيتنا، فهل تُصدقون يا جماعة أن الـ C.N.N الأمريكية تبث بثًّا خاصًّا للدول العربية وما حولها، بثًّا خاصًّا آخر لأمريكا؟

فقد اتصل بي أحد الإخوة في كندا يقول: يا أخي أنا لا أدري ما الذي يحصل عندكم؟

فقلت له: كيف لا تدري وماذا عن الإنترنت؟

قال: لم أجلس إلىٰ النت.

فقلت: يا أخي، وماذا عن الـ C.N.N؟

قال: الـ C.N.N تكلمت لمدة ٤ دقائق عن فلسطين وغزة ثم تكلمت في أخبار أخرىٰ.

فقلت له: عندنا الـ C.N.N تتكلم عن هذا ساعتين يوميًّا.

فقال: الـ C.N.N التي تُبث عندكم غير الـ C.N.N التي تُبث للشعب الأمريكي.

فانظر إلىٰ التعتيم. وبوش عندما سُئل عما يقع قال: من حق إسرائيل أن تدافع عن نفسها.

الله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة:٥١].

بعضهم أولياء بعض كلهم قالوا: إن الله له ابن، النصارىٰ سموه عيسىٰ، وهؤلاء سموه عُزيرًا.

ولكن علينا أن نتصل بإخواننا في فلسطين وبإخواننا في غزة ورفع هي مدينة في غزة؛ فإذا رد عليك أحدهم فحاول أن تثبته بأن المسلمين كلهم معهم يدعون لهم وهذا بلا شك يعطيهم دفعة قوية.

أنا أدعو إخواني في السعودية وفي دول الخليج وفي مصر وفي دول الشام وفي اليمن وفي العراق وفي دول المغرب العربي كله وإخواني في أوروبا وفي أمريكا وفي أستراليا وفي كل العالم، أدعوهم إلىٰ أن يتصلوا بإخوانهم ويربطوا علىٰ أيديهم ويشجعوهم، ونسأل الله تعالىٰ لنا ولهم الثبات.

النبي ﷺ ذكر أننا في آخر الزمان نُقاتل اليهود ففي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم قال: «... فتقتلونهم حتىٰ يقول الشجر والحجر: يا مسلم يا عبد الله هنا يهودي

ورائي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود» إلا الغرقد إذا اختبأ وراءها اليهودي.

وفي حديثٍ آخر ذكر بحر الأردن (البحر الميت) فقال ﷺ: «تقاتلون اليهود علىٰ نهر بالأردن أنتم شرقيه وهم غربيه» يقول الراوي: ولا أدري أين الأردن يومئذٍ.

وأنتم لو تلاحظون لوجدتم أن البحر الميت من شرقه الأردن، ومن الجهة الغربية فلسطين.

سنكون نحن في الشرق وهم في الغرب، وقد اجتمع اليهود من روسيا وأفريقيا ومن كل مكان لأجل أن تقوم هذه الحرب.

والتقارير الجيولوجية تقول: إن هذا البحر الميت الذي سماه الرسول ﷺ في الحديث: (نهر الأردن) يقل الآن ويتبخر وأن المتوقع أن يجف تمامًا خلال ١٣ سنة.

فانظر - سبحان الله- كيف أن الأردن من شرقه وأن اليهود في القدس والخليل في غربه. والآن يوجد نهر في الأردن يُقال: إنه موجود لكن جف، والعلماء لهم في ذلك كلام. والمقصود: أنه ستقع الحرب بين المسلمين وبين اليهود كما أخبر النبي ﷺ.

وهنا نقطة مهمة يجب أن يعرج عليها وهو أن الصراع في فلسطين صراع ديني في الأساس، وفكرة قيام دولة إسرائيلية كانت مُخصصة فقط لأصحاب هذه الديانة (اليهودية)، ونحن نعرف أحلامهم القومية بإعادة هيكل سُليمان، والحركة الصهيونية العالمية قالت: إن اليوم الذي نبني فيه كتيبة يهودية هو اليوم الذي ستقوم فيه دولة إسرائيل. يعنون نبني فيه كتيبة يهودية من فرسان ومقاتلين.

فالقضية لا ينبغي أن تكون قضية عربية فقط بل ينبغي أن تكون قضية إسلامية.

وتلك نقطة لا ندري آلسياسة علىٰ علم بها أم لا؟

واليهود يعلمون الأطفال أناشيد ويلقنونهم عبارات مثل (شُلت يميني إن نسيتك يا أورشليم).

وهذا نحن المسلمين أولىٰ به.

ونعود إلىٰ ذكر عدد من البشائر منها:

أن الإخوة في حماس خلال ٥ أيام أطلقوا مائتي صاروخ، وبسببها مليون يهودي ماتوا في الملاجئ خوفًا من الصواريخ وعُطلت الدراسة عندهم والوظائف إلىٰ يوم الثلاثاء كما قال الله ﷻ: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾[الأحزاب:٢٦]، والنبي ﷺ قال: «أُعطيت خمسًا لم يُعطهن أحدًا من الأنبياء من قبلي» ذكر منهن: «ونصرت بالرعب مسيرة شهر» والله ﷻ عندما ذكر اليهود قال: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة:٩٦].

فتراه يحرص علىٰ حياته مهما كلفه ذلك.

وكانت جريدة معاريف اليهودية ذكرت أن أسبوعًا واحدًا في القتال يُكلف إسرائيل مليارين ومائتي ألف شيكل، فإذا امتد إلىٰ أسبوعين يُكلفهم ثلاثة مليارات ونصف، وإذا امتد إلىٰ شهر فسيُكلفهم ستة مليارات.

المسألة بالمليارات، والذي يدعم اليهود في الغالب أمريكا.

وأمريكا الآن انشغلت بالأزمة المالية التي تعيشها، فأصبح المواطن اليهودي الآن هو المطالب من خلال الضرائب أن يدفع ما يدفع.

الإخوة في حماس من خلال قصفهم تعطلت شبكة الاتصالات الصهيونية، ثم أُعيدت بعد ذلك، وتعطلت أجراس الإنذار في عسقلان.

المقصود: أن الأمر كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧].

اليهود كانوا يظنون بل مع الأسف بعض كُتَّاب العرب الذين كتبوا عن فلسطين قالوا: إنهم يعبثون بهذه الصواريخ، وبعضهم سماها صهاريج.

وإذا كانت تلك الصوايخ كما يقولون؛ فانظر ماذا فعلت هذه الصواريخ في (كونداليزا رايس) حتىٰ تتكلم عنها في أمريكا.

مائتيا صاروخ خلال ٥ أيام؛ فما بالك بما يوفق الله تعالىٰ إليه إخواننا؟

فأنا أقول: (الله معكم ولن يَتِرَكُمْ أعمالكم) وما دمتم تنصرون الله تعالىٰ والنية خالصة فأبشروا بالخير بإذن الله تعالىٰ.

أطفال اليهود يتربون تربية خبيثة وسيئة جدًّا، كما قال الله: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران:٣٤]، مجموعة من الجنود اليهود دعوا أبناءهم وبناتهم ليروا الصواريخ، وطلبوا منهم أن يكتبوا رسائل إلىٰ أطفال غزة، وإلىٰ أهالي غزة؛ فماذا يكتبون؟

ولكن حين نتكلم عن الحلول نقول: لن تُحرر الأقصىٰ أو غزة وفلسطين حتىٰ نتحرر نحن من أنفسنا ومن ذواتنا

حتىٰ نتحرر من الخوف من عدم تبني القضية

حتىٰ نتحرر من الطمع في عدم المبادرة خوفًا علىٰ أموالنا ومقتنياتنا

حتىٰ نتحرر من الجهل بالقضية ثقافيًّا. ونحن نعرف القضية وأبعادها.

حتىٰ نتحرر حتىٰ في الانطلاق نحو الدين والاحتساب والاهتمام بعامل الدين، وأن الله ﷻ لن يتركنا وأعمالنا.

وكان وزير التجارة الإسرائيلي يتكلم علىٰ الهواء احتقارًا لصواريخ القسام، وسبحان الله ضرب صاروخ قسام بجانبه مباشرةً فأخذوه أمام الكاميرات وأنزلوه تحت السيارة خوفًا عليه كما قال الله ﷻ: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر:١٤].

وأنا أرسل إلىٰ إخواننا رسالة، فيها أن الله سبحانه وتعالىٰ يقول: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء:١٠٤].

والله العظيم، إن الذي يجده الآن الجنود الإسرائيليون من اليهود والذي يجده

المواطنون الإسرائيليون في المغتصبات الفلسطينيات من الرعب والخوف والجزع وما قذف الله تعالىٰ بينهم من فزع والله العظيم، أضعاف العذاب الذي يصيبكم الآن وأضعاف البلاء.

وأنتم إن قُتلتم فبإذن الله تعالىٰ تكونون شهداء كما قال رسول الله ﷺ: «قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار» والله تعالىٰ يقول: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ [الأنفال:١٧]، وقال ﷻ: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران:١٤٠]، فنسأل الله تعالىٰ أن يرزقنا وإياكم الشهادة في سبيله.

إن من نعم الله علىٰ هذه الأمة أن جعل لها المساجد لتكون بمثابة دور إشعاع ومراكز للنور ومأوىٰ للمسلمين المؤمنين بربهم تعالىٰ يرتادونها خمس مرات في اليوم؛ يؤدون فيها الصلاة المكتوبة عليهم راكعين ساجدين طائعين، يطلبون من الله الرحمة والمغفرة والتوبة والنجاة من النار.

فحري بنا أن نولي الاهتمام الكامل بالمساجد فهي بيوت الله في هذه الأرض، ومدرسة الإسلام والمسلمين الأولىٰ.

وكذلك هي القاعدة الأولىٰ لبناء مجتمع إسلامي علىٰ أساس الإيمان والتقوىٰ فكان المسجد منارة لطرح العلم والعلوم ومحرابًا للعبادة والطاعة.

وإن العناية ببيوت الله بناء وتشييدًا وصيانة وترميمًا وتزويدها بما تحتاجه من مرافق وخدمات وأغراض متنوعة – هو العلامة والبصمة الواضحة لكل مجتمع مسلم يريد أن يعيد مسيرة السلف الصالح.

الله تعالىٰ شرع بناء المساجد؛ بل ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران:٩٦] وضع لعبادة الله، وهذا المسجد هو الذي بناه أبونا إبراهيم عليه السلام.

الله تعالىٰ شرع أن يعبد في هذه المساجد؛ قال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ [البقرة:١١٤] فبين أن المساجد إنما جعلت

لهذا.

والعناية بالمساجد يبدو لي أمرًا متقررًا في قلوب جميع الناس؛ وهذا تراه في كل مكان في أوروبا، أندونيسيا، ماليزيا، جزر القمر، ساحل العاج، سيبيريا.

فرنسا وحدها عدد المساجد الرسمية فيها ألف وخمسمائة، هذا غير الزوايا. عدد المساجد في مصر مائة ألف مسجد، وفي المملكة العربية السعودية مائة ألف مسجد ما بين مسجد أوقاف وجامع، وفي الجزائر أكثر من خمسة عشر ألف مسجد.

والعجيب أنها تمتلئ بالناس كنت أقرأ تقريرًا في (صنداي غراف) صحيفة بريطانية يقولون: إن عدد الكنائس الموجودة اليوم في بريطانيا ثمانية وأربعون ألف وأربعمائة كنيسة، وأنه في عام ألفين وثلاثين ستفقد بريطانيا خمس هذا العدد، وسينزل العدد حسب الدراسة إلىٰ تسعة وثلاثين ألفًا ومائتين.

وفيه أيضًا أنه أسبوعيًّا تغلق كنيستان؛ لأنها أصبحت غير صالحة للاستعمال؛ لعدم الاعتناء بترميمها ولا الإنفاق عليها، والمشتركون فيها لا يدفعون الضرائب لها ولا حق الاشتراك.

وكنت في ألمانيا وفي أثناء وجودي تم عرض عشرين كنيسة للبيع، واشترىٰ الإخوة هناك كنيسة وسميت دار السلام وصليت بهم.

المقصود: أن هذه الكنيسة - ولله الحمد - تحولت إلىٰ مسجد؛ فالكنائس لا تكاد ترىٰ فيها مصلين.

ونحن لا نتكلم عن هذا؛ لكن لما كنت أبحث في هذا الأمر كنت أتوقع أن الكنائس مهتم بها أشد العناية.

وكنت سأجعل مطارق نضرب بها رءوسنا لهذا الفعل!

لكني رأيت أنها مهملة بل يقولون: الآن في بريطانيا يحتاجون سنويًّا إلىٰ مائتي مليون جنيه أسترليني؛ للعناية بالكنائس، أي: إنهم في خمس سنوات سيحتاجون إلىٰ

مليار إلىٰ مليار، وهذا لا يتحقق؛ فالحكومة هناك لا تدعمهم إلا بخمسة وعشرين مليونًا سنويًّا لكل الكنائس.

المقصود: أننا - ولله الحمد - مساجدنا مع تفريطنا وتقصيرنا - نسأل الله أن يتوب علينا - أعظم من تلك الكنائس.

سنتكلم عن العناية بالبيوت التي ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۝٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ۝٣٧ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ﴾[النور:٣٦-٣٨].

يحدث أحيانًا أنك تدخل بعض المساجد فربما تشم رائحة كريهة في الفرش عند السجود؛ إما بسبب أقدام الناس أو بسبب ابتلال ثيابهم.

وأحيانًا تجد بعض المساجد خربًا فيها المكيف وربما يظل هكذا سنة كاملة دون أن يهتم أحد بهذا المكيف، وقد يكون إصلاحه لا يحتاج إلا مبلغًا من المال قليلاً؛ لكن القضية في وجود من يحرص علىٰ علاج هذا الأمر.

أحيانًا تجد دورات المياه أبوابها ليس بها قفل.حقيقة بعض المساجد تكون مهملة.

بعض المساجد تكون فيها أسلاك الكهرباء مكشوفة عارية، وهذه المساجد يدخل إليها أطفال ويصلون؛ فربما يصعق الولد.

وأيضًا لا نجد العناية بترتيب المصلين.

ونحن نريد أن نقرر بعض الأشياء المتعلقة بالمساجد وما يتعلق بالعناية بها حتىٰ يكون لإخواننا بصمة في هذه المسائل.

المساجد أماكن العبادة اهتم بها النبي عليه الصلاة والسلام؛ وفي الأثر أنه عليه الصلاة والسلام كان يجلس مع أصحابه فكانت تأتي امرأة سوداء إلىٰ المسجد وتقُم

المسجد أي: تنظفه. ففقدها النبي ﷺ ذات يوم فسأل: «أين المرأة السوداء التي كانت تقم المسجد؟».

قالوا: يا رسول الله، ماتت.

قال: «أفلا كنتم آذنتموني».

قالوا: يا رسول الله، ماتت بليل وكرهنا أن نوقظك.

وهي امرأة ليس لها في نظرهم كثير أهمية؛ فليس من مات أبو بكر أو عمر حتىٰ نخبرك.

فقال ﷺ: «دلوني علىٰ قبرها» فأخذه الصحابة حتىٰ أوصلوه إلىٰ قبرها وصلىٰ علىٰ قبرها وصلىٰ معه الصحابة.

فلهذه البصمة التي جعلتها في الأمة تستحقين أن يصلي النبي ﷺ عليك.

وهذا يدلك علىٰ قوة عناية النبي عليه السلام وتعظيمه للمسجد.

والصحابة حين رأوا رجلاً دخل إلىٰ المسجد وما كان يفهم تعظيم المسجد فأقبل إلىٰ زاوية من زوايا المسجد وبال في المسجد. غضبوا وقاموا إليه يزجرونه.

فقال النبي ﷺ: «لا تزرموه» أي: لا تعجلوا عليه؛ وليس هذا بسبب أن النبي ﷺ ما كان يرىٰ في الأمر مشكلة؛ ولكن لأن الرجل بال فإذا قاموا إليه فربما يتحرك فينتشر البول وتكون المشكلة أكبر.

ثم ناداه ونصحه وقال: «إن هذه المساجد لم تبن لهذا؛ إنما بنيت للصلاة والتسبيح والتهليل»، ثم قال عليه الصلاة والسلام: «صبوا علىٰ بول الأعرابي ذنوبًا من الماء».

المساجد تحتاج إلىٰ عناية ألا تلاحظون أن بعض الناس يعبث بأظافره أثناء انتظار الصلاة ويلقيها في المسجد.

وأحيانًا يقطع من المسواك الذي معه بعض الشعرات منه فيخرجها ويضعها في

المسجد.

سبحان الله! ما يخجل الإنسان أن يفعل مثل ذلك في بيت الله.

ولو كان واقفًا أمام ملك من الملوك أو رئيس من الرؤساء أكان يجرؤ أن يفعل هذا؟

النبي ﷺ يقول: «البزاقة في المسجد خطيئة وكفارتها إزالتها» يعني البصاق في المسجد خطيئة.

ولما دخل النبي ﷺ يوما يصلي بأصحابه ورأىٰ بزاقة في المسجد؛ غضب وأخذ عبقًا أي: غصنًا من نخلة. والعبق الذي يكون فيه الرطب ونزع هذه ثم قال: «التمسوا طيبًا» لاحظ الأدب يا أخي.

وعنايتنا بهذه المساجد تظهر مدىٰ اهتمامنا بخدمة ديننا، وهناك مجموعة من النساء يحفظن القرآن في أحد المساجد، كل واحدة منهن تجلب منظفًا من بيتها من أجل المسجد، وينظفن المسجد.

ولا ننسىٰ أن المسجد هذا واجهة المسلمين وواجهة حديثي الإسلام، فإن الشخص أول ما يسلم يأتي إليه؛ فما أجمل أن تكون أول صورة يراها غير المسلم عندما يسلم مسجدًا بجميع ميزاته.

وهذا الأمر ذكرني بإسباني أسلم وجاء مباشرة إلىٰ بلد من بلاد المسلمين يريد أن يطلب العلم فجاء بالحقيبة ودخل بها المسجد ووضع نعاله وحقيبته، ودخل يصلي فلما خرج إذا بحقيبته مسروقة. فقال: الحمد لله، أني عرفت الإسلام قبل أن أعرف المسلمين.

وأود أن أبين أن أول شيء فعله النبي عليه الصلاة والسلام لما وصل المدينة قبل أن يبني له بيتًا، هو بناء المسجد، وكان الصحابة يعملون فيه بأيديهم والنبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم كان يعمل معهم.

لأن هذا المسجد هو المركز، وأي إنسان من الكفار يريد أن يقابل النبي ﷺ يدخل المسجد؛ لذلك يجوز دخول الكافر إلىٰ المسجد إذا كان لحاجة. والنبي ﷺ لما ربط ثمامة بن أثال فيه وكان كافرًا أسيرًا.

ونشير أيضًا إلىٰ أن الإنسان عندما يحب المسجد يظله الله ﷻ بعرشه يوم لاظل إلا ظله، «ورجل قلبه معلق بالمساجد».

وفي حديث قدسي آخر يرويه النبي ﷺ: «إن الله لينادي يوم القيامة أين جيراني؟ أين جيراني؟ فتقول الملائكة متعجبةً ربنا: ومن ينبغي أن يكون بجوارك؟ فيقول الله ﷻ: أين قراء القرآن؟ أين عمار المساجد؟».

فعامر المساجد ليس فقط الشخص الذي يجلس في المسجد بل عمارها هم الذين يهتمون بالمسجد سواء بالجلوس وبالمرافق وبصيانتها والعناية بها؛ فهؤلاء كلهم يضمهم معنىٰ شامل هو عمارة المساجد.

والحديث صحيح وهو موجود في السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني.

والشيخ عبد الله العبيكان قاضٍ وإمام مسجد في الرياض حرص - جزاه الله خيرًا - أن يزورنا لأجل أن نكون أمام واقع بدل أن يكون هناك استطلاع مع أئمة المساجد.

بعض الشباب يفعلون عدة أمور حين يخرجون إلى المساجد:

فبعضهم يحضر المِكنسة الكهربائية التي في بيتهم وينظف المسجد.

ويحضرون مناشف لمسح المصاحف وتنظيفها من الغبار.

ويحضرون معهم معطرًا للسجاد، ومعطرًا آخر للجو.

ويحضرون مطويات - أوراق كبيرة - فيها أحكام صلاة المسافر، وكيف تتطهر وأحكام التيمم.

ومعهم ملصقات مكتوبة بالكمبيوتر يلصقونها خارج المسجد.

ويحضرون معهم (كراتين) يضعون فيها المصاحف الممزقة التي لا تصلح للاستعمال ويأخذونها إما لأن يخيطوها أو يحرقوها أو يتصرفوا بها.

أهم شيء ألا تبقىٰ هذه ممزقة في المسجد.

ويحضرون معهم مصابيح إنارة بأنواعها.

ويحضرون أدوات لتنظيف دورات المياه.

ويحضرون أكياسًا يجمعون فيها النفايات الموجودة.

ويحضرون أحيانًا معهم دهانًا.

قد يكلفهم المسجد الواحد مائة وخمسين ريالاً تقريباً.

وغير ذلك.

فعلوا هذا في المساجد التي بين الرياض والقصيم والمساجد التي بين الرياض ومكة، وهم ثلاثة شباب فعلوا ذلك في سبعين مسجدًا.

فانظر إلى تلك البصمة الرائعة. وهم ما كان يريدون أن يعرف عنهم ذلك طلبًا للإخلاص؛ لكنا أقنعهم أن يصوروا ذلك وإن شاء الله تعالىٰ لن يضيع الأجر.

وهناك أمر مهم ننبه إليه وهو: أنه توجد وزارات خاصة بالعناية بالمساجد؛ لكن أحيانًا مع كثرة المساجد يحصل نوع من التأخر في العناية بها؛ لذا علينا أن نهتم نحن بالعناية بها.

ويمكن للنساء أن يكون لهن بصمة في هذا عن طريق الاتفاق مع إدارة المسجد أن يقمن بتنظيفه والعناية به علىٰ أن يكنّس وحدهن.

وهنا نقطة مهمة أيضاً وهي: أنه علينا أن نضع الضوابط السليمة حتىٰ ينفذ ذلك التنفيذ السليم.

ومعنا قصة جاءت في إحدىٰ الكتب فيها أن رجلًا وجد قصاصة فيها آية قرآنية

فأخذها ونظفها وعطرها واحتفظ فيها؛ فعندما مات أخرج الله ﷻ من جسده مسكًا ووجدوا أن هذا هو السبب.

ويحكي الشيخ عبدالله قصة حصلت له في رمضان، يقول: إنه كانت هناك امرأة من عائلة ثرية وكانت قريبة من المسجد الذي نصلي فيه.

هذه المرأة - سبحان الله - وفقها ربي جل وعلا في هذا الشهر الكريم وفي الليالي الأخيرة من رمضان في العشر الأواخر إلىٰ أن اتصلت بإمام المسجد، وقالت: إنها كانت تبغىٰ أن تنظف المسجد مع خادماتها؛ فأذن لها الإمام الذي بجوار المسجد الذي أنا إمامه.

وفعلاً جاءت في ذلك اليوم ونظفت المسجد هي والخادمات وعطرت المسجد وكذلك مصلىٰ النساء، وفي نفس الشهر ختم لها بخير، ختم لها أنها كانت تنظف المسجد.

هناك أمر أحببت أن أذكر به - والكلام لا يزال للشيخ عبد الله - وهو يتعلق بهذا الأمر أنه لو جاء شخص ونظف بيتي واعتنىٰ به سواء كان عندي ضيف أو لا فكيف أكافئ هذا الرجل؟ فكيف بالكريم جل وعلا؟

ونحن نتمنىٰ صراحة أن ينشأ أبناؤنا وبناتنا علىٰ العناية بالمساجد، كما يعتنون بأنفسهم وبيوتهم.

وأن تكون هذه المساجد وبيوت الله جل وعلا نصب أعينهم؛ لأننا نمر بجيل ثم جيل؛ فعلينا أن ننمي في أجيالنا العناية بالمساجد من بداية الطفولة؛ حتىٰ تنشأ هذه النشأة الصالحة علىٰ هذا الأمر.

نقول تعليقًا على كلام الشيخ: أحيانًا يبيت عندك ضيف فإذا أراد أن يغادر جاء ورتب مكانه كبر في عينك، بخلاف الضيف الذي يذهب ولا يهتم بهذا.

والجوائز يمكن أن يكون لها أثر في هذا الأمر، أذكر أني دخلت مرة أحد المساجد

لصلاة لمغرب؛ فإذا بطاولة بجوار الإمام عليها عدد من الهدايا للصغار. فقلت في نفسي: لا بد أن عندهم حفل تحفيظ قرآن، فنادىٰ الإمام أسماءهم وأعطاهم الهدايا، وكانت هذه الهدايا بسبب حفاظهم علىٰ صلاة الفجر؛ فرأيت بعض الأطفال يضرب أباه لم لا توقظني للصلاة.

۞ ۞ ۞

سيدة نساء أهل الجنة

هذه المرأة حقيقة لما نظرت في سيرتها وجدت أعاجيب، لها بطولات وهي صغيرة عمرها سبع سنوات، لها بطولات وهي كبيرة.

كان النبي ﷺ يحبها حبًّا عظيمًا لدرجة أنها إذا أقبلت عليه قام ﷺ إليها وقبل جبينها وأقعدها مكانه من شدة تقديره لها.

وكان ﷺ أيضًا إذا جاء من سفر بدأ بالمسجد فصلىٰ فيه ركعتين ثم جاء إلىٰ بيتها وسلم عليها ثم مضىٰ إلىٰ بيوت نسائه.

هذه المرأة هي سيدة نساء أهل الجنة كما ذكرنا وهي أيضًا قد ولدت سيدي شباب أهل الجنة ولدت الحسن والحسين، هي فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

فاطمة نعلم أن أباها هو أكرم الناس وأعظمهم هو رسول الله ﷺ وأن زوجها هو الخليفة الرابع وهو ابن عم الرسول ﷺ وهو من آل بيت النبي ﷺ ورباه النبي ﷺ في بيته؛ فاجتمعت لعلي فضائل قل أن تجتمع في غيره من الصحابة، مع أنه ليس أفضلهم رضي الله عنه ؛ فترتيب الصحابة في فضلهم: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي؛ لكن عليًّا رضي الله عنه أيضًا له فضائل لم تكن لغيره في الصحابة الكرام.

فاطمة كانت أصغر أخواتها. فالنبي ﷺ عنده من البنات: زينب وأم كلثوم ورقية وفاطمة.

فاطمة هي أصغر هؤلاء البنات وتوفيت أمها وهي لا تزال صغيرة، ولدت قبل بَعثة النبي ﷺ بسنتين وتوفيت أمها بعد البعثة بقرابة خمس أو سبع السنوات، فهي لما

ماتت أمها كانت لا تزال صغيرة دون عشر سنين وهي أصغر أخواتها ولم تتزوج بعد لصغر سنها.

وكان لها بطولات في صغر سنها من ذلك أنه في يوم من الأيام مضىٰ النبي ﷺ إلىٰ الكعبة ليصلي عندها، وتعلمون أن الكعبة كانت المكان الذي يجتمع عنده كفار قريش في نواديهم نقصد بالنوادي جلسات يجلس هؤلاء ثمانية أو تسعة يتحدثون.

فكانت حول الكعبة أسواقهم وأماكنهم كل شيء حول الكعبة فأقبل النبي ﷺ وجاء وصلىٰ وسجد فقال أبو جهل وكان يجلس مع مجموعة: من يمضي منكم إلىٰ سلا جذور بني فلان، أي: المشيمة والدم الذي يخرج مع الولادة، ويلقيه علىٰ رقبته.

النبي ﷺ سجوده طويل جلس بين السجدتين، ففي هذه الأثناء انطلق واحد من الفجرة إلىٰ تلك الناقة وأخذ الدم والفرث والمشيمة وغيره، والدم يتقاطر بين يديه والرائحة منتنة وأقبل والنبي ﷺ ساجد علىٰ ريح طيبة وطيب نفسه ورفعة قدره -وهو ﷺ كان يعرف بريح الطيب إذا أقبل عرف الناس أنه ﷺ.

كان النبي ﷺ نائمًا عند أم سلمة وعرق فكانت تأخذ قطعة من ورق أو نحو ذلك وتسلت بها العرق -تجمع العرق- ثم تجعلها في قارورة عندها، فاستيقظ النبي ﷺ ووجد أم سلمة تجمع عرقه. قال: «يا أم سلمة ما بالك؟» قالت: عرقك يا رسول الله نجعله مع طيبنا فيكون هو أطيب. فأطيب الطيب عرقه ﷺ. يقول أنس: كنت إذا صافحته ﷺ كأنما أخرجت يده من جؤونة عطار. جؤونة العطار هو الأنساء الذي يخلط فيه العطار الطيب.

فتخيل رجلاً بهذا الريح الطيب وبهذا اللباس الحسن وبهذا العناية بالطهر والشرف فهو من قريش وفي بني هاشم ورجل كبير في السن جاوز عمره الأربعين وربما جاوز الخمسين، وله لحيته وعنده زوجه وبناته وأولاده.

كل هذا ويأتي ساجد والخبث معه ويضعه علىٰ رقبته ﷺ، النبي ﷺ ساجد ما

انتبه إلا والدم يسيل عن جانبيه والرائحة المنتنة والدم والفرث أمام أنفه لا يستطيع أن يرفع رأسه؛ لأنه لو رفع فسوف يتساقط بقية السلىٰ علىٰ جسمه وعلىٰ بقية ثيابه.

وفي هذه الأثناء أخذت قريش يتمايلون من شدة الضحك، والصحابة ينظرون إلىٰ النبي ﷺ ولكنهم ضعفاء: عبد الله بن مسعود، بلال، خباب فماذا يفعلون؟

فلم يقبل ويشق غمام هذا الخوف والفزع والرهبة من الكافرين إلا فتاة عمرها سبع سنوات فاطمة، كانت تلعب عند بيتها مرات، فلما رأت أباها علىٰ هذا الحال فأقبلت تجري أقبلت بيديها الصغيرتين تبعد سلا الجذور عن رقبة أبيها.

وفي العادة أنه من أصعب اللحظات علىٰ الأب أن يهان أمام أولاده، فكيف إذا كان الأطفال صغارًا أي: قد يهون الأمر إذا أهنت أمام أولادي وأعمارهم في العشرين والثلاثين فهم يفهمون.

فهذه فاطمة تأتي وتبعد الجذور وهي تبكي وتسبهم.

النبي ﷺ لما أُبعد هذا عنه رفع يديه وقال: «اللهم عليك بعتبة بن ربيعة، اللهم عليك بشيبة بن ربيعة، اللهم عليك بأبي جهل بن هشام» ودعا علىٰ هؤلاء السبعة ﷺ. هؤلاء السبع في أول معركة وقعت بين المسلمين وقريش وهي معركة بدر في السنة الثانية، قتلوا، وجروا إلىٰ قليب بدر الذي جمعت فيه جثث المشركين وألقوا فيه.

لكن لك أن تقف -سبحان الله- في موقف هذه الصغيرة، وأنا أعجب من شباب وأطفالنا همهم الذي يعيشونه والفكرة التي يتبنونها؟

فما قالت: لا. أخاف أن يضربوني بل جاءت وأبعدت السلىٰ وأقبلت تبعده بكل هدوء وتسبهم وتقف في جانب أبيها وعمرها سبع سنوات.

لا شك أن تربية النبي ﷺ متميزة، وتربية خديجة أم المؤمنين لها فيما أدركته في سنواتها، حتىٰ تجرج مثل هذه القدرات.

العجيب أن فاطمة كبرت. هي ولدت في السنة الثانية قبل البعثة كما ذكرنا أي: لما كان عمر النبي ﷺ ثماني وثلاثين سنة ولدت فاطمة، ثم بعث ﷺ وعمره أربعون

سنة، فعاشت بداية الإسلام في مكة، وكانت تسمع الكفار يقولون: مجنون ساحر كاهن كذاب.

كل هذه الأمور كانت تطرق سمعها وبالتالي كونت عندها قدرة علىٰ مواجهة مثل هذه الأمور منذ صغرها. فما ولدت وفي فمها ملعقة من ذهب وما تربت في قصر منيف وخادمات وسائقين، بل ترتبت في بيت كان فيه فقر وحاجة، والأب الذي هو صاحب هذا البيت عنده أنواع من الابتلاء مع قومه وهي كانت تلاحظ هذا كله.

عاصرت أيضًا فاطمة الهجرتين: الهجرة الأولىٰ إلىٰ الحبشة ورأت المسلمين وهم يضيق عليهم في دينهم في مكة، ورأتهم لما عادوا، ورأت الهجرة الثانية أيضًا لما هاجر النبي ﷺ إلىٰ المدينة.

ومن مناقب فاطمة الزهراء رضي الله عنها الطاهرة بنت الطاهر ﷺ أن نسل النبي ﷺ ونسبه انقطع من جميع أولاده إلا من فاطمة.

نعلم أن أولاده أبا القاسم وعبد الله وإبراهيم -عبد الله بعض العلماء يشكك هل ولد له ولد اسمه عبد الله أم لا- ماتوا صغارًا، رقية وأم كلثوم وزينب أيضًا لم يكن لهن نسل يبقىٰ.

زينب زوجها أبو العاص ورقية وأم كلثوم زوجهما عثمان بن عفان رضي الله عنه تزوج إحداهما ثم لما ماتت زوجه النبي ﷺ الثانية. وكلتاهما ماتت في عهد النبي بل الثلاث حتىٰ زينب كلهم ماتوا في عهد النبي ﷺ إلا فاطمة هي التي بقيت بعد وفاته وتوفيت بعده بست أشهر رضي الله تعالىٰ عنها.

المقصود: أن نسب النبي ﷺ انقطع من جميع بناته إلا من فاطمة فولدت الحسن والحسين وأم كلثوم ولدت الثلاثة ثم ماتت رضي الله عنها فتناسل النسل من هؤلاء تناسل النسل من الحسن ومن الحسين ومن أم كلثوم.

ومن مناقبها: أن النبي ﷺ أخبر أنها سيدة نساء أهل الجنة كما روىٰ ذلك الحاكم وغيره.

فاطمة كان لها مشاركات في الجهاد مع المسلمين، لما كانت معركة بدر خرجت مع المسلمين وكانت أيضًا تسقي المجاهدين. وذكرنا سابقًا أن عدد المسلمين في بداية الإسلام كان قليلاً؛ ففي معركة بدر استنفر النبي ﷺ كل من استطاع فلا يخرج معه إلا ثلاثمائة وأربعة عشر، وفي معركة أحد يخرج معه تسعمائة وخمسون والكفار ثلاثة آلاف ثم يرجع من هؤلاء أكثر من ثلاثمائة فلا يبقىٰ إلا عدد قليل.

فكان هذا العدد القليل من الرجال يجعلهم يحتاجون إلىٰ ناس يطبخون الطعام ويغسلون الملابس، يداوون الجرحىٰ، ويحضرون ماء يسقونهم.

كيف كان تعامل فاطمة مع زوجات أبيها: مع عائشة مع زينب بنت جحش مع صفية مع أم سلمة؟

كيف كانت العلاقة بينها وبينهن؟

كيف كانت وفاتها رضي الله عنها؟

فاطمة توفيت أمها مبكرًا في مكة ولم يكن معها ضَرة، ولما توفيت خديجة تزوج النبي ﷺ سودة في مكة وهاجر بها ثم تزوج في المدينة عائشة وتزوج بقية النساء عليه الصلاة والسلام.

وفاطمة كانت أكبر سنًّا من عائشة؛ لأن النبي ﷺ تزوج عائشة وعمرها تسع أو عشر سنين وفاطمة تزوجت عليًّا في السنة الثانية للهجرة مع معركة بدر، وكان عمرها ثمانية عشر عامًا.

والنبي ﷺ تزوج عائشة في السنة الأولىٰ تقريبًا للهجرة وعمرها تسع سنوات. فكانت فاطمة عمرها ربما أكثر.

وهذا يجرنا إلىٰ الحديث عن السن الأمثل للزواج للفتيات والشباب، أنتم تلاحظون أن زواج النبي ﷺ من عائشة تم وعمرها تسع سنوات، وهذا في النفس منه شيء عند بعض الناس ويقول: يا أخي كيف؟ إنها طفلة ذات عشر سنوات.

كنت أبحث في سيرة عائشة فوجدت أن النبي ﷺ لما خطبها وعمرها سبع

سنوات. يقولون: لما جاء وخطبها كانت مخطوبة أصلاً، فقال أبو بكر: يا رسول الله أهلا وسهلا خطبها في مكة.

إذن كان الوضع عندهم عاديًّا أن تخطب وعمرها ست أو سبع سنين. فأذهب وأستأذن ممن خطبها. يقولون: فذهب أبو بكر رضي الله عنه إلىٰ الذي خطبها فلما أقبل إلىٰ بيته فإذا هو سكران مع أبيه وينشدان بسب النبي ﷺ قال: إذن لا أحتاج إلىٰ الاستئذان ما دام هذا أوله فيبغض آخره. فرجع إلىٰ النبي ﷺ وزوجه إياها ثم لما صار عمرها تسع دخل بها.

ولا بد أن نتنبه إلىٰ طبيعة المرأة إذا بلغت وصار جسمها مناسبًا للزواج فما الذي يمنع ذلك؟

الآن في بعض الدول وأنا كنت أتكلم مع أحد الإخوة، فنصحته أن يتزوج امرأة عمرها تسعة عشر أو ثمانية عشر.

قال: يا شيخ، آخذ طفلة؟!

ونحن في السعودية نجد المرأة لها ثمانية عشر تسعة عشر وربما عندها طفلان أو ثلاثة.

قال: الزواج عندنا يكون في سن ست وعشرين أو سبع وعشرين، وهذا السن الطبيعي للمرأة للزواج. هكذا ثقافتهم في بلدتهم.

وبعض البلدان مثل اليمن عندهم الزواج يكون مبكرًا جدًّا. هكذا طبيعة البلد وطبيعة النساء وحرارة الجو وطبيعة الطقس تجعل الفتاة تبلغ مبكرًا وتظهر عليها علامات الأنوثة وغير ذلك وبالتالي يصح أن تتزوج.

فكانوا في مكة هذه ثقافتهم هذه طبيعتهم هذه عاداتهم وتقاليدهم.

فلما يأتيكم أحد اليوم ويقول: يا أخي كيف يتزوج النبي ﷺ هذه الفتاة وهي طفلة عمرها تسع سنوات؟

قل: طفلة بمفهومك أنت؛ ولا تقس الموضوع بمفهومك بعد ألف وأربعمائة سنة بل قسه بمفاهيمهم هم.

وانظر إلىٰ غير عائشة متىٰ تزوجن، انظر إلىٰ حفصة تزوجت زوجها الأول فكم كان عمرها؟ انظر إلىٰ سودة تزوجت زوجها الأول و كم عمرها؟ أسماء بنت عميس التي تزوجها أبو بكر بعدما مات عنها جعفر كم كان عمرها لما تزوجها جعفر.

فكانت المسألة عندهم عادية إلىٰ عهد قريب

هل وقع خلاف بين فاطمة وعائشة؟

عائشة وفاطمة كانتا تعيشان تقريبًا في بيت واحد؛ لأن فاطمة بنت النبي ﷺ فدائمًا تأتي إلىٰ بيته وهذه زوجة أبيها وكانت فاطمة تجالس زوجات النبي ﷺ ويعلمون فضلها ومحبته لها لدرجة أنه يكون جالسًا مع نسائه وتقبل فاطمة فيقوم إليها ويجلسها مكانه؛ لشدة المحبة.

وفاطمة رضي الله عنها لها أي إشكال مع عائشة، بل إن فاطمة كانت تسر أحيانًا ببعض ما تريد لعائشة مثال ذلك: أن عليًّا رضي الله عنه قال يومًا لفاطمة: إن أباكِ قد جاءه سبي أي: حصلت معركة بينه وبين الكفار وسبىٰ منهم سبيًا. يقول: فاذهبي فالتمس منه خادمًا. فمضت فاطمة وطرقت الباب ولم يكن النبي ﷺ موجودًا، إنما عائشة.

فسألتها عائشة ماذا تريدين؟

قالت: والله يا عائشة أنا أرغب وأريد من أبي أن يساعدني بخادم من السبي. فأبانت لها عما في نفسها، ولو كان في نفس فاطمة شيء من عائشة لما تكلمت معها وقالت لها هذا الموضوع الخاص.

وهذا دليل علىٰ أن العلاقة بينهما كانت علاقة رائعة، وكذلك عائشة كانت تكرم فاطمة أيما إكرام حتىٰ بعد وفاة النبي ﷺ وتزورها في مرضها حتىٰ في الحديث الصحيح الذي روته عائشة تقول: «كان النبي ﷺ جالسًا معنا فأقبلت فاطمة تمشي ما تخطئ مشيتها مشية رسول الله ﷺ» أي: نفس طريقة مشي النبي ﷺ.

أحيانًا بعض الناس يتشابهون بالصوت بالشكل أحيانًا بالطباع بالحركات.

تقول: فجاءت وجلست بجانب النبي ﷺ تقول فأسر إليها حديثًا فبكت، وأسر إليها بحديث آخر فضحكت. قالت عائشة: ما رأيت عجبًا كاليوم بكاء ثم ضحك.

تقول: فلما قام النبي ﷺ قالت لها: يا فاطمة ماذا أسر لكِ النبي ﷺ؟

قالت: والله ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ، فلم تقل عائشة: يا رسول الله أيش قلت لها؟

تقول: فلما مات النبي ﷺ سألت فاطمة مرة أخرىٰ. قلت: يا فاطمة بماذا أسر إليك النبي ﷺ؟

فقالت: إنه قد قال لي: إن جبريل كان يعارضني القرآن -يعني يراجع معي القرآن- في كل سنة مرة وأنه هذه السنة عارض القرآن معي مرتين، وما أراه إلا حضور أجلي.

تقول: فبكيت.

تقول: ثم أسر إلي أخرىٰ وقال: أما يرضيك أن تكوني سيدة نساء الجنة. أو قال لها: إنك أسرع أهلي لحوقًا بي؛ فضحكت، تعني أنا سأتبع رسول الله ﷺ وسأكون سيدة نساء أهل الجنة.

عرفنا نحن أن الصحابية الجليلة فاطمة تزوجت في سن مبكرة وغيرها من الصحابيات الجليلات ﵅، وهذا ينقلنا إلىٰ الحديث عن قلة المهور في ذاك الزمن.

كما تعلمون أن عليًّا تزوج فاطمة بدرع فما كان عنده شيء، وفاطمة خطبت مرارًا قبل علي وما زوجها النبي ﷺ وكان عمرها ثمانية عشر وعلي عمره ستة وعشرون عامًا لما تزوجها.

علي نشأ في بيت النبي ﷺ وأبوه كان فقيرًا وعلي كان فقيرًا نشأ ما فيه شيء عندهم فلما أراد علي أن ينكح فاطمة قال له النبي ﷺ: «عندك شيء؟»

قال: **ما عندي شيء.**

فقال ﷺ: **«فأين درعك؟»**

قال: **نعم يا رسول الله.**

فقال ﷺ: **«بعها». فباعها بأربعمائة وسبعين درهمًا وجاء وقدمها وتزوج فاطمة.**

يقولون: كان جهازها في البيت مخدة وفراشًا ورحىٰ وبساطًا هذا جهاز البيت كله الذي كان في بيت فاطمة رضي الله عنها وتزوجها علي - الآن جهاز البنات السرير الفاخر والغرفة ويكلف مئات الآلاف - ثم بعد ذلك فتحت الدنيا عليهما ورزقهم الله تعالىٰ بالحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة.

۞ ۞ ۞

إنما المؤمنون إخوة

العرب في الجاهلية كان بينهم أمور مشتركة، كانوا مشتركين في اللغة في العادات في التقاليد في الشكل في اللون في نوعية الأطعمة في نوعية الألبسة.

لكنهم مع وجود هذه الأمور المشتركين فيها ما كان يخلون مكانًا من الأماكن بجزيرة العرب من حرب وقتل وطلب بالتارات ودماء ووأد البنات وما شابه ذلك، ولم يستطيعوا أن يتآلفوا أبدًا حتىٰ أنزل الله تعالىٰ الإسلام ، فقال الله ﷻ لنبيه صلىٰ الله عليه وآله وسلم ممتنًا عليه قال الله تعالىٰ له: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ [الأنفال:٦٣]، ثم قال الله: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال:٦٣].

فلما ألف الله تعالىٰ بينهم صار الصحابي الذي كان في الجاهلية بينه وبين هذا الرجل ثأر وقتل أباه أو قتل أخاه أو ربما اعتدىٰ علىٰ زوجته، نسوا كل هذا لما ألف الله تعالىٰ بين قلوبهم، وامتن الله ﷻ في آيات أخرىٰ لما قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ

عَلَيۡكُمۡ ﴾ [البقرة:٢٣١] اي نعمة ياربي؟ ﴿ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ﴾ [آل عمران:١٠٣]، لاحظ كيف أن الإسلام لما جمعهم أصبحوا بنعمة الله تعالىٰ الذي هو الإسلام أصبحوا إخوانًا.

كان النبي عليه الصلاة والسلام حريصًا علىٰ ألا يقع شقاق ولا خلاف بين الصحابة، وحريصًا علىٰ أن يصلح ذات البين.

فكلامنا سيكون عن إصلاح ذات البين: اصلاح ذات البين بين المدرسين في المدرسة، بين الأهل في البيت الواحد، بين الزوجين، بين الابن وأبيه، بين الجيران، بين الإمام وجماعة مسجده بين الإمام والمؤذن، فأحيانا يكون خلاف بينهم، عن إصلاح ذات البين بين المسلمين جميعًا، بين كل من ينتسب إلىٰ الإسلام.

عن إصلاح ذات البين بين فتح وحماس، عن إصلاح ذات البين بين السنة وبين الشيعىٰ.

عن إصلاح ذات البين وجمع القلوب بين المسلمين جميعًا وبين زعماء العرب.

﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ ﴾ [الحجرات:١٠]. نعم إنها أخوة الدين قلبت العداوة محبة وإخاء والحسد حبًّا ووفاء والحرب سلامًا ونقاء.

إنها أخوة الدين جعلت المسلمين جسدًا واحدًا إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد رحمة وصفاء.

إنها أخوة الدين أمرت بالاجتماع والألفة، ونهت عن الاختلاف والفرقة.
جعلت إصلاح ذات البين طريقًا للجنة.

أنا أعلم أن الجميع يألم من إصلاح ذات البين ويضيق صدره؛ إذ لا يوجد مسلم يفرح عندما يرىٰ اثنين مختلفين، أو أن هناك خلافًا بين رجل وزوجه، أو أن طائفتين من المسلمين وقع بينهما قتال أو حرب.

ولا يفرح قطعًا بوجود اختلافات بين إخواننا في فلسطين أو في الصومال أو في

أفغانستان أو في غيرها.

ولا أن توجد خلافات بين جماعة (الإخوان المسلمين) و(جماعة السلفيين).

وأنا حين أرىٰ النصارىٰ استطاعوا أن يوحدوا أنفسهم وصفهم، وأن ينسوا جميع الخلافات، مع أنهم ينقسمون إلىٰ أقسام وبينهم خلافات الأرثذوكس والكاثوليك والبروستانت، وبينهم خلافات عقَدية، وبينهم عداوات قديمة.

لكنها اتحدت وكونت من أكثر من عشرين دولة ما يعرف بالاتحاد الأوروبي.

وبتأشيرة واحدة لإحدىٰ هذه الدول تستطيع أن تدخل جميع هذه الدول.

بل أذكر أني كنت في ألمانيا وخرجت من ألمانيا أسير فيها، فإذا بالإخوة يقولون: يا شيخ نحن دخلنا هولندا.

قلت: لا توجد إشارات ولا لوحات؟

قالوا: كل الإشارات وكل نقاط الجوازات ونقاط الجمارك، أزيل.

وأصبحت هذه الدول الأوربية كأنها دولة واحدة كبيرة.

سبحان الله! تلك خلافة الإسلام التي يريدها رب العالمين منا - إن صح التعبير - دولة الخلافة التي كانت موجودة أيام الصحابة وأيام الخلافة العثمانية وما شابه ذلك. فهؤلاء استطاعوا أن يوحدوا أنفسهم، ونحن نجد أشد الصعوبة في توحيد صف العائلة الواحدة المدرسة الواحدة الشركة الواحدة المصنع الواحد الحارة الواحدة المسجد الواحد فضلًا عن الكلام عن توحيد صف العرب.

وإذا كنا لا نستطيع أن نتوحد ونبعد الخلافات وأن نصلح ذات بيننا فبالله عليكم كيف تريدون ان توحدوا الأمة الإسلامية كلها.

فبعيدًا عن الحماس نقول: إذا كنت تريد فعلًا توحد أمة الإسلام فلا بد أن تبدأ بنفسك.

والآن السؤال الذي يفرض نفسه كيف يكون لكل واحد منا بصمة في هذا الأمر؟

الإسلام جاء بشعائر تجمع القلوب مثل إفشاء السلام ،وعيادة المريض و«تهادوا تحابوا»، والابتسامة وجه أخيك.

إذا تأملت وجدت أن كل هذه الأمور تعمل علىٰ تقريب القلوب.

نهى الله جل وعلا ونبيه ﷺ عن أشياء وحرمها والسبب الوحيد لها: أنها تفسد القلوب وتملؤها حقدًا وغيظًا وكراهية للآخرين، مثل: الغيبة النميمة الكذب العبوس في وجوه الناس السرقة القتل وغير ذلك سواء صغرت أو كبرت.

لأن هذه الأمور إذا وقعت أدت إلىٰ المفسدة.

أمر الله تعالىٰ بحفظ اللسان: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[ق:١٨]. فإذا انطلق اللسان بالكلام الفاحش أدىٰ ذلك الىٰ فساد ذات البين؛ فحرم الله تعالىٰ في البداية أن نفعل أشياء تؤدي إلىٰ فساد ذات البين.

وهذه المهمة هي مهمة النفوس العظيمة التي يجب أن تعمل بصمت؛ لتحل المشاكل بهدوء، دون أن يفضح أصحابها ولا يفشي أسرارهم.

.وسنعرض - إن شاء الله - عن آداب المصلح لذات البين.

إصلاح ذات البين فيه فضل عظيم جاء فيه نصوص كثيرة جدًا.

النبي عليه الصلاة والسلام جعل إصلاح ذات البين صدقة قال ﷺ: «كل سلامىٰ من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة» رواه البخاري ومسلم.

وذكر النبي عليه الصلاة والسلام أن إصلاح ذات البين هو طريق المغفرة كما قال عليه الصلاة والسلام: «تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لايشرك بالله شيئًا إلا رجل كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: أنظروا هذين حتىٰ يصطلحا» رواه الإمام المسلم.

وهذا يعني أن الإنسان الذي لا يحفظ صلاح ذات البين بينه وبين إخوانه لا

يرتفع عمله، وهنا تجد أن بعض الناس ربما صار له أكثر من عشرين سنة لا يرتفع عمله بسبب انه لم يصلح ذات البين.

إصلاح ذات البين كعتق رقبة يقول أنس ﷺ: «من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة».

إصلاح ذات البين تجارة مع الله يقول النبي ﷺ لأبي أيوب: «ألا أدلك علىٰ تجارة؟» قال: بلىٰ. قال: «صل بين الناس إذا تفاسدوا وقرب بينهم إذا تباعدوا»؛ لأن هذا له فضله.

والإصلاح هو أفضل العبادات يقول عليه الصلاة والسلام: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟ قالوا: بلىٰ يا رسول الله. قال: إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر لكن تحلق الدين».

إصلاح ذات البين سبب لنيل رحمة الله تعالىٰ، يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾ [الحجرات:١٠].

وكذلك بشر الله ﷻ من يصلح ذات البين بالخير العظيم والأجر الكبير قال الله تعالىٰ: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١١٤﴾ [النساء:١١٤].

وعدم إصلاح ذات البين طريق الفشل والهزيمة يقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٤٦﴾ [الأنفال:٤٦]، ويقول الله ﷻ: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ﴾ [النساء:١٢٨].

والإصلاح هو مغفرة للذنوب يقول الله ﷻ: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٨٢﴾ [البقرة:١٨٢].

وهو استجابة لأمر الله تعالىٰ يقول الله ﷻ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ

بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال:١].

والإصلاح هو سبب لقوة الأمة وهيبة أعدائها منها؛ لأن الأمة المتصارعة في الغالب تؤكل.

والإصلاح هو براءة من النار يقول الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما خطوة أحب الىٰ الله ﷻ من خطوة في إصلاح ذات البين، ومن أصلح بين اثنين كتب الله له براءة من النار».

هذه النصوص الشرعية تدلك إلىٰ أنك ربما لو قلت كلمة واحدة أو كتبت رسالة إلىٰ أحد أو سعيت بين اثنين بجمعهما بعد فرقتهما أنك مأجور هذا الأجر العظيم.

بقي معنا حقيقة الكلام عن الآداب الشرعية في ذلك، وما الطرق التي نستطيع أن نصلح بها ذات البين؟

كيف كان النبي ﷺ حريصًا علىٰ أن يجمع القلوب بعد تفرقها؟

وما الأحاديث والآيات الواردة أيضًا في ذلك؟

لما اختلف الصحابة ﷺ علىٰ الغنائم بعد معركة بدر، أنزل الله تعالىٰ سورة الأنفال، فكيف حل الله ﷻ هذه المشكلة التي وقعت بينهم وكيف تكلم الله تعالىٰ عن هذه القضية وعن توزيع الغنائم، استمع إلىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الأنفال:١]. الأنفال هي ما يأخذه المسلمون من الغنائم وما شابه ذلك. يسألونك أي: أصحابك.

لكن الله ﷻ تكلم عن أمر يتعلق بما هو أهم من الأنفال، أهم من الغنائم، أهم من المال، أهم من السلاح، أهم من انتصاركم؛ قال ﷻ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال:١-٢].

وراحت الآيات تتكلم عن الإيمان وأنواع المؤمنين، لاحظ حتىٰ هذه اللحظة لم

تذكر كلمة في حل المشكلة نفسها، ثم بعد ذلك بثلاث صفحات أو أربع قال الله تعالىٰ: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾[الأنفال:٤١].

أي: إن الله ﷻ يقول: صحيح أن مشكلتكم الأصلية هي الاختلاف في قسمة الغنائم؛ لكن المشكلة التي وقعتم فيها بسبب الغنائم، مشكلة أكبر وهي فساد ذات البين بينكم.

النبي عليه الصلاة والسلام جاء إليه بعض الصحابة كما في حديث سهل بن سعد قال: يا رسول الله، إن اهل قباء اختلفوا مع أن الله ﷻ مدحهم في القرآن وقال ﷻ: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾[التوبة:١٠٨] يعني مسجد قباء ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[التوبة:١٠٨] ثم وصف الله أهل قباء فقال: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة:١٠٨] فمضىٰ النبي ﷺ إليهم فإذا هم من شدة الخلاف يترامون بالحجارة، والنبي ﷺ قبل أن يخرج إليهم التفت إلىٰ بلال، وقال: «يا بلال، إني ذاهب إلىٰ أهل قباء لأصلح بينهم، فإن جاء وقت الصلاة فأقم ويصلي بكم أبو بكر» ومضىٰ إليهم، ففساد ذات البين هي الحالقة لا تحلق الشعر ولكن تحلق الدين، تأتي إلىٰ صلاتك وتفسدها وصومك وإيمانك.

وذلك لأنه إذا فسدت ذات البين في الغالب بين اثنين بدأ كل واحد يحقد علىٰ الثاني ، والحقد والضغينة معصية، ثم يبدأ يغتابه وربما لو تُكلم فيه في مجلس يكون أول من يتكلم فيه بغِيبته.

فدل علىٰ أن فساد ذات البين تجر الإنسان بلا شك إلىٰ معاصٍ أخرىٰ.

ووجدنا بفضل الله أن هناك أناسًا خصصوا أنفسهم لهذا الأمر، ففي بلد مثل الأردن تتدخل العشائر لإنهاء المنازعات وفض الخصومات، لكنه ليس بديلاً عن المحاكم، لكنه يساعد في سرعة إنهاء الخلاف.

وهذا الأمر يحتاج إلىٰ إخلاص قال تعالىٰ: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾ [النساء:٣٥].

وهنا نستحضر حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرًا أو يقول خيرًا».

فأنت عندما تقوم بهذه المَهمة بين زوجة وزوجها أو بين أخوين لا بد أن تتحلىٰ بخلق مهم، ألا وهو أن تظهر في جانب كل طرف ما يحب في أخيه، ولا تنقل كلمة توغل القلوب؛ تساهم في زيادة الشقاق بينهما.

وأيضًا ونحن نسعىٰ في إنهاء هذه الخلافات، نذكر إخواننا بالله، وبأن الشيطان يفرحه هذا الكره وتلك العداوة.

ومن طالت فرقتهم، نذكرهم بأن الموت يأتي فجأة، فينبغي أن يتخلص المسلم من كل شيء يؤرق عليه صفاء قلبه.

الإصلاح بابه عظيم قال الله: ﴿۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤﴾ [النساء:١١٤].

الإصلاح فيه خير عظيم يقول أحد الفضلاء: بدأنا الإصلاح بالقضايا الأسرية، ويذكر أنه حصل ذات مرة أن الأب كان متحمسًا أن ينتقم من زوج ابنته، فلما ذهبت مع الزوج خرج الأب علينا بعصًا، فهربنا منه! ثم جاء واعتذر بعد ذلك، وتم الصلح.

ملاحظة: الإخوة المصلحون ينتبهون إلىٰ ألّا يجلس أمام الباب مباشرة إلا المصلح أو الذي معه.

ومن أفضل الطرق للإصلاح بين الزوجين الاجتماع بهما، أو إرسال قريب منهما إليهما، شرط أن يكون مؤثرًا.

وينبغي أن نسمع من الطرفين.

ننتقل إلىٰ نقطة أخرىٰ وهي أن بعض الناس ربما يتكاسل أو يتكبر عن إصلاح ما بينه وبين جيرانه وإخوانه وأقاربه حتىٰ يهجم عليه الموت ويلقون مع الله تعالىٰ وهم علىٰ اختلافهم.

يحكي أحدهم أنه غسل أحد الناس فجاء رجل وطلب منه بعد أن يكفنه أن يترك وجهه مكشوفًا، فإذا بهذا الرجل يقبل الرجل المكفَّن، وتنهمر دموعه بغزارة، بشكل غير مألوف فسأله عن سر هذا البكاء، فقال: أتدري من هذا؟

إنه أخي. لنا ست عشرة سنة متخاصمين.

لا حول ولا قوة إلا بالله. هذه مصيبة. فهذا أمر خطير يجب التنبه له.

ولا شك أن سبب البغضاء والشحناء هو البعد عن (قال الله) و(قال الرسول ﷺ).

ومذكور في القرآن أن الشيطان دخل بين يوسف وإخوته؛ فعلينا ألاّ نعطي مجالاً للشيطان أن يكيد بيننا ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾[الأعراف:٢٠٠].

فليت الإخوة يعتبرون بهذه الإخوة.

والنبي عليه الصلاة والسلام لما قام في حجة الوداع، هذه حجة الوداع فهو يودع الناس وهي وقت محدود، فلا بد أنه سيختار أهم المعلومات قال عليه الصلاة والسلام: «إن الشيطان يئس أن يعبده المسلمون في جزيرة العرب؛ ولكن رضي بالتحريش بينهم».

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يحذر دائمًا من أن يقع أي شر بين الناس، ويحرص علىٰ أن يصلح، وعلىٰ أن يجمع القلوب بقدر المستطاع، صلوات ربي وسلامه عليه. الصحابة أيضًا كانوا علىٰ مثل ذلك رضي الله عنهم.

هل الإنسان يريد أن يعيش حياة سعيدة؟ أم هل يريد يعني أن يعيش نظرة سيئة للناس ونظرة سيئة لمن ينظر إليه؟

هل يريد الإنسان أن تكون سيرته عطرة؟

لذلك يقول الشاعر:

إن المكارم كلها لو حصلت ارجعت جملتها إلى شيئين تعظيم امر الله جل جلاله والسعي في اصلاح ذات البين.

وأول عمل فعله النبي ﷺ بعد بناء المسجد هو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار لهذا الأمر العظيم، والله ﷻ من فوق سبع سموات يوم القيامة يصلح بين اثنين أيضًا، كما في الحديث القدسي الطويل المعروف: «يؤتىٰ برجلين فيقول أحدهما لله ﷻ: يا رب خذ مظلمتي من هذا ففي الحديث وفي نهاية الحوار الطويل يقول له: انظر إلىٰ السماء فينظر فإذا بقصر من ذهب. فيقول: لأي صديق أو لأي شهيد هذا يارب؟ فيقول: لمن يملك ثمنه.

قال: وما ثمنه؟

قال: عفوك عن أخيك.

قال: اللهم إني قد غفرت له.

فيقول الله ﷻ: خذ بيد أخيك فادخل الجنة».

فما أجمل أن نفعل هذا الأمر في مدارسنا ومساجدنا وحاراتنا وجامعتنا إلىٰ آخره. الأمر البديهي في الشريعة أن الكذب محرم، لكن في سبيل الإصلاح يجوز لذلك يقول أحد العلماء: إن الله أحب الكذب في الإصلاح وأبغض الصدق في الفساد؛ فانقلبت هنا القاعدة.

الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ قرأت له فتوىٰ في هذا الشأن. وهذا أيضًا قول أكثر أهل العلم أنه يجوز الحلف في مثل هذه المواطن.

قضايا الإصلاح الحمد لله ثمانون يتم إنجازه وعشرون بالمائة قد لا تنجح.

ومن شروط الإصلاح الحلم والصبر والابتسامة وعدم الغضب، فإذا وجد أنه غضب

فليخرج كي يهدأ، فالرجل الذي جاء النبي ﷺ قال: أوصني. قال: «لا تغضب». الغضب من الشيطان و«ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب»

والإنسان عليه أن يرىٰ أمؤثر هو أم لا؟ فإن كان مؤثرًا فبها ونعمت، ولا استعان برجل آخر يكون مقبولاً، ويحبذ أن يكون له خبرة بالموضوع.

وأيضًا يكون لها تأثير في الطرقين، فمثلًا: هذه الفتاة تؤثر فيها مديرتها أو مدرستها وهكذا.

ومن أشد الأشياء على النفس في هذا الشان عقوق الوالدين؛ فترىٰ الولد يتمنىٰ موت أبيه ليرثه.

ويحصل الصلح أيضًا بين الإمام وجماعته.

وقد يحصل الصلح عن طريق شريط أو كتاب يتعلق بالموضوع.

ولا شك أن السلف والصحابة ﷺ كان لهم جهود فيما يتعلق بإصلاح ذات البين.

لما خرج الخوارج علىٰ عليّ رضي الله تعالىٰ عنه وأرضاه، وكانما ستة آلاف في مكان لأجل الخروج علىٰ حرب علي.

فقال عبد الله بن العباس ﷺ: يأمير المؤمنين ائذن لي أخرج إليهم.

قال: أخاف عليك أن يصيبوك بأذىٰ.

قال: إني رجل محبوب عندهم، وكان عبد الله بن العباس طالب علم رجلًا هينًا لينًا حسن الخلق.

الشاهد: أنه خرج إليهم وحاورهم وأجاب عن جميع الإشكالات التي كانت في رءوسهم:

لم يحكم الرجال؟

لم لم يسبِ؟

وجعل يجيب؛ لأنه طالب علم.

يقولون: فتاب منهم في ذلك الموقف أربعة آلاف وبقي منهم ألفان هم الذين خرجوا علىٰ علي رضي الله تعالىٰ عنه ونصره الله تعالىٰ عليهم.

النبي عليه الصلاة والسلام يعلم أن كثيرًا من الناس إنما يصلح ذات بينهم بالعلم الشرعي؛ لذلك من أهم الآداب أن يكون المصلح عنده علم شرعي وذكاء يستطيع أن يجمع القلوب قدر الاستطاعة.

من أبرز ما مدح النبي ﷺ في الشخص أن يكون لديه قدرة علىٰ أن يجمع القلوب، كان ﷺ يخطب يومًا فرأىٰ الحسن بن علي قد دخل المسجد، وكان صغيرًا فنزل النبي ﷺ من منبره وحمله حتىٰ رقىٰ به المنبر - وكان صغيرًا؛ لأن النبي صلىٰ الله عليه مات والحسن بن علي رضي الله عنهما عمره خمس سنوات- فقال ﷺ: «إن ابني هذا سيد، وإن الله سيصلح به بين طائفتين من المسلمين».

وفعلاً لما جاء عام واحد وأربعين للهجرة كانت الحرب وقعت قبل بين علي ومعاوية رضي الله تعالىٰ عنهم جميعًا.

ثم تولىٰ الحسن بن علي فصار للمؤمنين خليفتان: خليفة بالشام معاوية وخليفة آخر الحسن بن علي؛ فتنازل الحسن رضي الله عنه بعد ستة أشهر من خلافته لمعاوية؛ فاجتمع المسلمون الذين كانوا متفرقين بين خلفيتين وأميرين، اجتمعوا علىٰ رجل واحد علىٰ معاوية، وسمي ذلك العام بعام الجماعة.

فسمىٰ النبي ﷺ الحسن سيدًا لأجل ذلك.

والمسلم عليه أن يبذل جهده في محاولة الإصلاح بين المتخاصمين.

والنبي عليه الصلاة والسلام قال: «.. يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام».

فعلى المسلم أن يذهب ويحاول أن يجمع بين المتخاصمين.

وأيضًا ضع بصمتك إذا رأيت النقاش سيحتد؛ فحاول أن تمتص الغضب بين الطرفين.

وأيضًا بإمكانك أن تجعل المتخاصمين يشتركان في أمر ما خاصة إذا كان الطرفان الزوجين.

وأيضًا تذكير الناس بثواب العفو عن الناس؛ قال ﷻ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى:٤٠].

وأيضًا محاولة القضاء علىٰ الخصومة قبل أن تقع، فإن الله تعالىٰ يقول: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ﴾ [النساء:٣٥].

إذا خفتم أن تقع مشكلة بين المرأة وزوجها فقبل أن تقع المشكلة نحاول أن نجد لها حلولاً﴿ فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ [النساء:٣٥].

فلا ننتظر إلى أن يطلقها .

فلو كنت تتكلم أنت وصاحبك، وخرجت منه كلمة نابية قد تؤدي إلىٰ إفساد ذات البين فأدركهما قبل أن يعمل الشيطان عمله، وحاول أن تجمع القلوب قبل أن تختلف.

«النبي عليه الصلاة والسلام أخبر أن إبليس ينصب عرشه علىٰ الماء ثم يرسل سراياه للإفساد، فأحبهم إليه وأعظمهم عنده هو الذي يأتي إليه ويقول: ما تركت فلانًا حتىٰ فرقت بينه وبين امرأته فيقول: أنت أنت ثم ينزع ابليس تاجه ويضعه علىٰ رأسه».

لذلك كان النبي عليه الصلاة والسلام حريصًا علىٰ أن يجمع البيت الواحد قبل أن يجمع غيره، أقبل ﷺ علىٰ بيت علي وفاطمة رضي الله عنهما فطرق الباب فلم يجد عليًّا. فقال لفاطمة: «أين ابن عمك» لاحظ لم يقل: أين ابن عمي، ولا أين علي. لكن قال: أين ابن عمك؛ يذكرها أن جدهما واحد.

قالت: وقع بيني وبينه خصومة وخرج، فما قال النبي ﷺ: هذا له الشرف أنه متزوج بنت النبي؛ لكن أراد النبي عليه الصلاة والسلام أن يأخذ أجر الإصلاح وخرج يبحث عنه فإذا هو في المسجد وقد سقط رداؤه والتصق التراب بعضده ﷺ فقال النبي: «قم يأبا تراب، قم يأبا تراب». يمازحه فقام علي وأخذ النبي ﷺ بيده وأخذه إلىٰ البيت.

أنا حقيقة أدعو جميع إخوتي وأخواتي إلىٰ أن يضعوا بصمات.

فلا يوجد بيت أو أسرة أو مؤسسة أو حارة أو مسجد إلا فيه قوم وجهاء، فلماذا لايؤدي هؤلاء زكاة وجاهتهم هذه بالإصلاح بين الناس.

يجوز للإصلاح بين الناس أن ندفع من الزكاة، وهذا الذي ذكره الله ﷻ عندما قال: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ ﴾[التوبة:٦٠] ثم قال: ﴿وَٱلْغَٰرِمِينَ﴾ قالوا: الغارمون هم الذين يبذلون مالاً لأجل الإصلاح بين الناس.

۞ ۞ ۞

مارية القبطية

نتكلم عن امرأة نصرانية، أيضًا النبي عليه الصلاة والسلام أخذها سُرِّية أي: جارية أهديت إليه، لكنه عليه الصلاة والسلام لم يتزوجها زواجًا أعني لم يعتقها ويجعلها زوجة، تعلمون أن الله تعالىٰ قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴾[المؤمنون:٥-٦].

النبي عليه الصلاة والسلام كان عنده زوجات، وعنده مارية بنت شمعون القبطية، أهداها إليه المقوقس حاكم الإسكندرية، والنبي عليه الصلاة والسلام -يا جماعة- من أعظم مميزاته أنه كان يحرص علىٰ أن يقيم علاقات رائعة مع جميع الناس حتىٰ لو كان الطرف الآخر يهوديًّا، نصرانيًّا، مجوسيًّا، هندوسيًّا، بوذيًّا.

ما دمت أستطيع أن أقيم علاقة حسنة لأجل تقريبه إلىٰ الخير قدر المستطاع، فأنا أفعل ذلك؛ فكان عليه الصلاة والسلام يهدي هدايا إليهم ونحو ذلك، وأهدىٰ إليه

المقوقس هدية أهدىٰ إليه هذه الجارية التي اسمها مارية القبطية ومعها أختها ومعهما أيضًا غلام، وأهدىٰ إلى النبي عليه الصلاة والسلام أيضًا فرسًا وأهدىٰ إليه حمارًا، يعني أهدىٰ إليه مركبًا يسافر عليه إن أراد ونحو ذلك، وامرأة إن أراد عليه الصلاة والسلام أن يهديها لأحد، أو أن يجعلها لنفسه.

أحضر هذه الهدايا حاطب بن أبي بلتعة وذلك في السنة السابعة للهجرة، قبل وفاة النبي عليه الصلاة والسلام بثلاث سنين وقليل، النبي ﷺ توفي في الحادية عشرة، فهي كانت قبيل وفاته بشيء يسير.

لمَا جاء بها حاطب كان في أثناء الطريق، حاطب طبعًا معه الآن امرأتان وهذا العبد المملوك ومعه أيضًا بقية الهدايا التي أرسلها المقوقس؛ أخذ يتكلم معها عن الإسلام وذلك في السنة السابعة للهجرة، فدخلت في الإسلام.

فوصلت المدينة إلىٰ النبي عليه الصلاة والسلام وهي مسلمة، فاتخذها النبي ﷺ لنفسه وكان أسكنها في البداية قريبًا من زوجاته، فكان فيها جمال وحسن وكانت أمها رومية والفتاة جميلة؛ فغارت منها زوجات النبي عليه الصلاة والسلام. سبحان الله ما يقع بين الضرائر أمر لا مفر عنه حتىٰ لو كن زوجات النبي.

فلما كثرت منهن بعض الأمور معها نقلها النبي عليه الصلاة والسلام إلىٰ مكان في عوالي المدينة -عوالي المدينة هي المزارع ونحوها التي تكون حول القرية، حول البلدة- وأسكنها عليه الصلاة والسلام هناك وكان فيه سكان، فكان النبي عليه الصلاة والسلام يختلف إليها، يأتي إليها أحيانًا، والنبي عليه الصلاة والسلام كان أوصىٰ بهم خيرًا، أعني أوصي بمن أهدوا إليه خيرًا، ففي «صحيح مسلم» من حديث أبي ذر قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمىٰ فيها القيراط»، قال: «فأحسنوا بأهلها خيرًا فإن لهم ذمة ورحمًا أو قال ذمة وصهرًا -وفي رواية- قال: فإن لهم خئولة ونسبًا»، لماذا قال فإن لهم رحمًا وصهرًا؟ لماذا هم أصهارنا وبيننا وبينهم رحم وبيننا وبينهم خئولة؟

النبي ﷺ هم أصهاره؛ لأن امرأته التي هي ملك يمينه وأم ولده إبراهيم مصرية، وأيضًا جدة النبي عليه الصلاة والسلام هاجر التي هي أم إسماعيل مصرية، فوضح النبي عليه الصلاة والسلام أن لهم خئولة؛ لأنهم إخوان جدته التي هي هاجر، ولهم نسب وصهر لأنني أخذت منهم مارية، وإبراهيم عليه السلام تزوج منهم هاجر إلىٰ غير ذلك.

فالمقصود: أنه عليه الصلاة والسلام أوصىٰ بهم خيرًا، وهذه بشارة لمن يرانا من الإخوة المصريين.

علىٰ العموم النبي عليه الصلاة والسلام أثنىٰ عليهم خيرًا وأثنىٰ عمومًا علىٰ بلدان كثيرة، النبي ﷺ أثنىٰ علىٰ اليمن أيضًا وقال: «الإيمان يمان والحكمة يمانية»، وكذلك أثنىٰ علىٰ الشام عليه الصلاة والسلام وقال: «إن الطائفة المنصورة في الشام» إلىٰ غير ذلك، أثنىٰ عمومًا علىٰ بلدان كثيرة وعلىٰ جزيرة العرب أثنىٰ عليهم وذكرناها.

ليس هذا موضوعنا ولكن ذكرناه حتىٰ لا يقال: إنه عليه الصلاة والسلام أثنىٰ علىٰ بلد دون بلد.

المقصود: أنها تزوجها النبي عليه الصلاة والسلام أو تسرىٰ بها أي جعلها سُرية (جارية) ووطئها بملك اليمين، ولدت له عليه الصلاة والسلام إبراهيم وكان عليه الصلاة والسلام يحب إبراهيم ولم يولد له عليه الصلاة والسلام أولاد إلا من خديجة. مات القاسم ومات عبد الله من خديجة ولم يبقَ له عليه الصلاة والسلام إلا البنات وأيضًا أصغر هؤلاء البنات كانت أكبر من عائشة.

فلما هاجروا إلىٰ المدينة كان عمر فاطمة رضي الله تعالىٰ عنها التي هي أصغر أولاده من خديجة كان عمرها رضي الله عنها ست عشرة سنة؛ لذلك في السنة الثانية للهجرة تزوجها علي ولها ثماني عشرة سنة.

فالنبي ﷺ له سنون يشتاق للولد؛ لكن كل زوجاته ما حملن لا عائشة ولا أم سلمة ولا غيرهما فلما ولدت له إبراهيم فرح به فرحًا عظيمًا وابتهج ابتهاجًا كبيرًا

وهي نفسها فرحت؛ وذلك لأنها جاءت من مصر وصارت مع نبي، وهاجر جاءت من مصر وصارت مع نبي الله إبراهيم، وتتمنىٰ أن تكون هي أم أولاد لنبي كما كانت هاجر أم أولاد لنبي، فهي تتمنىٰ ذلك فولد لها إبراهيم.

ففرحت بإبراهيم والنبي عليه الصلاة والسلام فرح به، وكان يختلف إليها أي يذهب إليها وإلىٰ ولده ويجلس ويلاعب ولده إبراهيم، وكبر إبراهيم حتىٰ وصل عمره إلىٰ سنتين وأمه فرحة به فرحًا عظيمًا، ولم يذكر أنها رأت أهلها في مصر أو زارتهم خلال بقائها في المدينة، فكان تعلقها بهذا الولد تعلقًا كبيرًا جدًّا وابتهاجها به كبيرًا.

ومع مرور الأيام أصيب إبراهيم ابن رسول الله ﷺ بمرض واشتد عليه هذا المرض، حتىٰ أخذت تمرضه وتحاول أن يشفىٰ وجاءت إليها أختها وكان حزنها علىٰ ولدها إبراهيم عظيمًا، حتىٰ نزل به الموت، ففي «صحيح مسلم» أن النبي عليه الصلاة والسلام عند اشتداد المرض علىٰ إبراهيم أقبل ﷺ حتىٰ جاء وحمل إبراهيم بين يديه ونفسه تقعقع أي: يشهق، وينزع نزع الموت واحتضاره، والنبي ﷺ ينظر إلىٰ ولده بين يديه يموت وهو أصغر أولاده، وليس عنده ذكر غير هذا الولد، وللنبي عليه الصلاة والسلام سنون طويلة لم يرزق بأولاد، وهذا الولد غلام بين يديه، وفي الغالب بدأ هذا الولد يمشي ويتعلم الكلام ويفهم الضحك والمزح؛ لأنه أكمل سنة ونصف السنة؛ وبالتالي يزداد قدره عند أبيه.

قال الله تعالىٰ عن إسماعيل: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ﴾ [الصافات:١٠٢] لما وصل عمر الولد خمس سنوات أو ستة، وصار يذهب مع أبيه ويأتي، قال: يا بني، إني أرىٰ في المنام أني أذبحك، ترىٰ عظم الابتلاء.

وإبراهيم عندما بلغ الولد مبلغًا يمكن معه أن يفعل ما ذكرناه سابقًا إذا به يموت بين يديه، حمله النبي ﷺ إبراهيم ونفسه تقعقع، فبكىٰ النبي عليه الصلاة والسلام وجعلت دموعه تسيل وهو ينظر إلىٰ ولده، لا يملك له شيئًا فكان عنده عبد الرحمن بن عوف، ولما رأىٰ أن النبي عليه الصلاة والسلام يبكي وقد حمل ولده إبراهيم قال:

يا رسول الله، تبكي، تبكي، أنت تبكي!

فقال ﷺ: «يا عبد الرحمن، إنها رحمة إنها رحمة».

هذا ولدي قطعة مني فلذة كبدي ثمرة فؤادي، إنها رحمة إنها رحمة، وجعل النبي ﷺ ينظر إليه حتىٰ مات إبراهيم.

ولما مات إبراهيم في ذلك اليوم، انتشر عند الناس أن إبراهيم ابن النبي ﷺ مات؛ لأنه ﷺ كان فرحًا به مستبشرًا والناس فرحون أن النبي ﷺ عنده ولد، ففي ذلك اليوم كسفت الشمس وأظلمت الدنيا، الكسوف للشمس والخسوف للقمر، وذلك أن تغيب الشمس، أو أن يغيب القمر فجأة يحال بيننا وبين رؤيته.

مات إبراهيم فكسفت الشمس وأظلمت الدنيا عليهم وهم في نهار، فقال الناس: كسفت لموت إبراهيم، وكانوا يعتقدون في الجاهلية أن الشمس إذا كسفت فهذا معناه أن عظيمًا من العظماء قد مات، فلما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وكسفت الشمس قالوا: هذا الذي كنا نعتقد، الشمس كسفت لأجل موت إبراهيم؛ لكن النبي عليه الصلاة والسلام من أمانته في تبليغ الرسالة ما استغل الموقف ما قال: رأيتم. تروا قدري عند الله إذا كان ولدي كسفت الشمس لأجله؛ فما بالكم بي أنا كيف يكون قدري؟ لم يستغل النبي ﷺ هذه النقطة لصالحه؛ لأنها لم تكن موجودة شرعًا أن الشمس والقمر يكسفان لموت أحد.

وقام النبي عليه الصلاة والسلام إلىٰ الناس وقال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته».

هذه ليس لها علاقة بموت ولا حياة، الشمس والقمر آيتان من آيات الله.

والله تعالىٰ يصرفها كيف يشاء.

قال: «الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلىٰ الصلاة» قوموا مباشرة وصلوا.

مارية لبثت مع النبي ﷺ حتىٰ مات ولم ترزق بولد بعد إبراهيم، وبعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام عاشت إلىٰ خلافة عمر رضي الله تعالىٰ عنه ثم توفيت في السنة السادسة عشرة للهجرة.

كيف كانت علاقتها أصلاً مع زوجات النبي عليه الصلاة والسلام؟ وهل يجوز قبول الهدايا مطلقًا من النصارىٰ؟ أم لا؟

كيف كانت علاقة النبي ﷺ بها وقدرته علىٰ وزن الأمر بينها وبين نسائه؟

في الغالب إذا كانت إحدىٰ الضرائر عند الزوج لها مميزات ليست للضرائر الأخرىٰ، ففي كثير من الأحيان ربما يقع بينهن مشاكل، مثلما هو كائن اليوم.

لذلك أنا أوجه كلامي إلىٰ كل من هو معدود من الرجال وله ضرائر، وكلمة (ضرائر) مشتقة من الضَرة، فليس هناك امرأة حتىٰ لو كانت صحابية يقع في نفسها القبول التام مائة بالمائة أن يكون معها شريكة، حتىٰ لو قالت: نعم أنا موافقة هذا شرع الله؛ فإنه يبقىٰ في القلب أنها لا تحب المشاركة في زوجها، فالمقصود: أن النبي عليه الصلاة والسلام يعلم أن مارية تتميز بأشياء: الحسن والجمال وغير ذلك.

إضافة إلىٰ أنها كانت تحتاج إلىٰ احتواء، فعائشة عندها إخوانها وأبوها، وحفصة عندها أبوها وإخوانها، أما هذه فمسكينة ليست عندها إلا أختها التي جاءت معها، فكان النبي عليه الصلاة والسلام يعطيها شيئًا من الاهتمام ليشعرها بنوع من الزوجية والحنان والعطف ونحو ذلك، وإن كانت زوجات النبي عليه الصلاة والسلام لهن من الفضل واللين في التعامل معه والعقل ما يدفعهن إلىٰ التعامل بعقل في مثل هذه الأمور وليس التعامل باندفاع أو نحو ذلك.

سؤال: يا شيخ، في وفاة قريب أو وفاة أحد الأبناء أو وفاة الأب أو الأم نجد بعض الشباب يزيد الحزن والبكاء أكثر من شهر أو شهرين.

طبعًا، النبي ﷺ مات ولده بين يديه وهو ولده الوحيد الذكر، وهذه أمه جاءت من بلادها وتعلق قلبها بهذا الولد، فأنا أقول: سبحان من صبرها هي أيضًا؛ فإن رسول

الله ﷺ عنده من الإيمان والجلال والانشغال أصلاً بأمور الحياة ما يجعله لا تلبث المصيبة في رأسه كثيرًا؛ لكثرة ما عنده عليه الصلاة والسلام من أعباء، لكن انظر إلىٰ صبرها هي فلم يذكر أنها من أمور النياحة ورفع الصوت والصراخ والبكاء علىٰ الميت، ولم يذكر أنها شقت جيبًا أو حلقت شعرًا أو اعترضت علىٰ قضاء الله وقدره، أو إنها أغمي عليها وأصيبت بمرض ولزمت الفراش، لم يذكر هذا.

فقارن هذا بما يقع الآن من بعض أخواتنا النساء اللاتي إذا مات ولدها أو مات زوجها، لا يكون عندها أحيانًا تلمس للأجر المترتب علىٰ هذه المصيبة!

النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «من يرد الله به خيرًا يصب منه»، معنىٰ (يصب منه) ينزل به مصيبة، ينزل به شيئًا من المصائب: إما ضياع مال وإما مرض ولد وإما غير ذلك.

يقول الإمام أحمد: لولا المصائب التي تنزل بنا لقدمنا يوم القيامة مفاليس، مفاليس ما عندنا شيء، يقول: حسناتنا لا ندري تقبل أو لا تقبل أما المصائب فهي تمحيص للذنوب، وإن الله تعالىٰ يكفر السيئات بمثل هذه المصائب التي تنزل مثلما قال النبي عليه الصلاة والسلام لعائشة: «إن الحمىٰ تأكل خطايا بني آدم» الحمىٰ مرض تأكل خطايا بني آدم.

مارية ﵂ كانت تتصور مثل هذا، يا أخي النبي عليه الصلاة والسلام مربيها سنتين أو ثلاث سنوات، وهي معه عليه الصلاة والسلام فأكيد أنها سيكون لها من الصبر العظيم ما أحدثه النبي ﷺ بكثرة كلامه معها.

حقيقة، نوجه جميع من يستمع إلينا إلىٰ أهمية أن يحتسب الإنسان الأجر؛ منْ صبر فله الرضا ومن سخط فعليه السخط، والإنسان لا بد أن يصبر ما دام هناك أجر مترتب علىٰ هذا.

سؤال: يا شيخ زوجة الرسول ﷺ مارية هل استمرت مملوكة أم أعتقها؟

هذا سؤال جيد هل تعد من زوجاته الإحدىٰ عشرة عليه الصلاة والسلام وهو لم يجتمع عنده أكثر من تسع، منهن زوجات ماتت مثل خديجة ﵂، ومنهن من دخل بها ﷺ وطلقها مثل بنت الجون وغير ذلك.

هذا موضوع آخر؛ لكن لم يذكر أنه عليه الصلاة والسلام أعتقها، لكنها بقيت في ملكه عليه الصلاة والسلام وتعد أم ولد، فهي ولدت منه وبوفاته ﷺ تعتق.

والإماء تنقسم إلىٰ أقسام:

منهن من تكون مدبرة أي: يقول لها سيدها: إذا مت فأنت حرة، إذا أدبرت عن الدنيا فأنت حرة.

ومنهن أم الولد التي تلد من سيدها ولدًا أو بنتًا، فأهم شيء أنها ولدت منه فهذه تعتق بموته أيضًا.

ومنهن الأمة العادية التي لا تلد من سيدها ولا يدبرها ولا يعتقها في حياته، وبالتالي تبقىٰ ولا تعتق يرثها ورثته أي تدخل في الإرث بعد وفاته؛ لكن لا يطؤها أولاده، إذا كان وطئها؛ لكن يمكن أن يبيعوها.

مسألة خطبة الرجل لابنته كعادات وتقاليد يتحفظ عليها العرف، ولكن في الشرع أنا لا أرىٰ شيئًا في أن الواحد يشري لابنته. يخطب لابنته ولا يخطب لولده مثلما يقول العوام.

ولكن لا بد أن نأخذ رأي البنت، والمقصود من (أهديتها) أن الأب لا يكلف الزوج مهرًا لها.

نحن نعرف أن الواحد متىٰ يتزوج فيجب عليه أن يبذل للمرأة كما قال الله: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ﴾ [النساء:٤] نحلة أي: خالصة لهن.

أما في حالتنا هذه فالواحد بدل أن يجمع عشرين ألف ريال، أو ثلاثين أو خمسين بحسب المهر ويعطيه لها، يأتي الأب ويقول: يا ولدي اترك الجهاز كله علي. أنا سأعطيها المال لأجل أن تشتري جهازها الذي تحتاج إليه في الزواج، وأنا أهديتها

إليك إهداءً بمعنىٰ أني وفرت عليك المال الذي تدفعه وإلا فلابد من موافقة البنت طبعًا.

فإذا وافقت البنت وكان الرجل مناسبًا يتم الزواج.

وهذه الأمور ليس فيها مزاح أي: لو أن واحدًا قال: يا فلان، زوجتك ابنتي وقال: قبلت، انتهىٰ الأمر إذا كان يوجد شهود، وإن كان بعض الناس لا يستحق من يعرض عليه.

وسيأتي ذلك في حلقات إن شاء الله وسنتكلم عن بعض هذه الأمور وسأذكر بعض الحوادث عن أشخاص أكرموا في الزواج، ثم بان أنه ليس أهلاً للإكرام، فلم يقم بما يجب عليه بعد الزواج.

وإتمامًا لحديثنا نذكر الرجل الصالح الذي ذكره الله تعالىٰ في سورة القصص، الذي قال لموسىٰ: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ ...﴾ [القصص:٢٧].

وعمر رضي الله عنه لما تأيمت حفصة أي: مات زوجها، جاء إلىٰ عثمان قال: يا عثمان إن شئت أنكحتك حفصة، فقال: سأنظر في شأني، سأفكر في الموضوع، فعمر جاء يقول له: أزوجك ابنتي وحفصة كانت دون العشرين، فجاءه عثمان بعد يومين أو ثلاثة، قال: قد بدا لي ألا أتزوج وأعتذر له.

فذهب عمر إلىٰ أبي بكر قال: يا أبا بكر، إن شئت أنكحتك حفصة، فقال له أبو بكر: سأنظر في شأني، وسكت أبو بكر وعمر ينتظر من أبي بكر أن يرد له خبرًا، لكن أبا تأخر فخطبها النبي ﷺ، فجاء أبو بكر إلىٰ عمر قال: يا عمر أنا والله كنت أرغب فيها ولم أرد عليك؛ لأني كنت سمعت أن النبي ﷺ يفكر أن يخطبها، فلم أشأ أن أقول لك: لا أريد ثم قد يحصل أن النبي ﷺ لا يخطبها، وتضيع علي وعلىٰ غيري. ولم أشأ أن أقول لك: نعم.

فلا يوجد حل إلا أن أسكت، فلا تغضب مني أن تأخرت عليك في الإجابة.

فلا بأس في مثل هذا، بشرط أن يكون بالضوابط المنضبطة.

سؤال: يا شيخ، دعنا نعُد قليلاً للابتلاء ولحديث: «إن الله إذا أحب عبده ابتلاه»، الله تعالىٰ الآن ابتلىٰ المسلمين بكثير من البلاوي، ودائمًا يكون رد الفعل الطبيعي النواح والحزن والبكاء، لكن الإسلام قنن لنا رد الفعل، من قال: حسبي الله ونعم الوكيل وإنا لله وإنا إليه راجعون، حدثنا عن هذه المسألة.

قصدك المصائب التي تنزل، عمومًا نحن ذكرنا قبل قليل أن المصائب يؤجر عليها الإنسان بصبره، عكس بعض الناس إذا مات ولده يقول: لم يا رب، لم يموت...؟ الله الذي اختاره ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨] الله الذي يختار يحيا أو يموت، وبعض الناس يقول: لم هذا يا ربي؟ ذهب ماله أو احترق بيته أو نحو ذلك؛ في حين أن الواجب عليه أن أول شيء لا بد أن يفعله هو أن يرضىٰ الإنسان بما قدره الله تعالىٰ عليه، والله ﷻ يقدر المقادير في السماء ونحن في الأرض يتحكم فينا، نحن مسيَّرون في هذا، لا يمكن الإنسان أن يرد الموت.

فكون الإنسان تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله تعالىٰ فهذا يهون عليه كثيرًا مما يتزل بالأمة من مصائب، ولا يكون حالنا فقط النياح عليها.



القرآن هداية وشفاء

يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت:٤٤]، ويقول الله تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢].

فبيّن الله ﷻ أن القرآن شفاء، فهل القرآن يشفي الأمراض العضوية ؟ لو لدغتك عقرب فهل يمكن أن تقرأ القرآن وتشفىٰ؟

هل يشفي الأمراض التي ربما عجز الطب أو تعب أن يجد لها علاجًا مثل مرض السرطان، مرض تليف الكبد، مرض الإيدز؟

هل القرآن يقرأ فقط علىٰ الأمراض النفسية والروحية؟

كيف يمكن أن نصنع منك راقيًا؟

هل لي أو لغيري تجارب فيما يتعلق بهذه الرقية؟

كيف نستطيع أن نقرأ علىٰ الناس؟

ما الآيات التي نختارها؟

هل يشترط فيمن يقرأ علىٰ الناس القرآن أو يعمل الرقية الشرعية أن يتصف بصفات معينة محددة؟

كل هذا أيها الأحبة الكرام سنتكلم عنه بإذن الله.

ونحن نريد بعد معرفة هذا أن ينقلب جميع من يطالع كلامنا إلىٰ رقاة شرعيين، وليس شرطًا أن تفتح لك بيتًا أو تجعل لك مقرًّا تقرأ فيه علىٰ جميع الناس؛ لكن المقصد أن يكون عندك قدرة علىٰ أن ترقي نفسك وولدك وزوجتك، أن يكون عملك بالرقية لنفسك فلا تحتاج أن تذهب إلىٰ من يرقيك.

قد لا نتوسع كثيرًا في الكلام عن السحر وعن الجن وما يتعلق به والمس وما يتعلق به؛ فهذا موضوع واسع جدًّا قد يطوّل بنا المقام.

لكنني سأتحدث عن القرآن وتأثيره وكيف تستطيع أن ترقي إنسانًا.

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء:٨٢].. نعم إنه شفاء يشفي صدور المؤمنين ويزيل آلام المصابين، ويكشف كربة المكروبين، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾[فصلت:٤٤] نعم إنه الشفاء من قرأه ارتوىٰ، ومن استدل به اهتدىٰ، ومن استشفىٰ به ارتقىٰ، الرقية بالقرآن سنة الأنبياء وطريقة الأتقياء.

فتعالوا إلىٰ الرقية لنضع بصمتنا نتعلم كيفيتها وسننها وآدابها.

سنتكلم في عدة محاور؛ حتىٰ نستطيع أن نحدد هذه المحاور حفاظًا علىٰ أوقاتكم سنتكلم في مقدمات عن الرقية الشرعية وآدابها وتأثير القرآن.

سنتكلم عن أنواع الأمراض التي تقرأ عليها الرقية الشرعية وتؤثر بإذن الله.

سنتكلم عن طرق العلاج هل جميع هذه الأمراض تعالج بطريقة واحدة بآيات واحدة أم أن لكل مرض نوعًا؟

سنتكلم عن الشفاء بالقرآن ومعنا تجارب لأشخاص أصيبوا بأمراض حقيقية عضوية خطيرة وعندما قرئ عليهم القرآن شفوا.

سنتكلم أيضًا عن مواقف وتجارب لأشخاص حكوا حوادث وقعت لهم شخصيًا.

سنتكلم عن كيف يمكن أن تكون راقيًا؟

وأخيرًا . . عندنا بعض التجارب والغرائب التي وقعت لعلنا نذكرها إذا يسر الله تعالىٰ. فليست غايتنا من هذا كله أن نتكلم عن القراء، أو عن فضل القراءة علىٰ الناس، أو الملاحظات علىٰ من يرقون الناس؛ لكنني أسعىٰ - كما أشرت في المقدمة- أن أجعل إخوتي وأخواتي الذين يشاهدوننا من الرقاة، فإذا ذهب لزيارة شخص في المستشفىٰ لا يكتفي أن يأتيه ويقول: أسأل الله أن يشفيك وانتهىٰ الأمر بل يتعدىٰ ذلك إلىٰ أن يقرأ عليه الرقية الشرعية.

هناك بعض الأشياء التي تقع من أمور اكتئاب، ومشاكل بين الزوجين يكون سببها أحيانًا ما يتعلق بشيء من العين، أو ما شابه ذلك وهو لايعلم بهذا.

أحد أصحابي المقربين لي سكن بيتًا جديدًا يقول: جاء بعض النساء زائرات لزوجتي فما أن خرجن حتىٰ وجدت زوجتي غضبىٰ متغيرة، وتفتعل مشكلة بسبب أدنىٰ شيء، يقول: فقلت: تعالي أقرأ عليك؛ فبدأت تظهر عليها مباشرة آثار العين، فإذا إحدىٰ النساء اللائي جئن لما رأت البيت جديدًا وما به من الأثاث، وحال المرأة؛ أصابتها بعين.

يقول: - سبحان الله - والله لما بدأت أقرأ ظهر عليها أثناء القراءة آثار العين. يقول: وبعد عشر دقائق من القراءة رفعت يدي نامت ما يقرب من عشر دقائق أو ربع ساعة ثم استيقظت وهي ناسية الموضوع كله.

إذًا حقيقة نحن حين نتقن ما يتعلق بالعين؛ ما أعراضها؟ ما مظاهرها ؟ ما الآيات التي تقرأ؟ فلن نحتاج إلىٰ البحث عمن يرقينا.

والرقية الشرعية موضوع مهم جدًا وأهميته تكمن في نقطة قيمة جدًا هي بركة اللجوء إلىٰ الله ﷻ، وبركة القرب منه وإليه ﷻ فالسر ليس في الماء، أو الزيت، أو القارئ الذي يقرأ، لكنما السر في آيات الله ﷻ؛ يقول الله ﷻ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الإسراء:٨٢]. ويقول النبي ﷺ: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك».

فكلام النبي ﷺ جاء عامًا، والنتيجة أيضًا عامة؛ فاحفظ الله في علاقاتك في أموالك في عملك في بيتك في قلبك في روحك؛ يحفظك الله ﷻ في كل شيء، وأحوج ما يكون الإنسان إلىٰ الله ﷻ لحظة المرض الشديد سواء له أو لإبنه أو لزوجه، فتجد أن الله ﷻ تجاهك ويساعدك بإذن الله تعالىٰ في الرقية.

فحفظ الله ﷻ للإنسان نتيجة لحفظك أنت لله كما قال عليه الصلاة والسلام:

«احفظ الله يحفظك» ومهم أن أراقب الله تعالىٰ في حركاتي، وسكناتي، وأن أديم ذكره، وأن أبتعد عن الأشياء التي تفتح الأبواب لتسلط الشياطين علي وما شابه ذلك.

ومن هنا ننتقل إلىٰ موضوع آخر، هل الرقية الشرعية تصلح فقط فيما يتعلق بأمور؟ أم أنها كذا في الأمور العضوية؟

إليك هذا الحديث ففي «صحيح البخاري»: «أن النبي ﷺ بعث مجموعة من الصحابة إلىٰ شيء معين ففي أثناء الطريق فنيت أزوادهم - أي: الطعام الذي معهم- فوقفوا علىٰ حي من أحياء العرب وقالوا: هل معكم من قِرَىٰ - قرىٰ الضيف هو ما يكرم به، فأبوا أن يقروهم قالوا: ما عندنا شيء، فخرج الصحابة وجلسوا في مكان منزوٍ، فلدغ سيد القوم- لدغته عقرب وهذا مرض عضوي صريح - فأقبل واحد منهم إلىٰ الصحابة وهم جالسون قال لهم: إن سيد القوم لديغ أفيكم من راقٍ؟ - وهؤلاء القوم ما كانوا مسلمين كما ذكر ابن حجر في شرحه فكيف يقولون: فيكم راقٍ؟ نقول: العرب كان عندهم رقىٰ من أيام الجاهلية، وبعضها لايزال إلىٰ اليوم يستعمله السحرة، فكانوا يعملون الرقية علىٰ أنها علاج، والرقية في حقيقتها علاج.

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: نعم. أنا راقٍ؛ لكن لا أرقيه إلا بقطيع من الغنم؟

قالوا: نعم لك قطيع من الغنم إذا شفي فأقبل عليه فإذا الرجل ملدوغ وليس اكتئابًا ولا ضيق صدر، فأقبل إليه وجعل يقرأ عليه سورة الفاتحة ويجمع ريقه وينفثه، جعل يقرأ هكذا ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة:٢] (نفث) ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة:٣] (نفث) ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ (نفث) ونحو ذلك يقول: فقرأ عليه سبع مرات؛ فقفز فكأنما نشط من عقال. فأعطوه هذا القطيع، ورجع الصحابة إلىٰ النبي عليه الصلاة والسلام فحدثوه بذلك.

فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «سبحان الله فما يدريك أنها رقية؟ خذوه، أي: خذوا هذا الغنم، واضربوا لي معكم بسهم». فدل هذا علىٰ أن الأمراض العضوية يؤثر فيها القرآن.

أنا بنفسي ذهبت مرة لزيارة والد أحد الأصدقاء فلما دخلت عليه غرفة الانعاش فإذا به قد ركب عليه عدد من الأجهزة، وكان بجانبه ممرضة أذكر انها بريطانية معها كتاب تقرأ فيه، فجئت ووضعت يدي علىٰ رأسه وجعلت أقرأ سورة الفاتحة وقرأتها سبع مرات، وقرأت آية الكرسي، وقل هو الله أحد، وسورة الفلق والناس.

سبحان الله!.. وأنا أقرأ بدأ الجهاز يصفر فقامت الممرضة أغلقت كتابها، وعدلت شيئًا في الجهاز وجلست، ثم جعلت تعدل شيئًا آخر، ثم تعدل شيئًا ثالثًا وصاحبي عبد الله يقول لها: هذا قرآن قرآن! إلىٰ أن انتهيت من القراءة. وأنا ما كنت أعلم ما حصل؛ لأني منشغل بالقراءة.

ولما انتهيت وخرجت خرج صاحبي عبد الله، ووقف عبد الله معها قليلاً يتكلم عن الإسلام بالإنجليزية، ثم لحقني.

فقلت: عبد الله ما الذي حصل؟

قال: أبي كان ضغطه منخفضًا بعد العملية انخفاضًا شديدًا، حتىٰ كاد يموت؛ فوضعوا له علاجًا؛ ليرفع الضغط، وهذا العلاج مسموح لهم طبيًّا أن يضعوه إلىٰ مقياس محدد، ولم يتحسن الوضع؛ فزادوه إلىٰ مقياس أخطر؛ لأجل أن يرتفع الضغط حتىٰ لو كان فيه خطر عليه.

ولما بدأت تقرأ؛ بدأ الضغط يرتفع ويرتفع من السبعين إلىٰ الثمانين، إلىٰ التسعين، إلىٰ المائة؛ فاستغربت المرأة من هذا الذي حصل وأنك استطعت أن ترفع الضغط بكلام، وكل محاولاتهم هم لم تفلح.

فانظر إلى تأثير هذا القرآن؛ لذلك حتىٰ الكفار يتأثرون به، وليس الكلام عن القرآن وفضله وإلا لذكرت لكم أعاجيب من حوادث وقعت للكفار سواءٌ كانوا في عهد النبي عليه الصلاة والسلام كأبي لهب وغيره، أو حتىٰ في عصرنا.

أذكر أنني ألقيت بعض المحاضرات في ألمانيا قبل فترة فكنت أتكلم عن القرآن؛

فكان بعض الشباب يقولون لي: يا شيخ نحن زملاؤنا من الألمان لا يفهمون العربية.

يقول أحدهم: كنت أخرج مع جاري إلىٰ العمل كل يوم وأدير (سي دي) محتويًا علىٰ قرآن.

يقول: وذات يوم لم أفعل ما كنت أفعله كل يوم؛ فالتفت إليه وقال: أدر الموسيقىٰ التي نسمعها كل يوم.

قلت: هذه ليست موسيقىٰ هذا قرآن.

قال: لا يهم أنا أريد أن أسمع.

قلت: لماذا أفعل وأنت لا تفهمه؟

قال: نعم أنا لا أفهم هذا الكلام؛ لكنني كلما ركبت معك شعرت براحة لا أحس بها في حياتي، حتىٰ إني أشتاق في كل صباح لسماعه.

سبحان الله الذي يقول: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[الحشر:٢١]. القرآن كلام الله ﷻ ولا شك أن له مثل هذا التأثير الكبير.

ومعنا قصة يحكيها أحد الإخوة تبين لنا أثر القرآن في علاج الأمراض العضوية، يقول:

أصيبت أختي بسرطان الدم - نسأل الله أن يحفظنا وإياكم - فأدخلناها المستشفىٰ التخصصي لمدة أسبوعين تقريبًا، فجاء واحد من المشايخ - جزاه الله خيرًا - وقرأ عليها في اليوم الأول والثاني والثالث.

وكانت لا بد أن تجري عملية زراعة نخاع، وأكد الأطباء أنه لا بد أن تكون هناك مضاعفات قوية بعد العملية.

لكن - ولله الحمد- زرع النخاع لأختي وقامت بلا أدنىٰ مضاعفات، وكان الأطباء يجتمعون عندها يوميًا. فسبحان الله بفضل الله الذي يسر هذا الأمر شفيت وعوفيت تمامًا من هذا المرض.

وأيضًا يذكر أحد الإخوة أنه تعرض لحالة مؤثرة شفيت بإذن الله عن طريق قراءة القرآن.

يقول: كان هذا المريض راقدًا في العناية المركزة، وحكم الأطباء أن حالته ميئوس منها تمامًا، وأوصىٰ الأطباء أن تنزع منه هذه الأجهزة حتىٰ يتيح المكان لمريض آخر؛ لأنه كان يتنفس عن طريق أجهزة صناعية، ومكث فترة طويلة في المستشفىٰ ما يقارب سنة ونصف السنة، وهو علىٰ حالته تلك؛ حتىٰ إن عينه بدأت تضمر وبدأ يفقد بصره شيئًا فشيئًا بسبب الفترة الزمنية الطويلة التي قضاها في المستشفىٰ، إلا أن زوجه رفضت هذا الأمر، وطلبت منهم أن يتركوه علىٰ حاله.

وكانت تكثر القراءة عليه بشكل يومي وتتصدق عنه، وكنا نحن مرجعها في الصدقة في الشئون الدينية في المستشفىٰ.

بعد فترة بدأ المريض يستغنىٰ عن جهاز التنفس الصناعي شيئًا فشيئًا إلىٰ أن وصل إلىٰ استخدامه اثنتي عشرة ساعة في اليوم، وبعد ذلك استغنىٰ عن جهاز التنفس بالكامل، وعاد إليه بصره وخرج من العناية المركزة إلىٰ غرفة عادية، وبدأ يتكلم ويستعيد حالته.

ومعنا حالة أخرى.. استخدم فيها الزيت المقروء فيه بثية الدعوة وماء زمزم، وبفضل الله شفي الوالد تمامًا من السرطان، الذي بدأ عنده من البطن إلىٰ أن وصل إلىٰ الظهر.

وكان أصحابه يدهنونه بالزيت، وكانوا يقولون: اللهم اشفِ أنت الشافي... ويقولون للوالد: تعلق بالله وتوكل عليه؛ لأن هذا سبب والشافي الله ﷻ.

وكانوا يدهنون المناطق السرطانية: البطن، الصدر، الظهر.

وعمر الوالد تقريبًا ثمان وخمسون سنة.

ثم قاموا بتوزيع الزيت والماء علىٰ حالات سرطانية كثيرة وشفيت بفضل الله.

وكان الولد على الوالد؛ حتى يكون التعلق بالله؛ فلا يشترط أن آتي بشيخ يقرأ على أبي.

ويقول الأخ: وكان في الغرفة المجاورة لنا امرأة مصابة في الرئة، فسمعت بناتها يصيحن أمنا تصارع الموت، فأعطيناهن الزيت والماء وبشرني أنها - بفضل الله - غادرت المستشفى.

ابن القيم الإمام الجليل يقول: من لم يشفه القرآن فلا شفاه الله، ومن لم يكفه فلا كفاه الله، فتلك عظمة القرآن كما ذكرت في قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء:٨٢] يقول علماء اللغة: (من) هنا ليست للتبعيض أي: ليس بعض القرآن وإنما (من) للجنس أي: أن جميع القرآن شفاء.

ولابن القيم رحمه الله تجربة في هذا الأمر يقول: مر بي وقت وأنا في مكة سقمت فيه ولم أجد فيه طبيبًا؛ فكنت أعالج نفسي بالفاتحة، ووجدت لها تأثيرًا عجيبًا، فكنت آخذ شربة من ماء زمزم وأقرأ عليه مرارًا يقول: فبرئت تمامًا كأنما نشطت من عقال.

وسبحان الله لتأثير قراءة القرآن في الماء، فذرات الماء قبل قراءة يختلف حالها بعد القراءة، والذي اكتشف هذا ليس مسلمًا بل الذي اكتشفه (ميسارو ايموتوا) عالم ياباني وهو الذي ألف كتابًا اسمه «رسالة من الماء» وذكر أنه أدار شريط قرآن بجانب ماء، فلما انتهى من فحص الذرات وجدها متغيرة في أشكالها.

وهو كان جرب أن يقرأ عليه أناشيد وأغاني ومن ضمن ما جرب القرآن فرأى فيه عجبًا.

سبحان الله! القراءة في الزيت والماء، والماء تكلمنا عنه أما الزيت زيت الزيتون فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول: «كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة»، والله تعالى يقول: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ

يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ [النور:٣٥].

والقراءة في زيت الزيتون تحديدًا تؤثر فيه، ثم إذا ادهن به الإنسان ذهب عنه ذلك تمامًا.

ونحن لا زلنا نتكلم عن إيجاد الرقاة فنقول: لا يشترط لذلك أن تكون حافظًا للقرآن إنما هي مبادئ، وطرق معينة، وآداب شرعية معينة تستطيع أن تعلمها. كما أن للإمامة بالناس سننًا تتعلمها وكذا الأذان.

والرقية عمل صالح، والنبي عليه الصلاة والسلام لما سئل عن الرقىٰ قال: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل» وهو ﷺ كان يرقي أصحابه كما جاء في أحاديث كثيرة أنه كان يزور أصحابه ويضع يده علىٰ رأس الواحد منهم أو صدره ويقرأ عليه ويرقيه.

«ولما أصيب النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم بشيء من السحر الذي سحرته به اليهود؛ جاء إليه جبريل مع ملك آخر، وجلس أحدهما عند رأسه والثاني عند قدميه. فقال: ما بصاحبك؟ قال: مطبوب. - يعني مصاب - قال: من طبه؟ قال: في مشط ومشاطة» الحديثَ، ثم رقىٰ جبريل النبي عليه الصلاة والسلام شفي مما أصابه.

فدل هذا علىٰ أن الرقي عمومًا عمل صالح، رقىٰ الأنبياء، ورقىٰ جبريل النبي عليه الصلاة والسلام، والصالحون لا يزال يرقي بعضهم بعضًا.

من آداب الرقية:

أنك تضع يدك علىٰ ما يألم من جسدك، فمثلاً بعض المرضىٰ تضع يدك علىٰ صدره، وبعضهم علىٰ رأسه، وهكذا.

النبي عليه الصلاة والسلام لما دل الصحابة علىٰ كيفية القراءة قال: «فليضع يده علىٰ ما يألم من جسده».

فإذا كان عندي ألم في أي موضع أضع يدي علىٰ ما يألم من جسدي وأقول:

«أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر» إلىٰ آخره، «وكان عليه الصلاة والسلام إذا عاد مريضًا وضع يده علىٰ ما يألم من جسده».

سبحان الله! بمناسبة الكلام عن المياه ونسبتها في الجسم، وأن من السنة أن تضع يدك علىٰ رأس المريض وتقرأ وتقول: «اللهم رب الناس أذهبِ البأس اشفِ أنت الشافي شفاء لا يغادر سقمًا» هناك معلومة علمية تقول: إن الدماغ يحتوي علىٰ تسعين بالمائة من السوائل؛ إذن تسعون بالمائة من الدماغ عبارة عن سوائل.

وذكرنا كيف أن الماء يتأثر بقراءة القرآن؟

ومن العجب: أنني ألقيت محاضرة في يوم من الأيام تتعلق عن القراءة علىٰ الناس وتأثير القرآن، ثم ذكرت بعض الأمثلة لذلك؛ فقام أخ مهندس وقال: أنا عندي فائدة فقال: أنا تخصصي قياس الذبذبات الكهربائية، أو الموجات الكهربائية في المياه وما يتعلق بذلك.

يقول: فجئت بجهاز دقيق وأحضرت ماء وقست كم يوجد فيه من الموجات الكهربائية فوجدت نسبة معينة، يقول: فقرأت فيه الفاتحة، ثم قست، فإذا الموجات قد زادت.

يقول: ثم وضعت ثم قرأت فقست الموجات فإذا بها قد زادت.

فهذا يدلك علىٰ أن الماء وغيره يتأثر تأثرًا عظيمًا بالقرآن.

عمومًا الأمراض الموجودة عند الناس متنوعة: أنواع السرطان، وتليف الكبد، والعقم، والشلل، وما شابه ذلك، وعدد من هذه الأمراض يكون سببها العين، والنبي ﷺ يقول: «أكثر من يموت من أمتي بعد قضاء الله وقدره العين».

أحيانًا يصاب الواحد في حادث سيارة ويكون سببها العين والناس لا يعلمون، وأحيانًا يموت والسبب العين، وذكر الله ﷻ في القرآن أن رجلاً دخل إلىٰ جنته ﴿قَالَ

مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾ [الكهف:٣٥- ٣٦] وأعجب بهذه المزرعة فلما أعجب بها أشد الإعجاب أصابها بالعين، فأتتها ريح وأحرقتها ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [الكهف:٤٢] وكان صاحبه قال له: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الكهف:٣٩].

بعض الناس عندما يصيبهم شيء من الأمراض يرجعونها مباشرة إلىٰ (عندك زيادة في نسبة الدهون أو عندك مشكلة في عمل البنكرياس أو القولون...) وأنا لا أعطل كلام الأطباء؛ لكن أقول: إنه يجب أن يحافظ علىٰ الأذكار الشرعية ويتقي أسباب الإصابة بالعين؛ لذلك النبي عليه الصلاة والسلام يقول في الحديث الصحيح: «لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين».

وذكروا أيضًا أن يعقوب ﷺ لما أراد أن يرسل أبناءه إلىٰ مصر ليأخذوا الميرة – أي: الطعام – عندما أصاب القحط جميع البلدان، أراد بقوله: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ ﴾ [يوسف:٦٧] – وكانت مصر عليها حصن وهذه القلعة لها أبواب ﴿وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ﴾ ثم قال: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ﴾. أراد بهذا إبعادهم عن الحسد.

مع أن الأصل أن الأب إذا أرسل أولاده إلىٰ بلد غريب يقول: كونوا مجتمعين لا تتفرقوا، لكن كما ذكر أكثر المفسرين أن أشكالهم كانت حسنة، ووجوهم جميلة فخشي عليهم العين.

بعض الرقىٰ للأسف يكون فيها نوع من الشرك استحدثها بعض الناس ينادي بها الجن وما شابه ذلك، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: «اعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقىٰ ما لم تكن شركًا».

* ومن شروط الرقى:

أن تكون من الكتاب والسنة.

وهؤلاء المحذَّر منهم يخلطون شيئًا من القرآن بغيره من نداء الجن، وهذه الأمور كلها لا تجوز، واتفق أهل العلم أن الرقىٰ التي تكون بكلام غير مفهوم أو فيها نوع نداء للجن- أنها محرمة، وليست من الرقية الشرعية في شيء.

وإليكم دعوة أن نكون من سبعين ألفًا بشر النبي ﷺ أنهم يدخلون الجنة بغير حساب.

ففي حادثة الإسراء يقول: «عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرجل، والذي معه الرهط (الرهيط).. ورأيت السواد الأعظم فقلت لجبريل: من هؤلاء؟ قال: هذه أمتك منها سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم دخل النبي ﷺ بيته فأخذ الصحابة يتشاورون في هؤلاء، فخرج النبي وقال: هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلىٰ ربهم يتوكلون».

لا يسترقون أي: لا يطلبون الرقية من الآخرين.

فأنت لا تحتاج يأخي واسطة بينك وبين الله ﷻ، ولن يتحمس إنسان للقراءة وللدعاء مثل صاحب الحاجة.

قول النبي عليه الصلاة والسلام: «لا يسترقون» لا يطلبون من غيرهم؛ لكن لو جاء غيره تبرعًا للقراءة عليه فهذا جائز لقوله: «من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل».

لكن ما كرهه أهل العلم أن أبدأ فأقول: يأخي اقرأ علي؛ والأفضل أن يرقي الإنسان نفسه؛ لأن الرقية علاج زين ودعاء؛ لأنك تضع يدك وتقول: «اللهم رب الناس أذهب الباس واشفِ أنت الشافي».

ودعائي لنفسي أنفع من دعاء غيري بسبب لجئي إلىٰ ربي وانكساري بين يديه.

وكذلك قراءتي لي ولأمي ولإبني ولزوجي ولأخي أو لأبي بلا شك، أنفع من أن آتي بشخص ويقرأ ولا يهمه أن تشفىٰ أو لا.

لذلك قراءة الإنسان عن نفسه هو الأمر الذي نريد أن نقرره؛ بحيث لا يحتاج

الإنسان إلىٰ غيره.

وفي «البخاري» أن سهل بن حنيف رضي الله عنه كان يغتسل فمر به عامر ابن ربيعة، فلما رآه يغتسل فإذا له جلد أبيض جميل - والرجل طبعًا كان ساترًا لعورته؛ لكن رأىٰ ظهره وساقيه فقال: ما رأيت كاليوم قط ولا جلد مخبأة عذراء - كأن هذا جلد فتاة عذراء أهلها ما عرضوها لشيء من الحرارة، والبرودة، ولا الشمس منذ أن ولدت - قالوا: فلبط (سقط) مغميًّا عليه، فجاءوا به يحملونه إلىٰ النبي عليه الصلاة والسلام فقال ﷺ - وقد عرف أن ما به من أثر عين -: «من تتهمون به؟» قالوا: والله نتهم عامر بن ربيعة؛ لأنه لما مر قال: ولا جلد مخبأة. فقام النبي ﷺ وقال: «علام يقتل أحدكم أخاه هلا بركت؟» اغتسل له. فاغتسل له ثم صبوه عليه فقام كأنه نشط من عقال، وبركت معناها قلت: ما شاء الله تبارك الله.

لكن نحن عندما نتكلم عن العين لا نريد من الناس أن يبالغوا أيضًا في ربط كل ما يصيبهم بالعين، فمثلاً: إذا وجد كسول بدراسته ولا يذاكر فرسب فهذا ليس مصابًا بعين، بل بغباء وإهمال.

أو إنسان خسر في تجارته فهذا أيضًا ليس مصابًا بعين، لكنه مصاب بعدم القدرة علىٰ الإدارة.

فالإنسان يجب أن يأخذ بالأسباب.

والعين لها علامات فما علاماتها؟

المصاب بالعين في الغالب يكثر منه العرق، فتجد الجو جميلًا وهو مصاب بعرق.

يكثر منه شرود الذهن.

يكثر منه النسيان.

يميل إلىٰ الفتور وكثرة الجلوس.

يخرج ريحًا كثيرًا ويشعره بشيء من الآلام.

يشعر بشيء من النغز في الجانبين، أو في جنب تحت الثدي، أو في الخلف.

هذه العلامات ربما تظهر كلها أو بعضها، فإذا قرئ عليه ظهرت علامات أخرىٰ تبدأ عينه تدمع من غير بكاء، وهذا ربما يكون سحرًا أو مسًّا من الجن. فمن كانت هذه حاله يقرأ عليه آيات العين: مثل اول سورة تبارك: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك:١]، قوله تعالىٰ: ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾ [الملك:٤].

والآية الأخيرة من سورة القلم: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ [القلم:٥١].

والآية التي في سورة يوسف: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ﴾ [يوسف:٦٧] إلىٰ آخره.

ويقرأ الآيات العامة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق:١]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس:١]، وآية الكرسي والفاتحة وآيات الشفاء: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢] إلىٰ آخره.

هذه يقرؤها علىٰ نفسه وينفث بها، فمثلاً يمكن أن ينفث بيده، ويمسح، أو ينفث علىٰ صدره، وبإذن الله يستفيد، أو يقرأ عليه غيره.

والرقية لا تمنع عن أحد فلا يوجد بسببها مشكلة، أذكر مرة أنني كنت في إحدىٰ دول أوروبا وجاءني واحد بعد الصلاة وقال: يا شيخ أنا لي أربعة أيام أو خمسة لا أستطيع أن أنام ، وإذا نمت أنام عشر دقائق وأقوم فزعًا.

قلت: منذ متىٰ؟

قال: من أربع سنوات. والآن لي أربعة أيام ما نمت.

فجلس على جنب ووضعت يدي على رأسه وقرأت عليه الفاتحة، وهذي طريقة الرقية عمومًا أنك تضع يدك على جبهته مثلاً ورأسه ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة:٢-٤] ثم نفث ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة:٥] ثم نفث ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة:٧].

وبعض القراء يستحب أن تبلل شفتك ثم تنفث بحيث يخرج رذاذ يسير جدًّا مع القراءة.

ولما فعلت هذا رأيته من الغد فقال: تلك أول مرة في حياتي أنام ثماني ساعات متواصلة، والله العظيم.

ثم لما أردت أن أسافر تفاجأت أنه معه كيس وقال: هذا الكيس امرأتي لما رأتني في هذه الراحة أعطتني كل الذهب الذي تملكه قالت: أعطه للشيخ. ولم آخذه منه؛ لكن انظر إلى فرح العائلة كلها بقراءة ربما لم تستغرق خمس دقائق.

وهذا معناه أننا نستطيع أن نؤثر في الآخرين.

أما عن طريقة القراءة في الزيت زيت زيتون -وبالمنا سبة يوجد موقع اسمه موقع شفاء في الإنترنت يوزع هذا الزيت مجانًا، وأيضًا ماء زمزم يوزعونه.

يخرم من أعلى؛ حتى يكون استعماله بالتقطير.

وطريقة القراءة أن يقرب فمه عند الذي سيقرأ فيه فيبدأ مثلاً بـ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ (ثم نفث) ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ (ثم نفث) ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ (نفث) هكذا يقرأ الفاتحة سبع مرات.

ثم يقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾

[البقرة:٢٥٥] (ثم نفث) ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يقرأ آية الكرسي إن تيسر سبع مرات فهذا أفضل.

يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق:١]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس:١] كل واحدة إن تيسر سبع مرات أو ثلاثًا.

هذه آيات عامة تقرأ علىٰ جميع الأمراض من إصابة العين أو السحر...

قلنا: آيات العين لها آيات معينة، فهل ذلك بدعة؟

الرقية طب، والطب إنما يعرف بالتجربة، وأنا لما جربت هذه الآيات المختصة بالعين التي ذكرناها قبل قليل وجدتها نافعة بإذن الله، والمصاب بالسحر تقرأ عليه آيات الجن مثل أول سورة الصافات ونحوها.

سبحان الله! لو نظرت إلىٰ حال المسلمين فلن تجد ثُلمة أو نقصًا أو ثغرة؛ إلا وجدت أنها بسبب تخلفنا عن الإسلام في هذا الموطن.

فلو أن الإنسان عندما يرىٰ منظرًا يعجبه قال: ما شاء الله، تبارك الله! أو باسم الله فلن تصيبه العين.

وقس علىٰ هذا جميع أمورنا الأخرىٰ، فنحن نحتاج أن نلتزم فقط بالإسلام حتىٰ نعالج ما عندنا من نقص وخلل.

واستعمال الأذكار الشرعية يقي بإذن الله تعالىٰ من هذه الأمور، النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «من قال حين يصبح وحين يمسي: باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم. من قالها حين يصبح ثلاثًا لن يضره شيء حتىٰ يمسي، ومن قالها حين يمسي ثلاثًا لن يضره شيء حتىٰ يصبح».

ويقول النبي عليه الصلاة والسلام في حديث عبد الله بن مسعود قل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١] والمعوذتين ثلاث مرات إذا أصبحت وإذا أمسيت تكفيك

من كل شيء. لاحظ قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١] ثلاث مرات، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق:١]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس:١] ثلاث مرات في الصباح والمساء.

كذلك قراءة سيد الاستغفار وهو: «اللهم أنت ربي خلقتني وأنا عبدك...».

ويقول أيضًا: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلته كفتاه» أي: حمته بإذن الله تعالىٰ.

ويقول عليه الصلاة والسلام: «من نزل منزلاً واحدًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق؛ لم يضره شيء حتىٰ يرتحل من ذلك المنزل».

فهذه الأذكار تجعل للإنسان حصنًا حصينًا .

ولا مانع أن يقرأ الإنسان لنفسه في ماء أو زيت ويدهن بهذا الزيت علىٰ صدره، حتىٰ المرأة المصابة بالعقم أو الرجل المصاب بذلك، والمصاب بالشلل... لا يمنع فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول: «ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء».

لكل داء دواء يستطب به.

فيدهن الإنسان علىٰ المواضع المصابة منه ويستعمل الزيت المقروء عليه أو الماء.

❁ ❁ ❁

السيدة صفية

سأتكلم اليوم عن عمة من عمات النبي عليه الصلاة والسلام برزت في أمور، برزت أولاً في أنها من المبايعات اللاتي بايعن النبي عليه الصلاة والسلام ممن أسلمن قديمًا وممن هاجرن إلىٰ المدينة؛ فكان لها أثر في تربية ولدها تربية عجيبة، فمن تتوقعون؟ عاتقة، أروىٰ، أميمة.

هي صفية أم مَنْ مِنَ الصحابة؟

أم الزبير بن العوام وزوجها العوام بن خويلد، لم يذكر أنه دخل في الإسلام، وابنها الزبير بن العوام.

أولاً: كانت طبيعة تربيتها للزبير طبيعة مميزة.

ثانيًا: كان قدرها عند النبي عليه الصلاة والسلام مميزًا بشكل عجيب، كان لها صبر حققته في ميادين الجهاد مع الصحابة بشكل كبير جدًّا.

ومما يدل علىٰ قدرها عنده أنه لما قام ﷺ يعظ الناس، قال لهم وهو يتكلم: «أيها الناس اعملوا؛ فلن يغني أحد عن أحد شيئًا»، ثم قال عليه الصلاة والسلام: «يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت فإني لا أغني عنك عند الله شيئًا».

ثم من اختار بعد فاطمة، قال: «يا صفية بنت عبد المطلب اعملي لنفسك فإني لا أغني عنك من الله شيئًا» فعدد النبي ﷺ ثلاثة أسماء أو أربعة؛ فدل علىٰ أن هذه الأسماء الثلاثة أو الأربعة لها قدر خاص عنده عليه الصلاة والسلام.

ودليله: أن النبي ﷺ ما اكتفىٰ بذكر أسماء رجال، ما قال: يا أبا بكر يا علي مع أنه ابن عمه وصهره ورباه في بيته، ما قال: يا عمر مع أنه صهره ومن أوائل المسلمين، لا بل عدد النبي ﷺ هؤلاء النساء وذلك لشرفهن وجلالة قدرهن.

صفية كان لها أسلوب عجيب في تربية ولدها الزبير منذ كان صغيرًا، كانت تربيه علىٰ الشدة، وعدم الخوف؛ قالوا: إنها كانت تأخذه معها إذا أرادت أن تذهب لقضاء حاجتها -هم في السابق ما كانوا يجعلون قضاء الحاجة في بيوتهم، أي: ما كان في البيت كنف - الكنف جمع كنيف، والكنيف: هو دورة المياه (الحمام)، ما كانوا يجعلونه من أجل الرائحة وكذا، ليس مثل اليوم هناك المجاري والمواسير وكذا-.

فكانت النساء إذا أردن الاغتسال أو أردن قضاء الحاجة يخرجن إلىٰ المزارع مثلما يفعل الآن في بعض القرىٰ ويقضين حاجتهن ويعُدن.

فكانت تأخذ معها الزبير تذهب به إلىٰ المزرعة في الليل؛ لأنهن كن يخرجن في الليل حتىٰ لا يراهن الرجال، فإذا وصلت إلىٰ المزرعة قالت له: قف هنا ولا يزال

عمره ست سنوات أو سبع. تقول: قف هنا وأنا سأذهب لقضاء حاجتي، فيلتفت الولد فإذا ليل وظلام فإذا أراد أن يبكي. قالت: ألست رجلاً؟ تحمل. كن رجلاً بطلاً. قف هنا وتوقفه في ظلمة الليل وتذهب إلىٰ مكان.

هي طبعًا تراه لكنه لا يراها، تختبئ وراء شجرة وتتوضأ وكذا وكانت تعود إليه، فالولد مع كثرة التدريب صار ما يخاف ووصل عمره إلىٰ اثنتي عشرة سنة، فكان عمه يعذبه علىٰ الإسلام، لماذا تسلم -وكان عمه- وهذا الولد عمره اثنتا عشرة سنة كان يعلقه في البيت بيديه، ويأتي بحصير -الحصير هو سعف النخل. أغصان النخل، السعف إذا صار يابسًا يكون له رائحة مؤذية ودخان لذلك يقولون: نار ساعفة؛ لأنها تشتعل بسرعة وتنطفئ بسرعة.

فكان يأتي يعلق الولد في السقف وعمره اثنا عشر عامًا فقط، لكن انظر إلىٰ التربية التي ربته عليها في البداية، ثم يأتي بهذا الحصير ويحرقه تحته فيبدأ الدخان يتصاعد علىٰ الولد، والعم يقول له: ارتد عن دينك. سب محمدًا. افعل كذا، وهو يأبىٰ عليه ذلك.

أرأيت تربية الأم لأولادها كيف تنتج لك رجالاً يقودون الأمة، الزبير وعمره اثنتا عشرة سنة في يوم من الأيام سمع أن النبيﷺ أُخذ -ما علاقة القرابة بين الزبير وبين النبي عليه الصلاة والسلام؟

النبيﷺ ابن خاله والزبير ابن عمتهﷺ لأن عبد الله بن عبد المطلب أبو النبي ﷺ هو أخو صفية بنت عبد المطلب- فسمع الزبير أن النبيﷺ أُخذ يعني أن الكفار أخذوه لقتله أو كذا، فالتقط سيفًا عنده في البيت وخرج من البيت وانطلق يبحث في طرقات مكة.

هذا قبل الهجرة يبحث في طرقات مكة وهو عمره اثنتا عشرة سنة.

يا جماعة بالله. قارن اليوم هذا بشبابنا فمع الأسف الآن والله فعلاً تجدهم تجاوزوا العشرين وما تجد عندهم مثل هذه الشجاعة أحيانًا.

بل أظن صاحب اثنتي عشرة سنة الآن تجده يقول لعمه: كيف أرسل البلوتوث كيف أستقبل. كيف أدخل الشات في الإنترنت، يلبس كذا، وأعمل القصة الفلانية؛ لكن اللوم في التربية، ليس على الأولاد فقط. نحن أحيانًا نقول: يا أخي الأولاد فسدوا، أنت فسدت لذلك فسد أولادك.

أحيانًا، يأتيني بعض الآباء يشتكي من ولده فأنظر إليه وهو يقول: يا شيخ الولد عاق والله يا شيخ، إنه يقول لي: الله يلعنك ويقول لي كذا وكذا.

أحيانًا، يكون الولدُ أكثرُ من فرط فيه وجعله يصل إلىٰ هذه المرحلة من السوء في الألفاظ والأفعال -هو الأبُ نفسه أو الوالدان، حتىٰ الأم أحيانًا مع الأسف.

فإذا رحت تتأمل وجدت أن الأب والأم أصلاً ما مارسوا أي نوع من أنواع التربية ولا تعبوا، بل رباه التليفزيون، ورباه الإنترنت، ورباه الشارع، وربته المقاطع التي يستقبلها في جوّاله، وربته المدرسة وأولاد الشوارع، ثم بعد ذلك أنت لا تجني من الشوك العنب.

الزبير كان بطلاً كما ذكرنا وفي مكة كان له بطولات.

هاجرت به أمه إلىٰ المدينة، تربية صفية للزبير جعلت الزبير يربي ولده عبد الله بن الزبير مثل هذه التربية.

ترىٰ كيف يحصل الخير مثلما قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا﴾ [الكهف:٨٢] لما جاء الخضر مع موسىٰ إلىٰ جدار سيقع وأقاماه. ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف:٧٧].

أنت عملت مجانًا، قال: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ [الكهف:٨٢]، خشيت أن يقع الجدار وهم صغار ويأخذ الناس الكنز، فقلت: نجعل الجدار يبقىٰ عشر سنوات زيادة حتىٰ يكبرا ثم يحفرا عن كنزهما، قال: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا﴾ [الكهف:٨٢].

يقول ابن كثير في تفسيره: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا﴾ [الكهف:٨٢]: المباشر ولا الذي فوقه

ولا الذي فوقه كان أبوهما السابع صالحًا، من أجدادهم. الجد السابع فانظر لما صلح الجد السابع بقي تأثير هذا الخير والصلاح حتىٰ في الذرية السابعة مثلما جاء من بعض الآثار الإسرائيلية أن الله تعالىٰ، قال: أنا الجبار إذا رضيتم رحمت ورحمتي تسع كل شيء، وإذا عصيتهم لعنت ولعنتي تبلغ السابع من الولد.

فلا شك أن صلاح الآباء ينفع الأبناء.

انظر صلاح صفية؛ لذلك أنا أدعو جميع أخواتنا إلىٰ أن يقتدين يا جماعة بهؤلاء.

أنت تريدين وتبكين علىٰ الإسلام ويسوءك أمر الإسلام الآن وما وصل إليه، ربما بعض من الضعف من عند أولادك فحاولي أن تعملي لتزيلي هذا الضعف ليرفعوا هذا الهم عن الأمة.

أعدي أولادًا بحفظ القرآن، أعديهم ليصبحوا مثلاً مخترعين ليصبحوا أطباء ماهرين.

احرصي علىٰ أن يكون أولادك هم بصمتك لهذا الدين.

صفية اشتغلت في ولدها كما ينبغي فأصبح الولد كما ذكر عنه في السير.

كيف كان يفعل الزبير مع ولده عبد الله؟

يقولون: لما وصل عبد الله بن الزبير إلىٰ عمر اثنتي عشرة سنة، والأب تزوج طبعًا بعدما كبر وهاجر إلىٰ المدينة قالوا: كان إذا ذهب الزبير إلىٰ المعارك يأخذ ولده عبد الله معه.

اثنتا عشرة سنة: وكان يدخل به في المعركة يركبه وراءه علىٰ الفرس يقول: تمسك بي، ويأتي الولد صاحب الاثني عشرة سنة متعلقًا في أبيه من الخلف والزبير يقاتل والولد يرىٰ الدماء والصياح؛ لكن ما يستطيع أن يقاتل؛ فيداه صغيرتان وجسده ضعيف، فمنذ صغره تعود هذا الحادث.

قالوا: فلما وصل عمره إلىٰ ست عشرة سنة أو سبع عشرة سنة، عبد الله بن الزبير هو الوحيد من الصحابة الذي كان يقاتل بسيفين.

كان يثبت الفرس برجليه يتمسك بفخذيه ورجليه علىٰ الفرس ويقاتل بسيفين يقاتل باليسرىٰ وباليمنىٰ.

لكن انظر إلىٰ تربية صفية الأساسية تربيتها للولد ثم انظر إلىٰ تأثيرها أيضًا حتىٰ في الذرية التي تأتي من بعدها.

صفية أيضًا كان عندها قوة في الثبات أمام المصائب بشكل منقطع النظير؛ وننتبه لذلك يا جماعة فلو كان النبي عليه الصلاة والسلام أمام مجتمع متهلهل ضعيف الشخصية لما استطاع أن ينشئ الإسلام إلا أن يشاء الله تعالىٰ أو إلا أن يأتي الله تعالىٰ بقوم آخرين له.

النبي ﷺ يرجع من معركة أحد وقد قتل من الصحابة سبعون، ومع ذلك يرجع فيرىٰ أمامه نساء كأنهن جبال. خذ مثلاً صفية ماذا فعلت؟ في معركة أحد قتل سبعون بين يدي النبي ﷺ ثم هؤلاء السبعون ليسوا سبعين من عامة الصحابة، بل هؤلاء من خيارهم، ذلك لأن النبي عليه الصلاة والسلام أساسًا لما دعا الصحابة للخروج للقتال؛ خرج معه تسعمائة وخمسون، لما خرج التسعمائة والخمسون وصلوا إلىٰ مكان المعركة، كان معهم مجموعة من المنافقين يقولون: ارجعوا، المسألة قتال صدقًا نحن ظننا المسألة غنائم مثل معركة بدر، قتال سريع وغنائم وما غير ذلك ورجعوا؛ مع أنهم في بدر خرجوا لأجل القافلة ما خرجوا لأجل القتال ومع ذلك قاتلوا ونصرهم الله تعالىٰ لم يعودوا بغنائم ولكن رجعوا بنصر.

فالمنافقون ظنُّوا أن أحدًا فيها غنائم ولما وصلوا قالوا: لا والله يا رسول الله أنا مشغول أنا كذا فرجع عبد الله بن أبي بن سلول ومعه ثلاثمائة شخص؛ فكم بقي من التسعمائة والخمسين؟ ستمائة وخمسون فقط، فالذين بقوا هم الصفوة بعد الصفوة.

وكان ممن قُتل أسد الله ورسوله حمزة بن عبد المطلب البطل رضي الله عنه ، لما قتل أقبلت هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان، وكان حمزة قتل أباها فأقبلت وقد قتله وحشي بن حرب، أقبلت وأخذت السكين وشقت بطنه.

وأسلمت بعد ذلك وعفا الله عما سلف ﵂، جاءت وشقت بطنه، ثم أخرجت كبده من القهر وأكلت منها.

طبعًا هي لم تستسغها ألقتها من فمها ثم جدعت أنفه ثم قطعت أذنيه ووضعتهما في خيط.

وبعدما انتهت المعركة نزل النبي ﷺ إلىٰ موتىٰ أصحابه يعرفهم: هذا عبد الله ابن حرام والد جابر، وهذا حمزة عمي وهذا... ويراهم النبي عليه الصلاة والسلام علىٰ هذا الحال، وقال ﷺ في حمزة: «سيد الشهداء حمزة».

في هذه الأثناء -أحد قريبة من المدينة أصلاً أنت الآن عندما تكون موجودًا في مسجد النبي عليه الصلاة والسلام، ربما تستطيع أن تشاهد جبل أحد لأنه ليس بعيدًا؛ خرج النساء والرجال اللذين في المدينة إلىٰ مكان المعركة يمشون؛ فأقبلت صفية عجوزًا كبيرة، وأول ما أقبلت رآها النبي ﷺ من بعيد وحمزة ممزق وكبده ملقية أمعاء، وممثل به.

فقال النبي ﷺ: «يا زبير رد العجوز» ردها. صعب أن ترىٰ هذا وقد يحصل لها الآن صدمة نفسية أن ترىٰ أخاها علىٰ هذا الحال.

قال: ردها فأقبل الزبير قال: يا أماه ارجعي. قالت: إليك عني. هي بطلة ربما أكثر منه.

قال: يا أماه ارجعي. قالت: إليك عني ودفعت الزبير وأقبلت. قال: يا أماه رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي. قالت: رسول الله أمرني. قال: نعم، هو رسول الله ابن أخيها وهي عمته.

قالت: سمعًا وطاعة وقفت ثم قالت: لكني قد بلغني ما فُعل بأخي أنتم خائفون أن أراه أنا أعرف ما حدث له. فنظر النبي ﷺ إليها وقال: «دعها».

فما دامت تدري وهي متصورة الواقع فلن تكون صدمة إذًا، فجاءت ونظرت إلىٰ حمزة الأنف مجدوع والآذان مقطعة والدم يسيل من هنا ويسيل من الأنف ويسيل من

الرقبة والبطن ممزق وربما وطئته الخيل.

حمزة أخي نظرت إليه فما بكت، قالت: اللهم إني أحتسبه عندك، اللهم إني أحتسبه عندك فقط وأعطته ظهرها ومشت.

وكانت قد أتت بكفن له يكفن فيه، فهذا موقف مبكٍ لصفية وهذا ترىٰ أخاها علىٰ هذا الحال.

وأنا أوجه من هذا المكان رسالة إلىٰ كل بلدان المسلمين التي ربما ابتلوا بحرب عليهم.

إخواننا في فلسطين، إخواننا في العراق، في أفغانستان، في الصومال، في كشمير، في كل بلد يقع علىٰ المسلمين فيه حروب.

ينبغي يا جماعة ألا تكون المرأة حائلاً دون نصرة الإسلام، بل ينبغي أن تبين لزوجها وتبين لولدها أنك إذ تصبر وتجاهد في سبيل الله رجاء إعلاء كلمة الله فأنا أكون جبلاً أصبر.

والأمر ينعكس إذا كان الإنسان يعلم أنه ستنوح عليه النساء وتشق جيوبهن وربما فقدت أعصابهن؛ لكن الصحابي كان يقاتل ويعلم أن وراءه نساء جبالاً جبالاً فعلاً تصبر علىٰ المصائب التي تنزل بها.

لذلك كانت صفية يا جماعة مثالاً إلىٰ اليوم نذكره.

ترون امرأة ماتت من أكثر من ألف وأربعمائة سنة ونحن إلىٰ اليوم نذكرها وسيظل الناس يذكرونها إلىٰ اليوم بمواقفها هذه التي استطاعت فيها أن تثبت فعلاً للناس أنها تستحق أن تكون عمة لرسول الله ﷺ.

يا شيخ، من باب الحرص علىٰ تربية الأطفال نلجأ إلىٰ الخشونة في تربيتهم أسوة بما قال عمر بن الخطاب: اخشوشنوا فإن النعمة لا تدوم.

الحقيقة: هذا أمر مهم لا أقول: خشونة ولكن الجدية في تربية الطفل والواقعية،

ألا يربىٰ الطفل دائمًا علىٰ الدفع وعلىٰ اللباس المترف، وكلما أراد شيئًا أخذه وإذا أراد غيره نفذ طلبه.

لا بد أن يُمنع الولد أحيانًا من أشياء حتىٰ ولو بدون سبب حتىٰ لو تقول: (لا) من باب أن يتعود أن يسمع كلمة (لا).

لا يتعود الطفل منذ صغره أنه كالزبدة التي في اليد نخاف عليها أن تذوب. لا بل أنت كن كالحجر الذي يخالط الأرض؛ لأنك خلقت أصلاً من التراب، فلا بد أن تكون فيك من هذه الشدة في تعاطي أمور الحياة.

بعضهم يا شيخ يقول: أنا حرمت في الصغر مثلاً من الألعاب والترفيه فأحب أن أعوض أولادي عن أشياء أنا حرمت منها؛ فتجده يصرف في هذه الأمور ببذخ في السفر في الألعاب في الملابس، فما قولك في هذا؟

أحسنت هذه المشكلة يا أخي كما قيل: كلا طرفي الأمور ذميم. بمعنىٰ أننا لما نتكلم عن طريقة تربية صفية لولدها فهذا لا يعني أنا ندعو إلىٰ الشدة الدائمة ولا ندعو أيضًا أن يكون رخوًا.

لكن أنا أعطيكم مثالاً واقعيًا: الآن لو أنك بالليل ستنام ثم لاحظت مثلاً أن الأنوار مضاءة في فناء المنزل مثلاً فقلت لولدك الذي يدرس في السادسة الابتدائية.

يعني عمره مثلاً ربما عشر سنوات اثنتي عشرة سنة قلت: يا خالد انزل أطفئ الأنوار التي في الحوش ماذا يقول؟ يقول: خائف، خائف من ماذا؟ أنت في بلد مخدرات وخمور كل يوم عشرون ألف جريمة في البلد؟

أنت في بيتك والباب مقفول في الخارج. اذهب أنا أحيانًا أقولها لأولادي فيقولون: أبي خائف أقول له: تعال خائف من ماذا؟ فعلاً أعطني الاحتمالات ماذا يمكن أن يصير لك؟ ربما يوجد حرامي، كم في المائة تتوقع أن يكون فيه حرامي؟ لا. يمكن فيه قطة. وإذا صار فيه قطة تخاف منها أنت؟ انزل الآن وكن رجلاً، وإلا فسترىٰ غدًا ما أذهب بك إلىٰ كذا وكذا.

وينزل هو أول ما ينزل أول مرة يكون خائفًا مائة في المائة. غدًا ينزل وهو خائف تسعين في المائة، ثم تقل النسبة بإلىٰ أن يصبح نزوله عاديًّا مثلما كانت تفعل صفية مع ولدها الزبير، تخرج به وتقول له:

قف هنا وينتفض حتىٰ تنتهي أمه من قضاء حاجتها؛ لكن بعد عشرين مرة أو ثلاثين أصبح هو بنفسه يذهب في الظلام ويفعل ويرجع. انظر إلي القدوة فهي لها تأثير قوي في الأولاد.

هناك مسألة مهمة أذكرها قبل أن أنتهي وهي: **أن صفية كانت أيضًا بطلة في إنقاذ المواقف، مثاله:**

لما اجتمعت قريش لأجل غزو المدينة وحفر النبي ﷺ الخندق كان عرضه أربعة أمتار علىٰ طول جهة من جهات المدينة؛ فتجمع الصحابة كلهم عند الخندق لأجل أن يصدوا عشرة آلاف مقاتل قادمين، والصحابة لا يتجاوزون ألفين أو ثلاثة آلاف.

وكان النبي عليه الصلاة والسلام وضع مجموعة من النساء فيهم نساء المؤمنين وفيهم زوجاته وعماته وضعهن في حصن قلعة وقال: ابقين، وأغلق الأبواب عليهن ولم يضع عندهن أي حارس؛ لأن الرجال كلهم يحتاجهم في القتال.

فأقبل نفر من يهود بني قريظة، دخلوا المدينة قالوا: جيد المدينة ما فيها حراس ما فيها رجال، كلهم مشغولون تعالوا نعبث ونسرق من الأسواق ونعبث بالنساء، فأقبلوا إلىٰ الحصن -اليهود طبيعتهم جبناء- فلما أقبلوا إلىٰ الحصن أرادوا أن يدخلوا لكن قالوا: لا فقد يكون فيه رجال. إذن كيف؟

فأرسلوا واحدًا منكم يتأكد، فدخل واحد من اليهود من أحد الأبواب -دبر نفسه ودخل- فرأته صفية بنت عبد المطلب من فوق غرفة من غرفات الحصن، رأته وعمرها ثلاث وستون سنة قالت: الآن لو صرخت فسيفزع النساء والصبيان وإذا ظهر صراخ فسيعلم أنه لا يوجد رجال، وهي ترىٰ أصحابه بالخارج ينتظرون الخبر منه.

فماذا أفعل الآن؟

ما معها سيف ما معها شيء، لكن معها خنجر. فهل تطعنه بخنجر وهي عمرها ثلاث وستون سنة وهو رجل شديد؟ فأقبلت إلىٰ عمود من أعمدة الغرفة -هم كانوا يجعلون لها أحيانًا ثمانية أعمدة، أي: أعواد. أعواد سميكة فأقبلت إلىٰ أحدها- ونزعته وحملته معها ونزلت تحت وأقبلت وإذا اليهودي ملتفت إلىٰ جهة ورفعت العمود وضربت رأسه، ووقع الرجل شبه مغمىٰ عليه ثم ضربته مرة ثانية علىٰ رأسه فلما خمد أخرجت الخنجر- باسم الله الله أكبر- وقطعت رأسه وأخذت هذا الرأس وألقته من فوق الجدار علىٰ أصحابه.

رسالة: لما وصلتهم الرسالة وهم ينتظرونه أن يقول لهم: اهجموا وما كانت الرسالة إلا رأسه يأتيهم، هذا رأس فلان فقالوا: والله لقد ترك محمد جيشًا ليحمي من بقي في المدينة.

وكان هذا الإنقاذ بتوفيق الله تعالىٰ ثم بفعل صفية.

لذلك أنا أقول لأخواتنا اليوم: لا بد أن يكون عندها شجاعة لا أقصد أنها تقتل ولا تفعل كذا؛ لكن أعني الجرأة في التعامل مع المواقف فلا تكون المرأة ضعيفة دائمًا حتىٰ لو تعرض لها رجل في سوق، ينبغي أن يكون المرأة عندها قوة فتثبت وتدافع عن نفسها.

يا شيخ، أحب أن أعقب علىٰ هذا الموضوع.

إن الفكرة الحالية لدىٰ معظم النساء الآن أن حكمة المرأة وقوتها تتعارض مع أنوثتها، فتصبح عندهم الأنوثة ضعفًا وبكاء وعدم تدبير للأمور.

قدرة المرأة علىٰ أن تجمع بين الأمرين يمكن أن يكون. كما قيل:

إذا قيل حلمًا قل فللحلم موضع ... وحلم الفتى في غير موضعه جهل

فكون المرأة تستطيع أن تجمع بين الأمرين: أن يكون عندها شدة في مواقف الشدة، وهدوء ولين وأنوثة في مواقفها. فهذا بلا شك من عقلها وقدرتها.

۞۞۞

عاتكة بنت زيد

المرأة هي عاتكة بنت زيد بن عمر بن نفيل، وكانت حسناء جميلة، وهي من المسلمات الأولات وكانت أيضًا عاقلة حكيمة في تعاملها فملكت زوجها ليس فقط بحسنها وجمالها،

وهذا أمر مهم يجب أن تنتبه إليه أخواتنا، أن المرأة إذا أرادت أن تملك الآخرين سواء قلب زوجها أو قلب صديقاتها أو غير ذلك، أنه لا بد أن يكون لها تأثير، وليس شرطًا أن يعتمد هذا علىٰ شكلها علىٰ وجهها.

فنقول للمرأة التي ليست جميلة: أنت فاشلة في حياتك.

لا، لا ينبغي هذا؛ لأنها يمكن أن تملكهم بحسن عباراتها بلطفها كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: إن من البيان لسحرًا، يعني من شدة البيان واللطف مع الناس.

تزوجت عبد الله بن أبي بكر فأحبها حبًا عظيمًا حتىٰ إنه من شدة حبه لها شغلته عن الصلاة والغزو.

وأصبح الرجل يؤذن للصلاة وهو جالس عندها لا يستطيع أن يفارقها من شدة محبته لها وتعلقه بها، ثم يخرج إلىٰ الصلاة وأول ما ينتهي الإمام من الصلاة يرجع مباشرة إلىٰ البيت ويجالسها.

فلما رأىٰ أبوه -أعني أبا بكر- هذا التعلق الشديد حاول أن ينصحه.

يا بني، إلىٰ متىٰ هذا التعلق؟ يعني:أنت انشغلت بها حتىٰ عن الصلاة، عن الغزو في سبيل الله، عن...

فكان يقول: يا أبي هذه امرأتي.

قال: (يا بني طلقها) ما دامت تشغلك عن دينك.

قال: يأبي كيف أطلقها وأنا أحبها؟

فأصر عليه أبو بكر حتىٰ طلقها.

يقولون: فتبعتها نفسه، يعني: تعلقت نفسه بها وأصبح يفكر فيها ليلاً ونهارًا حتىٰ إنه كان يقول:

أعاتـك لا أنـسـاكِ مـا مـر شـارق ومـا نـاح قمـر الحمـام المطـوق

وبدأ يقول شعره حتىٰ قال:

فـلم أر مثـلي طلـق اليـوم مثلهـا ولا مثلهـا مـن غيـر جـرم تـطلـق

يقول: ما ذنبها؟ هي ماذا فعلت كي أطلقها؟ أأطلقها لأني أحبها؟ فأخذ يبكي ويكرر ويقول:

ولـم أر مثـلي طلـق اليـوم مثلهـا ولا مثلهـا مـن غيـر جـرم تـطلـق

يقولون: فلما رأىٰ أبوه حاله علىٰ هذا أمره بمراجعتها فراجعها فاستمر معها حتىٰ قتل رضي الله عنه شهيدًا في غزوة الطائف.

يقولون: فبكت عليه بكاء شديدًا حتىٰ كانت تقول: رزقت بخير الناس بعد نبيهم وبعد رسول الله وبعد أبي بكر، وجعلت تنشد فيه الأشعار حتىٰ قالت بعد ذلك:

فآليـتُ لا تَنْفَـكُّ عَيْنِـي سـخِينَةً عليـكَ، ولا يَنْفَـكُّ جِلْـدِي أغْبَـرا

أليت: حلفت. مثلما تقول أنت: أليت عليك أن تفعل كذا، أي: حلفت عليك. فهي تقول: أقسمت لا تنفك عيني سخينة، سخينة يعني دامعة، لأصب الدمع ليلاً ونهارًا ولن أنساك أبدًا.

فآليـتُ لا تَنْفَـكُّ عَيْنِـي سَـخِينَةً عليـكَ، ولا يَنْفَـكُّ جِلْـدِي أغْبَـرا

ولن أغتسل ولن أتنظف للخطاب، فأنا لا أريد أي رجل غيرك، فانتهت عدتها فخطبها عمر رضي الله عنه، قالت: يا عمر، أنا حلفت أني لا أتزوج غيره.

قال: لم تحرمين ما أحله الله لك؟ وهي كانت بنت عم عمر.

قال: أنا ابن عمك، وهو مات الله يغفر له وُيرحمه، فتزوجيني ولك علي أن أكفر عن يمينك.

قالت: كفر عن يميني، ودخل بها عمر.

فلما كان في ليلة دخلتها أقبل علي رضي الله عنه إلىٰ عمر، والصحابة كان بينهم مزح وتلاطف، قال: يا عمر تأذن لي أن أقول لها كلمتين.

وكان في ظن عمر أن عليًّا سيبارك لها، طبعًا سيكلمها عبر النافذة، فهي في البيت الآن متزينة لزوجها ليلة الدخلة فظن عمر أن عليًا سيأتي بالنافذة ويقول: مبارك والله يوفقكما، قال: قل لها، فأقبل علي عند النافذة وقال:

فآليتُ لا تَنْفَكُّ عَيْنِي سَخِينَةً عليكَ، ولا يَنْفَكُّ جِلْدِي أغْبَرا

فبكت، إذ ذكرها أنها حلفت ما تتزوج غيره، فقال: إلىٰ هذه الدرجة، وبعد أربعة أشهر وعشرا يكون العرس هكذا سؤيعًا؛ فبكت، طلع عمر علىٰ علي قال: يا أخي خربت الزواج علينا.

المقصود: أنها بقيت مع عمر حتىٰ قتل عمر رضي الله عنه شهيدًا عندما طعن وهو يصلي بالناس.

فلما انتهت من عدتها؛ خطبها الزبير بن العوام، قالت: أنا لن أجد بعد عمر وعمر...

قال: أنت تزوجيني وسيسر الله الأمر فتزوجت الزبير فسعدت به ولبثت معه وقتًا ثم بعد ذلك استشهد عنها الزبير.

فجاء وخطبها علي رضي الله عنه، فلما خطبها علي قالت: يا أبا الحسن أنت خير الناس وسيد الناس، وأنا لا أريد أن أفجع المسلمين بك.

تقول: يكفي ما كان، أنا تزوجت عبد الله بن أبي بكر، واستشهد، وتزوجت عمر واستشهد، وتزوجني الزبير واستشهد.

تتزوجني أنت وبعد وقت تقتل؛ لا، اتركني وحالي.

فهذه المرأة كانت من المتميزات بأمور:

منها: أنها كان عندها قدرة علىٰ اكتساب محبة الزوج عندما يدخل بها من خلال أمور معينة.

الله تعالىٰ عندما ذكر ما يتعلق بالزوجين قال ﷻ: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾[التغابن:١٤].

هل يمكن أن تكون زوجتي عدوًا لي، هل يمكن أن يكون ولدي عدوًا لي؟ نعم، وسوف نذكر ذلك بعد قليل.

ومنها: قدرة هذه المرأة علىٰ أن تملك قلب زوجها، فما الطرق التي كانت تبذلها حتىٰ استطاعت بذلك أن تملك قلب زوجها حتىٰ إنه لينشغل عن الصلاة لأجلها: يؤذن للصلاة وهو جالس معها يتحدث ويتجاذب أطراف الحديث.

فيا جماعة ما الفن الذي وصلت إليه إلىٰ درجة أن الرجل ربما تقام الصلاة وهو جالس عندها، ثم أنه يصلي ويعود إليها مباشرة؟

ومنها: تكرار زواج المرأة من عدة أزواج، هل تستطيع المرأة أن تتغلب علىٰ الحب الأول وأن تنشئ حبًا جديدًا في كل مرة.

ومنها: العلاقات الزوجية التي تنبني علىٰ حب سابق أحيانًا، طبعًا نعلم أن عمر رضي الله عنه لم يكن بينه وبينها علاقات عاطفية من قبل وبالتالي لا نقول: والله كان بينهم علاقة، فلما مات زوجها جاء عمر، قال: هيا أتزوجك، فأنا ابن عمك مثلاً، أو أن الزبير كان بينه وبينها علاقة، كلا لم يكن هذا واقعًا.

لكن الذي أعنيه أن بعض الزوجات اليوم التي تعتمد علىٰ علاقات سابقة بين الرجل والمرأة، إما هاتفية وإما من خلال الانترنت ماسنجر والشات وغيرها وإرسال إيميلات واستقبال إيميلات أو عبر الهاتف أو نحو ذلك.

هذه العلاقات التي تكون بين الزوج وزوجته من قبل الزواج؛ في كثير من الأحيان يذوب هذا الحب المزعوم، كما يذوب جبل الجليد الذي تراه عظيمًا، ثم ربما إذا نمت واستيقظت من الغد لا ترىٰ شيئًا.

فأين كان هذا الجبل؟ ذهب لأنه كان جبلاً من جليد ليس من صخر.

لماذا يذوب هذا الحب الذي في القلوب، هذه الأسئلة ونحوها ستكون محور نقاش مع الشباب، وأيضًا إذا يمكن للشباب أن يكون لهم مشاركات أخرىٰ.

الحلقة رائعة وأنتم أروع.

فضيلة الشيخ، دعني أتطرق إلىٰ موضوعين:

الموضوع الأول: **الحب قبل الزواج ونظرة المجتمع له، ودائمًا نسمع فيما بيننا كشباب من يقول: هناك شاب يحب شابة ويقولون: نهاية الحب الزواج.**

ثم يكون الواقع: **أن الحب ينتهي ويبدأ العذاب، وكم من قصص سمعناها في هذا الموضوع.**

الشيء الثاني وهو الأهم، **كيف يستطيع الزوجان أن يجعلها الحب يدوم بينهما بعد الزواج، نحن سمعنا عن قصة قيس وليلىٰ وعنترة ومحبوبته في قصص متتالية في التاريخ لكن كيف يستطيعون أن يحافظوا علىٰ حبهم.**

بداية: **أنا أنبه إخوتي وأخواتي إلىٰ أننا الآن لا نتكلم في أشياء ومعانٍ بعيدة؛ لأني عادة في برامجي لا أحب مجرد التنظير حتىٰ إننا في إحدىٰ الحلقات تكلمنا عن العنوسة، فقال أحد الشباب: يا شيخ، المفترض أن وزارات الشئون الاجتماعية تفعل كذا وكذا.**

فقلت: **دعك من المفترض أن وزارة الشئون الاجتماعية تفعله وما ينبغي علىٰ الوزير فلان فعله.**

لكن نحن نتكلم أنا وأنت فيما نستطيع أن نفعله،هذا هو الكلام الواقعي الذي يورث عملاً، أما إذا كانت المسألة تنظيرًا ونحن جالسان فهذا لن يُجدي.

مثل السؤال المطروح الآن: ما الذي يحافظ علىٰ الحب بين الأزواج؟

نقول: **أن يتقيا الله ونعطي كلامًا عامًّا، فهذا لا يفيد، ولا يستفيد الناس منه.**

فأنا حقيقة أريد الإخوة والأخوات الذين يشاهدوننا بعد أن ينتهي البرنامج يقولون: والله أنا استفدت من هذه الحلقة عشر فوائد سأطبقها مباشرة،

أما عندما يستفيد فوائد عامة فهذا ربما لا يؤدي إلىٰ نفع مباشر.

السؤال الذي سأله الأخ عمر مسألة وجود علاقات أصلاً بين الشاب والفتاة قبل الزواج وهل هذه تعين علىٰ أن يكون الزواج ناجحًا ويكون الزواج حقيقيًا فعلاً فيه نفع أم لا؟

هذا يذكرني مع الأسف ببرنامج في إحدىٰ القنوات يبث في إحدىٰ الليالي تقدمه إحدىٰ الفتيات تقول في أثناء كلامها وكانت تتكلم عن الزواج وموقف الأهل من تزوج البنت ثم كانت تقول:

إذا كنت تريدين شخصًا معينًا ولم يوافق أهلك فاهربي معه، ما أقبح هذا، فهي دعوة إلىٰ البغاء صريحة، اهربي معه.

من سيعقد لها العقد الشرعي؟ والله يقول: ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ [النساء:٢٥]، إلىٰ غير ذلك من الأمور، وهذا ذكرناه أظن في بعض الحلقات.

المقصود من هذا: أن الفتاة أحيانًا قد يحتال عليها شاب وقد رأيت مجموعات من هؤلاء الشباب حقيقة إما طلابًا عندي في الجامعة أو ربما يصلون معي ويشكون إلىٰ بعض الأمور.

فأحيانًا يأتي بعضهم إلي ويشكو لي أو يذكر لي أنه متعلق بفتاة معينة، فأقول له: تزوجها، فكان يلتفت إلي ويقول: يا شيخ أنا أتزوج هكذا، ويذكرها بلفظ البغي باللفظة العامية. أنا أتزوج بنت كذا.

أقول: ألست في كل ليلة تجلس ساعتين وتقول لها: أحبك أحبك؟

قال: بلىٰ. لكنها سعة صدر وهكذا؛ ولكن إذا كانت المسألة جدًّا وزواجًا وأمًّا وأولادًا وفتاة سأدخلها في عائلتي فلا والله يا شيخ.

حتىٰ إن واحدًا منهم الآن الله يوفقه منذ عشر سنين متزوج؛ كان من طلابي قديمًا وأعرف أنه ربما كان عنده عظائم مع الفتيات وبعض أنواع المعاصي.

فلما أراد أن يتزوج جاءني، قال: يا شيخ أريد أن تبحث لي عن زوجة، قلت: ابحث أنت لنفسك، افتح هاتفك الآن أخرج لك خمسين اسمًا علىٰ الأقل. وتحب أن أبحث لك عن زوجة؟

قال: **كلهن لا يصلحن.**

قلت: **ألست كل ليلة تقول: أحبك وما أقدر أن أنام حتىٰ أرىٰ صورتك؟**

قال: **والله يا شيخ هذا كلام؛ لكن أنا أشترط في زوجتي أن تكون حافظة القرآن.**

قلت: **أنت؟**

قال: **نعم والله. وهو شاب غير حريص علىٰ الصلاة، هو يصلي؛ لكن لا يوجد عنده حرص جيد ومدخن وعنده بعض الأمور...**

ثم تفاجأت أنه يدعوني إلىٰ زواجه بعدها بستة أشهر تقريبًا، وإذا به تزوج فتاة حافظة لكتاب الله والآن هي أم أولاده وله منها طفلان أو ثلاثة فيما.

انظر لما أراد أن يتزوج لم يرض بواحدة تعطىٰ عواطفها، لأي إنسان.

فأنا حقيقة ضد مسائل العلاقات، لا، لابد أن تكوني أيتها الفتاة مثلما وصف النبي ﷺ بالقوارير، قطعة زجاج، أدنىٰ شيء أدنىٰ غبار أدنىٰ أذىٰ يصيبك يتضح عليك فينبغي علىٰ البنت أن تكون جادة.

السؤال الثاني: **وهو مسألة الحفاظ علىٰ الحب بعد الزواج.**

المشكلة أحيانًا: **أن بعض الزوجات تتلطف مع زوجها في أيام العقد فتجد أنه يعقد عليها العقد الشرعي ويكون الزواج مثلاً بعد أربعة أشهر.**

خلال هذه الأيام، هو يظهر لها أطيب ما عنده وهي تظهر له أطيب ما عندها.

مثلاً تقول له: **أنا أشتهي أكل (الأيس كريم) الفلاني، و(الأيس كريم) الفلاني**

غالٍ، فيقول: لا بأس نشتري لك هذا (الأيس كريم)، لكن بعد الزواج لا يمكن أن يعطيها مثل هذه الأمور.

قبل الزواج ربما إذا بكت راضاها وقال لها كلامًا جميلاً، وبعد الزواج لا يفعل هذا.

وهذا قد يقع أحيانًا في بعض البلدان ويسمونها فترة الخطوبة، أو ربما في البلدان المحافظة التي لا يكون بين الشاب والفتاة علاقة مباشرة إلا بعد العقد الشرعي عليها، عادة تقع مثل هذه الأمور.

أقصد أن كل واحد يظهر للثاني أحسن ما عنده فإذا تزوج كشر كل واحد عن أنيابه وظهرت العصبية والحدة والغضب الذي كان يكبته، إهمالها له ظهر.

صارت ما ترد علىٰ التليفون.

يأتي فيجد الغداء غير جاهز.

يجد ملابسه غير نظيفة.

علاقتها بأمه بعدما كانت تقول: خالتي عمتي أصبحت لا خالة ولا عمة، وأصبحت، تقول له: لماذا تذهب إلىٰ أمك؟ لماذا لا تجلس عندي...إلخ.

وأنا كنت أعجب من علاقة عاتكة مع عبد الله بن أبي بكر مثلاً، من علاقة النبي عليه الصلاة والسلام قبل ذلك مع عائش كيف بلغت العلاقة والحميمية والحب بينهما مبلغه العظيم، لدرجة أن النبي ﷺ لما ينظر إلىٰ وجه عائشة يعرف إذا كانت حزينة وإذا كانت راضية من خلال ألفاظها من خلال نبرة صوتها، يرجعان من سفر فيقول: تسابقيني يا عائشة؛ كل واحد يحاول يدخل السرور علىٰ قلب الثاني.

۞ ۞ ۞

خيركم أنفعكم للناس

جرت العادة أن تكون بصماتنا التي نتكلم عنها مما يجعل الإنسان رقمًا علىٰ

اليمين لا رقمًا على الشمال، وجرت العادة أن تكون بصمات حسية في الغالب ليست معنوية.

فتكلمنا قبل ذلك عن بصمات تتعلق بإصلاح المساجد، وبجمع الكتب التي يستغني أصحابها عنها، وتكوين مكتبات في المساجد أو إيصالها إلى بعض طلبة العلم، أو جمع الطعام من المطاعم التي أغلقت أبوابها آخر الليل وبقي لديها طعام زائد عن حاجتها وتوزيعه على الفقراء.

أما هذا الحديث فسيكون عن بصمة هي في الحقيقة بصمة معنوية، ليست بصمة حسية خالصة، لا تكلفك مالاً أو جهدًا، أو تسبب لك حرجًا كما يقول بعضهم: أخجل يأخي أن أذهب إلى المطعم وأقول: أعطوني الطعام الزائد، أو كما تقول الفتاة: لا أستطيع أن أذهب إلى المسجد وأصلح الباب بالمفكات أو ما شابه ذلك.

كلا، هذه البصمة يستطيعها كل إنسان، فتعالوا بنا نتكلم عن إدخال السرور على الآخرين، ليس فقط على المسلمين بل أنت مطالب أن تعامل جميع الناس التعامل الحسن.

فأثناء بحثي هذا الأمر، وجدت أن ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام بل ما جاء في الكتاب والسنة من الإحسان، لم يكن موجهًا للمسلمين وحدهم بل غيرهم، كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[الأنبياء:١٠٧] للمسلم ولغير المسلم، رحمة للدواب، رحمة للجمادات، رحمة للنباتات.

والذي يتتبع تعامل النبي عليه الصلاة والسلام مع الآخرين يجد أنه لم يكن يخص المسلمين بالشفقة والرحمة والإحسان، وينعكس الأمر إذا تعامل مع الكافر فيعبس في وجهه ويعامل معه معاملة سيئة.

فها هو ذا - يأخي- يدعوه يهودي إلى طعام فيلبي النبي ﷺ دعوته؛ استجابة له؛ فيسر ذلك اليهودي، فلم يقل النبي ﷺ في نفسه: لا. لا أريد أن أدخل سرورًا على

كافر، بل أدخله عليه فما المانع؟ فأنت رحمة للعالمين.

كان عليه الصلاة والسلام يدخل السرور علىٰ كل شيء حتىٰ الدواب، مرّ ﷺ برجلين قد ركبا علىٰ بعيرين ويتحدثان فقال عليه الصلاة والسلام: «لا تتخذوا الدواب كراسي».

يعني: لا تتعب هذه البهيمة، وإذا أردت أن تتحدث فانزل وتحدث، فإن البهيمة تسر وتفرح لما يقل الحمل الذي تحمله، وهي لا تبين ذلك فلن تلتفت وتقول: شكرًا يا رسول الله! لكن حسيًّا وكذا عندما تجد طعامها وشرابها تشعر بنوع من الفرح والأنس والراحة وما شابه ذلك.

وكلمتنا عن كيف نستطيع إدخال السرور علىٰ الآخرين؟

ما الآثار الواردة عن النبي عليه الصلاة والسلام في ذلك؟

ماالجزاء المترتب عليه؟

ما ضوابط المزح مع الآخر؟ ففي السجون أقوام سجنوا؛ لأجل مزح أدىٰ إلىٰ قتل، أو مشاجرة، فكيف كان النبي عليه الصلاة والسلام يمزح ؟ وما طرق المزح التي كان يسلكها؟ وما غايته من المزح؟

كان يمزح أحيانًا للمواساة، وأحيانًا للتحبب، وأحيانًا للدعوة، وأحيانًا للتربية، وأحيانًا لتعزية إنسان مصاب، وأحيانًا لنقل ثقافة الإسلام للعالم الخارجي...

كل هذا مهم، ونعدكم - بإذن الله تعالىٰ- أن نحيطكم به علمًا قدر المستطاع، ومعنا أيضا بعض الطرق التي يمكن للإنسان أن يدخل بها السرور علىٰ الآخرين.

مما لا شك فيه أن الفرحة، والسرور، والأنس، والحبور تقبل القلوب إليه، وتحرص النفوس عليه. نعم ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [النجم:٤٣].

الإسلام دين الفرح والبشاشة؛ «تبسمك في وجه أخيك صدقة»، «وأحب الأعمال إلىٰ الله أن تدخل علىٰ قلب أخيك سرورًا».

وفي فضل إدخال السرور علىٰ الآخرين أحاديث كثيرة، منها قول النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم فيما رواه البيقهي من حديث أبي هريرة: «أحب الأعمال إلىٰ الله تعالىٰ ثلاث: أن تدخل علىٰ قلب أخيك المسلم سرورًا، أو تقضي عنه دينًا، أو تطعمه خبزًا».

وقال عليه الصلاة والسلام كما في حديث ابن عباس: «أحب الأعمال إلىٰ الله بعد الفرائض، إدخال السرور علىٰ المسلمين».

وحديث ثالث رواه الطبراني قال عليه الصلاة والسلام: «أحب الناس إلىٰ الله أنفعهم للناس»، وفي رواية قال: «الخلق عيال الله وأحبهم الىٰ الله أنفعهم لعياله أنفعهم له» عيال الله: فقراء إلىٰ الله، كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة:٢٨] عيلة: فقرًا.

وفي حديث عائشة يقول عليه الصلاة والسلام: «من أدخل علىٰ قلب مسلم سرورًا لم يرض الله له جزاء إلا الجنة» والحديث رواه الخطيب وغيره.

كذلك يقول ابن عباس: «من أدخل علىٰ أخيه المسلم سرورًا، أو أدخل عليه فرحًا في دار الدنيا؛ خلق الله تعالىٰ من ذلك الفرح خلقًا يدفع عنه الآفات في دار الدنيا، فإذا كان في يوم القيامة كان قريبًا منه، فإذا مرت به آفة قال: ما قبلي مدخل؛ يمنع الآفات في الدنيا ويمنعها في الآخرة» أي: يكون مشكلاً بصورة وقريبًا منه.

وهذا حقيقة مصداق أن الإنسان إذا أراد أن يكف الله عنه الشرور من أن يمرض هو، أو يمرض أولاده، أو أن يصاب في ماله، أو أن يصاب في بدنه، أو أن يصاب بالحزن والكآبة؛ فليحرص علىٰ أن يجعل الآخرين يعيشون الحياة التي يتمناها لنفسه بإدخاله السرور، عليهم وإدخاله الفرحة والأنس وألا يكون أنانيًّا كما قال الأول:



إذا بت ريانًا فلا نزل القطر

يقول: ما دامت ريان فلا بأس أن يموت الناس عطشًا، لا بل يكون كما قال الآخر:

ولو أني حييت في الخلد فردًا لما أحببت في الخلد انفرادا
فلا هطلت علي ولا بأرض سحائب ليس تنتظم البلادا

يقول: لو الله تعالىٰ يقول لي: أدخلك الجنة وحدك؛ لقلت: لا ياربي بل أدخل معي الناس، ولو قيل لي: إنه سينزل مطر علىٰ أرضك فقط؛ لقلت: لا يا ربي، لكن أنزل مطرًا علىٰ جميع الناس.

وذلك أن فضل الله تعالىٰ واسع، والله جل وعلا ينعم علىٰ هذا العبد، وينعم علىٰ غيره من الناس.

ومما يذكر أن زرع الإبتسامة في قلوب الناس من أفضل الأشياء الموجودة في الدنيا، وأنها من أفضل الأعمال وأحبها إلىٰ الله بعد الفرائض، وتلك قصة تتعلق بذاكم الموضوع، قصة من أروع القصص وأجملها وهي قصة موثق، لرجل عمره خمسون سنة كان مصابًا بالسرطان، وتعب مع الأطباء، وحاروا في علاجه؛ حتىٰ استشار أحد الشيوخ فيما يفعل؟

فقال له: ابحث عن عائلة محتاجة وتولها بالرعاية؛ فراح يبحث عن العائلة إلىٰ أن لقىٰ امرأة معها ثلاثة أيتام، فأرسل أحد عماله إليهم، ومن الصباح راح يتكفل لهم بكل شيء يحتاجونه، فأكمل أثاث البيت ووفر لهم كل شيء قبل أذان العصر، وانصرف، فسمع الأم تدعو وتقول: اللهم إني أسألك لمن أدخل السرور في قلوبنا أن تدخل السرور في قلبه.

ومع أذان العصر رجع العامل لصاحب المال فقال له: ما الذي حصل؟

والعامل لما عاد وجد الرجل الذي كان طريح الفراش واقفًا فرحًا فسأل صاحب المال عامله عن دعوة هذي المرأة متىٰ كانت؟

قال: عند أذان العصر.

قال: والله العظيم رأيت كأن ملكًا مسح علىٰ صدري في وقت أذان العصر وقمت من الفراش علىٰ تلك الحال التي تراني.

فهذي القصة تبين لك مدى فضل إدخال السرور على قلب المسلم.

سبحان الله! هذا يؤكد ما ذكرناه لما تكلمنا عن الرقية من أن هناك بعض الأشياء، لا بد أن نؤمن أنها من صنع الله ﷻ، وأنها من الغيب وأننا لم نفعل فيها شيئًا. معنا بعض الحكايات لأشخاص شفوا من أمراض حقيقية كأمراض السرطان، وهذا طفل عماني، ذهب به إلىٰ أمريكا وغيروا له الكبد وكان عنده مشاكل في المعدة، - سبحان الله - بالرقية عليه والدعاء شفي تمامًا؛ حتىٰ تعجب الأطباء!

أنا أعلم أن البعض قد يقول: - يا شيخ -، هذا كلام يعقل؟ قياسات وتحاليل طبية ومختبرات لا تجدي شيئًا وأنت تتكلم عما تتكلم.

أقول: نعم أنا أؤمن بهذا ونحن مثقفون ودكاترة جامعة لسنا دراويش يهز الواحد رأسه ويصدق كل شيء، لكن أحيانًا يكون أمامك أشياء لا تستطيع أن تنكرها وهي مؤيَّدة بالأدلة الشرعية، وما دمت مؤمنًا بالأدلة الشرعية فلا بد أن تصدقها.

ونحن نؤمن أن الدعاء يصنع الأعاجيب، فلا يستطيع أحد أن يكذب أن هذا الرجل لما كان مشلولاً ودعي له، وكانت الدعوة في ساعة استجابة؛ استجاب الله ﷻ.

والذي أمر القدمين بأن تشل هو الذي أمرهما أن يمشيا، والذي أمر العقل أن يجن أمره أن يعقل، والذي أمر العين أن تعمىٰ، أمرها أن تبصر. والله تعالىٰ يخلق ما يشاء ويختار.

ولا تظن أنه عندما يقول لك إنسان: فرحك الله كما فرحتني أن هذا يذهب هباء منثورًا.

عندما تقف في محطة البنزين ثم تعبئ سيارتك وقودًا وتقول للعامل: كم

الحساب؟ فيقول: الحساب تسعة عشر ريالًا. فتعطيه عشرين ريالاً؛ فهو يفرح بهذا الريال، وريال منك وريال من غيرك يجعل معه في النهاية خمسين ريالاً أو مائة وهذا بلا شك سرور أدخلته عليه دون أن ترجو من ورائه جزاء.

أحيانًا أدخل بعض المستشفيات فأجد بعض الممرضات عند باب الولادة؛ لأنها زوج أحد المسئولين الكبار، قد يصل عددهن إلىٰ عشر ممرضات، وربما يكون فيهم أطباء ثم يتراكضون إلىٰ الهاتف يبشرونه؛ لأنهم في الغالب يرجون من ورائه مكافأة، أو جزاء أو ما شابه ذلك؛ لكنهن الآن يدخلن السرور عليه مقابل مكافأة، أما أنت فعندما تدخل السرور علىٰ أحد وأنت لا ترجو منه جزاء ولا شكورًا، بل ترجو من الله تعالىٰ أن يعلم أنك أدخلت السرور عليه؛ فتكون فعلت أحد أحب الأعمال إلىٰ الله.

كيف ينظر الناس إلى إدخال السرور ومامشاعرهم حول هذا ؟

من الناس من يراه في الدعاء.

ومنهم من يراه في الابتسامة، والكلمة الطيبة، والنصيحة الرقيقة.

ومنهم من يراه في مساعدته، ومد يد العون إليه.

ومنهم من يراه في التعامل الطيب.

ومنهم من يراه في الممازحة الجميلة، وأن أتواضع له.

ومنهم من يراه في أن أعامله معاملة أحب أن يعاملني بها.

أيها الأحبة الكرام، الإسلام دين يوافق الفطرة فهو يجمع بين الضحك والسرور والحزن والبكاء في أحوال معينة، يجمع بين الجد والهزل.

كان ابن عباس رضي الله عنهما إذا أكثروا عليه المسائل في الأمور الشرعية، يلتفت إلىٰ الناس ويقول: احمضوا لنا - يعني اعطونا - شعرًا، أعطونا قصة، أعطونا نكتة، خففوا علينا من هذا الضغط النفسي الذي علينا؛ فتعالوا نحمض لإخواننا.

ونذكر شيئًا من مزاح النبي عليه الصلاة والسلام مع الآخرين، من وسائل إدخال

السرور أن تعمل في جو لطيف يسر فيه الناس ويأنسون ويضحكون.

وكان النبي عليه الصلاة والسلام من رحمته كما قال جابر بن سمرة إذا صلىٰ الغداة (الفجر) جلس يذكر الله حتىٰ تطلع الشمس يقول: وكان أصحابه يجلسون فربما تذاكروا شيئًا من أيامهم في الجاهلية فيضحكون ويلتفت النبيﷺ إليهم ويتبسم، ما كان يلتفت ويقول: ضحك في المسجد، وقصص الجاهلية؟! ألا يجلس كل واحد في زاوية ويقرأ القرآن ويبكي؟

النبي ﷺ يدرك أنهم يجلسون يوميًا عنده وبالتالي يحتاجون أحيانًا إلىٰ قصص وحكايات؛ فهو كان يدرك أنه لا يصلح أن تضغط الإنسان دائمًا علىٰ حال واحدة، بل لما جاء إليه حنظلة رضي الله عنه وقال: يا رسول الله، نافق حنظلة. قال: «وما ذاك؟» لماذا تقول: إنك نافقت؟ قال: يا رسول الله، نكون عندك فترق قلوبنا ونخشع حتىٰ كأننا نرىٰ الجنة والنار، ثم نذهب فنعافس صبياننا ونساءنا ونمزح ونضحك فننسىٰ كثيرًا، أي: أن حنظلة رضي اله عنه كان يعتقد أن الصواب أن أبقىٰ خشوع القلب وحضوره وبكاءه وشوقه إلىٰ الجنة أربعًا وعشرين ساعة، وممنوع الضحك والمزح.

فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «يا حنظلة ساعة وساعة».

وهكذا الإسلام هكذا الفطرة ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [النجم:٤٣] قال: «ساعة وساعة» ثم قالﷺ: «يا حنظلة لو أنكم تبقون علىٰ ما أنتم عليه عندي لصافحتكم الملائكة بالطرقات» يعني انقلبتم إلىٰ مستوىٰ الملائكة، لكنكم أيها البشر لا بد أن تضحكوا وتمزحوا.

بل كان عليه الصلاة والسلام يمزح مع الصغار، كان أحيانًا يوقف أبناء العباس: كثير بن العباس، وعبيد الله، وعبد الله ثم يقف بعيدًا ويقول: «من سبق إلي فله كذا وكذا».

لاحظ ثلاثة أطفال قال لهم: من سبق إلي فماذا سيفعلون؟ سيركضون إليه صلىٰ

الله عليه وعلىٰ آله وسلم حتىٰ يصعدوا عليه، يقولون: كان ﷺ يقعد لهم فمنهم من هو علىٰ كتفه ومنهم من هو علىٰ ظهره، ويمازحهم صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم، ولم يكن يقول: أنا نبي ألعب مع هؤلاء الصغار؟!

لا. كان يدرك عليه الصلاة والسلام أني أنا نبي؛ لكن عندي عنصر الأبوة والإنسانية والحاجة إلىٰ الضحك والسرور فدعني أسر هؤلاء الأطفال وأتقرب إلىٰ الله ﷻ بذلك.

فكان صلى الله عليه وعلى آله وسلم مزحه لأسباب:

منها: أنه أحيانًا يمزح لتربية الشخص الذي أمامه فينصحه عن طريق مزح؛ ففي «الطبراني» وهو حديث صحيح حسنه الهيثمي وغيره أن واحدًا من الصحابة اسمه خوات بن جبير خرج النبي ﷺ يومًا علىٰ طريق مكة، فإذا بخوات رأىٰ مجموعة نسوة- أحيانًا النساء يخرجن لأي حاجة من الحاجات: إما رعي غنم وإما إحضار ماء من البئر- فرأىٰ النبي ﷺ خواتًا شابًا قد وقف مع النسوة يتحدث فقال له ﷺ: «يا خوات ما تفعل؟» أنت واقف مع الحريم أيش عندك قال: يا رسول الله، لا لا أنا عندي جمل شارد ووقفت معهن لينظمن لي عقالاً أربطه به، - أي: حتىٰ يصنعن لي أو يغزلن حبلاً أربطه به.

سكت النبي عليه الصلاة والسلام ومضىٰ ثم رأىٰ خواتًا من غد قال: «يا خوات» قال: لبيك. قال: «ما صنع شراد جملك» إلىٰ الآن جملك يشرد يقول: ففررت عنه قال: فكنت إذا رأيته في المدينة أصد عنه فكنت مرة أصلي في المسجد فدخل النبي عليه الصلاة والسلام فرآني يقول: فجلس ينتظرني قال: فأطلت الصلاة قال: فقال: «طول ما شئت فإني منتظرك» يقول (ضاحكًا) فانتهيت من صلاتي، ثم التفت إلىٰ النبي عليه الصلاة والسلام قال: «يا خوات ما فعل شراد جملك؟» يقول: فسكت وقمت يقول: ثم رآني بعدها فقال: «ما فعل شراد جملك؟» قال: حتىٰ قلت له: يا رسول الله، والله ما شرد

علي جمل منذ أسلمت. كأنه يقول: هذا أمر مضىٰ وانتهىٰ، والآن حسن إسلامي وما عاد عندي حركات مع النساء. يقول: فضحك النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم.

انظر إليه كيف كان يمزح؛ لكن كان له مآرب ﷺ من وراء هذا المزح.

ونمىٰ إلىٰ علمي أن بعض الناس أدخلوا السرور علىٰ مجموعة من العمال، وتعاون معهم أحد المطاعم؛ فجزاهم الله خيرًا، فبعض العمال يسمع عن المشويات، يسمع عن العصير، يسمع عن الحلويات؛ لكن ربما لم يذقه يومًا، أو لم يدخل إلىٰ مطعم فاخر يومًا فهؤلاء جزاهم الله خيرًا نسقوا مع أحد المطاعم وتبرع أن يطعم عنده وأن يستضيف عنده بالمجان عددًا من العمال، ونذكر أيضًا أن هؤلاء لم يتحرجوا من وجود هؤلاء العمال معهم في السيارة، - فجزاهم الله خيرًا -.

وسألناهم عن السر في عدم إعطائهم أموالاً بدل أن يفعلوا هذا، فكانت الإجابة أنهم أرادوا أن يجعلهم يشعرون بنفس إحساسهم عندما يدخلونهم هذا المكان؛ وأن هذا العمل سيجعلهم أكثر سرورًا مما لو أعطوهم الصدقة، وذكروا شيئًا جميلاً أنهم يكونون مسرورين أكثر ممن أدخلوا عليهم السرور.

والشيء بالشيء يذكر فهذا رجل آخر يقول: كنت أذهب إلىٰ المسجد، فأمر بعامل يكنس، وكان معي عطور شرقية طيبة، فقلت: تعال يا فلان، ما اسمك؟ وعرفت من اسمه أنه غير مسلم. فطيبته واستمر الحال علىٰ هذا ثلاثة أو أربعة أيام، أسلم عليه وأطيبه؛ وكان هذا العمل سببًا في دخوله الإسلام.

إي والله بعطر ثمنه يسير؛ لكنه أدخل إليه السرور.

وأنا أكاد أجزم أن هؤلاء العمال ربما يرون هذه السيارات الفارهة، وينظرون إلىٰ أصحابها ويقولون: هذي سيارة بستين ألف ريال وأنا راتبي الحين ألف ريال، فأنا أحتاج إلىٰ ستين شهرًا حتىٰ أجمع قيمة هذه السيارة.

وستون شهرًا اقسمها علىٰ اثني عشر تعطيك خمس سنوات وهو أصلًا عقده

أربع سنوات، فإذا نظر إليه صاحبها وابتسم وتلطف معه، فهذا بلا شك له تأثير كبير.

وهنا أيضًا لا ننسىٰ التنبيه علىٰ الأزواج بإدخال السرور علىٰ أهل بيتهم، من خلال إلقاء السلام، والتبسم في وجه الزوجة، والتلطف معها، وملاعبة الأولاد، وكذا الزوجة تحاول إدخال السرور علىٰ قلب زوجها.

وبمناسبة ذكر أن الأثر النفسي لا ينسىٰ، وصانع المعروف لا ينسىٰ أبدًا، نعرف أن كعب بن مالك أحد الذين تخلفوا عن غزوة تبوك يقول: بعد عدة أيام أربعين يومًا، أو خمسين تقريبا من اعتزال الناس له ولوالديه؛ حتىٰ ضاقت عليه الأرض بما رحبت..

لما أتت البشرىٰ تنافس جميع الصحابة - رضوان الله عليهم - لإدخال السرور علىٰ هذا الرجل؛ وأخذ الرجل ينادي من جبل، يا كعب، أبشر بتوبة الله عليك، ويقول: وأتىٰ رجل متجهًا يقول: فعندما أتىٰ الفارس يبشرني ما وجدت إلا عباءة لي فوضعتها عليه وكسوته ولا أملك غيرها، واستعرت عباءة وذهبت الىٰ النبي ﷺ، وأول من لقيني في المسجد طلحة بن عبيد الله يقول: فقام والتزمني فقال: والله ما نسيتها..

فهذا الموقف البسيط أدخل السرور عليه فقال: والله ما نسيته..

وكثير من الصحابة والتابعين منهم زين العابدين - رضي الله عنه ورحمه - كان يدخل السرور علىٰ الآخرين بطريقة أخرىٰ من جانب الخفاء، كان يحمل الطعام خفية ويقول: هو إلىٰ فقراء المدينة، إذا مات علم الناس أنه هو من كان يفعل هذا.

وحديث كعب رضي الله عنه يدل أن الصحابة كانوا يرون أن إدخال السرور هو طاعة يتعبد لله تعالىٰ بها، بمعنىٰ أنني كما أتعبد بأن أقول: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، وأستغفر، وأقرأ القرآن، وأصلي صلاة الضحىٰ، وقيام الليل، وأتعبد بالصدقة فأنا أتعبد بأن أقول خبرًا أسر به أخي المسلم كما قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي تقدم: «أن من أدخل سرورًا علىٰ مسلم لم يرض الله له جزاء إلا الجنة».

وفي حديث آخر قال: «من أدخل علىٰ أهل بيت سرورًا أو فرحًا». فالصحابة كانوا يعدون هذا طاعة يتقرب إلىٰ الله تعالىٰ بها.

لذلك في حديث كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية الصحابة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك أمر النبي عليه الصلاة والسلام أن يقاطعوا ولا يكلموا حتىٰ استمر ذلك اثنتين وخمسين ليلة وهم مساكين لم يتكلم معهم أحد؛ فضاقت بهم الأرض.

فالنبي عليه الصلاة والسلام لما نزل عليه توبتهم ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:١١٨] صلىٰ الفجر وقرأ الآيات علىٰ الصحابة في المسجد وكعب في مكان بعيد لم يصل معهم وقد صلىٰ في سطح بيت، فلما قرأ الآية وقال: ﴿تَابَ عَلَيْهِمْ﴾، كان هذا إيذانًا بانتهاء المقاطعة وعودة الأمور كما كانت من قبل.

مثلما قال عمر: انطلق الصحابة فواحد ركب فرسًا والثاني ما عنده فرس فرقي جبلًا وأخذ يقول: يا كعب بن مالك ليهنئك توبة الله عليك؛ يريد أن يصله الخبر وهو لا يدري أين كعب.

ومثلما قال عمر: لم يجد ما يكافئه به إلا أن نزع رداءً عليه وأعطاه إياه.

سبحان الله! ومن أجل ذلك شرعت أمور في الإسلام؛ لإدخال السرور علىٰ الآخرين وتخفيف الحزن عنهم مثل التعزية؛ نحن لا نستطيع أن نحيا الميت لكن نشاركه لأجل لأن يخف ما به من الحزن.

نحن أيها الأحبة الكرام نواصل الكلام حول طاعة لله تعالىٰ نستطيع بها أن نضع بصمة في الأمة كلها، وليس فقط أمة الاستجابه أمة النبي عليه الصلاة والسلام المسلمين بل أقصد أمة الدعوة اقصد جميع الناس. أي: أستطيع أن أضع هذه البصمة في لندن، في باريس، في أمريكا، في البرازيل، في أي مكان، أستطيع أن أضع هذه

البصمة؛ لإدخال السرور علىٰ الآخرين

وهكذا فنحن نريد أن نجعل الإسلام الذي ننمي إليه واقعًا معاشًا .

النبي عليه الصلاة والسلام كان يتلطف مع الناس؛ قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إن رجلاً استأذن ربه في الزرع، فقال الله تعالىٰ له: أو لست فيما تشتهي قال: أريد أزرع قال: فأذن الله تعالىٰ له بذلك فبادر طرف نباته وكبر».

لما قال النبي ﷺ ذلك كان أحد الأعراب جالسًا قال: يا رسول الله والله لا تجد هذا إلا قرشيًّا، أو أنصاريًّا - أما نحن الأعراب فهذا ليس منا؛ لأننا لسنا أصحاب الزرع. فضحك النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم».

إذا من أسباب السرور: أن تتفاعل مع الشخص الذي أمامك، بأي شيء يمكن أن يدخل إليه السرور.

سبحان الله! بعض الناس لا يتفاعل أبدًا .

النبي عليه الصلاة والسلام كان يعلم أن هذا يريد أن يمازحه فيمازحه، أقبل أحد الصحابة يومًا إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم لما كان في خيمته في تبوك فجاء هذا الصحابي - وهو عوف بن مالك - وقال: استأذن علىٰ النبي عليه الصلاة والسلام؛ ليدخل معه في القبة، الخيمة الصغيرة فقال: يا رسول الله أأدخل؟ قال: «ادخل» قال: أدخل كلي قالها (ضاحكًا)؟ فضحك النبي قال: «كلك».

الشعبي - رحمة الله عليه - أقبل إليه يومًا رجل وسأله هل يجوز للمحرم أن يحك جلده؟

قال: نعم.

قال: إلىٰ أي حد؟

قال: حتىٰ يبدو العظم.

وقال الشعبي يومًا: إذا لم تجد ما تتسحر به فاعمل السنة بالسحور ولو أن تمص

أصبعك، فسأله رجل قال: أي أصبع..

قال: فقال: هذا وأشار إلىٰ أصبع رجله.

أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ قال له رجل يومًا: يا شيخ، إذا نزعت ثيابي عند النهر ودخلت لأغتسل فهل أتجه إلىٰ القبلة أم لا؟

قال له: اتجه إلىٰ ثيابك لكي لا تسرق شوف.

لاحظ هذا الأسلوب، فهو يسر السائل ويحببه في الشيخ فهو يمزح معه ويضاحكه؛ وبالتالي يدخل علىٰ قلبه السرور ويتحمس أن يسأله عن أية مسألة.

إن إدخال السرور علىٰ الآخرين يعد أمرًا مهمًا في دعة الناس، وكم حقق نتائج طيبة مع الناس.

بعض الناس - جزاهم الله خيرًا - يذهبون إلىٰ المستشفيات ويحاولون إدخال الفرحة علىٰ قلوب إخوانهم المرضىٰ دون أي مقابل، وهنا أمر نلفت الانتباه إليه وهو أن الإنسان إذا عاد مريضًا، فليحاول قدر المستطاع أن يخرجه مما هو فيه لا أن يزيد من أوجاعه وآلامه بأسئلة غير مناسبة.

* سأذكر طرقًا عملية لإدخال السرور على الآخرين؟

من ذلك:

الهدية وليس شرطًا أن تكون ذات مبلغ كبير؛ فإذا زرت أحد أصحابك وتعلم أن عنده أولادًا؛ فمر بالبقالة وخذ له ولو شيئًا يسيرًا وهكذا؛ فهذا من إدخال السرور عليه، وعلىٰ غيره.

والابتسامة في وجوه الناس: «تبسمك في وجه أخيك صدقة».

قضاء الحاجات للآخرين.

الكلمة الطيبة صدقة.

سؤال الآخرين عن أحوالهم.

يذكر التاريخ أن المسلمين كان عندهم أوقاف للعناية بالمساجد، وكان هناك وقف اسمه وقف مؤنس المرضىٰ والغرباء؛ هذا الوقف له قراء لهم رواتب، يقرأ كل واحد لمدة ساعة من بعد العشاء إلىٰ الفجر؛ لأجل المرضىٰ الذين ليس عندهم زائرون ولأجل أن يسمع الذين عندهم أمراض القرآن طول الليل.

فأحيانًا يدخل الإنسان السرور علىٰ الآخرين عبر تعليمهم الشريعة، أو بعض الأذكار.

وأن يحصل تنسيق بينهم وبين بعض المستشفيات من أجل استعمال الرقية الشرعية عليهم وما شابه ذلك.

۞ ۞ ۞

عاتكة بنت عبد المطلب

كلامنا عن امرأة هي عمة من عمات النبي ﷺ اختلف في إسلامها: هل أسلمت أم لم تسلم ذكر ابن عبد البر في «الاستيعاب» أنها أسلمت وروىٰ لها شعرًا تمدح فيه النبي ﷺ وتصفه بالنبوة، فاقتبس أهل العلم من هذا الشعر أنها دخلت في الإسلام مع وجود الخلاف في إسلامها وعدمه.

هذه المرأة كانت عاقلة رشيدة وكانت من حكيمات العرب، والأرجح أنها دخلت في الإسلام. ذكر أهل التاريخ شيئًا عجيبًا لها.

وقبل أن أذكر ما ذكروا أقول: هي عمة النبي ﷺ عاتكة بنت عبد المطلب، والنبي ﷺ له عمات أخر منهن أروىٰ وصفية وأميمة.

فقد كان له ﷺ عدد من العمات وعدد من الأعمام.

أما الشيء فهو أن عاتكة هذه رأت رؤيا، هذه الرؤيا حتىٰ تستوعبوها لا بد أن أخبركم بشيء حدث قبلها، وهو أن النبي ﷺ لما هاجر إلىٰ المدينة استولت قريش علىٰ أموال المسلمين التي في مكة، وصارت تعمل بها في التجارة؛ لأن المسلمين ما كانوا يستطيعون أن يهاجروا بأموالهم فليس الحال مثل الآن؛ في السابق إبل وغنم ولا

تستطيع أن تهاجر بها خفية فتنفضح.

فكان المسلمون يهاجرون عليهم ثيابهم ولا يستطيعون أن يأخذوا معهم شيئًا فالحاصل أن قريشًا استولت عليها وأرسلت هذه الأموال مع أموال لها إلىٰ الشام في تجارة مع أبي سفيان في السنة الثانية للهجرة.

وعلم النبي ﷺ أن أبا سفيان في الطريق للشام فخرج عليه الصلاة والسلام مع مجموعة في أصحابه لأجل قطع الطريق عليه، فإذا بأبي سفيان قد سبقهم إلىٰ الشام ففات عليهم فقال لأصحابه: إذا رجع نهجم عليهم ونأخذ أموال المسلمين التي انتهبوها منا.

فبعث النبي ﷺ ثلاثة من الصحابة قال: ابقوا في هذا المكان إذا سمعتم أنه قادم تعالوا أخبرونا، وفعلاً لبث الصحابة هناك، حتىٰ ظهر أبو سفيان وهو قادم من الشام. -تعلمون أنتم أن المدينة في الأعلىٰ ومكة في الأسفل والشام في الأعلىٰ في الشمال وهو عندما يأتي من الشام لا بد أن يمر بجانب المدينة حتىٰ يستطيع أن يصل إلىٰ مكة- فأبو سفيان فكر أن المسلمون يمكن أن يقطعوا عليه الطريق فخاف منهم وسأل بعض الناس فقالوا: نعم. محمد جمع لك جيشًا فخاف علىٰ الأموال التي معه.

معه ألف بعير وهذه ألف البعير ليس معها سوىٰ أربعين حارسًا، وربما يستغر هذا العدد مع هذه الأموال؛ لكنها العادة كان إذا أرادوا أن يسافروا لا يستطيعون أن يأخذوا معهم حراسًا كثيرين من بلدتهم، وذلك لسبب وهو أنهم كلما دخلوا إلىٰ حمىٰ قبيلة من القبائل التي يمكن أن تحاربهم أخذوا منها أربعين، فمثلاً إذا دخل إلىٰ حمىٰ قبيلة أسلم قال: يا أسلم أنا مستأجر من عندكم ناسًا يحموني وهذا فيه إفادة لكم ولي حتىٰ إذا انتهىٰ من قبيلة أسلم يحاسبهم ويذهبون ثم يذهب إلىٰ قبيلة خزاعة مثلاً. ويستأجر منهم... إلخ. فكان الأربعون الحارس أمرًا عاديًّا بالنسبة لهذا العدد.

أبو سفيان لما علم نادىٰ رجلاً اسمه ضمضم بن أبي ضمضم الغفاري وسأله كم يحتاج من الوقت كي يصل إلىٰ مكة إذا سار في هذا الطريق؟

قال: أحتاج إلىٰ أسبوع ونصف أو أسبوعين إذا كنت مسرعًا.

قال: كم يعطونك؟

قال: يعطوني مائة دينار مثلاً.

قال: أنا أعطيك خمسمائة دينار؛ شرط أن تصل في يومين أو ثلاثة.

قال: أفعل.

قال: خذ واذهب إلىٰ قريش وقل لهم: افزعوا إلىٰ عيركم (القافلة التي لكم) فأنا لا أستطيع أن أحميها وحدي.

فركب ضمضم من عند أبي سفيان ومضىٰ يقطع الطريق إلىٰ قريش، وكانت عاتكة بنت عبد المطلب رأت ذات يوم في منامها (هذه هي الرؤيا العجيبة) كأن رجلاً أقبل من خارج مكة علىٰ بعير وقد جُدع أنف البعير وأخذ يصيح عند مدخله لمكة قال: يا آل الغدر يا آل غدر (أي: يا أيها الغادرون) انفروا إلىٰ مصارعكم ثلاثة.

تقول: ثم رقي علىٰ جبل أبي قبيس فأقبل إليه الناس، تقول: فصاح قائلاً: انفروا يا آل غدر مرة ثانية إلىٰ مصارعكم في ثلاث. تقول: والناس لا يدرون ماذا يريد، ثم أخذ حجرًا في الأرض ورماه فلما رمىٰ هذا الحجر تدحرج الحجر من فوق الجبل حتىٰ إذا وصل إلىٰ قمة الجبل فكسر إلىٰ حصىٰ وصارت كل حصاة تتدحرج فلم يبقَ بيت في مكة إلا دخلها قطعة من الحجر.

تقول: ثم نزل من علىٰ الجبل.

رؤيا عجيبة فأصبحت قبل أن تطلع الشمس وهي مشغول بالها بسبب رؤياها، فنادت أخاها العباس وقالت: أنا رأيت رؤيا غريبة.

قال: ماذا رأيت؟

قالت: هذه رؤيا لا أضغاث أحلام هذه رؤية عجيبة.

قال: ما هي؟

قالت: رأيت كأن رجلاً أقبل وقال: انفروا يا آل غدر، ثم رقي علىٰ جبل أبي قبيس وألقىٰ الحجر ثم رقىٰ علىٰ الكعبة.

فلما سمعها العباس قال: والله إنها لرؤيا فعلاً ما هي سواليف هذه.

هذه رؤيا اكتميها حتىٰ إذا وقع شيء في مكة لم يورطوني وإياك. وما دام فيها (انفروا يا غادرين إلىٰ مصارعكم) فمعناها أنه يقع موت أو يقع شيء.

وخرج العباس من البيت فلقي عتبة بن ربيعة قال يا عتبة: تعال.

قال: نعم.

قال: أخبرك بشيء ولا تخبر أحدًا؟

قال: ما الشيء؟

قال: أختي عاتكة في نومها رأت كأن رجلاً جاء وقال: انفروا إلىٰ مصارعكم ورقىٰ جبل أبي قبيس وألقىٰ حجرًا ثم رقىٰ الكعبة. وذهب العباس إلىٰ بيته. ودخل عتبة إلىٰ بيته يفطر قبل أن تطلع الشمس (كل هذا خلال نصف ساعة).

فجاء ولده الوليد بن عتبة يفطر معه.

قال: يا وليد، سأخبرك بشيء ولا تخبر به أحدًا.

قال: ماذا؟

قال: عاتكة أخت العباس رأت كذا وكذا. فانتبه ولا تعلم أحدًا.

جلس العباس في بيته إلىٰ أن طلعت الشمس ثم خرج إلىٰ الكعبة سيطوف فإذا قريش في أنديتهم حول الكعبة كل مجموعة تتحدث برؤيا عاتكة.

دخل الرجل فقال له أبو جهل وكان جالسًا: يا عباس إذا انتهيت من طوافك فتعال.

قال: لماذا؟ فلما انتهىٰ من طوافه جاءه.

قال له أبو جهل: يا عباس، متىٰ حدثت فيكم هذه النبية؟

قال: أي نبية؟ فالعباس ما كان يتوقع أن ينتشر الخبر بهذه السرعة.

قال: أما كفاكم يا آل عبد المطلب أن يتنبأ رجالكم؛ فبدأت نساؤكم تتنبأ.

قال: أيش القصة؟

قال: رؤيا أختك عاتكة التي رأت فيها أن رجلاً أقبل وحصل كذا وكذا ورقىٰ علىٰ جبل...، وما من العباس إلا أن ينكر. فقال له: ما حصل شيء وهذا كلام غير صحيح.

قال: بل صحيح وهذا الكلام واقع وأنت قلته وهؤلاء الناس كلهم يتحدثون به؛ لكن سوف نعطيكم يا آل عبد المطلب يا بني هاشم كلكم ثلاثة أيام مهلة وإما أن يقع شيء يدل علىٰ صحة هذه الرؤيا وعلىٰ هذا التنبؤ، وإلا فوالله سنكتب عليكم كتابًا أنكم أكذب بيت في العرب فلا يتابع الناس منكم ولا يقبلون أخباركم، وتكون فضيحةٌ.

وعاد العباس إلىٰ بيته وكان ما حصل بينه وبين أبي جهل انتشر، فلما جاء الليل ما بقيت امرأة في بني هاشم إلا وجاءت بيت العباس. وأخذن يقلن: كيف الكوت علىٰ إهانتنا والسخرية بنا؟

يقول العباس: فثرت؛ كيف يتكلم هكذا علىٰ نسائنا. (وانظر إلىٰ الغيرة التي عندهم حتىٰ في الجاهلية) فثار العباس ومضىٰ اليوم الأول ومضىٰ اليوم الثاني.

فلما كان اليوم الثالث حدث في مكة شيء عجيب. وهو أن ضمضم بن أبي ضمضم وصل إلىٰ مكة. وأراد أن يجذب انتباه الناس، ولكي ينتبه له الناس لا بد أن يفعل شيئًا غريبًا؛ إذ كل الناس يصيح في هذا المكان، فما كان منه إلا أن خلع ملابسه وأصبح عاريًا وركب علىٰ البعير بالمقلوب وجدع أنف البعير حتىٰ يصب دم البعير ويهيج ودخل بهذا الشكل علىٰ مكة. (الأمر فيه خمسمائة دينار) فلما دخل وجعل يصيح يأهل مكة يا أهل مكة، التفت إليه الناس؛ لغريب شكله وعجيب منظره. هذه

طريقة دعائية عندهم؛ فأقبلوا مباشرة إليه.

فقال: عيركم قد خرج إليها محمد وأصحابه ﷺ وما أظنكم تدركونها، وقد بلغت. والعباس في هذا اليوم متجهز لمضاربة مع أبي جهل، وهو إلىٰ الآن لا يعلم أن ضمضمًا جاء.

فطلع العباس من بيته وذهب إلىٰ الكعبة يقول: وقد لبست حلة وأنا في نفسي أن أضرب أبا جهل اليوم فيه مضاربة عندي.

يقول: فدخلت فإذا أبو جهل أمامي عند الكعبة. قال: فتعرضت له وقلت: ستكتب أنا أكذب أهل البيت... فتركني ومضىٰ.

فقلت: خائف مني، فمضيت له في طريق آخر وجشمت أمامه، فتركني ومضىٰ، وإذا بالعباس قد علم خبر ضمضم بن أبي ضمضم، ووقعت بعد ذلك معركة بدر لما خرجت قريش ونجت العير التي مع أبي سفيان.

وهنا نلحظ أمرًا مهمًّا جدًّا أل وهو أهمية حفظ الأسرار، خاصة بين الرجل وامرأته وما يكون بينهما من معاشرة، وإفشاء هذا الأمر لا يجوز. النبي ﷺ يقول: «لعل أحدكم يحدث بما يكون مع امرأته أو هي تحدث» فسكت الناس كان النبي ﷺ يخطب بهم، فقامت امرأة من بين النساء قالت: والله يا رسول الله، إنهم ليفعلون وإنهن ليفعلن. فقال النبي ﷺ : «لا تفعلوا؛ فإن مثل ذلك كمثل حمار لقي حمارة وسط الطريق فوقع عليها والناس ينظرون».

انتبهت إلىٰ ضرب المثل، والرجل الشهم الذي عنده مروءة تأبىٰ عليه مروءته ورجولته قبل أن يأبىٰ عليه الدين أن يقع في مثل هذا.

وكون الإنسان يفعل هذا أو يقع فيه فقبل أن يكون محرمًا هو نوع من السفاهة.

وبمناسبة الكلام علىٰ غيرة العباس رضي الله عنه يذكر بعض الناس أنه حصل له موقف ما وهو جالس مع أحد العرب فقال هذا الرجل: في بلدكم ترىٰ الواحدة بلثامها-

والقصد من اللثام هو أن تجعل النقاب إلىٰ الأنف فلم هذا؟ فنحن في بلادنا المرأة تلبس إلىٰ نصف الساق والأمر عادي ما أحد يجري وراءها. وكان معنا رجل عقليته متفتحة صراحة! فقال له كلمة أوصلت له الفكرة بشكل مختصر قال له: في بلاد الغرب إذا مشت المرأة شبه عارية فهل تنقض عليها؟

قال: لا.

قال: لو رأيتها في بلدك أنت شبه عارية مرة، ماذا يحدث؟

قال: يمكن أن تختطف في الشارع.

فقال له: هذا مستوىٰ الحشمة عندهم وهذا مستوىٰ الحشمة عندك. ونحن مستوىٰ الحشمة عندنا أكثر من اللثام، فاقتنع الرجل.

هذا مخرج عقلي فالمرأة كلما زاد تكشفها قلت غيرة الرجال عليها؛ لأنهم ازدادوا لها تعودًا.

فأنت الآن تجد واحدًا من الشباب ذهب بأولاده كي يدرس في بريطانيا أو نحو ذلك فأولاده في بداية الأمر إذا رأوا امرأة كاشفه عن ساقيها، أو امرأة تُقبَّل، اندهشوا لهذه الأفعال؛ لكن مع التعود يقل هذا الإحساس.

ولذلك حرم الدين التساهل بالشيء القليل حتىٰ لا تتعوده النفوس، إذا كبر.

وأمر آخر مهم أيضًا وهو أننا نجد فتيات كاشفات عن زينتهن، فإذا رحت تكلمها عما يمكن أن يحصل لها من مشكلات تقول: أهلي واثقون بي، وإذا جئت للأب يقول: إنه واثق بها. فصارت ثقة في غير مِحلها وهذه الثقة تؤدي إلىٰ الهلاك.

وننصح نصيحة للأبوين، وللفتيات خاصة في موضوع الثقة العمياء.

مسألة الثقة عمومًا تحتاج إلىٰ ضبط: فإذا كان الرجل ربّىٰ ابنته علىٰ مستوىٰ معين؛ فلا بد أن يعطيها الثقة في حدود.

فأنت الآن في وقت ربما لا تستطيع أن تضبط الأمور كما تريد، أصبحت الجوالات في كل يد، أصبحت الأرقام تشترىٰ بريالات معدودة، أصبح كل واحد

بإمكانه أن يكون معه جوال، والإنترنت إلىٰ غير ذلك.

وهذه الاتصالات المحرمة من أرادت أن تفسد بها فسدت.

وأذكر أن أحدهم كان يتناقش مع ابنته فكان يقول يا بنتي: لا تدخلي علىٰ الشات ولا تدخلي علىٰ (الماسنجر) استفيدي من أشياء معينة.

فقالت البنت: أنت يا أبي لا تثق بي إذًا. وهذا يقوله البنات دائمًا لآبائهن.

قال: أنا أثق بك؛ لكن لا أثق بوسوسة الشيطان. كما أني لا أثق بالذئاب المنتشرين في الشوارع.

ثم إن مسائل الحجاب وغيرها مسائل دينية ليست مسائل اجتماعية، المسألة ليست عادات العرب ولكنها دين ندين لله تعالىٰ به والله تعالىٰ يقول: ﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩] لاحظ فالآية نص صريح، وقال ﷻ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: ٣١] وقال في آية أخرىٰ: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] فكانت تلبس الخَلخَال في السابق مثل الأساور التي في اليد، فنهىٰ الله المرأة أن تمشي علىٰ الأرض بقوة حتىٰ لا يسمع الرجال صوت خلاخلها فيفتنوا.

وإذا كان الرجل منهيًا عن سماع صوت خلاخل المرأة فما بالك بسماع صوت تغنجها وتلطفها ونحو ذلك؟

أنا أود أن أثير قضية مهمة وهي مسألة الغيرة غيرة المرأة علىٰ نفسها وغيرة الرجل علىٰ امرأته أيضًا، ومما يعين علىٰ هذا الأمر، وعجبًا أن صرنا نتكلم عليه!

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما يحصل في بلدنا.

زيادة الوازع الديني؛ لأنه تجعله يخاف من الله تعالىٰ

وهذه بعض مظاهر ضعف الغيرة:

أن تشاهد في بعض الأسواق من تكون زوجته متكشفة وكل الناس يستمتعون

بالنظر إليها فإذا نصحته، فكأن الأمر لا يعنيه ولا يلتفت إليك.

وأيضًا مشاهدة النساء متكشفات عاريات في القنوات أربعًا وعشرين ساعة؛ حتىٰ بدأ الإنسان ينظر إلىٰ زوجته وإلىٰ أهله في الداخل وفي الخارج، وبدأ الشيء يصير عنده عاديًّا؛ لأنه تعود رؤية هذه الأمور.

ومن مظاهر ضعف الغيرة للرجال علىٰ النساء أو غيرة المرأة علىٰ عرضها، أن ترضىٰ أن يرىٰ كل الناس منها ما أمر الله تعالىٰ بستره.

فالمرأة التي تظهر مفاتنها وحسنها وجمالها وتضاحك الرجال تجعل نفسها عرضة لكل واحد، مثلما جاء في الحديث: «لا ترد يد لامس» هذه ليس عندها غيرة علىٰ نفسها والرجل ليس له غيرة عليها.

في الحقيقة يبدو أننا استفدنا عدة فوائد من عاتكة:

أولها: مسائل الغيرة وأهميتها.

الأمر الثاني: السر وحفظه يقولون: كل سر جاوز الاثنين شاع. فحاول أن تمسك نفسك حتىٰ في قضاياك الخاصة.

۞ ۞ ۞

قصص وآثار في الرقية

ونحن لا زلنا نرجو أن يكون في كل بيت راقٍ يستطيع أن يرقي نفسه وذويه، كما ننبه أنه لا يشترط في الراقي أن يكون حافظًا للقرآن، أو يكون ملتزمًا التزامًا تامًّا بالدين، لأنه إذا كان عنده شيء من التقصير؛ لكنه مقتنع داخليًّا أن القرآن شفاء، وأنه يؤثر فبإذن الله تعالىٰ يستطيع أن يؤثر.

والقراءة علىٰ الكافر نفعت، نفعت لما قرأ أبو سعيد الخدري علىٰ الذي لدغته عقرب؛ فما بالك برقية المسلم المقصر علىٰ مسلم أصلح منه أو ربما كان مقصرًا مثله.

بقي معنا الكلام عن بعض الحقائق حول الرقية.

الكلام عن الجن وما يتعلق بهم.

الكلام علىٰ أمراض أخرىٰ تتعلق بالرقية.

وماذا لو ظهرت عليه بعض العلامات أثناء الرقية، كيف أتصرف وأتعامل معها؟

وعن أيهما أقوىٰ الإنس أم الجن؟

وعن أيهما أفضل عند الله تعالىٰ هؤلاء أم أولئك؟

وعن السحر وأنواعه، وهل يفسر كل شيء علىٰ أنه سحر وما شابه ذلك؟

قال الله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت:٤٤] وقال ﷻ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء:٨٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس:٥٧] ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ﴾ [التوبة:١٤].. إلىٰ آخر الآيات التي وردت في أن القرآن شفاء.

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يستعمل القرآن في شفاء الأمراض الحسية والأمراض المعنوية.

من الأدلة على علاجه الأمراضَ الحسية: حديثُ أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الذي ذكر آنفًا.

وسبحان الله! الآن الأطباء المسلمون يقرون إقرارًا تامًّا أن القراءة تنفع بإذن الله، وأن هناك أمراضًا تحسنت بسبب القراءة؛ بل إنني أحيانًا أعود بعض المرضىٰ فيقول لي: إن الطبيب قال لي: ألم يقرأ أحد عليك. يقول: والطبيب - يا شيخ - غير مستقيم علىٰ الدين. وربما كان متخرجًا في أمريكا، أو أوروبا، أو روسيا.

المقصود: أنه يشفي من الأمراض الجسية.

الأمر الثاني: أنه شفاء للأمراض المعنوية، والأمراض المعنوية تنقسم إلىٰ أقسام:

بعضها أمراض نفسية كمرض الذهان، ومرض انفصال الشخصية، وغيره.

وبعض هؤلاء المرضىٰ ربما يتكلم في أشياء معينة غريبة، بسبب عدم انضباط إفرازات الغدد في جسمه؛ فيقال: هذا سُحر أو به مس، وقد تكون المسألة ليست سحرًا ولا علاقة لها بالجن، بل هي من الأمراض، والنبي ﷺ يقول: «ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء علمه من علمه، وجهله من جهله».

والمشكلة: أن الناس منذ القدم قبل مبعث النبي عليه الصلاة والسلام، وأيام الحضارة الفرعونية واليونانية وغيرهم، كان لديهم أنواع من التصرفات في التعامل مع هذه الأمراض بالسحر والشعوذة وما شابه ذلك.

فجاء الله تعالىٰ بالإسلام وحرم النبي عليه الصلاة والسلام كل هذا وأغلق الباب؛ لكن ظلت المشكلة باقية إلىٰ اليوم، لذهاب عدد من الناس إلىٰ المشعوذين معتقدين أنهم ينفعونهم في علاج أمراضهم النفسية.

وإذا أصيب أحدهم بأنواع من السحر، أو المس، أو العين يلجأ إلىٰ هؤلاء، الذين يدعون علم الغيب.

والمشكلة في هؤلاء المشعوذين أنهم يبدءون في علاج المرضىٰ بـ (بسم الله الرحمن الرحيم الفرد الصمد الذي لم يلد..) تلبيسًا علىٰ الناس واحتيالاً عليهم.

وهنا ننبه إلىٰ أن بعض الناس حين يقرأ القرآن علىٰ الشخص المصاب نجد أن هذا المريض المقروء عليه يضطرب وقد يسقط علىٰ الأرض؛ وذلك لأن الجن يصرعه أثناء القراءة؛ فلا يحكم علىٰ كل من قرأ القرآن علىٰ أحد ثم انتفض المقروء عليه، أنه ساحر أو ما شابه ذلك.

أما ما يقع من الأمور الأخرى كالذي يقول: أنا أعطف عليك الرجل الذي تريدنه أو هذا الذي يربط كتابًا ما بالمفتاح ويحمله؛ فهذي كلها من أساليب الدجل التي لا تجوز، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: «من أتىٰ كاهنًا أو عرافًا فسأله عن شيء؛ لم تقبل له صلاة أربعين يومًا» وفي رواية: «من أتىٰ كاهنًا فسأله عن شيء فصدقه بما يقول؛ فقد

كفر بما أنزل علىٰ محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم».

ونحن معنا قاعدة (الوقاية خير من العلاج). فعلينا أن نلتجئ دائمًا إليها قبل البحث عن العلاجات والأدوية. والنبي ﷺ أرشدنا إلىٰ كثير من الأمور، فعلمنا أن نقول: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاث مرات». إذا نزلنا منزلًا ولن يضرنا شيء. وقس علىٰ ذلك باقي الأذكار.

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: «ستر ما بين أعين الجن وعورات ابن آدم إذا دخل أحدهم الخلاء أن يقول: باسم الله».

وليس المقصود بالخلاء المكان الذي تقضىٰ فيه الحاجة فقط بل أي مكان تخلو فيه كأن أكون في غرفة نومي وأردت أن أغير ملابسي أو أن يكون الرجل مع زوجته وأرادا أن يتكشفا لبعض.

فإذا قلت: باسم الله؛ جعلت بينك وبينهم سترًا.

وعليه نقول: لو حافظ الناس علىٰ هذه الأذكار فسيجعل الله عليهم حصنًا حصينًا بإذن الله.

وتأثير القرآن في الجن تأثير كبير؛ لذلك النبي ﷺ آمن له كثير من الجن حين قرأ عليهم القرآن قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾ [الجن:١] وفي سورة الأحقاف: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا﴾ [الأحقاف:٢٩].

بل إن بعض الجن - كما ثبت - يصلون في المساجد مع الناس، ويصلون في الحرم، ويحضرون بعض الدروس العلمية.

والكلام حول الجن يطول، ونحن اعتقادنا فيهم أنهم خلق خلقهم الله تعالىٰ جعلهم يروننا ولا نراهم كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف:٢٧]؛ فلا يمكن الله تعالىٰ أحدًا من رؤية الجن علىٰ صورهم الحقيقية.

والجن قد يتمثلون أحيانًا ببعض الصور كما قال عليه الصلاة والسلام: «الكلب الأسود شيطان» وكذلك لما تمثل الشيطان بصورة سراقة وأقبل إلىٰ قريش وقد ترددوا في الخروج لقتال النبي عليه الصلاة والسلام، فأقبل الشيطان وقال: أنا سراقة بن مالك وأنا جار لكم وقومي جار لكم وسوف نقاتل معكم؛ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ [الأنفال:٤٨] ونحو ذلك من النصوص التي دلت علىٰ أنهم يتمثلون.

فالمقصود: أن الجن والشيطان خلقوا من نار، ويتصورون بصور معينة قد يراهم فيها الإنس؛ لذلك النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «إذا تغولت الغيلان فنادوا بالأذان» أي: إذا سمع الإنسان صوتًا يدل علىٰ أنه شيء من الجن أو ظهرت له بعض الصور؛ فإما أن يؤذن وإما أن يقرأ القرآن أو يكبر؛ لأجل أن ينصرفوا عنه.

والكلام عن الجن وعن كيفية التعامل معهم؟ وهل يجوز أن نستعملهم؟ وما كيفية استعمالهم؟ ودخول الجن في الإنس؟ وكيف يفسر ما يقع أحيانًا من تصرفات بعض الناس علىٰ أنه مرض نفسي، أو سحر، أو مس من الجن؟ - ينبغي أن يكون منضبطًا.

* وهناك بعض الآداب التي لا بد منها:

- ومن هذه الآداب:

اعتقاد أن الآيات هي التي تنفع، وأن الراقي لا ينفع ولا يضر؛ فلا تتعلق نفسك بالبشر، لكن اجعلها تتعلقُ بالخالق ﷻ.

ومنها: التغني بالقرآن فهذا يجعله أكثر تأثيرًا، وهذا التغني مؤثر حتىٰ في غير المسلمين، وأنا لي تجارب في هذا الأمر مع عدد من غير المسلمين قال تعالىٰ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل:٤].

والصوت الحسن يزيد القرآن حسنًا: «زينوا أصواتكم بالقرآن».

وعظ المريض وتصبيره:

من الأفضل حين آتي إلىٰ إنسان مصاب بمرض خطير وأريد أن أقرأ عليه أن أقول: اصبر واحتسب فأنت مأجور، وأذكر له بعضًا من النصوص التي تثبته من مثل قول النبي عليه الصلاة والسلام: «إن الحمىٰ تأكل خطايا ابن آدم» وهي ارتفاع في درجة الحرارة؛ فما بالك بالمرض الذي أنت فيه. و«لايزال البلاء بالمؤمن حتىٰ يدعه يمشي علىٰ الأرض ليس عليه خطيئة».

وأبشر بخير فالإمام أحمد يقول: «لولا المصائب لقدمنا يوم القيامة مفاليس». وإذا ابتليت بكذا فغيرك مبتلىٰ بأكثر، عروة بن الزبير لما أصابته الآكلة (السرطان) في رجله فقطعوها فقال: «اللهم إنك أعطيتني أربعة أعضاء فأخذت عضوًا واحدًا» فتأمل القدرة علىٰ التعامل مع المشكلة التي تنزل به.

فحسن أن ينظر المريض إلىٰ مرضه أنه نعمة يكفر الله تعالىٰ بها خطاياه، ولا يستعجل الشفاء؛ لأن الشفاء ربما تأخر؛ ليزيد الله تعالىٰ أجرك ويعظم ثوابك.

وينبغي على الراقي: أن يتقي فتنة النساء، وهذا أمر مهم جدًّا؛ لأن عدم تحاشي ذلك قد يؤدي إلىٰ تعلق المرء بالمرأة، أو أكثر من ذلك عياذًا بالله، ولا يتعرضن أحد للفتنة، ويتجاسر عليها؛ ففي الحديث: «ما تركت بعدي فتنة أشد علىٰ الرجال من النساء» و«اتقوا الدنيا واتقوا النساء؛ فإن فتنة بني اسرائيل كانت في النساء».

وهذي الأحاديث ليست ذمًّا للمرأة، لكنها تحذرنا من أن يسوء الرجل، وتسوء نيته ويقبح فعله؛ كما أن المال نعمة؛ ولو استعمل في شيء محرم؛ أصبح مذمومًا. المرأة أمي وأختي وابنتي وأوصانا الله تعالىٰ بها، وكم من امرأة كملت، وفضلت الرجال.

فهذه وصايا سريعة لكل الذين يريدون أن يرقوا، وليس خاصًّا بالرجال، فالنساء يمكن أن يرقين الأمهات، والأزواج والصديقات.

ولا بد للرقاة من الإلتزام بالضوابط الشرعية للرقية؛ لأن ذلك سبيل الشفاء بعد توفيق الله ﷻ؛ لأن الشافي هو الله ﷻ؛ والراقي ليس بيده شفاء.

وإذا كانت الرقية لمريضة من النساء فلا بد أن تتحجب الحجاب الكامل فلا يظهر منها شيء حتىٰ العينان.

ولا يجوز الرقية للمرأة بدون محرم؛ لأن مما يؤسف له أن بعض الرقاة يلمس المرأة ويضع يده علىٰ رأسها ظنًّا منه أن هذا لا بد منه في الرقية، وهذا أمر غير مطلوب.

الشيء الثالث: لا بد من خلو المكان من المحاذير الشرعية، مثل: الصور المعلقة أو آلات الطرب والأغاني.

وننبه.. أن أمر النفث علىٰ الشخص المريض، مهم؛ لأن بعض الناس يحسبون ذلك من الأمور التكميلية التي يمكن الاستغناء عنها.

والنفث له تأثير قوي في المريض وهو لا يعني أن يخرج الريق ليصيب المريض؛ إنما النفث مجرد هواء يخرج من فم الراقي.

وأيضًا هذا النفث تأثيره ليس بسبب الراقي نفسه بل بآيات الراقي. وننبه إلىٰ أن نلتفت إلىٰ أنه لا يشترط أن يحصل الشفاء والبرء من مرة واحدة؛ وذلك حتىٰ لا يفقد الأمل في جدوىٰ الرقية وتأثيرها.

أمر خطير: بعض الناس يعتقد أن فلانًا ينفع أكثر من فلان؛ فيتعلق قلبه به، وهذا مفهوم خطأ يحتاج إلىٰ تصحيح، لأن هذا تعدٍّ، ولا يجوز ربط شيء بأحد ما دام لا يقدر عليه إلا الله.

ورقيةُ الناس الإنسانُ مأجور عليها، والنبي عليه الصلاة والسلام لما قيل له: يا رسول الله، ماذا تقول في رقىٰ كنا نرقي بها في الجاهلية؟

فقال عليه الصلاة والسلام: «لا بأس بالرقىٰ ما لم تكن شركًا» وقال عليه الصلاة

والسلام: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل».

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الذي يرقي بالقرآن من أفضل الأعمال؛ وذلك لأنه يقاتل عدوًّا يراك وأنت لا تراه.

وننبه أيضًا: أن بعض الناس يعتقد أنه عندما يعقد عقدة إذا كان ممسكًا بحبل مثلاً، أن هذا الفعل يجعل الجن يتلبس به؛ وهذه من الوساوس؛ بل الإنسان مأمور أن يتوكل علىٰ الله تعالىٰ ويعيش حياته بشكل طبيعي.

لذلك ننبه أنه لا ينبغي أن يفسر كل شيء يصيبنا في الحياة؛ أنه عين، أو سحر، أو مس، لكن نجعله آخر احتمال؛ فلا يكون ذلك شماعة نعلق عليها أخطاءَنا.

أنا أذكر أني تعرضت لأمر غريب جدًّا أثناء ما كنت أخطب، ألا وهو أن العرق كان يتصبب مني بطريقة غير طبيعية، ولم أشعر بشيء وحين استفقت مما أنا فيه وجدت حولي ثلاثة رجال أو أربعة؛ وبعد أن انتهت الخطبة ألقيت كلمة وأنا واقف، ولم تكن هناك مشكلة.

وفي الخطبة التي تلت تلك الخطبة حصل نفس الأمر: صعدت المنبر فانتفضت؛ فذهبت إلىٰ مسجد آخر وخطبت فيه الجمعة فلم يكن هناك مشكلة، فعدت إلىٰ المسجد السابق مرة أخرىٰ فعادت الحالة الأولىٰ.

فعرفت أن المسألة عين وأن أحد الجالسين أصابني بها؛ فرقيت نفسي بالرقية الشرعية بالآيات التي ذكرناها فقرأت في ماء الآيات المتخصصة في العين ونفثت وأصبحت أشرب منه قبل أن أخرج إلىٰ صلاة الجمعة، وأخذت زيت زيتون وقرأت فيه سورة الفاتحة سبع مرات، وآية الكرسي سبع مرات و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق:١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾ [الناس:١] وكنت أنفث فيه ثم مسحت به علىٰ صدري وعلىٰ جسمي قبل أن أصعد المنبر، فزال عني هذا تمامًا بفضل الله.

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: «لو أن شيئًا سابق قدره سبقته العين».

أنا أعلم أن بعض الإخوة أطباء سيقول: لا. بل أصابك انخفاض بالضغط هذا. فحقًّا هذا أمر عجيب؛ لأن هذا الانخفاض لا يصيبني إلا في مسجدي.

المقصود: أن العين تصيب، وأنت إذا أصبت بالعين أمام أمرين:

إما أن تكون تعرف الذي أصابك فيكون هناك تعامل معين.

وإما ألا تعرف من أصابك فسيكون هناك تعامل آخر.

أما إذا عرف من أصابه فليأت إليه ويقل له: يأخي أعطني من وضوئك فيأخذه ويغتسل به؛ فإذا خجلت منه أو خشيت ألا يفهم الأمر أو ألا يرضىٰ؛ فخذ من أثره كما ذكر اهل العلم، مثل: أن تأخذ بقية شاي شربه، نواة تمر أدخلها إلىٰ فمه، أو شيئًا من بقايا عرقه كأن تأخذ طاقيته وتغسلها وتغتسل بمائها ونحو ذلك؛ فإنه بإذن الله تعالىٰ يشفىٰ.

وأما إذا لم تعرف من أصابك بالعين فلتعتمد علىٰ الرقية الشرعية، ولتستعمل الزيت والماء؛ وبإذن الله تعالىٰ.

ومسألة الأخذ من أثره أباحها بعض أهل العلم بناء علىٰ أنه من الطب الذي عرف بالتجربة ولا عليه دليل شرعي.

وبالمناسبة أذكر أني ناقشت بعض الناس، وكنت أتكلم عن العين، والمس، والصرع، والسحر؛ فقال: أنا عشت في أمريكا عشر سنوات، بل عشرين سنة ولم أرَ يومًا واحدًا منهم مصابًا بمس أو عين أو سحر.

وهذا الكلام غير صحيح، فأولئك القوم عندهم أنواع من هذه الأمراض؛ لكنهم لايفسرونها هذا التفسير الشرعي؛ وهم يعطون المصاب بذلك أنواعًا من المهدئات والإبر التي تجعله يعيش ولا يعقل ما حوله.

وأحيانًا يكون عندهم أنواع من الإصابة بالعين، فتجد الواحد منهم يقول: أنا

كنت موظفًا في المكان الفلاني وبارزًا وكذا فأصبت باكتئاب، وكرهت العمل وفصلت من وظيفتي.

قال عبد الله بن مسعود: «ما يفعل الشيطان في البيت الخرب» هم تعرض لهم الشياطين بلا شك، وعندهم القساوسة يقرءون عليهم الرقية الدينية فيأتون بالصليب ويضعونه علىٰ رأسه علىٰ شكل صليب، ونحو ذلك.

فالمقصود: أن الأمراض موجودة عندهم وكل واحد له أسلوبه في التعامل مع هذه الأمراض؛ ولكنهم لا يتعاملون معها التعامل الشرعي ولا يسمونها مسًّا، وإن كان عندهم مسألة الأرواح الخبيثة وغيرها.

وغير المسلمين بعضهم عولج بالقرآن وشفي، وأنا ذهبت مرة مستشفىٰ طب العيون في الرياض لزيارة أحد زملائي وكان بجانبه فلبيني مهندس كبير فجأة ضعف بصره ثم عمي - هكذا بين ليلة وضحاها- فبدأ الرجل يفرك عينيه، فإذا به لا يرىٰ وخرج ليذهب إلىٰ الحمام فكان يتلمس الطريق.

فقلت في نفسي: ما دام الطب لم يعرف سبب هذا فهو إما سلط عليه شيء من السحر، أو أصيب بشيء من العين، أو ما شابه ذلك.

وسبحان الله! لم يتيسر لي رقيته أو نبحث عن راقٍ؛ لكني لا أستبعد أن عنده هذه المشكلة.

والآن إلىٰ الآيات التي تقرأ في الرقية الشرعية؛ لأننا نريد أن نضع في كل بيت راقيًا.

هناك رقية عامة تقرأ على كل انسان: الفاتحة سبع مرات، آية الكرسي رقم ٢٥٥ في سورة البقرة، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق:١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس:١].

وقول الله تعالىٰ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ

ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء:٨٢] كذلك قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت:٤٤] كذلك قول الله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس:٥٧]، كذلك قول الله تعالىٰ: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [التوبة:١٤] كذلك قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء:٨٠]

وآخر آية من سورة القلم: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [القلم:٥١] وكذلك ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء:٥٤] و﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾ [الملك:٣] كذلك في سورة الأحقاف: ﴿يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ﴾ [الأحقاف:٣١] إلىٰ اخره

هذه كلها آيات يقرؤها الإنسان علىٰ من هو مصاب بشيء من المس، أو الاكتئاب أو ضيق الصدر.

كذلك هناك بعض الأذكار كما قال عليه الصلاة والسلام: «أعوذ بكلمات الله التامات اللاتي لا يجوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر طوارق الليل إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن».

و«اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوىٰ، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء».

ويضع المريض يده علىٰ الذي يؤلمه من جسده ويقول: «باسم الله باسم الله باسم الله أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر يقولها سبع مرات».

كذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «أعيذك بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامّة،

ومن كل عين لامّة».

وأيضًا: «اللهم رب الناس، أذهب الباس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقمًا». ثلاث مرات.

ويمكن للإنسان أن يرقي من السحر كما في سورة البقرة: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة:١٠٢]، كذلك ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [يونس:٨١-٨٢] كذلك: ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ ۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه:٦٩] ويكرر: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه:٦٩] وكذلك في سورة الفرقان: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان:٢٣].

* السحر أنواع سأسوقها على عجل:

منه سحر التفريق بين المرء وزوجته كما قال الله ﷻ: ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة:١٠٢] ويسمىٰ الصرف، وقد يفرق بين المرء وزوجه وبين المرء ووظيفته وبين المرء وولده.

ومنه سحر المحبة وهو العطف؛ فربما عطفته المرأة عليها حتىٰ يتعلق بها عن طريق الجن.

وهناك سحر لأجل صرف الأزواج وهو نوع من الصرف غرضه تعطيل الزواج.

وسحر النزيف تصبح المرأة معها نزيف دائم بالدم؛ كما قال النبي ﷺ لما سئل عن شيء من النزيف قال: «تلك ركضة شيطان». أي: نوع من تعرض الجن.

ومنه سحر التخيل؛ وفيه يتخيل الإنسان أشياء ليست حقائق.

ومنه سحر المرض أحيانًا، كأن يصاب بنوع من الشلل.

ومنه سحر الربط، أي: ألا يستطيع المرء أن يطأ امرأته.

ومنه سحر الهواتف، أن يسمع أصواتًا تهتف به يمينًا ويسارًا.

ومنه سحر الخمول، حيث يصبح الإنسان متكاسلاً متقاعسًا.

ومنه سحر الجنون ويكون فيه نوع من التخيلات والجن.

وهناك آيات تقرأ علىٰ من به المس وهي أربع آيات أول سورة البقرة، وكذلك في آخر سورة المؤمنون: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون:١١٥] وهذه تقرأ في أذن المريض وكذلك أول عشر آيات سورة الصافات.

هذي في الجملة تقرأ علىٰ من هو مصاب بمثل هذه الأمور.

ودخول الجن في الإنس هذا ثابت في الكتاب والسنة، قال ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة:٢٧٥] فأثبت الله تعالىٰ ذلك، وكذلك النبي عليه الصلاة والسلام قرأ علىٰ غلام صغير، لما كان عليه الصلاة والسلام في سفر عرضت له امرأة قالت: يا رسول الله، إن ابني هذا يؤخذ (يصرع) فقال: «قربي» فقرأ عليه النبي ﷺ القرآن ورقاه ثم مضىٰ.

ولا بأس أن يرقي الإنسان الجمادات؛ فإن الله ذكر في كتابه حاكيًا عن صاحب الجنتين: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف:٣٩]. لأن الإنسان قد يصيب ماله.

ولا بأس أن الإنسان يرقي أولاده إذا كان ولده متميزًا ولو كان صغيرًا، وكذلك غير المتميز.

ولا توجد معارضة بين استعمال العلاج، واستخدام الرقية الشرعية، فالنبي عليه الصلاة والسلام عالجه الحارث بن كلدة طبيب العرب، وهو ﷺ كان يرقي نفسه، وفي هذا رد علىٰ من يقول: القرآن وحده يكفي، نعم هو شفاء؛ لكن لا مانع من التداوي المباح، وهذا لا يقدح في التوكل، النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم يقول: «ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء»

ويقول: «تداووا عباد الله، ولا تداووا بحرام».

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾[الأعراف:٣٢]،

وما دام الله تعالىٰ عرفنا أن هذا الدواء يفيد في علاج هذا الداء فلم تحرم ما أحل الله لك؟

وبعض الناس ربما لا يشفىٰ رغم كونه كرر العلاج مرارًا؛ فيضطر إلىٰ الذهاب إلىٰ الساحر وهذا بلا شك من أعظم البلاء، ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (٦٩)﴾[طه:٦٩].

ولو أننا أجزنا أن يذهب الإنسان إلىٰ ساحر لكنا مشجعين لهؤلاء السحرة.

۞ ۞ ۞

زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم

سنتكلم عن سيرة أكبر بنات النبي عليه الصلاة والسلام وهي (زينب) بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام.

زينب أمها طبعًا معروفة وهي خديجة؛ وذلك أن خديجة هي التي كان للنبي عليه الصلاة والسلام منها أولاد.

أما غيرها فحرم الولد منها، فلم يكن منهن أولاد لا من عائشة ولا من غيرها، إلا أن مارية القبطية ولدت له إبراهيم وهي أمه كانت عنده وتوفي وهو لم يكمل سنتين من العمر.

فالمقصود أن خديجة هي التي كان منها أولاد، رزق النبي عليه الصلاة والسلام بولدين، وأربع بنات لكن الولدان توفيا في صغرهما.

زينب هي البنت الكبرىٰ له عليه الصلاة والسلام تزوجت في حياة أمها خديجة، وأهدت إليها أمها في ليلة عرسها قلادة غالية لها ثمنًا لفرحتها بزواج أول بناتها ودخل بها أبو العاص بن الربيع، فولدت منه أمامة بنت زينب التي جدها رسول الله ﷺ لكن أمامة أيضًا لم يكن لها عقب فما كان للنبي ﷺ نسب من جهة أمامة؛ لأن نسبها انقطع ولم يكن للنبي ﷺ نسب ونسل متتابع إلا من جهة فاطمة رضي الله تعالىٰ عنها لما

تزوجت عليًّا، فكان الحسن والحسين وأم كلثوم أولادها إلىٰ غير ذلك.

زينب ﵂ كان لها حال معين مع زوجها؛ لأنها أسلمت وزوجها رفض الإسلام، هي دخلت في الإسلام مبكرًا في مكة، أما زوجها فتعصب لدين آبائه وأجداده وأبىٰ أن يدخل الإسلام، وفي ذلك الحين كانت الشريعة الإسلامية تبيح أن تتزوج المسلمة من الكافر.

ثم بعد ذلك.. أنزل الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة:١٠] وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة:٢٢١] فبين الله تعالىٰ أنه لا يجوز إنكاح المشركين أي: أن أزوجه بنتي، ولا يجوز أن أنكح من المشركين إلا ما استثنىٰ الله ﷻ من اليهود والنصارىٰ.

أي: لو كان هناك طالب مثلاً يدرس في بلد معين وأعجب بفتاة مثلاً من الصين أو من كوريا أو غير ذلك وجاء وسأل وقال: يا شيخ هذه فتاة لا تعبد شيئًا مثلاً أو فتاة بوذية تعبد بوذا أريد أن أتزوجها؛ فلا يجوز الزواج منها؛ لأن الله تعالىٰ حرم الزواج من المشركات؛ لكنه استثنىٰ شيئًا معينًا، وقال: نسمح لكم بالزواج من النساء اليهود والنصارىٰ بشرط أن تكون من المحصنات أيضًا العفيفة، أما غيرها فلا يتزوج منها.

استمرت زينب في مكة مع زوجها، هاجر النبي عليه الصلاة والسلام إلىٰ المدينة مع بناته بعد ذلك لحقته أم كلثوم ورقية.

فاطمة كانت معه أساسًا؛ لأنها لم تكن تزوجت، فقد تزوجت في المدينة، فبقيت زينب في مكة مع زوجها، وانشغل بال النبي ﷺ بها، لكنها كانت مع زوجها والأمور هادئة.

فلما جاءت معركة بدر وهي أول معركة بين المسلمين والكافرين، ونصر الله تعالىٰ المسلمين علىٰ الكافرين وقتل المسلمون من الكافرين سبعين، وأسروا سبعين.

جاء النبي ﷺ ينظر إلىٰ الأسرىٰ يتفقدهم فتفاجأ أن من بينهم صهره زوج ابنته أبا العاص بن ربيع فنظر إليه، فإذا أبو العاص بن الربيع زوج بنتي جاء يقاتلني، انظر إلىٰ شدة التعصب لآبائه وأجداده.

دين آبائه وأجداده مع أنه يحب زوجته، ولك الشرف يا أخي أن تكون زوج بنت النبي ﷺ، ومع ذلك كل هذا لم يهمه لما رأىٰ شرف آبائه وأجداده، انظر إلىٰ شدة التعصب أحيانًا كيف تفسد علىٰ الإنسان.

والنبي ﷺ في تعامله مع الأسرىٰ قسمهم إلىٰ قسمين:

من كان منهم يعرف القراءة والكتابة قال له: علم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة ونطلقك.

انظر إلىٰ حرص الإسلام علىٰ العلم وعلىٰ تطوير الذات أيضًا - إن شاء الله عندي حلقة عن المرأة وتطوير ذاتها - فالنبي ﷺ حريص علىٰ أن يرتقي بالمجتمع.

إذ ليس المجتمع مجتمع أكل وشرب وجهاد وصلاة وصوم فقط بل يريد أن يرتقي بالتعليم، يرتقي بتطوير الناس، ما عنده معلمون فكان يقول: إذا كنت تعرف أن تقرأ وتكتب فتعال علم عشرة عندنا القراءة والكتابة ونطلقك.

ومن كان منهم لا يعرف القراءة والكتابة ولا يمكن أن يساعدنا في هذا وجب علىٰ أهله أن يرسلوا مالاً لأجل أن يفتدوه.

وقال ﷺ لأصحابه: «أحسنوا إلىٰ الأسرىٰ أحسنوا إليهم».

يقول أخو مصعب بن عمير رضي الله عنه: والله لقد أسرت أنا من ضمن الأسرىٰ في بدر يقول: وكانت أمي ذات مال. -فعلاً أمه تاجرة- حتىٰ إنها لما قيل لها: افتدىٰ ولدك سألت، قالت: كم بلغ أعظم فداء دفع في أسير، قالوا لها: والله أربعة آلاف درهم، قالت: أنا أدفع خمسة آلاف من شدة عزها وكثرة مالها.

فيقول أخو مصعب بن عمير: كنت أجلس معهم فإذا جاءهم خبز وتمر -والتمر أحسن من الخبز، الخبز يجدونه في أي مكان. التمر يعد بالنسبة لهم شيئًا له أهمية؛

لأنه غالي الثمن وكل المناطق حول المدينة تأتي تشتريه من المدينة فهو له قيمته عندهم، ومكة ما فيها تمر فكانوا يأتون يشترونه من المدينة- فيقول: إذا جاءهم خبز وتمر ألقوا إلي التمر كله آكله وأعطوني شيئًا من الخبر، وأكلوا الخبز (الناشف) فأستحيٰ أقول: خذوا بعض التمر أنتم الحراس علي وأنا كافر ومأسور عندكم.

فيقولون: لا. إن رسول الله ﷺ قال: «أحسنوا إلىٰ الأسرىٰ» فنحن نحسن إليك يقول: وإن جاءهم شيء حسن من طعام أو ماء أو كذا دفعوه إلي وبقوا هم عطشىٰ من شدة معاملة النبي ﷺ لهم.

بدأ الفداء يصل إلىٰ النبي عليه الصلاة والسلام فيأتي مثلاً من يفدي فلانًا وفلانًا وفلانًا.

وأرادت زينب أن تفدي زوجها فما كان عندها شيء ترسله؛ فأرسلت كيسًا فيه فداء -أي: مال- لأجل أن يطلقوا زوجها ويعود إليها فلما جيء به إلىٰ النبي ﷺ، قالوا: يا رسول الله هذا فداء أبي العاص بن الربيع.

أبو العاص بن الربيع يمكن أن يفديه أبوه ، أو إخوانه؛ لكن ليس زوجته التي تفديه، أين الرجال؟

فلما فتح النبي ﷺ الكيس، -هذا زوج ابنته- وأخرج ما فيه فإذا هي القلادة التي رآها علىٰ ابنته قبل سنين في ليلة زواجها وأمها خديجة بجانبها وهي التي كان النبي ﷺ يحبها حبًّا عظيمًا حتىٰ إنه لما ماتت سُمِّي ذلك العام بعام الحزن، ولما طرقت امرأة عليه الباب بعد سنين من موت خديجة.

طرقت الباب عليه وتكلمت فنطقت باسم رسول الله، فسمع النبي ﷺ صوتها فإذا هي يشبه صوتها صوت خديجة اللهم هالة هالة؛ لأن هالة أخت خديجة.

هالة.. هالة.. هالة وجعل النبي ﷺ يشتاق إلىٰ خديجة لما سمع صوتًا يشبه صوتها خديجة، ولم ينفعه أحد بماله وقلبه وعقله مثل خديجة.

صارت له أمًّا وزوجة ووزيرًا ومستشارًا وهي التي لما جاء قال: «زملوني..

زملوني»، أخذته وذهبت به إلىٰ ورقة بن نوفل.

خديجة لها مكانها عنده ﷺ وماتت وهذه أكبر بناتها وهو عليه الصلاة والسلام حضر زواجها قبل سنين ولم يرها منذ سنين؛ لأنه هاجر إلىٰ المدينة من سنتين ولم ير ابنته ولم تره، ولا يوجد اتصالات بينهم ولا رسائل.

فلما رأىٰ القلادة تذكر هذه القلادة، كانت علىٰ رقبة ابنته في ليلة عرسها وأن المسكينة ما عندها أحد في مكة فأبوها وأخواتها في المدينة وأمها ماتت والكفار كلما حصل شيء قالوا: بسبب أبيك بسبب أبيك.

فهي المسكينة متحملة تريد زوجها بجانبها ما عندها مال، فأرسلت قلادتها التي هي أعز شيء عندها، ذكرىٰ من أمها الميتة.

فلما رأىٰ النبي ﷺ القلادة بكىٰ وجعل يمسح ﷺ دمعه وينظر إلىٰ القلادة والناس ما يدرون لماذا يبكي؟ الصحابة لا يدرون هذه القلادة لها قصة.

فقال ﷺ: «إن شئتم - يعني هذه مسكينة فقيرة مبتلاة هناك- أطلقتم لها أسيرها ورددتم إليها قلادتها»؛ انظر إلىٰ أدبه عليه الصلاة والسلام.

يقول: لو سمحتم إذا أذنتم، أنا أود وأتمنىٰ يا صحابة أن تردوا إليها قلادتها وما تأخذون منها مالاً؛ إذ ما عندها شيء. وأن تطلقوا لها أسيرها.

أنا أود والأمر إليكم، النبي ﷺ لا يريد من الصحابة أن يقولوا: يا رسول الله لماذا أخذت هذا؟ لا هذا اقتراح؛ لأنه ما عندها شيء، والنبي ﷺ أطلق قبله رجلاً من غير شيء اسمه أبو عزة حتىٰ لا يقول أحد أيضًا من الذين ربما يقولون: أطلقه؛ لأنه صهره. نقول: لا النبي ﷺ يراعي ظروف الناس.

أبو عزة هذا لما أراد النبي ﷺ أن يفتديه. قال: «دبر لنفسك أحدًا يفتديك»، قال: والله ما عندي أحد يفتديني، قال: «علم عشرة القراءة والكتابة»، قال: ما أعرف أنا أحتاج من يعلمني القراءة والكتابة، ثم قال: يا محمد ارحم بنيات صغارًا فقراء أيتامًا ما عندهم أم، وليس عندهم إلا أنا ارحمنا وأحسن إلينا فلم يزل بالنبي ﷺ حتىٰ قال:

«أطلقت لوجه الله اذهب».

فالنبي ﷺ لم يطلق أبا العاص بن وائل؛ لأنه صهره بل كل من كان له ظروف معينة يعيشها كان النبي ﷺ يطلقه وهذه مسألة مهمة لا بد أن ننتبه إليها.

فالنبي ﷺ أطلقه، وأطلق معه القلادة، مرت فترة يسيرة ثم خرج أبو العاص بن وائل في تجارة إلىٰ الشام وهو راجع خرج إليه زيد رضي الله تعالىٰ عنه في سبعين من الصحابة؛ لأن الكفار كان بينهم وبين المسلمين حروب فكانوا يقطعون الطريق علىٰ المسلمين، والمسلمون يقطعون الطريق عليهم أيضًا.

فقطعوا الطريق عليه وأتوا به مأسورًا مرة ثانية، أتوا به مأسورًا ودخلوا به إلىٰ المدينة، طبعًا لما أراد النبي ﷺ أن يطلق أبا العاص بن وائل في بدر قال: «أطلقك لكن اشترط عليك»، قال: ما هو؟ قال: «أن ترسل زوجتك إلينا مسلمة» ترسلها إلينا تعيش في المدينة.

قال: نعم وفعلاً أرسلها إلىٰ المدينة وحصلت لها قصة عجيبة في إرسالها.

زينب رجع أبو العاص بن وائل إلىٰ مكة وكان النبي ﷺ تكلم معه عن الإسلام لكنه أبىٰ وزوجته زينب هناك.

ثم جاء إلىٰ زينب وقال: «إن أباكِ وعدته أن أرسلك إليه في المدينة». طبعًا هي تود أن تذهب إلىٰ المدينة عند أبيها وأخواتها.

فجلوسها في مكة ليس له معنىٰ إلا وجود زوجها، وزوجها يسافر إلىٰ الشام في تجارات ويخرج مع قريش ليحارب فهو رجل لا يتقبل منها النصيحة.

فلماذا تبقىٰ معه؟

قال: سأرسلك إلىٰ هناك، والنبي ﷺ أرسل عبد الله بن رواحة ورجلاً آخر وقيل: أرسل زيد بن حارثة ورجلاً معه، قال: اذهبا إلىٰ مكان كذا وكذا قريبًا من مكة فستأتيكم زينب علىٰ جمل فأحضراها معكما.

اتفق مع زوجها، قال: إذا وصلت مكة اليوم الفلاني اجعلها تخرج إلىٰ المكان الفلاني وأنا أرسل من يأتي بجملها إلينا.

قال: خرج بها أبو العاص وذلك أول ما رجعوا من بدر لما أطلقه النبي ﷺ وكانت قريش لا تزال مصابة: سبعون منهم قتلوا وسبعون مأسورون، مصيبة علىٰ قريش، فوصل إلىٰ زينب وقال: تجهزي، قالت: إلىٰ أين؟ قال: هذه قلادتك واذهبي إلىٰ أبيكِ في المدينة، فركبت جملها، وأراد أن يخرج بها؛ لكن خشي أن تنتبه إليه قريش فربما أصابته بضرر وهو معها.

فأخرج أخاه معها، قال: اذهب يا فلان معها ووصل البعير إلىٰ المكان الفلاني. خرج بها الجمل وهي حامل علىٰ البعير ومعها ابنتها أمامة الصغيرة.

طبعًا ستقطع طريقًا طويلاً من مكة للمدينة قرابة خمسمائة كيلو هذه المسافة تساوي هذا اليوم خمسمائة كيلو عبر الطرق المسفلتة، فما بالك بهم وهم يصعد بهم جبلاً ويهبط بهم واديًا وطرقًا موحشة.

الشاهد: أنه خرج بها ولما كان قريبًا من مكة قبل أن يصل إلىٰ الموطن الذي اتفق مع الصحابة إليه خرج إليه مجموعة من قريش.

قالوا: كيف تذهب بها؟ أبوها يقتلنا ثم تذهب بابنته هكذا في وضح النهار، والله ما تذهب ثم أقبل هبار بن الأسود واحد من قريش أقبل يخوفها بالرمح وهي علىٰ البعير ففزعت منه وأسقطت حملها. حملها الذي كان في بطنها، انطلق منها الدم فسقط الحمل.

ولما رأىٰ أخو زوجها ذلك. بطل أخذ البعير وذهب به جانبًا وأخرج كنانة السهام ونثرها بين يديه عشرين سهمًا وهم أمامه.

قال: والله يا قريش ما يقترب مني أحد إلا وضعت سهمًا في صدره. اتركوني أمش، والله ما تتمكنون مني ومنها حتىٰ يموت منكم عشرون.

إذا مات عشرون بعدد هذه الأسهم فيمكن أن تمسكوها، هو رجل كافر لكنه

بطل.

قام أبو سفيان وكان كافرًا أيضًا وكان قائدهم، قال: يا رجل اجمع عنا نبلك؛ فكَنَّا من المشاكل وإذا جاء الليل ذهب بها، ولكن ليس بالنهار أمام الناس؛ لأن الناس يقولون: أبوها غلبهم وأخذ بنته بالقوة أيضًا في النهار.

وفعلاً رجعت وبعد ليلتين أو ثلاث خرجت ووصلت إلىٰ النبي ﷺ في المدينة، بعدما أسر زوجها مرة ثانية وصار لها معه قصة في المدينة.

عندما خرج زوجها معه تجارة إلىٰ الشام ثم رجع خرج إليه زيد ﷺ مع مجموعة من الصحابة وأسروهم وجاءوا بهم.

جاءوا بهم ووضعوهم في مكان -سجن- فأبو العاص استطاع أن يتصل بزينب ويخبرها فهي في المدينة أصلاً بعدما رجعت وقال: أنا مأسور. فلما صلىٰ النبي ﷺ الفجر خرجت زينب أطلت من نافذة المسجد قالت: أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع، أجرته هو في جواري هو في ذمتي وفي حمايتي ما يقتله أحد.

فالتفت النبي ﷺ إلىٰ الناس، قال: «هذه بنتي زينب ووالله ما علمت بذلك».

هذا ليس اتفاقًا بيني وبينها، والمؤمنون يسعىٰ بذمتهم أدناهم، يمكن لأي واحد من المؤمنين حتىٰ لو امرأة أن يجير أحدًا ونقبل جواره.

فعاد أبو العاص بن وائل إلىٰ مكة وأسلم رضي الله تعالىٰ عنه في السنة السابعة للهجرة ثم جاء وسكن مع زوجته في المدينة وما عاشت معه إلا سنة واحدة وماتت ﵂ . هذه حقيقة باختصار.

سؤال: يا شيخ ما يحدث الآن ونشاهده من صور أسرىٰ المسلمين تحديدًا في الدول العربية أو الأجنبية نراهم يخصون المسلم بالتعذيب كأنهم يعاملون حيوانًا، فأين نحن من تعامل الرسول ﷺ من الأسرىٰ؟

والله هذا صحيح وأنا أتألم كألمك حقيقة، والنبي ﷺ كان يقول: «استوصوا بالأسرىٰ خيرًا»، ويوصي بهم أن يحسن إليهم، والله تعالىٰ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ

﴿أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٧٠]، لكن اليوم ما يقع في تعامل عدد من الناس وللأسف حقيقة هو ليس فقط في «جوانتانامو» ولا مثلاً في سجون إسرائيل لإخواننا الفلسطينيين؛ لكنه يمتد إلىٰ غير ذلك.

إن القلب يتقطع للأسف علىٰ بعض الدول العربية، والإسلامية التي ربما لا تتعامل مع سجنائها المعاملة اللائقة بهم حتىٰ لو كانوا مجرمين حقيقيين؛ إذ من حقه أن يسجن في مكان يصلح للآدميين وأن يقدم إليه طعام يصلح للآدميين، ويقدم إليه لباس يصلح للآدميين، معيشة.. تهوية.. طبيب.. يعني أن تتعامل مع آدمي..

يا أخي، الله ﷻ أدخل امرأة النار في هرة حبستها، وأدخل امرأة إلىٰ الجنة في كلب سقته.

لاحظ: فما بالك في آدمي يا أخي تحسن إليه، فأنا أشد علىٰ يدك في هذا وأقول: إن النبي ﷺ يقول: «إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا» ويقول النبي ﷺ: «لزوال السموات والأرض أهون عند الله من قتل امرئ مسلم بغير حق»، هذا إذا وصل إلىٰ مرحلة قتله أو إزهاق روحه. ونسأل الله تعالىٰ أن يهدي الجميع.

سؤال: ذكرت يا شيخ في قصة زينب ﵂ صورة جميلة وهي حرص المرأة المسلمة علىٰ صيانة زوجها والعناية به وإصلاحه.

الحقيقة هذه نقطة جميلة فعلاً: زينب يا أخي تشعر أنها تحب زوجها حبًّا حقيقيًّا وهو غير مسلم. وهو ذاهب ليقاتل أباها، ومع ذلك انظر للحب في قلبها.

وفي المقابل انظر إلىٰ التعصب من زوجها فهو متزوج من بنته وهو كافر ومع ذلك لم يكن له حظ أن يأخذ الموضوع برويّة، ففضل أن يتعصب لآبائه وأجداده ويذهب ليقاتل أبا زوجته.

سؤال: هل توجد صور من التعصب تشبه هذا اليوم؟

كثير -والله- التعصب القبلي في كل مكان، حتىٰ في الرياضة صارت تعج بالتعصب الرياضي الذي ربما يفرق بين الشخص وأخيه، وربما فسدت النفوس وحصلت مشاكل بين كل منهما من أجل فريقه، وأبناء القبيلة الواحدة وأبناء العمومة والإخوان في البيت الواحد صار بينهم خلافات وتناحر من أجل التعصب الرياضي أو التعصب لفنان معين، أو التعصب لأي شيء، والمسألة في حد ذاتها تافهة ويدخلون فيها التعصب.

ماذا يعني التعصب الديني؟

المذاهب -يا شيخ- هذا حنبلي، هذا شافعي، هذا مالكي.

للأسف يا دكتور أصبح الآن هناك قنوات تدعم التعصب وتثيره، وأخرىٰ تشجع علىٰ التعصب، ومسابقات ربما في الشعر وربما في الإبل وغيرها تثير بين الناس التعصبات.

المشكلة أنها وصلت إلىٰ الأطفال الصغار، أحيانًا ترىٰ الأطفال في الابتدائية أعمارهم ثمان سنوات أو تسع سنوات ويتعصبون لمثل هذه المسائل وهذه قضية.

حقيقة أنا لم أتكلم عن التعصب القبلي، ربما يكون موجودًا في الخليج وما حوله أكثر من وجوده في دول أخرىٰ؛ لكن كذلك التعصب المذهبي.

التعصب لأقوال العلماء: أحيانًا يقتنع الإنسان بقول عالم ويبدأ يتنقص غيرهم من العلماء، ويشنع عليهم: هؤلاء جهال هؤلاء كذا. يا أخي يبقىٰ أن هؤلاء علماء أفلا يسعهم ما وسع الأولين من جمع الأقوال ومحاولة احتوائها جميعًا. وكذلك التعصب المتعلق بالكرة.

كل هذا حقيقة يمنعه الإسلام، الله تعالىٰ لما بعث نبيه عليه الصلاة والسلام بعثه إلىٰ قوم كانوا مشتركين في طبائع وعادات وتقاليد واحدة، لم يتواجدوا مشتركين في وطن واحد ولم يتوحدوا ما وحدهم إلا الدين؛ لذلك يقول ﷻ: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾

[الأنفال:٦٣].

فلا يمكن في الحقيقة أن تجتمع الأمة إلا إذا عدم التعصب لبلدي ولجنسيتي بمعنىٰ أن أشعر أن المسلم الأبيض والأسود والأحمر والأزرق والأشقر كل من قال: لا إله إلا الله، فهو أخي أحبه وأحب له الخير مثلما قال مصعب بن عمير -وكان هذا في معركة بدر - لما رآهم قد أسروا أخاه قال للمسلم: شد عليه وثاقه- اربط أخي جيدًا- فإن أمه ذات مال.

نستفيد من ورائه مالاً فقال أخوه وهو يربط: هذه وصيتك بي أنا أخوك.

قال: إنه أخي دونك. هذا أخي ما أنت. أنت تعبد اللات والعزة، لست بأخي وهذا أخي المسلم الثاني، ترىٰ أثر هذه الروابط الدينية.

يا شيخ بعيدًا عن التعصب ما حكم تزوج المسلم من كافرة، وتزوج المسلمة من كافر؟

سؤال جيد وهو بعيدًا عن التعصب، مثلما قلت: هو قضية كبرىٰ أعني تزوج المسلمة من الكافر، ذكرت أنا في البداية أن الله تعالىٰ قال: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾، وقال: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة:٥] أباح الله تعالىٰ المحصنات من الذين أوتوا الكتاب.

إذًا: قاعدة لا يجوز للمسلم أن يتزوج غير مسلمة إلا إذا كانت كتابية إما نصرانية وإما يهودية حتىٰ لو جاء إنسان وقال: يا أخي، إن أهل الكتاب الآن غيروا وبدلوا. نقول: حتىٰ لو غيروا وبدلوا ما دام أنها تقول: إنها نصرانية وإنها تطيع الإنجيل حتىٰ وإن كان الإنجيل غير وبدل؛ فهم النصارىٰ الذين كانوا في عهد النبي ﷺ.

الإنجيل والتوراة محرفة من زمن النبي ﷺ ونزل القرآن في ذلك الدين يقول: تزوجوا منهم وهم قد حرفوا من ذلك الوقت.

فيجوز الزواج منهم ما دامت محصنة، اقصد في حال بقائها معك لا تزني وإلا فلو جاء إنسان، وقال يا شيخ: ما توجد بكر الآن أجدها وأتزوجها من هذه البلدان.

مثلاً: لو ذهب إلىٰ أوروبا أو إلىٰ أمريكا فمن الغالب أنه يتزوج فتاة عمرها عشرون سنة ولن يجدها بكرًا نقول: ليس هذا المقصود بالإحصان، إنما المقصود بالإحصان ألا تكون امرأة بغيًّا كل من جاء وقع عليها بالفاحشة وعندها ثلاثة أو أربعة (بوي فرند) وتأتي أنت رقم خمسة تقول: أنا سأتزوجك لكن سأعقد عليك العقد الشرعي.

لا. هذا لا يجوز.

أما نكاح المسلمة للكافر فهذا لا يجوز شرعًا حتىٰ لو كان يهوديًّا نصرانيًّا، الله تعالىٰ يقول: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٤١] ويقولﷻ : ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة:٢٢١] فلا يجوز.

لذلك أنا أخاطب إخواني وأخواتي المقيمين في الخارج في دول أوروبا وفي أمريكا وفي أستراليا وغيرها من البلدان ممن صار لهم فترة هناك وهاجروا إلىٰ تلك البلدان ونشأ الجيل الثاني والثالث في تلك البلدان؛ فأحيانًا البنت يكون معها في المدرسة أو في الجامعة شاب اسمه مايك جون أي اسم وهو نصراني وتريد أن تتزوجه.

فهذا شرعًا لا يجوز.. لا يجوز إلا إذا دخل في الإسلام. حتىٰ لو تزوجته في كنيسة أو في غيرها فديننا يمنعنا من ذلك. إذًا أنت مسلمة والشريعة تمنعك من ذلك، والله تعالىٰ يقول: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟﴾ [البقرة:٢٢١] فلا يجوز شرعًا مثل هذا.

وينبغي ألا تكون عواطفنا هي التي تحكمنا في هذه المسائل..ينبغي أن يكون الذي يحكمنا هو شرع اللهﷻ .

۞ ۞ ۞

قصص ومواعظ في صلاة الفجر

سنتكلم عن جريمة تقع في الصلاة حقيقة وهي التفريط في صلاة (الفجر) حتىٰ لا تجد إلا صفًّا أو أكثر بقليل.

أكل هؤلاء الغائبين في قسم الطوارئ في المستشفىٰ مع أولادهم أو كلهم متعطل متعب من الشغل؟

لا، فالمسألة سببها نوع من الإهمال.

وقبل فترة ألقيت محاضرة في إحدىٰ الثانويات فكان أمامي ألف طالب فتكلمت عن صلاة الفجر، ثم قلت: متىٰ يؤذن الفجر؟

ووالله ما عرف أحد، واحد يقول: السادسة إلا الربع، وثانٍ: الثالثة. وثالث يقول: والله ما أدري، فلم يجب عن هذا السؤال إلا خمسة عشر طالبًا هم الذين رفعوا أيديهم.

وما صلىٰ الفجر منهم في جماعة إلا سبعة وعشرون.

فيا عجبًا لهذا الإهمال الشديد !

فستتكلم عن صلاة الفجر.

عن فضلها.

عن طرق الاستيقاظ لها.

سنتكلم عما توعد به النبي ﷺ من ضيعها.

سنتكلم عن أنها مقياس للإيمان، مقياس لحبك لرب العالمين.

﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء:٧٨] نعم إنها صلاة الفجر: ملائكة شهود ومؤمنون ركع سجود وأعمال ترفع وعبادات تنفع وتشفع.

إنها الصلاة اليتيمة صلاة الفجر تئنّ من قلة الحاضرين وتندب حظ النائمين.

إنها صلاة الفجر؛ فتعالوا نضع بصمة في صلاة الفجر مع الجماعة.

ولن نتكلم عن الرجال فقط لأن بعض النساء ربما لا يصلين صلاة الفجر إلا بعد خروج وقتها.

وتعقيبًا علىٰ أهمية أدائها في وقتها نقول: لو أن إنسانًا يملك كل مقومات الحج، وجاء وقته، ولم يذهب لأداء المناسك، بسبب شغله وخوفه من الزحام الشديد والروائح الكريهة وما أشبه ذلك، ثم ذهب إلىٰ هناك ليؤدي المناسك في رمضان رغبة في الفضل العظيم، وفعل كل شيء، ووقف بعرفة، وبكىٰ وخشع وتذلل، فهل يقبل منه؟

الجواب: لا. لأن الحج له أشهر معلومة قال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ﴾ [البقرة:١٩٧].

فما رأيكم فيمن يؤذن عليه الفجر الساعة الخامسة فجرًا ثم لا يصلي إلا الساعة السابعة أو الثامنة أو التاسعة. يا جماعة، إن الله ما سماها صلاة استيقاظ بل سماها صلاة فجر مثل صلاة الظهر صلاة ظهر، وصلاة العصر وقت عصر، وصلاة المغرب وقت غروب الشمس، صلاة العشاء بعدما عشا الليل وغطىٰ واظلم.

كذلك صلاة الفجر سماها الله صلاة الفجر في وقت عند الناس جميعًا اسمه الفجر العرب كانوا يسمونه فجرًا والروم والفرس كل لهم اسم معين، وهذا الوقت يختلف بعد طلوع الشمس، فكوننا ننقل الصلاة من وقت الفجر إلىٰ وقت آخر نجعل الصلاة فيها أمر عجيب؛ لذلك الله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء:١٠٣]. قال كتابًا واجبًا أو كتابًا مشروطًا أو كتابًا فاضلاً.

بل ﴿مَّوْقُوتًا﴾ مع أن الصلاة لها تسعة شروط، منها:

- استقبال القبلة.

- ستر العورة.

- الطهارة من الحدث الطهارة من الخبث إلىٰ آخره.

ومن ضمن الشروط الوقت، ومع ذلك رب العالمين ترك كل شروط الصلاة واختار هذا الشرط ﴿مَّوۡقُوتٗا﴾؛ لأنه أهم شروطها؛ لذلك لو جاء إنسان وقال: سأصلي الظهر؛ لكن لا أجد ماء والماء سيوجد في الخامسة عصرًا؛ فهل الأفضل أن أؤخر الصلاة لأصلي بالوضوء أو أن أصلي الآن في وقتها؟

نقول: صلّها في وقتها.

ولو قال: لا أجد ماء وليس عندي تراب فدعوني أؤخرها إلىٰ العصر حتىٰ أحقق الوضوء؟

نقول: لا بل صلِّ الآن من غير وضوء ومن غير تيمم؛ لأجل أن تحصل شرط الوقت.

ولو قال: ما عندي ثوب أستر به عورتي والسيارة ستصل بعد ثلاث ساعات ويكون الوقت خرج؟

نقول: صل وأنت عارٍ.

لو قال: أنا ما أعرف القبلة.

نقول: صل واجتهد رأيك واعمل بما تستطيع من أسباب.

لكن الشيء الأهم أن تصلي الصلاة في وقتها .

وهذا يدلك علىٰ تعظيم الله وقت الصلاة.

ولو نظرت إلىٰ أكثر صلاة يؤخرها الناس لوجدت أنها صلاة الفجر، ويقع عندهم تقصير فيها.

وواقع الناس مع الأسف إما أنه الخط الأحمر أو الخط الأخضر وأن المستمرين عليها المداومين علىٰ فعلها هم قلة.

ونحن كلامنا اليوم - وأنا اوجه الكلام إلىٰ الجميع - ليس فقط في وجوب

صلاتها مع الجماعة؛ بل نحن ننادي حتىٰ أخواتنا وبناتنا وأمهاتنا إلىٰ أن يصلينها في وقتها.

وللأسف أنك تجد أحيانًا أن أهل البيت جميعهم ما يستيقظون إلا الساعة السادسة والنصف؛ لأجل دواماتهم، مع أن النبي عليه الصلاة والسلام عظم صلاة الفجر، والأحاديث في صلاة الفجر كثيرة ومعلومة.

وأول هذه الأحاديث أن النبي عليه الصلاة والسلام قال مبينًا فضلها: إنها تعدل قيام ليلة كاملة يقول النبي عليه الصلاة والسلام: «من صلىٰ العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلىٰ الصبح في جماعة فكأنه قام الليل كله» أخرجه مسلم.

لماذا قرن بين صلاة العشاء وصلاة الفجر؛ صلاة العشاء سهلة عندنا الآن أما الفجر فهي التي تصعب العشاء.

أما في السابق فما كانوا ينامون بعد صلاة الفجر أو من بعد طلوع الشمس، يذهب الواحد إلىٰ مزرعته وإلىٰ غنمه وإلىٰ سوقه، فكان الواحد يتعب تعبًا شديدًا فإذا غابت الشمس انتهىٰ يومه. هكذا كان العرب في السابق.

وكان يواصل بعد غروب الشمس ساعة أو ساعة وربع الساعة؛ حتىٰ ينتظر صلاة العشاء، وهذا فيه نوع من المشقة بالنسبة إليهم.

وبالتالي كانت الصلاتان ثقيلة عليهم صلاة العشاء والفجر فقال النبي عليه الصلاة والسلام هذا الحديث مشجعًا لهم، وتأمل الفضل، تبادر نفسك إليه.

ومن ذلك أيضًا قول النبي عليه الصلاة والسلام عن الحفظ في ذمة الله تعالىٰ يقول: «من صلىٰ الصبح فهو في ذمة الله؛ فلا يطلبنكم الله من ذمته في شيء؛ فإن من يطلبه من ذمته بشيء يدركه ثم يكبه علىٰ وجهه في نار جهنم» كما رواه مسلم.

في ذمة الله: في حفظ الله.

معنى هذا الحديث: أن من فضل صلاة الفجر مع الجماعة أن المصلي يكون في

حماية الله وذمته، وبالتالي إذا تسبب أي إنسان في ظلمه فإن الله تعالىٰ هو الذي يتولىٰ الانتقام منه.

الحديث الثالث: قول النبيﷺ فيمن صلىٰ الفجر مع الجماعة أنها نور يوم القيامة يقول صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «بشر المشائين في الظلم إلىٰ المساجد بالنور التام يوم القيامة».

بمعنىٰ أن اللهﷻ لا يساوي عنده من يؤذن عليه الفجر وينادىٰ ويقال له: الصلاة خير من النوم، حي علىٰ الصلاة، حي علىٰ الفلاح - وهو تارك الدنيا كلها وتارك الدين وبين الذي يستيقظ مع رغبته في النوم وربما كان في البرد فيقوم ويتوضأ ويخرج في البرد ويمشي في هذه الظلمة وحده، والله تعالىٰ من السماء يراه، وقد استيقظ.

وربما تكون امرأة نامت حتىٰ شبعت نومًا ولم تستيقظ إلا في الضحىٰ، أما الثانية فإنها استيقظت وقامت وتوضأت بالماء البارد وصلّت وقد غلبها النوم؛ فلا يساوي الله تعالىٰ بين هذا الذي يطيعه وبين الثاني الذي يعصيه.

وأيضًا من الأحاديث أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «بشر من يصلي الفجر مع الجماعة بدخول الجنة»، ويقول عليه الصلاة والسلام: «من صلىٰ البردين دخل الجنة» كما رواه البخاري ومسلم. البردان: صلاة الفجر والعصر، سميت بـ(البردان) لأنهما تجيئان بعد وقت برودة الشمس.

ومن الأحاديث في فضلها: أن النبي عليه الصلاة والسلام أخبر أن من صلاها ينجو من النار؛ قال عليه الصلاة والسلام: «لن يلج النار أحد صلىٰ قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» رواه مسلم.

فالذي يعلم هذا الفضل لا بد أن يشمر وأن يبادر إلىٰ اغتنامه.

ومنها: أن النبي عليه الصلاة والسلام شهد لمصلي الفجر مع الجماعة - أن الملائكة تشهد له، وهذا من أعظم الأحاديث يقول: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل

وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر والعصر، ثم يخرج من باتوا فيكم، فيسألهم الله تعالىٰ وهو أعلم كيف رجعتم عن عبادي؟ أو كيف وجدتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون» رواه البخاري.

هذا الحديث معناه أن هناك ملائكة تنزل من السماء في الفجر وترتفع العصر، وفي وقت ارتفاعها هناك ملائكة آخرون ينزلون، ويبقون من العصر إلىٰ الفجر ثم يرتفعون وتنزل الملائكة.

فيسأل الله ﷻ الملائكة الأولين كيف وجدتم عبادي؟ فتقول الملائكة: يارب أتيناهم وهم يصلون يريدون صلاة الفجر، وتركناهم وهم يصلون العصر.

فيسأل الله المجموعة الثانية كيف وجدتم عبادي؟ فيقولون: يارب أتيناهم وهم يصلون العصر وتركناهم وهم يصلون الفجر.

وانتبهْ إلى أمر مهم: فلو سألهم الله فقالوا: يا ربنا أتيناه وهو نائم وتركناه وهو يتابع فيلمًا أو مباراة، وما صلىٰ الفجر ولا العصر؛ فهذي حقيقة الطامة.

ومن ذلك: أن الله ﷻ سمىٰ صلاة الفجر قرآنًا قال ﷻ: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ [الإسراء:٧٨]. أي: تشهده الملائكة مثلما تقدم في جاء في الحديث السابق.

ومن النصوص الواردة في ذلك: أن الله ﷻ وعد من حافظ علىٰ صلاة الفجر أنه يرىٰ الله ﷻ يوم القيامة يقول النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا علىٰ صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها؛ فافعلوا، ثم قرأ عليه الصلاة والسلام ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾[طه:١٣٠]» في الصحيحين.

رؤية الله ﷻ في الآخرة منية يتمناها كل الناس، «فإن الله تعالىٰ إذا أعطىٰ أهل الجنة ما يريدون واكتمل نعيمهم يطل عليهم ربهم ﷻ فيقول: يأهل الجنة إن لكم عندي موعدًا

أريد أن أعطيكموه أو أنجزكموه.

فيقولون: يا ربنا ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة؟ ألم تعذنا من النار؟

فيقول الله ﷻ: بلىٰ أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدًا، ثم يكشف الحجاب عن وجهه، فينظرون إليه فلا ينصرفون إلىٰ شيء من النعيم أبدًا ما داموا ينظرون إلىٰ وجه الله ﷻ»

والله لولا رؤية الرحمن في الجنات ما طابت
فأعلى النعيم نعيم رؤية وجهه.

ومن الأحاديث ما أخبر به النبي عليه الصلاة والسلام لما قال: «يعقد الشيطان علىٰ قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب علىٰ مكان كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ وذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلىٰ انحلت عقدة؛ فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» متفق عليه.

وهذا معناه أن إبليس حين يراك نائمًا يأتي ويعقد علىٰ رأسك؛ لأجل أن تنام تمامًا وتغفو وتنسىٰ الدنيا كلها، يعقد عليك ثلاث عقد حتىٰ يحول بينك وبين الاستيقاظ.

ولاحظ الفرق بين من يستجيب للفجر ومن لا يستجيب.

ومن النصوص أنه لعظمة الفجر أقسم الله تعالىٰ به في القرآن قال الله ﷻ: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [الفجر:١-٢].

الفجر المقصود به صلاة الفجر أو وقت الفجر والليالي العشر يعني: عشر ذي الحجة.

ومن النصوص في ذلك أن التفريط في صلاة الفجر علامة النفاق، قال عليه الصلاة والسلام: «ليس صلاة أثقل علىٰ المنافقين من الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما – من ثواب– لأتوهما ولو حبوًا» حبوًا أي: زحفًا علىٰ الأقدام.

لذلك النبي عليه الصلاة والسلام صلىٰ مرة الفجر ثم رأىٰ العدد قليلاً فقال:

أشاهد فلان؟ فقال الصحابة: لا. وفلان؟ غير موجود. وفلان غير موجود؛ فقال: إن هذه الصلاة أثقل صلاة علىٰ المنافقين.

فالذي تفوته خمسة وعشرين يومًا، فإن هذا دليل علىٰ تفريطه.

بل أنا أسأل الذي يقول: أنا ما أستطيع أن أصلي الفجر وهي ثقيلة علي وأنا أحاول، هذا الشخص ماذا يفعل إذا اتصل عليه مدير الشركة، وقال: أريدك عند أذان الفجر في الساعة الخامسة إلا الربع؛ لأني أبغىٰ الذهاب إلىٰ الدوام الساعة الخامسة، وأعطيك عن كل يوم خمسة آلاف ريال؛ لكن لو حصل ووجدت السيارة غير جاهزة ولو يومًا ضاع عليك الراتب كله ولو في الثلاثين.

فهل سيغيب يومًا؟ لا بل لا يكاد ينام حرصًا علىٰ مائة وخمسين ألفًا، ولو رجع البيت متعبًا في الرابعة فسيقول: بقي ساعة إلا الربع علىٰ تشغيل السيارة، ويأخذ بالأسباب التي تجعله يواصل الاستيقاظ.

ثم يأتيك ويقول: والله أتمنىٰ أن اقوم للفجر؛ لكني لا أستطيع.

فإذا قال ذلك نقول: كذاب. لأن الله تعالىٰ لا يكلفك إلا ما تطيق، ولولا أن الله يعلم أننا نستطيعه ما كان ليأمرنا بها؛ لذلك النبي ﷺ يقول عن المنافقين: «لو يجد أحدهم عرقًا سمينًا أو مرماتين حسنتين لشهدها» أي: مع الجماعة.

ومن النصوص أن النبي عليه الصلاة والسلام أخبر أن النائم عن صلاة الفجر يبول الشيطان في أذنيه كما ذكر عند النبي ﷺ أن فلانًا نام حتىٰ أصبح فقال: «ذلك رجل بال الشيطان في أذنيه» رواه البخاري.

لذلك التنبه إلى هذا أمر مهم جدًا.

وأنا أسوق هذه النصوص وأذكرها؛ لأجل أن ينتبه إخوتي وأحبتي ونصحًا للناس في ذلك.

ولو استشعرت أنك إن صليت الفجر مع الجماعة صرت في ذمة الله، تولد ثقة كبيرة بين العبد وربه، فيطمئن العبد ولا يخشىٰ شيئًا بإذن الله.

ذكر أن الحجاج أمر سيافه أن يقتل رجلًا فلما جاء هذا السياف ليقتله رأىٰ الرجل سمتُه طيب.

فقال له السياف: صليت الفجر اليوم مع الجماعة والرجل مربوط ليقتل؟

قال: إي والله العظيم صليت مع الجماعة.

قال: إذن والله لا أقتلك.

قال الحجاج: يقول لك: اقتل؟

قال: قد رويت عن فلان أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «من صلىٰ الفجر في جماعة فهو في ذمة الله» في حماية الله وحراسته وحفظه.

* وهذه بعض الوسائل المعينة على الاستيقاظ لصلاة الفجر:

هناك أشياء ذكرها النبي ﷺ مثل الأذكار والوضوء قبل النوم.

المنبه.

أن توصي أحد أصحابك أن يوقظك.

وأنا أوصي إخواني الذين من الله بالاستيقاظ لصلاة الفجر- أن يكون من همهم إعانة إخوانهم علىٰ أدائها في جماعة، ولتتذكرسوا الأجر العظيم الذي تحصلونه.

وأيضًا يمكن أن تتفق مع خادم المسجد أن يتصل عليك وجنه ببطاقة شحن ليتوفر معه ما يمكنه من الاتصال بك؛ ليوقظك للصلاة.

ومن أسباب الاستيقاظ لصلاة الفجر: حضور صلاة الجمعة وحضور صلاة العشاء مع الجماعة.

والنبي عليه الصلاة والسلام كان إذا أراد أن ينام وخشي ألا يستيقظ، يحرص أن

يكلف أحدًا أن يوقظه.

فلما رجع مرة من سفر ورأىٰ الصحابة متعبين أول شيء فكر فيه قبل أن ينام أن يجعل من يرقب لنا الفجر، وجعل بلالاً يرقب لهم الفجر؛ لكنه نام بسبب التعب.. إلخ.

وهذا معناه أنه لا بد أن أعد نفسي للاستيقاظ من الليل.

واضطرب الناس لأجل ذلك وهذا يعني أن صلاة الفجر عندهم لها شأنها وتعد ركيزة قوية في الإسلام؛ لذلك يقول عبد الله بن عمر: «كنا إذا فقدنا الرجل في صلاة الفجر أسأنا به الظن» نقول: هذا رجل منافق هذا؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول: إن هذه الصلاة أثقل صلاة علىٰ المنافقين؛ فدل ذلك علىٰ أنها مقياس حقيقي للإيمان.

ومن الطرق: أن الإنسان الذي يعرف من نفسه أنه لايستيقظ بسهولة، يضع أكثر من ساعة قريبًا منه ويجعل بينهما فواصل حتىٰ تتابع رنات المنبه أو الساعة، ويفضل أن تكون في مكان بعيد عن يده حتىٰ يضطر إلىٰ الحركة؛ فيتمكن من الاستيقاظ بإذن الله.

ونشير إلىٰ مسألة أن بعض الهواتف الجوالة يمكن أن يكون فيها أذكار، فهل يجزئ استعمالها؟

والجواب: لا؛ إذ لا بد من مباشرة الإنسان ذلك بنفسه.

ومنها: معرفة عظمة صلاة الفجر، وقد تكلمنا فضلها.

ومنها: أن يعلم الإنسان أن تركها من صفات المنافقين.

ومنها: أن يعلم الإنسان أنه يعاقب بسبب تركها، فالنبي عليه الصلاة والسلام في حديث سمرة بن جندب في «البخاري» لما صعد به إلىٰ السماء يقول: «إنه آتاني آتيان في رؤية فابتعثاني فانطلقت معهما»، ثم أخبر النبي عليه الصلاة والسلام بأنواع من عذاب الأمة حتىٰ قال: «فأتينا علىٰ رجل مضطجع وإذا آخر قائم فوق رأسه بصخرة، واذا هو..

رأسه بالصخرة؛ فينفلق رأسه ويتدحرج الحجر، ثم يذهب هذا الضارب يأتي بالحجر فإذا رأس المضروب عاد كما كان يعطيه بالصخرة فينفلق رأسه فقال النبي ﷺ: سبحان الله! ما هذان؟ قال له جبريل: انطلق انطلق.. قال: وأما الذي رأيته يضرب رأسه بالصخرة فهو الذي يؤتىٰ القرآن فيرفضه - أي: ما يعمل بالقرآن-، وينام عن الصلاة المكتوبة». يضرب رأسه؛ لأن لذة النوم في الرأس.

فإذا علم بإثم من يضيع صلاة الفجر أحدث ذلك عنده خوفًا وفزعًا من تفويته.

ومنها: التبكير في النوم.

ومنها: الحرص علىٰ الطهارة.

ومنها: صدق النية والعزيمة للاستيقاظ لصلاة الفجر.

ومنها: دعاء الله تعالىٰ أن يوفقه إلىٰ الاستيقاظ لصلاة الفجر.

ومنها: نضح الماء علىٰ الوجه بلطف لتنشيط المستيقظ، وجاء في الحديث أن النبي ﷺ رش الماء اليسير؛ لذلك الأب يجب عليه فعل هذا؛ «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» ويجب علىٰ الأخ الأكبر إذا كان الأب غير موجود، والزوجة توقظ زوجها، والزوج يوقظ زوجته.

النبي ﷺ يقول: «من رأىٰ منكم منكرًا فليغيره بيده بلسانه» ونوم الناس عن صلاة الفجر ونحن نراهم هذا بلا شك يعد معصية من المعاصي.

ومن الطرق: عدم الانفراد في النوم فعلىٰ المرء أن ينام مع إخوانه، ينام مع من يوقظه؛ نهىٰ النبي ﷺ أن يبيت الرجل وحده.

ومنها: الهمة عند الاستيقاظ؛ فلا يقوم متكاسلاً.

ومنها: اتباع السنة في النوم فينام علىٰ جنبه الأيمن ويضع كفه اليمنىٰ تحت خده اليمنىٰ، ولا ينام بعد العصر ولا بعد المغرب؛ لئلا يسهر فيعسر عليه الاستيقاظ.

ومنها: معرفة الفوائد الصحية لصلاة الفجر:

سبحان الله! وقت صلاة الفجر يمتلئ الجو بأعلىٰ نسبة لغاز الأوزون - هذا الغاز مفيد للجهاز العصبي والمشاعر النفسية وينشط العمل الفكري والعضلي والذهني- كذلك الكرتزون وهذا هرمون منشط للجسم يزداد مفعوله في وقت صلاة الفجر ويتلازم معه ارتفاعُ منسوب ضغط الدم؛ فيشعر الإنسان بالنشاط بعد صلاة الفجر، خاصة من السادسة إلىٰ التاسعة.

ومنها: أن نحب الصلاة كما كان يحبها النبي، ووقتها لن تثقل علينا.

هذه الأمور من فعلها استطاع - بإذن الله تعالىٰ- أن يستيقظ لصلاة الفجر.

وننبه إخواننا الذين يعيشون في أوربا ولا يتمكنون من سماع الأذان - أن هناك ساعات مضبوطة مع موعد الأذان؛ فليحرصوا علىٰ إسماع أبنائهم شعار دينهم، بدل أن يسمعوا أصواتَ النواقيس.

وينبغي أن نعلم أن من أهم الخطوات الأساسية في طريق هزيمة اليهود وفي طريق إعادة القوة للمسلمين هو حضور صلاة الجماعة وأداؤها جماعة في المسجد.

واليهود الملاعين يعلمون أن صلاة الجماعة في المسجد وعدد المصلين هو مقياس أساسي لمعرفة قوة الأمة أو ضعفها.

ورؤساء الوزراء الإسرائيلون في الحكومات السابقة يقولون: إن إسرائيل واليهود في مأمن ما دام عدد المصلين المسلمين في المساجد لا يكون بمثل عددهم في صلاة الجمعة؛ لذلك لا بد أن نستشعر نحن أهمية صلاة الجماعة في المسجد.

واليهودُ عند وقت صلاة الجمعة، يبثون أفلامًا خليعة باللغة العربية حتىٰ يشغلوا الناس عن الجمعة.

فدل هذا علىٰ أنهم يعرفون أنه بمقدار التزام المسلمين بدينهم والتزامهم بصلاتهم واستيقاظهم تكون نهضتهم وقوتهم.

والشيء بالشيء يذكر، فمن خان (حي علىٰ الصلاة) يخون (حي علىٰ الجهاد)

الإنسان الذي ما استطاع أن ينتصر علىٰ فراشه ونومه ويقوم ليصلي الصلاة في وقتها، كيف يحمل سلاحه ويدافع عن عورات المسلمين ويحمي عرضه ويحرر المسجد الأقصىٰ، فهذي بلا شك مشكلة.

۞ ۞ ۞

أم كلثوم بنت النبي صلى الله عليه وسلم

سنتكلم اليوم عن امرأة صالحة من آل بيت رسول الله ﷺ، ولا شك أن آل بيت النبي ﷺ لهم مقام ولهم قدر، والنبي ﷺ يقول: «أوصيكم الله في أهل بيتي، أوصيكم الله في أهل بيتي، أوصيكم الله في أهل بيتي».

والله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب:٣٣].

فآل بيت رسول الله ﷺ بناته ونسل بناته الحسن والحسين وأم كلثوم أبناء فاطمة رضي الله عنها، وأيضًا علي رضي الله عنه وزوجاته ﷺ، عائشة وحفصة وأم سلمة وخديجة كل هؤلاء من آل بيت النبي عليه السلام؛ لأن هؤلاء يدخلون ضمن آل البيت؛ لأن الله عز وجل عندما ذكر موسىٰ قال عز وجل: ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ﴾ [القصص:٢٩] فسمىٰ زوجته وأولاده أهله.

فأهل الرجل، آل البيت فعندما يأتي في الآيات أو في الأحاديث، آل البيت، فالمقصود زوجاته عليه السلام، وبناته أيضًا ففاطمة رضي الله عنها هي سيدة نساء أهل الجنة وبنتها أم كلثوم أيضًا امرأة صالحة وولداها الحسن والحسين هما سيدا شباب أهل الجنة.

أم كلثوم رضي الله عنها ولدت بعد الهجرة بست سنين وهي أصغر من الحسن والحسين أخويها، فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ ولدت ثلاثة: الحسن والحسين وأم كلثوم.

وينسب إليها أنها ولدت محسنًا أو أنه أسقط من بطنها أو نحو ذلك، وهذا غير صحيح، فالحقيقة أنه لم يثبت في كتب التاريخ قط لكن الذي ثبت الحسن والحسين

وأم كلثوم.

الحسن والحسين رضي الله عنهما هما سيدا شباب أهل الجنة كما ذكرت ولهما قصص وأحداث تدل علىٰ بطولاتهما وقدراتهما.

أم كلثوم لما كبِرت وصارت في سن الزواج خطبها عمر رضي الله عنه فقيل لعمر رضي الله عنه: لما أنت حريص جدًّا علىٰ أن تخطب أم كلثوم بنت علي فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا نسبي وسببي» حديث رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي وهو حديث صحيح.

يعني: أن النبي ﷺ أخبر أنه يوم القيامة لا تنفع الأنساب إلا نسبي وسببي أنا، النسب معروف أن يكون من الذرية، والسبب هو الصهر.

فمثلاً: أنا أقول: فلان يقرب إلي بالسبب أي: من قرابتي مثل عمي وابن خالي وابنتي، وقرابتي بالسبب يكون بالصهر، كأن يكون متزوجًا من أختي أو أنا تزوجت أخته، أو رضع معي؛ المهم: أن يوجد سبب معين يجعلنا يقترب بعضنا من بعض.

أم كلثوم خطبها عمر رضي الله عنه إلىٰ علي فشاورها علي، سألها فوافقت أن تخطب إلىٰ أمير المؤمنين وكان عمر رضي الله عنه هو أمير المؤمنين في ذلك الوقت فتزوجها، ولدت من عمر ولدها زيد بن عمر، وقيل: ولدت منه أيضًا بنتًا اسمها رقية.

عمر رضي الله عنه كان مشهورًا عنه الشدة في التعامل مع الناس والصرامة، هكذا طبعه أصلاً مع أنه رضي الله عنه كان يأتيه لين في كثير من الأحيان، حتىٰ إنه كان إذا صلىٰ بالناس وقرأ سورة يوسف وقرأ قول الله تعالىٰ عن يعقوب والد يوسف: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف:٨٤] يقولون: يبكي حتىٰ يسمع نشيجه حتىٰ آخر الصفوف.

فعمر رضي الله عنه كان له لين أيضًا خاصة مع زوجاته وما كان يراعي اللين معها في الأمور الدينية فقط، لكن حتىٰ الأمور الحياتية مع الزوجة يراعيها، يقولون: إن عمر في ليلة من الليالي سمع امرأة تقول:

ألا طال هذا الليل واسود جانبه وأرقني ألا خليل ألاعبه

فوالله لولا الله تخشى عواقبه لحرك من هذا السرير جوانبه

تقول: لولا أني خائفة من الله فربما أقع في فاحشة؛ فأنا طال علي الليل وأنا ليس معي زوج.

فسأل عمر عنها، فإذا زوجها خرج في الثغور للجهاد، فقال: هذه مشكلة، نحن نرسل الناس ستة أشهر أو ثمانية للجهاد، وزوجاتهن يقعدن هكذا، فدخل علىٰ ابنته حفصة.

قال: يا حفصة كم تصبر المرأة عن زوجها؟

قالت: تصبر؟

قال: تصبر شهرًا؟

قالت: نعم.

قال: تصبر شهرين؟

قالت: نعم.

قال: تصبر ثلاثة؟

قالت: نعم.

قال: تصبر أربعة أشهر؟

يقولون: فخجلت حفصة وغطت وجهها، وقالت: الأربعة كثير.

كثير أن تفارق المرأة زوجها كل هذه الفترة.

فأرسل عمر رضي الله عنه إلىٰ جميع الأمصار ألا يتعدىٰ أحد أربعة أشهر إلىٰ الثغور التي علىٰ جوانب البلدان الإسلامية التي تسمىٰ اليوم بحرس الحدود ، يعني ألا يبقىٰ أحد أربعة أشهر متواصلة إلا يرجع إلىٰ أهله، يحصل علىٰ إجازة، فكان عمر له مراعاة.

كان الأمر عاديًّا عندهم، ونحن تكلمنا سابقًا أنهم أصلاً في الثقافة التي كانت عندهم والعادات والتقاليد، ما كانوا يستغربون عندما يتزوج رجل عمره خمسون سنة أو ستون سنة فتاة عمرها في العشرين أو قريبًا من ذلك.

الأمر عندهم عادي، كما أن الرجل ربما عدد: زوجتين وثلاثًا، صحيح أن المرأة ربما تكره ذلك، تكره أن يعدد عليها زوجها؛ لكن ما كان عندهم مشكلة كبيرة أن يتزوج الرجل.

أم كلثوم كانت امرأة صالحة ﵁، وكيف لا تكون صالحة وأخواها الحسن والحسين وأمها فاطمة وأبوها علي وجدها رسول الله ﷺ؟ وكيف لا تكون صالحة وزوجها عمر ﵁؟

فهي جمعت الخير من كل جانب، وكانت تعاون مع عمر على الخير دائمًا، في يوم من الأيام، خرج عمر ﵁ في أطراف المدينة، ينظر في أحوال الناس فرأى رجلاً عابر سبيل عند خيمة قديمة، فجاء عمر ﵁ وقال: من أنت يا رجل؟

قال: امض لشأنك -بمعنى: ما شغلك؟- لا يدري أنه عمر بن الخطاب، فقال: ما عندك؟ فقال الرجل: امض لشأنك، فسمع عمر أنين امرأة من داخل الخيمة، امرأة تئن، آه آه.

فقال عمر: ما هذا الأنين؟! قال: ليس من شأنك، قال عمر: بل هو شأني، أنت لا تدري من تكلم! بل هو شأني سألتك بالله ما هذا الأنين ومن أنت؟

قال: أنا رجل من الأعراب فقير أقبلت إلى المدينة لأصيب من خير أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وهذه امرأتي تلد والله ما عندها شيء.

فقال عمر: لماذا لم تذهب إلى عمر؟!

فقال الرجل: لم أستطع الذهاب إليه وزوجتي تلد فنصبت الخيمة ووضعتها بالداخل حتى تلد، ولا أستطيع أن أتركها وأمشي.

فمضى عمر سريعًا، والرجل لا يدري أن الذي أمامه هو عمر، ودخل على

زوجته الصالحة، طبعًا هو عنده عدة زوجات، دخل على خيرهن أم كلثوم رضي الله عنها بنت علي بن أبي طالب.

فدخل عليها وقال: **يا أم كلثوم هل لك في خير ساقه الله إليك؟**

قالت: **نعم. لا أحد يكره الخير.**

قال: **هاهنا امرأة تلد انظر أيضًا إلى أدبه مع زوجته، ما جاء إليها وقال: هيا يا أم كلثوم البسي حجابك وهيا اطلعي أمامي، أين يا زوجي؟ ليس شغلك هيا اطلعي أمامي وهكذا.**

يأتي ويقول: **يا أم كلثوم هل لك في خير ساقه الله إليك؟ هو يخيرها ترى أدبه.**

قالت: **نعم. من يكره الخير، نعم أنا أفرح بالخير الذي أتاني.**

قال: **هاهنا امرأة تلد ليس عندها أحد، فاحملي معك ما يصلح للمرأة الوالد، احملي أي شيء لها؛ يعني: عدة الولادة والفراش وغيره واتبعيني.**

قالت: **نعم سأفعل، وذهبت تصلح عدة أشياء ودخل هو إلى المستودع وحمل على ظهره كيسًا فيه طعام، مع أن عنده خدمًا وعنده جموع المسلمين ويمكن أن يخدموه؛ لكنه أراد أن يحمله على ظهره بنفسه.**

فحمله على ظهره وهو الخليفة وهو أمير المؤمنين وأيضًا كبر سنه، حتى وصلا إلى هناك وجاء عمر ووضع الكيس عنه ودخلت أم كلثوم إلى المرأة، وجاء عمر وجمع الحطب، والرجل الأعرابي جالس يُخدم، وجاء عمر وجمع الحطب وأشعل النار ووضع القدر على النار وجعل فيه الطعام وبدأ يطبخ والدخان يتصاعد بين لحيته وهو يطبخ وينفخ وهكذا.

والمرأة تلد وعندها سيدة النساء أم كلثوم، في هذه الأثناء قالت أم كلثوم: يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام.

انتفض الرجل عندما سمع كلمة أمير المؤمنين، أمير المؤمنين وأنا أقول له: ليس

من شأنك وابعد عني وهو يشتغل لي وأنا جالس واضع رجلاً علىٰ رجل.

فجعل الرجل يتباعد من عمر، خائف منه، فقال له عمر: هون علىٰ نفسك، لا تخف، وأخذ عمر الطعام وقام ووضعه بباب الخيمة، وقال: أطعمي المرأة منه.

فدخلت وأطعمتها منه ثم خرجت ووضعت الباقي، فجاء عمر ووضع الطعام عنده وقال له: خذ كل فإنك قد تعبت منذ اليوم.

والله أنت الذي تعبت يا عمر، بينما هو جالس، إنك قد تعبت، فأكل الرجل ثم قال له عمر: خذ ما تبقىٰ الآن من طعام من هذا الكيس وائتنا غدًا تصب إن شاء الله من الفضل.

فعمر كان يتعاون أصلاً مع زوجته علىٰ مثل هذه الفضائل، وعلىٰ مثل هذا الخير، ما الذي حصل بعد ذلك هل بقيت معه حتىٰ مات أم أنه طلقها؟

من تزوجت هي بعد عمر رضي الله عنه؟

أم كلثوم لبثت مع عمر حتىٰ توفي عنها وكما ذكرنا ولدت منه، ثم تزوجت بعد عمر عون بن جعفر بن أبي طالب، ثم مات عنها عون فتزوجت بعده محمد بن جعفر بن أبي طالب، كلهم أبناء عمها ثم مات فتزوجت بعده عبد الله بن جعفر بن أبي طالب هؤلاء الثلاثة أمهم أسماء بنت عميس وولدوا بالحبشة.

زيد بن عمر رضي الله عنه العجيب أنه لم يعشْ طويلاً فمات هو وأمه في يوم واحد، مات وهو شاب حتىٰ أنه من شدة محبته لجده علي رضي الله عنه كان مرة جالسًا في مجلس فتكلم رجل في ذم علي -لكنه بحب علي ما هو جده أبو أمه- فأخذ زيد العصا وضربه علىٰ رأسه حتىٰ أدماه، فقال الناس: لم فعلت ذلك؟ قال: تسب صاحب رسول الله عليه السلام فمع أنه ابن عمر إلا أن علاقته بعلي رضي الله عنه وبقية آل بيت النبي عليه السلام كانت علاقة حميمة.

هل صحيح أنه يوجد اختلاف بين عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب؟ وهل هو تزوج من ابنة علي أم كلثوم رغمًا عنه لأنه كان أمير المؤمنين؟

أما وقوع الخلاف بين الصحابة فلم يصح قط أنه وقع بين الخلفاء الأربعة خلاف، الخلافات بدأت بعد ذلك بين علي ومعاوية رضي الله عنهما؛ وهي خلافات بشرية نفسية علىٰ أمور الخلافة وغير ذلك.

والحق مع علي عمومًا رضي الله عنه؛ لكن لا يعني هذا أن نقول: إن معاوية كافر أو أن نسبه أو نلعنه، فهو صحابي جليل، وإذا أخطأ فـ:

مـن ذا الـذي مـا سـاء قـط ومـن لـه الحـسنى فقـط

والنبي عليه السلام قال فيما رواه مسلم عن معاوية: «اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب». ومعاوية هو خال المؤمنين.

فالمقصود: أنه لم يكن هناك خلاف بين علي وعمر بدليل أن عمر عندما مات يقول ابن عباس: كنت واقفًا عند سرير عمر وقد مات، يقول: فإذا برجل قد وضع يده علىٰ كتفي فالتفت أنظر إليه فإذا علي وإذا هو يقول: رحمك الله يا عمر، لأن عمر صهره زوج ابنته.

يقول: رحمك الله يا عمر، والله ما من رجل بعد رسول الله ﷺ أحب أن ألقىٰ الله بمثل عمله منك، لو يقولون لي: بمثل عمل من تريد أن تلقىٰ الله؟

أقول: بمثل عمل عمر رضي الله عنه، فذلك يدل أن عليًا أصلاً كانت علاقته بعمر قوية، هذا شيء، والشيء الثاني لو قيل: إن عمر ألزم عليًا أن يزوجه ابنته لدل ذلك علىٰ أن عليًا كان جبانًا.

وهل من المعقول أن يأتي واحد ويتزوج ابنتك رغمًا عنك؟ لا. لأن العقد يكون باطلاً؛ لأنه لا يصح مثل هذا العقد مع الإكراه.

وعلي كان بطلاً أصلاً من رءوس الأبطال عند الصحابة، بل في التاريخ ثم تقول: زوجت بنته رغمًا عنه.

وإذا كانت تزوجت رغمًا عنه فلماذا أبقيت مع عمر إلىٰ أن مات؟ كان يمكن أن تمكث معه ستة أشهر أو سبعة أشهر ثم تهرب من عنده.

لكن كونها بقيت معه وولدت منه ولدًا وبنتًا ولا زالت علاقة علي بعمر إلىٰ أن مات عمر ويأتي وعمر ميت ويثني عليه، فهذا دليل علىٰ أنهم أصلاً كانت قلوبهم مجتمعة وسليمة.

أم كلثوم رضي الله عنها ينظر إليها التاريخ علىٰ أن الناس استفادوا منها استفادة عظيمة؛ بسبب الزواج الذي حصل بينها وبين عمر؛ لأنه أثبت للتاريخ ولكل االناس أنه لا يوجد خلاف بين عمر وعلي.

هذه نقطة مهمة، المصاهرات بين الصحابة وبين آل البيت رضي الله عنهم تراها كثيرة ليست قليلة، وكان يسمي بعضهم أولادهم بأسماء بعض، الحسين رضي الله عنه ممن قتل معه واستشهد معه في كربلاء ولده عمر، فكان عنده ولد اسمه عمر رضي الله عنه وسمىٰ إحد أولاده من نساء أخريات غير فاطمة عمر.

وكان يسمي بأبي بكر، فما كان بينهم خلاف، وكون الإنسان يأتي ويحدث خلافًا وهم ليس بينهم خلاف، فهذه مشكلة وإلا فلو كان بينهم خلاف لما وقع بينهم مصاهرات.

وكان يمكنه أن يسكن في الكوفة أو مصر أو الشام، ويترك المدينة كلها لعمر، إذا كان سيلزمه أن يزوجه ابنته.

ونقول: يا أخواتي، إن آل بيت رسول الله ﷺ لهم قدر، ومنهم أم كلثوم رضي الله عنها وهي بنت فاطمة وجدها رسول الله ﷺ، لكن مع ذلك لا ينبغي لنا أن نرفعهم فوق منزلتهم، بل النبي ﷺ لا يجوز رفعه فوق منزلته وهو النبي الذي هو رأس آل البيت عليه السلام.

النصارىٰ رفعوا عيسىٰ فوق منزلته وقالوا: هو إله وهو ابن الله.

واليهود رفعوا عزيرًا فوق منزلته وقالوا: هو ابن الله: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣٠] كما في سورة التوبة، والنصارىٰ قالوا: المسيح ابن الله.

أما نحن فممنوعون أن نرفع أحدًا فوق منزلته، بل نقول: محمد عبد الله ورسوله

وذريته من الأطهار وأوصينا بهم خيرًا، لهم حق حتىٰ الخمس في الغنائم، لهم جزء ليس لبقية المؤمنين.

والنبي ﷺأوصىٰ بهم خيرًا، لكن لا يعني هذا أبدًا أنهم يرفعون فوق منزلتهم أو أن يدعىٰ أن بينهم وبين الصحابة خلافًا؛ لأنه ما كان بينهم وبين الصحابة خلاف أعني آل بيت النبي عليه السلام

دكتور، لو سمحت نريد منك نصيحة للرجال الذين يعاملون نساءهم بالعنف والقسوة، وهذا مما تعانيه الزوجات في هذا الوقت وهم لا يستحقون منا ذلك.

طبعًا أنت ما تزوجت حتىٰ الآن؟! شكلك تخطط حتىٰ تتحسن السمعة. طبعًا توجد نقطة مهمة ذكرتها قبل قليل: وهي أن الرجل الذي جعله عمر يطلق امرأته لم يكن عنده اهتمام بجسمه إن صح التعبير.

فعمر كان يدقق في مثل هذه المسائل، وأن المرأة لا بد أن تكون قابلة لزوجها وكذلك الزوج قابل لزوجته.

لا بد أن نكون واضحين أيضًا، فلا نطالب الرجل فقط بهذا و تهمل المرأة، فكما أن عمر كان يعامل أم كلثوم معاملة حسنة وكان يتعاون معها علىٰ الخير بشكل كبير، مثلما ذكرنا هل لك في خير قد ساقه الله إليك؟ كانت تبادله هي نفس المعاملة.

إلا أن عمر وهذا أمر مهم تذكرته مع محبته لها لم يكن يقدم محبتها علىٰ محبته لله، ففي يوم من الأيام رأىٰ عمر رضي الله عنه هدية جاءت من ملك الروم إلىٰ امرأته أم كلثوم وإذا هي أساور وعطور، فقال: ما هذه الهدية؟

فقالت أم كلثوم: كنت قد جمعت مالاً لي واشتريت به هدية وأرسلتها إلىٰ زوجة ملك الروم بحكم أني زوجة ملك العرب وهو ملك الروم، نتهادىٰ مع بعض فردت إلي بهذه الهدية.

فقال: نعم، أنت كيف أرسلتها؟ قالت: أرسلتها مع البريد الذي أرسلته أنت. قال: نعم؛ لكن البريد علىٰ حساب بيت المال نحن أرسلناه، فكيف تفعلين مثل ذلك؟ وخرج عمر يستفتي الصحابة، جلس مع مجموعة من الصحابة وقال: أنا زوجتي

فعلت كذا وكذا، فهل يجوز أن تقبل هذه الهدية؟

هذه الهدية نقلها بريد المسلمين ورجعها بريد المسلمين، وهي تستفيد منها وحدها؟

قال الصحابي: والله ما نرىٰ إلا أن هذه حفيدة رسول الله ﷺ؛ يعني: جدها، وزوجة أمير المؤمنين ولا نرىٰ شيئًا، فلا تشدد في الموضوع يا عمر، فدخل عمر عليها، قال: يا أم كلثوم، والله إن في نفسي شيئًا من هذا الذي جاءك؛ بمعنىٰ: أني غير مطمئن للوضع.

قالت: كيف؟

قال: أنت أرسلته علىٰ حساب المسلمين ورجع لك علىٰ حساب المسلمين، وتستفيدين منه وحدك، فأنا أرىٰ أن تأخذي منه بقدر تكلفة الهدية التي أرسلتها، وتردي الباقي في بيت مال المسلمين.

فالمرأة لصلاحها وتقواها وخشيتها ما قالت: لماذا هذا التشدد؟ والله لا أصبر عليك، وطلقني وذهبت لأهلها، لا، قالت: الرأي ما ترىٰ يا أمير المؤمنين.

تقول: جزاك الله خيرًا تعينني علىٰ نفسي، الرأي ما ترىٰ، بالله ابحث اليوم عن امرأة مثل هذه.

إن شاء الله، نساؤنا فيهن خير عمومًا، نساء المسلمين لا يزال فيهن خير لكن نادر أن تجد مثل هذه في شدة الورع والخوف من الله تعالىٰ والتعظيم لله والطاعة أيضًا للنصيحة التي جاءت.

تقبل النصيحة حتىٰ لو كنت غير مقتنع بها ما دام الشرع قبلها، فأنا أقبلها قبلها عقلي أم لم يقبلها؛ رضيت بها نفسي أو لم ترض، الأصل أني أقبلها مباشرة.

فهذه سيرة عطرة لهذه المرأة وهي قدوة لجميع بناتنا ونسائنا، بل والله قدوة حتىٰ لرجالنا في بدارها للخير وحرصها علىٰ العبادة واهتمامها بأهلها وبأولادها، وحرصها علىٰ طاعة زوجها.

أصحاب الهمم العالية

موعدنا مع أصحاب الهمة العالية، مع النفس التواقة، مع أقوام استطاعوا أن ينتصروا علىٰ ضعف أجسادهم وقلة قدراتهم الجسدية

وإذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مرادها الأجسام

نحن مع قوم قد ابتلاهم الله ﷻ بنوع من الإعاقة:

منهم من لا يستطيع المشي، ومنهم من لا يستطيع أن يحرك رجليه ولا يديه، ومنهم من ابتلاه الله تعالىٰ بأنواع أخرىٰ من البلاء.

سنتكلم عنها ونكشف أسرارها وكيف استطاع هؤلاء أن يضعوا بصمات في هذه الأمة:

منهم من له دروس في المساجد.

ومنهم من يسافر للدعوة إلىٰ الله بكرسيه المتحرك.

ومنهم من كان له مشاركة في وسائل الإعلام بقوة سواء المرئية والمسموعة والمكتوبة إلىٰ غير ذلك.

أقوام إذا رأيناهم صارت لنا عبرة فيهم نحن الأصحاء.

الذي دعانا في الحقيقة إلىٰ الكلام عن هذا الموضوع، هو تلك النسبة المفزعة المنتشرة اليوم في العالم؛ حيث إنه يوجد ١٠٪ من سكان العالم من ذوي الإعاقات، بل تزداد النسبة في المجتمعات النامية لأكثر من ١٥٪.

هذه النسبة موجودة في الدول العربية كما أنها موجودة أيضًا في أوروبا وغيرها ففي السعودية من أربعة إلىٰ سبعة بالمائة، وفي السودان من خمسة إلىٰ سبعة بالمائة، وفي المغرب من ثلاثة إلىٰ خمسة بالمائة، وفي الأردن اثنان بالمائة.

وهذا أيضًا في مصر؛ فهذه الأرقام تدل علىٰ أن هذه الإعاقة تمثل نسبة كبيرة ظاهرة في المجتمع الذي نعيش فيه.

* الإعاقات متنوعة:

منها: إعاقة حركية كالذي فقد قدميه أو يديه وما شابه ذلك.

ومنها: إعاقة حسية كالصمم وكف البصر.

والإعاقات الذهنية، مثل: التخلف العقلي.

ومنها إعاقات لذوي الأمراض المزمنة، مثل: مرضى القلب، والسكر، وذوي الأعضاء المزروعة.

أو غيرها من حالات العجز والقصور الذهني والبدني والوظيفي.

هذه الإعاقات منها أشياء تعد منتشرة، مثل: شلل الأطفال، والشلل النصفي، وإصابات الحبل الشوكي، والبتر لطرف أو أكثر.

* هذه الإعاقات لها أسباب:

أما أن تكون إصابات أثناء الولادة، أو أحيانًا أشياء متصلة بالقلب، أو بوظائفه، وربما كانت عاهات وتشوهات خلقية أي: موجودة منذ أن خلق الإنسان.

وهناك أسباب أخرى مثل حوادث المرور، وتسلق الجبال، والحوادث المهنية، والحروب الناتجة عن استخدام ألغام، أو قنابل، أو قصف، أو ما شابه.

هذه كلها سنتكلم عنها عن تعريف الإعاقة وأرقام وإحصاءات.

وسنتكلم عن الإعاقة عند الصحابة ﭬ هل منعتهم من النجاح؟

وسنتكلم عن معاقين ناجحين، منهم مجاهدون وعلماء ومكتشفون وأطباء.

وعن واجبنا نحوهم.

وسنتكلم عن معاقين لهم بصمة.

بداية نقول: الإعاقة إعاقة النفس لا إعاقة الجسد، وكان لي لقاء ممتع مع أخينا وحبيبنا أحمد الشهري وهو رجل معاق ومشلول شللاً رباعيًا لا يتحرك منه إلا رأسه

بسبب حادث أصيب به.

هذا الرجل لو تناولت سكينًا وضربته وطعنته في قدميه ويديه ما يحس بشيء؛ لكن سيرىٰ الدم ينزل منه دون أن يدري ما الذي أصابه؟

ومع ذلك يحضر الماجستير الآن، رغم أنه أصيب وهو في الثانوي.

وهو له درس أسبوعي في المسجد المجاور لهم يذهب لإلقاء المحاضرات، ويرقي الناس رقية شرعية.

هذا الرجل حين سألته عن الإعاقة؟

قال: أنا لا أعد المعاق الذي لا تتحرك يداه ورجلاه إنما المعاق هو الذي يسمع أذان صلاة الفجر، ولا يقوم ليصلي في المسجد.

ووضع له جهاز صغير يحركه بذقنه يقدم الكرسي المتحرك يمينًا ويسارًا عن طريقه.

المقصود: أننا عندما نرىٰ أمثال هؤلاء فسيكون في ذلك حجة علينا نحن الأصحاء، في عدم وجودبصمة لنا في المجتمع الذي نعيش فيه.

لأجل ذلك كلمتنا ليست موجهة إلىٰ المعاقين فقط - وهم إخوتنا وأحبتنا - إنما هي لنا جميعًا؛ لكل من ابتلي ولكل من لا يبتلىٰ.

فالذي لم يبتلِ إذا نظر إلىٰ هذا الذي يصلح بين الناس ويخطب الجمعة ويحضر ماجستير وهو مبتلىٰ بأنواع البلاء، حري به أن يعود إلىٰ نفسه ويسألها كيف قعدت بي همتي وارتفعت همة ذلك الرجل.

التقينا أناسًا لهم عشرون سنة يتغذون عن طريق أنفهم لا يستطيعون أن يتغذوا عن طريق أفواههم، ومع ذلك لهم أثر ولهم قدرات ولهم بصمة في الأمة وما شابه ذلك.

الإعاقة: ابتلاء يبتلي الله ﷻ به من يشاء من عباده، قال ﷻ: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم

مَعِيشَتَهُمْ ﴾ [الزخرف:٣٢] و«إن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم»، «ولا يزال البلاء بالمؤمن حتىٰ يدعه يمشي علىٰ الأرض ليس عليه خطيئة».

يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو لا المصائب لقدمنا يوم القيامة مفاليس.

وأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل، يبتلىٰ الرجل علىٰ قدر دينه.

وحين تبحث في التاريخ تجد أن الناس كان لهم أساليب وطرق في التعامل مع المعاقين.

فمثلاً: الرومان كانوا يستعملون المعاقين ذهنيًّا خاصة الذين عندهم نوع من التخلف للتسلية عند الأغنياء.

والأغريق كانوا يرونهم غير صالحين للحياة، وربما قتلوه - سبحان الله - أذكر أن اتصالًا جاءني من طبيب سعودي كان يحضر الزمالة في إحدىٰ الدول الأوروبية

قال: يا شيخ، نحن عندنا نظام سري بين الأطباء، إذا دخل شخص مريض مرضًا متمكنًا منه مثل بعض الأمراض الخطيرة كالتليف والسرطان وما شابه ذلك، يقول: يضعون له مع المغذي مادة معينة مخدرة للألم وقاتلة، فلا يمضي عليه وقت قليل إلا ويموت.

يقول: أنا أراهم يفعلون ذلك ولا أملك شيئًا، واليوم دخل رجل مسلم أصله من باكستان؛ لكنه مقيم في هذا البلد ووضعوا له هذه المادة، كما يضعونها مع غيره فهل يجب علي أن أبلغ أهله؟

فلم يكن عجبي من السؤال وحده بل من فعل هؤلاء؛ لأنهم يرونك لا تستحق الحياة؛ ما دمت لا تستطيع بعد اليوم أن ترقص، وتمارس وظيفتك، وتعيش مع أولادك.

مع أن لسانك يستطيع أن يذكر الله، ولاتزال تستطيع أن تستغفر، ولا يزال في

إمكانك أن تجمع خيرًا بين يدي الله؛ لذلك لا نستغرب عندما نسمع أنهم يقولون: إن الأغريق كانوا يعدونهم غير صالحين للحياة.

وفي العصور المسيحية كان بعضهم يرىٰ أنهم أبناء الله.

وفي العصور الوسطىٰ قسَوا عليهم، وكانوا يتركونهم في الشوارع.

الشاهد: أن الناس اختلفوا في التعامل مع من عندهم أنواع من الإعاقة.

وأنشأ الوليد بن عبد الملك أول معهد مكان لرعاية المعاقين ذهنيًا وتعليمهم، لاحظ أنه كان عام ٨٨ للهجرة ٧٠٧ ميلادي أي: قبل أكثر من ١٣٠٠ سنة تقريبًا ثم أسس الوليد أو بعض الخلفاء في بغداد مارستانًا، (أي: مستشفىٰ خاصًا) يعتني فيه بهؤلاء دون غيرهم.

ونحن سنتكلم عن الإعاقة الجسدية الحركية؛ لعل الله تعالىٰ أن ينفعنا بها، لأن بعض الناس يرىٰ أن الشخص ذا الاحتياجات الخاصة شخصًا ناقصًا، أو ليس كاملاً صحيحًا وهو يحتاج عناية خاصة، لكن الأمر علىٰ خلاف ذلك تمامًا؛ لأنك يمكنك الاستفادة من أي شخص ما دام عنده عقل وإمكانيات قد يكون شاعرًا، كاتبًا، علامة، شيخًا شخصًا له إنجازات في أكثر من مجال.

لكنهم محتاجون دعمًا من المجتمع وهي أشياء بسيطة، مثل: زيارة أو كلمة طيبة...

الإنسان ضعيف كما قال الله ﷻ: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ۝٢٨﴾ [النساء:٢٨]، وقد يفقد قدراته في أي لحظة من اللحظات، يتردىٰ من جبل، يصدم من سيارة، بل إنني ذات مرة عدت أحد المرضىٰ في مستشفىٰ النقاهة - وهو مستشفىٰ خاص بمن لا يتحرك منه في الغالب إلا رأسه وأحيانا شيء من اليدين.

فسألته عن سبب ذلك فقال: ظهر كيس دهني في ظهرىٰ وتأخرت في علاجه فأثر في الظهر، أو فقرات الظهر أو الحبل الشوكي، أو شيء من هذا فحصل ما ترىٰ.

الشيخ أحمد ياسين الشيخ المجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أصيب أثناء ما كان مع بعض زملائه في لعبة معينة وعمره ست عشرة سنة، أصيب بضربة ببعض فقرات الرقبة العنق وأصابه شلل رباعي.

فأي انسان يمكن في أي لحظة أن يصاب بمثل هذا؛ فهي عبرة حقيقة، والإنسان ينبغي أن يسأل الله تعالىٰ دائمًا العافية.

وهذه رسالة أحب أن أوصلها، وهو أن الله يبتلي بالشيء لمحبته لنا، فينبغي أن يكون الإنسان قوي الإيمان، ويعمل أكثر.

وبالنسبة لغيره من الناس فعليهم أن يقولوا: الحمد لله علىٰ النعمة التي أعطاناها ربنا.

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول في الحديث الصحيح: «لا تطيلوا النظر إلىٰ المجذوم».

والمجذوم: هو المصاب بنوع من الإعاقة.

والجذام: هو تآكل في الأطراف، وقال بعضهم: هو نوع من البرص.

الشاهد: أن النبي ﷺ نهىٰ عن أن نطيل النظر إليه؛ حتىٰ لا نتبعه في كل مكان ونكون في نظرنا إليه كهيئة المشفقين عليه أو نحو ذلك.

بل علىٰ الإنسان أن يتأدب عندما يتكلم معهم، يحكي أحد المعاقين أنه كان ذات مرة ماشيًا في السوق وهو واضع في رجليه حديدًا؛ لأن فيه نوعًا من العرج، يقول: فمررتُ بامرأة وطفلها فإذا بالطفل يسأل أمه، ما سبب هذا؟

فقالت: لأنه ما يسمع كلام أمه.

فيقول هذا الرجل: والله يا شيخ كأنها طعنة في صدري، وتمنيت أن تقول للطفل: هذا ابتلاء من الله، أو أن هذا الرجل يحبه الله ﷻ.

فالمقصود: أننا لا بد أن نحسن التعامل مع أمثال هؤلاء.

ومعي أخونا وحبينا فادي من لبنان وهو رجل ابتلي بشلل نصفي؛ لكنه استطاع أن يكون له بصمة في الإعلام.

وهو يحدثنا عن انتصاره علىٰ تلك الإعاقة، وتحقيقه ما أراد.

فيقول: بداية لا بد أن يسعىٰ الإنسان الذي يحب الحياة ولديه طموح، يسعىٰ في تحقيق أهدافه في الحياة، وأن يعلم أن الأهداف والطموحات لا يمكن تحقيقها بسهولة بل لا بد من التعب، وكما قيل: لا بد للحلاوة من مرارة.

فأنا لم أنظر إلىٰ حالي كشخص معوق، ولم أتعامل مع نفسي من هذا المنطلق؛ لكني تعاملت مع الأمر علىٰ أني مثل باقي الناس لي أفكار ومشاعر.

ولا شك أن الإعاقة طرحت لي تحديات شديدة؛ لكني اعتقدت أن تحقيق ما أريده من الحياة أكبر بكثير من إعاقتي؛ فقد أردت أن أكون إعلاميًّا كبيرًا؛ فكنت معالج نفسي؛ لأن الإنسان الذي يركز علىٰ شيء واحد لا يصل؛ لذا شغلت نفسي بهدفي الأكبر دونما التفات إلىٰ هذا المعوق الذي كان بإمكانه أن يقضي علىٰ حياتي، فالإنسان الذي يريد أن يخرج من دائرته الضيقة عليه أن يتطلع إلىٰ رحاب أوسع؛ حتىٰ يحقق ذاته.

وهذه الإعاقة أصابته بعد الولادة بفترة قصيرة، والآن أعمل مقدمًا لبرنامج يعالج مشاكل اجتماعية، وأعمل مع الأزواج والكبار بمجال العلاج النفسي، وأنا مسئول عن جمعية بالشرق الأوسط تهتم بدمج الأشخاص المعوقين بالمجتمع؛ حتىٰ يكون عندهم فرص متكافئة مع باقي الناس ليحققوا ذاتهم مثل باقي الأشخاص.

وهنا نوجه رسالة إلىٰ بعض الذين ابتلوا بأنواع من البلاء إما في أرجلهم أو في أيديهم أو ما شابه ذلك، فقعدت بهم همتهم، وأصبح يعدون أنفسهم عالة علىٰ الأهل وغيرهم.

وأنا بدل أن أوجه الرسالة إلىٰ الأشخاص المعوقين أوجهها إلىٰ المجتمع؛ لأني

أعتبر أن الإعاقة الأساسية آتية من قبل المجتمع؛ لأنه هو الذي يضع الحواجز ويقصي هؤلاء الأشخاص، أو يهمشهم، أو لا يتعامل معهم كأشخاص عاديين مثل غيرهم.

فهم لهم أفكار، وطموحات، ويحبون أن يتعلموا، ويتزوجوا، ويصلوا، ويخطبوا.

فمن أجل هذا كله ينبغي أن نزيل هذي الحواجز الهندسية، والنفسية، والفكرية. فالمشكلة مشكلة بنية مجتمعية نحن في حاجة إلىٰ تغييرها؛ لننتقل من نظرة الشفقة ونظرة الإحسان إلىٰ نظرة أنا مثلي مثلك؛ لكننا مختلفون في شيء ما، ولكن يكمل بعضنا البعض الآخر.

أنا لفت نظري في كلام أخي وحبيبي فادي أن الإنسان مهما أخذ منه من قدرات فلا بد أن يستعمل ما تبقىٰ عنده.

فمثلاً: إذا أخذ منه قدمان فلا يزال عنده يدان، وإذا كانت قدراتك مائة بالمائة ثم نقصت إلىٰ خمسين بالمائة فلا تعطل الخمسين الأخرىٰ، وهكذا.

ولفت نظري أنه يتكلم عن فن التعامل مع المعاق؛ فلا ينبغي أن تظهر له أنه مسكين وضعيف، نعم أنت مشلول؛ لكن - ما شاء الله - عندك يدان تستطيع أن تبرمج الكمبيوتر، وأن تصبح رجلاً من كبار المقدمين من كبار المؤلفين من كبار العلماء.. أنت مشلول في رجليك، وفي يديك لكن يمكن أن تكون مفتيًا من المفتين، وأخونا أحمد الشهري كان يرد علىٰ مكالمات الهاتف ويفتي الناس عبر شيء مثل العصا الصغيرة يحملها بأسنانه.

واستطاع أن ينتصر علىٰ هذا الأمر؛ فليست القضية في كبر الجسم أو صغره، الله تعالىٰ لما وصف المنافقين قال: ﴿ ۞وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ [المنافقون:٤] وحين رأىٰ النبي ﷺ عبد الله بن مسعود لما صعد شجرة وجاءت الريح وحركت إزاره فإذا له ساقان دقيقتان فضحك الصحابة من

دقة ساقيه. فقال عليه الصلاة والسلام: «مم تضحكون؟ من دقة ساقيه والله إنهما في الميزان أثقل من جبل أحد».

فليس النجاح في الحياة بكبر الجسم وقوته؛ إنما القضية في هذا القلب وكيف يستطيع أن يكون له تأثير في المجتمع.

ومعنا أمثلة لهؤلاء، مثل: الشيخ أحمد ياسين، والشيخ عبد العزيز بن باز - رحمة الله عليه - فقد كان ضريرًا، والشيخ عبد الحميد كشك، وغيرهم.

والإنسان المعوق قادر علىٰ أن ينجز في المجتمع مثله مثل أي شخص عادي.

أحيانًا يأتيني شاب ويتكلم معي ويقول: يا شيخ، إن من أكبر المشاكل التي تواجهني أني عندما أتكلم مع أحد أضطرب؛ فتكون أول كلمة أرد بها علىٰ هذا الشاب، أن كلامك غير صحيح، أنت صار لك سبع دقائق تتكلم معي ولسانك منطلق، وليس عندك مشكلة.

فحاول دومًا وأنت تتعامل معه ألا تشعره بوجود مشكلة، بل أشعره أنه بخير وأن بإمكانه أن يعتمد علىٰ نفسه.

وإذا كان صغيرًا فلا تتحدث عن حالته أمام الآخرين، بل أثنِ عليه وامدحه. وكن صريحًا في التعامل معه فلو جاءك ولدك وقال: يا أبي أنا لا أستطيع أن ألعب في حصة الرياضة مع زملائي؟

فلا تقل: ستلعب بالمستقبل؛ لكن قل: والله يا ولدي، إن الله تعالىٰ أعطاك ذكاء ربما لم يعط زملاءك مثله، وأعطاك محبة في قلوب الناس؛ لكن رب العالمين ابتلاك في هذا.

وإذا كنا نلوم المجتمع لتلك النظرة التي ينظرها للمجتمع، فما بالكم إذا كان المسئول عن هذا الأسرة، حيث يستغلون هذه الإعاقة في جعله يتسول ويشحذ؟!

وهذه مشكلة؛ لذلك الأصل في التغلب علىٰ هذي الإشكالية هو العاق نفسه، وأن يتشجع أن يكون له بصمة واضحة في المجتمع، لا أن يستغل شفقة الناس عليه ورحمتهم به. كما ذكرنا قبل قليل أن الإنسان عليه أن ينميٰ قدراته كي يستطيع أن يصنع منه شيئًا، ولا يكون حاله كما قال بعضهم:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

ولو أن قومي أنطقتني رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرت

فرؤساء الشركات، وأصحاب المال، وما شابه ذلك ينبغي عليهم أن يفتحوا مجالات لأمثال هؤلاء؛ لأجل أن يأتوا اليه بأي عمل يمكن القيام به.

وأنا أذكر أن وزارة العمل عندنا في السعودية لما قررت نظامًا يلزم الشركات بتوظيف السعوديين، كانت تعد الذي يوظف معاقًا كأنه وظف ثلاثة أشخاص اصحاء؛ لأجل أن يشجعوهم أن يعملوا.

وفعلاً عملوا في برمجة كمبيوتر عملوا وفي الاستقبال وما شابه ذلك؛ لأنهم دربوا علىٰ هذا فاستطاعوا فعل هذا؛ وهذا ربما يساعده في التخلص من الاكتئاب؛ وبالتالي يؤجر الذي ساعده علىٰ هذا.

وها نحن نحاول أن نجعل لإخوتنا وأحبتنا ممن ابتلوا بأنواع من البلاء في أجسادهم بصمة في المجتمع.

الله تعالىٰ يوم القيامة سوف يحاسب الإنسان بمقدار ما أعطاه الله من قدرات، لن يسأل الله تعالىٰ المشلول لماذا لم تخرج للجهاد؛ إذ ليس علىٰ الأعمىٰ حرج، ولا علىٰ الأعرج حرج، ولا علىٰ المريض حرج؛ كما نص الله ﷻ علىٰ ذلك.

لن يسأل الله تعالىٰ الأبكم لماذا لم تخطب الجمعة حين غاب الإمام، ولن يسأل الأعمىٰ لماذا لم تقم لتنقذ الصغير من الحريق؟

المقصود: أن الله تعالىٰ سيسأل أيضًا المعاق عن القدرات التي أعطاه رب العالمين

إياها، سيسألني: لمَ لم تستعمل يديك في كذا؟ لمَ لم تستعمل قدميك؟ لم لم تستعمل لسانك؟ وكلما استعمل الإنسان القدرات فيما يدعوه إلىٰ النجاح، وإثبات نفسه في المجتمع؛ جعل له بصمة تقربه إلىٰ رب العالمين من خلال خدمة هذا المجتمع.

وهذا بلا شك يزيده رفعة سواء في الدنيا عند الناس، أو في الآخرة عند رب العالمين.

وكما ذكرنا قبل ذلك أن الشخص المعاق ليس الذ ي يرقد علىٰ السرير الأبيض، أو الذي يجلس ويلازم الكرسي المتحرك؛ فلا يذهب إلىٰ أي مكان إلا ومعه هذا الكرسي.

ونحن عندما نقول: معاق عن الشيء فمعناه أنه عاجز عن الشيء، فإذا قلت: معاق عن الحركة فهو عاجز عن الحركة.

وكلنا ذوو احتياجات متنوعة، لكن بيننا من له احتياجات خاصة، إذن الجميع له احتياجات.

وبناءً على هذا نقول: المعاق هو الذي لا يصلي الفجر، بل الذي لا يصلي الفجر معاق في همته، وطموحه، وإيمانه.

المعاق هو الذي لا يقرأ، ولا يتعلم، ولا يبحث عن العلم، وهذا معاق في تفكيره.

الإنسان المتشائم في الحياة الذي يرىٰ الحياة سوداء ومظلمة، هذا معاق في طريقة تفكيرة، ونظرته للحياة.

الإنسان الذي لا يستطيع أن يترك أي معصية تلازمه؛ هذا معاق في إرادته.

إذن ليس المعاق الذي يجلس علىٰ هذا الكرسي، إنما المعاق هو المعاق عن النجاح، وعن السعادة وعن الإنجاز وعن التغيير، ومعنا قصص أو نماذج حية بإذن الله ﷻ في هذا المجال.

وتعقيبًا علىٰ مسألة أن المعاق ليس الذي لا يستطيع أن يحرك يده أو رجله؛ بل

المعاق معاق الهمة ذكر أن إبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان به صمم وبرص ثم أصابه الفالج - والفالج نوع من الشلل نسميه اليوم جلطة - ومع هذا كان من فقهاء التابعين.

ونفسيته وقوته وإرادته وثقته بنفسه، ونصر الله تعالىٰ، وتأييد الله تعالىٰ له كل هذا جعل عبد الملك بن مروان يجعله واليًا علىٰ المدينة في عام ستة وسبعين للهجرة الموافق سبعمائة وخمسة وستين للميلاد.

وربعي بن عامر لما ذهب الصحابة بقيادة سعد بن أبي وقاص إلىٰ الفرس إلىٰ رستم قال رستم لسعد بن أبي وقاص: أرسل إلي رجلاً أناقشه فاختار ربعي بن عامر، وكان به عرج شديد، كانت إحدىٰ رجليه أقصر من الأخرىٰ وقال: اذهب إلىٰ رستم فذهب إلىٰ رستم، ووقف أمامه واتكأ علىٰ رمحه.

فقال له رستم: إن شئتم أمرنا لكم بأموال وأطعمة وثياب وتذهبون عنا.

فقال: لا. إن الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد لعبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلىٰ سَعة الآخرة، ومن جور الأديان، إلىٰ عدل الإسلام.

قال: أنظرونا شهرًا حتىٰ ننظر في وضعنا.

قال: لا ننظركم ثلاثة أيام فقط. إما أن يكون كذلك، وإلا قاتلناكم فأشار رستم إلىٰ أحد من عنده لما رأىٰ الرجل واثقًا قال: أكيد هذا الرجل من كبارهم فأشار اليه أن اقتله، يعني: وهو طالع اضربه بالسيف خيانة فعلم ربعي بذلك فقال: يأيها الملك قال: نعم قال: إن لي عشرة من إخواني هم مثلي وأحسن سأحضرهم لك ليشتركوا في النقاش قال: نَعم نعم فأشار لهذا لا اتركة يأتي بالعشرة وهذه حيله ليتخلص، انظر للعقل مع إنه رجل أعرج رِجل أقصر من الأخرىٰ ومع ذلك يوكل لأجل أنه يحل مثل هذه المشكلة. عطاء بن أبي رباح كان أشل، وكان الخليفة يقول للناس في الحج: لا يفتي الناس إلا عطاء. عمرو بن الجموح رضي الله عنه لما أراد الصحابة أن يخرجوا إلىٰ معركة بدر منعه أولاده قالوا: يا أبانا، أنت أعرج شديد العرج فلما جاءت أحد خرج

فقال له النبي ﷺ: يا عمرو إن الله ﷻ يقول: ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾ [النور:٦١].

قال: يا رسول الله، والله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة، فأذن له النبي ﷺ فجاء وتمركز في مكانه بالسيف يقاتل حتىٰ قتل رضي الله عنه واستشهد.

ويذكر أحدهم أنه لما فقدت إحدىٰ يديه شكر الله، واحتسب الأجر؛ صار يعمل بيده الواحدة ما كان يعجز عن عمله وهو صاحب يدين.

وطالبة ما كانت لا تتكلم؛ لكنها حفظت القرآن كاملاً عن طريق الكتابة، وكانت تحصل علىٰ الدرجة النهائية في الاختبارات.

فالدين يريد هذه الصرامة وتلك القوة، يريد أن يبتليك الله تعالىٰ وأن تصبر علىٰ بلائك، وتستعمل قدراتك؛ لذلك نهىٰ النبي ﷺ عن النياحة علىٰ الميت قال: «أنا بريء من الحالقة والشاقة...» ونحو ذلك؛ لأن التعامل مع أزمة الموت لا يكون بشق الجيب، وحلق الشعر، والصياح، بل له أسلوب وهو الصبر ودعاء الله تعالىٰ، كذلك التعامل مع مشكلة الإعاقة ليس بالقعود والاتكال علىٰ الآخرين.

الله تعالىٰ ذكر في القرآن الله ﷻ الذين حاولوا أن يمنعوا الصحابة من الخروج للقتال من المنافقين قال: ﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الأحزاب:١٨]. فسمىٰ هؤلاء معوقين، وهم ليسوا معوقين حقيقة؛ لكن الله تعالىٰ هو الذي منعهم القدرة علىٰ القتال؛ فهم معوقون؛ لأنهم قعدت بهم الهمة؛ فليس عندهم استعداد أن يذهبوا ويقاتلوا وليس عندهم استعداد أن يجعلوا غيرهم يذهب للقتال.

وفي بلد مثل ألمانيا يوفرون للمعاق كل السبل مثل المواصلات، والعمل وهناك شرط علىٰ كل صاحب عمل عنده أكثر من عشرة عمال أن يكون بينهم واحد معوق.

فالأولىٰ أن يكون هذا في بلاد المسلمين، وأن تكون نظرتنا إيمانية، وإسلامية، وقرآنية.

ذكرنا الأسرة ودورها في الاعتناء بالشخص من ذوي الاحتياجات الخاصة، وكيف يمكنها أن ترتقي بهذا الشخص إلىٰ العالمية والإنجاز وذلك يكون من خلال خمس نقاط:

أولها: أن تتقبله ضمنها، وتتعامل معه بحرفة واحترافية، وتفهم مشكلته، ومستوىٰ المشكلة نفسها، ومستوىٰ الإعاقة وتفهم طموحه، واهتماماته.

ثانيها: أن تسعىٰ في توفير خِدْمات لولدها، ولا تستسلم.

ثالثها: مواءمة طموح هذا الشخص من ذوي الاحتياجات الخاصة، أو تطوير هذا الطموح.

رابعها: السعىٰ إلىٰ توفير البيئة المناسبة، والجو المناسب له.

خامسها: أن تسعىٰ إلىٰ مقابلة أسر أخرىٰ، أو نماذج أخرىٰ نجحت في الوصول إلىٰ أفضل النتائج.

في الإسلام شيء يسمىٰ النفع الخاص، والنفع المتعدي، كذلك في مسألتنا هنالك إعاقة خاصة، وإعاقة متعدية؛ كشخص يكون مكتئبًا، متشائمًا، محطمًا، محبطًا؛ لكن يبقىٰ هذا داخله فهذا نسميه إعاقة خاصة، أما الإعاقة العامة والمتعدية فهو أن يحبط الآخرين وينقل التشاؤم إلىٰ الآخرين.

وهنا نذكر قصة لأحد الناس من ذوي الاحتياجات الخاصة كان يدرس منازل في المرحلة المتوسطة، كان حين يذهب أيام الاختبارات يقول له المدرس: لم جئت؟

يقول: أبغىٰ أن أنجح وأتوظف ويكون لي مستقبل.

فقال له: هناك أحد طلب منك أن تنفق عليه؟ أنت عندما تقعد في بيتك سينفق عليك أهلك.

فعاد الطالب متأثرًا يقول: المعلم حطمني، وأنا لا أبغىٰ أن أدرس.

فقال له جاره: بل استمر وداوم علىٰ عملك.

ملخص الرسالة إلى كل من ابتلي بشيء من فقده لأطرافه: أن يشكر الله تعالىٰ علىٰ ما أبقي الله ﷻ فيه من نعم.

وأن يلزم الدعاء فدعاؤه مستجاب؛ وذلك أن النبي - عليه الصلاة والسلام - ذكر أن المريض دعاؤه مستجاب، والمعاق في حكم المريض.

وأن يسعىٰ في تطوير نفسه عن طريق القراءة.

الاستفادة من تطوير قدراته بقدر المستطاع؛ الإنسان الناجح هو الذي يركز علىٰ نقاط القوة الموجودة فيه ويحاول أن يستثمرها.

عدم اليأس من العلاج مهما قال لك الأطباء فـ«ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله».

وأدعو من ابتلوا بأمثال هذا البلاء، إلىٰ أن يسعوا في أن يرفعوا همة أصحابهم بمعنىٰ إذا علمت أحدًا من أصحابك عنده نوع من الإعاقة في همته فضلاً عن الإعاقة في جسده فحاول أن تعطيه بعض الأبر؛ لأجل أن ترفع همته.

وأختم هذا بقصة عجيبة لامرأة أصيبت بحادث سيارة وأصيبت بشلل نصفي، هذه المرأة كانت مدرسة ولها تأثيرها في طالباتها؛ تركت التدريس؛ لأنه شق عليها أن تذهب يوميًا؛ فأصبحت هذه المرأة مصلحة بين الناس عبر الهاتف.

وأصبح بيتها مركزًا لجمع الملابس المستعملة، وتتحرك وتفتح الكراتين التي جاءت تبرعًا، وتفصل ملابس الأطفال عن ملابس النساء، والذي يحتاج إلىٰ غسيل تعطيه الخادمة لتغسله، أو ترسله لمن يغسلها، وتفرقها، وتتصل علىٰ الجمعيات عندي ثلاثون بدلة طفل أعمارهم كذا وكذا عندي كذا وكذا.

وصارت تلقي محاضرات عبر الهاتف كل هذا وهي ما تستطيع أن تحمل رجليها كما قال الغزالي رحمه الله في كتابه «جدد حياتك» يقول: زرت أحد أصحابي أصيب في حادث وقطعت رجله يقول وهو عالم من العلماء: فلما جئت إليه قلت له: اطمئن فإن

الأمة لا تنتظر منك أن تسبق في سباق الماراثون العالمي؛ بل الأمة تحتاج لسانك وعقلك.

المقصود من هذا: أن أقول لإخوتي ممن أصيبوا بمثل هذا أنه يمكنك أن تستعمل لسانك وعقلك وخبرتك.

وننصح الأخوات إذا تقدم لخطبتهن معوق ألاَّ يردنه، فهو إنسان مؤمن.

وختامًا: أسأل الله تعالىٰ لي ولكم التوفيق والسداد، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يجعل لنا بصمة في خدمة دينه، ونعوذ به أن نذكر به وننسىٰ.

وأصلي وأسلم علىٰ خاتم النبيين والمرسلين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مما لا شك فيه أن الإنسان كلما زاد أثره في الحياة شعر بأهميته فيها، وأنه موجود. ولا يكون الأمر كما قيل:

ويقضى الأمر حين تغيب تيم ولا يستأمرون وهم حضور

لذلك نحن نحاول أن نقدم شيئًا يستطيع كل إنسان به أن يجعل له بصمة في الأمة؛ إذ يكفي بكاء آلام الأمة وعلىٰ ما يصيبها من مصائب.

ويبدأ الإنسان في قول: يا ليتني قائد عسكري حتىٰ أنصر إخواننا في العراق، أو أفغانستان، أو كذا وكذا، أو ليتني أملك مليارات الأموال حتىٰ أتصدق بها لأخواننا.

لا. دعنا من (ليت) فهي لا تنفع شيئًا، ونحن نحاول أن نبين أفكارًا، ووسائل تمكننا من وضع بصمة في هذه الأمة لا تحتاج إلىٰ مال ولا أن تكون وزيرًا أو أميرًا، لكنها تحتاج أن يكون عندك هَمٌّ لخدمة هذا الدين.

وكلامي معكم عن وظيفة الأنبياء وهو الأمر الذي أرسل الله تعالىٰ الأنبياء لأجله

وهو الذي جعله الله تعالىٰ طريقة لورثة الأنبياء والمتشبهين بهم.

موضوعي إذا كان موجودًا في الأمة فهو علامة علىٰ وجود الخير في هذه الأمة وعلىٰ رضا الله ﷻ عنها.

وإذا عدم هذا الموضوع فقل: على الأمة السلام.

إن الناظر في دين الإسلام يرىٰ شمولية عظيمة لمراعاة أحوال الفرد والأمة، شمولية اهتمت بكل مسلم ومسلمة وراعت نفسياتهم ومشاعرهم كيف لا؟ وفعل الخير والسباق اليه من أهم ركائز ديننا ومقوماتنا.

وإن المتأمل في حال مجتمعنا يرىٰ تفريطًا عجابًا في فعل الخيرات، والسباق نحو الفضائل والمستحبات خصوصًا ذلك العمل التطوعي، أو كما يقال ذو النفع المتعدي الذي لا يتطلب من الإنسان كثيرَ جهد ومال كتوزيع الكتب والمطويات والدعوة إلىٰ الإسلام بكل حكمة، بل ربما تعذر البعض بقلة العلم، وأن هذا العمل فقط دأب العلماء، وأهل الخير، والصلاح من المجتمع.

والحقيقة أننا نشكل مجتمعًا كلبنات البناء وكل منا يشكل لبنة ويعكس أيضًا صورة للإسلام وأهله فكان ولا بد أن يعمل كل إنسان بقدر استطاعته وألاّ توكل هذه الأعمال إلىٰ أهل الخير، والصلاح فقط، ولا يخفىٰ علىٰ الكثير الأجر المترتب علىٰ تلك الأعمال التطوعية والمناشط الخيرية التي ربما كانت سببًا لسعادة الإنسان في دينه وآخرته؛ لذلك كان ولا بد أن نسلط الضوء علىٰ هذا الجانب الذي تغافل عنه الكثير، وأدرك أهميته آخرون.

موضوعنا اليوم هو أن تضع بصمتًا في نشر الخير بين الناس، هذا الموضوع فضفاض يشمل أشياء كثيرة؛ لكننا سنتكلم عن وسائل نشره بين الناس.

من أمثلة ذلك: تعليق الملصقات التي تذكر الناس بذكر الله.

الله تعالىٰ جعل وظيفة الدعوة لله ﷻ هي وظيفة الأنبياء، قال ﷻ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ

سَبِيلِيٓ﴾ ماذا أفعل ﴿ٱدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾[يوسف:١٠٨] فما قال: قل هذه سبيلي أقوم الليل وأصوم النهار؛ لأني إذا اكتفيت فقط بـ(أني أصلي وأصوم) فما الاستفادة التي تحققها الأمة مني؟ لذلك النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «فضل العالم علىٰ العابد» ما قال: فضل العالم علىٰ العاصي.

فضل العالم الذي يعلم الناس، ويخطب بهم الجمع، وينشر الخير بينهم، ويفتيهم ويصلح ذات بينهم.

فضل العالم علىٰ الإنسان العابد الذي يصلي الضحىٰ اثنتي عشرة ركعة، ويسنن قبل صلاة الظهر، وبعد صلاة الظهر، ويسنن قبل العصر، ويقرأ جزأين أو ثلاثة بعد صلاة العصر، ويقوم الليل، ويتصدق وربما لا يتصدق.

هذه كلها عبادات بينه وبين الله، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: «فضل العالم علىٰ العابد كفضل القمر علىٰ سائر الكواكب». الكواكب مظلمة وتأخذ نورها من غيرها.

ويقول في حديث آخر: «فضل العالم علىٰ العابد كفضلي علىٰ أدناكم». فضل النبي ﷺ علىٰ أدنىٰ أمته.

في قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا وأراد أن يتوب سأل عن أعلم أهل الأرض فدلوه في البداية علىٰ رجل عابد فجاءه وقال له: أنا قتلت تسعة وتسعين نفسًا، ما قال العابد: أنا سأعطيه بصمة، ولعله يتوب علىٰ يدي، بل قال: قتلت تسعة وتسعين نفسًا ما لك توبة؛ فكانت النتيجة أن قتل هذا الرجل الرجل العابد، وكمّل به المائة.

ثم بدا له أن يتوب فسأل عن عالم الأرض فدل علىٰ رجل عالم فجاء إليه قال: أنا قتلت تسعة وتسعين نفسًا، هذا العالم تعود أن يتعامل مع عصاة يصلح ذات بينهم فيتوبون علىٰ يده بإذن الله، هذي شغلته التي شغلت الأنبياء فقال له: نعم ما الذي يحول بينك وبين التوبة؟ لكن اذهب إلىٰ البلد الفلاني ففيه ناس يعبدون الله، اعبد الله معهم.

لأنك مشكلتك مع هؤلاء الناس فمادمت استطعت أن تقتل تسعة وتسعين فهذا معناه أن البلد كله فاسد.

فالمقصود: أن قدرة الإنسان علىٰ أن يضع له بصمة في نشر الخير بين الناس هو توفيق من الله ﷻ.

فسنتكلم في جانب معين من الدعوة إلى الله تعالى، وهو نشر الخير بين الناس.

ربط الناس بالأذكار الشرعية.

إشغال أوقات الناس بالخير.

نحن ندين لله تعالىٰ بدين هو أقوىٰ الأديان، وأسرعها انتشارا اليوم بدون منازع، وهذا تقوله التقارير الغربية اليوم، بل إنهم يشتكون الآن أن كثيرًا من النصارىٰ تحولوا إلىٰ علمانيين فما عاد لهم ارتباط بالنصرانية.

البوذيون، الهندوس إلىٰ آخره أصبح أكثر ارتباطهم بمللهم مجرد ارتباط اسمي؛ ليس له ارتباط حقيقي بما يتعلق بالدين الذي هم عليه. هذا أمر.

الأمر الثاني: التقارير التي ينشرونها تؤيد ذلك فمثلاً اطلعت علىٰ تقرير يقول: إن بلجيكا في عام ٢٠٢٥ سيصبح الإسلام هو الدين الأول في بلجيكا.

ألمانيا في أخر تقرير اطلعت عليه في عام ٢٠٠٦ عدد الذين أعلنوا إسلامهم رسميًّا فضلاً عن الذين أسلموا من خلال الإنترنت من خلال قراءة كتب معينة (٤٠٠٠) شخص خلال سنة واحدة (٢٠٠٦).

فإذا نظرت إلىٰ هذا تعجب من قوة انتشار هذا الدين. ونحن لا نتكلم عن دعوة غير المسلمين إلىٰ الإسلام هذا سيأتي - إن شاء الله تعالىٰ -، بل نحن نتكلم عن دعوة المسلمين أنفسهم، ونشر الخير بينهم؛ لعل الله ﷻ أن يفتح علىٰ قلوبهم.

ومما يمكن نشره أيضًا دعاء السوق، النبي ﷺ قال في الحديث الصحيح: «من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حي

لايموت، بيده الخير وهو علىٰ كل شيء قدير؛ كتب له ألف ألف حسنة، وحطت عنه ألف ألف سيئة». وذكر النبيﷺ فضلاً عظيمًا لذلك.

وبعض الإخوة - جزاهم الله خيرًا - يحمل معه في سيارته عددًا من الأشرطة الإسلامية، ويذهب أحيانًا عند تجمعات الشباب احيانا عند الملاعب، أو بعض الحدائق وما شابه ذلك وقد كتب استبدل الشريط الغنائي بشريط إسلامي، يأتي الشباب ويعطونه أشرطة غنائية ويأخذون الأشرطة الأسلامية.

وهذا الأخ يقول: إذا أردت شريطًا إسلاميًّا فلا تتردد في إيقافي، وقد أظهر رقم الهاتف.

وبعض الإخوة جاءوا إلىٰ بعض المستوصفات والأماكن العامة، وفصلوا أدراجًا وهذه الأدراج أظنها لا تكلف مائة وعشرين ريالاً، أو مائة وثلاثين ريالاً، وتستخدم لوقت طويل جدًّا، فهي لا تستخدم مرة واحدة.ثم ترمىٰ، وأيضا مكتوب عليها (٣) مجانًا هذه لدعوة غير المسلمين، وضعوا فيها عددًا من اللغات مثل الفلبينية والإنجليزية وغيرها.

وبعض الإخوة - جزاهم الله خيرًا - كانوا يوزعون علىٰ محلات الحلاقة بعض الكتيبات، كي يقرأ الإنسان الذي يريد أن يحلق أثناء انتظاره، بدل أن يتابع المسلسل أو يلعب بجواله...

وهذا غَيض من فَيض.

وبلا شك مثل هذه الأمور تربط الناس بالدين، وأنا أعلم أن عددًا من الناس ربما تعطيه بعض الأذكار وتعرفه الثواب فيستغرب ويقول: أقول كلمتين فقط ويكون لي هذا الفضل؟!

فما الذي يمنعني أن أعلق في المطعم الذكر الخاص بالانتهاء من الطعام أو دعاء دخول السوق؟

ما الذي يمنعنا من الاتفاق مع بعض المطاعم لنفعل هذا ؟

وحبذا أن نبدأ في هذا الأمر بالشيء الأهم وهو المنزل أو البيت، وأن نذكر الأهل والأقربين بالخير، وفي العمل، أو المكتب، أو المحل التِجاري.

وفي الحي الذي تسكن فيه أحيانا يكون فيه تجمعات للشباب، وجلسات لكبار السن فبإمكانك أن تساهم بوضع بصمة عن طريق تعليق بعض هذه الملصقات، أو ما يشبه ذلك؛ فيتذاكرون بدل أن ينشغلوا في الحكايات، أو الأشياء غير النافعة.

أنا أعرف امرأة يجتمع النساء عندها ضحىً وتعمل لهن فطورًا، امرأة كبيرة في السن تقول: أنا لا أعرف أن ألقي عليكن محاضرة لكن اسمعن شريطًا وتسمعهن الشريط لمدة نصف ساعة ثم تقول: تفضلن الفطور، وهكذا تفعل كل يوم.

ومن الأماكن المهمة جدًّا المدارس والجامعات، يمكنك في هذه الأماكن أن تصنع بها عملاً بسيطًا نفعه عظيم.

الخلاصة: أينما ذهبت ضع بصمتك، وقل: اللهم اجعلني مباركًا أينما كنت.

وفي المدارس يمكن أن يسويَ الطلاب فريق عمل تطوعي دون أن ينتظروا شيئًا من أحد، حاجة فيقومون بتوزيع أذكار، أو يشتركون في ابتكار أفكار إيجابية عن طريق النت يصممونه بأنفسهم.

وأيضًا: إذا رأىٰ الطالب في نفسه القدرة علىٰ محاورة الآخرين فليحرص علىٰ إفادتهم، إذًا ما الذي يمنع الطالب في المدرسة أن يقرأ قول النبي ﷺ: «من قال: سبحان الله وبحمده؛ غرس الله له نخلة في الجنة»؟

ولو صممها بأسلوب جميل، وطبع منها ثلاث نسخ وعلق واحدة عند المدخل، وواحدة عند المخرج وواحدة في مكان معين، فالمدرسة فيها خمسمائة طالب فسيقرأ هذي الثلاث الورقات عدد لا بأس به.

ولا شك أن بعضهم ربما طبق ما فيها أو سيتحدث عنها؛ فتكون وضعت

بصمتك إلىٰ ما لا نهاية قال النبي ﷺ : «من دعا إلىٰ هدىً كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا».

فلو علمت إنسانًا الصلاة ثم ذهب وعلم غيره فربما تموت ولا يزال الأجر مستمرًّا وصحيفة الأعمال مفتوحة، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا ﴾ [يس:١٢] قبل موتهم ﴿وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ التي تركوها في الدنيا ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾.

ومن ذلك توزيع الأشرطة على الناس.

وأذكر أنني أعطيت أحدهم شريطًا؛ فشكرني ودعا لي وقال: أنا استمعت هذا الشريط أكثر من ستين مرة؛ لأنه تأثر به، وكان يسمعه غيره.

ولا ننسىٰ أن الدال علىٰ الخير كفاعله.

وفعل الخير أو نشره سمة من سمات المجتمع المتحضر، وهذا ينطبق علىٰ مبادئ المجتمع الإسلامي.

وفعل الخير يصير بأمور كثيرة وغالبًا ما تكون غير مكلفة وبسيطة كما شاهدنا أيام الأزمة الدنماركية الرسومَ في بعض السيارات تقول: (قاطعوا أو بأبي أنت وأمي يا رسول الله).

بعض الناس يعلقون أحاديث تبقىٰ أسبوعًا تقريبًا، يحفظها الأولاد ثم تغير بعد فترة؛ فيحصل هذا في السنة خمسين مرة تقريبًا.

ونحن إذ نذكر هذا نحرص علىٰ أن يفعله الجميع؛ لأجل أن تبقىٰ بصمة لهم.

أنا سأذكر ثلاث تجارب أو أربعة، منها:

أن أحد الإخوة لما رأىٰ اشتغال خدمة الـ(SMS) في الاتصالات كتب رسالة بالإنجليزية وقال: إذا أردت أن تعرف شيئًا عن الإسلام، أو إذا كنت تعرف أحدًا يبحث عن الإسلام أو غير مسلم، فأرسل إلينا رسالة ومعي ثلاثة، أو أربعة غير

مسلمين.

وبدأت الرسائل تصل إليهم، وعندهم نماذج يرسلون مباشرة إلىٰ غير المسلمين، ويبدءون في متابعته؛ هل تصدقون أنه بعد أربعة أشهر قاموا بعمل إحصائية وأنا التقيت بهم بنفسي؛ فوجدوا أنه في كل أربع ساعات هناك مسلم جديد؟

إي والله العظيم بسبب الاتصال يوجد كل أربع ساعات مسلم جديد .

وهناك الكثيرون يمكنهم فعل هذا؛ لكنه يحتاج إلىٰ الجرأة، كما أنه لا يلزم اتباع ذلك، ويمكن للأخوات أن يوزعن أشرطة أو كتبًا علىٰ السيارت، فإذا كتبت بعض الأذكار علقتها بالمدرسة أعطتها لأخيها وتقول: علقها في المسجد، خاصة الأذكار التي لها فضل، مثل: سبحان الله و بحمده، لا إله إلا الله وحده لا شريك...

وهناك مكاتب الدعوة؛ لكني أحاول من خلال ما نقوم به الاستغناء عن الاشياء الرسمية.

أحد الإخوة في ألمانيا مر يومًا من الأيام فوجد لوحة مكتوبًا عليها إذا أردت أن تعرف أكثر عن هذا المنتج اتصل علىٰ الرقم كذا فقفزت إلىٰ ذهنه فكرة: لم لا نكتب إذا أردت أن تعرف أكثر عن الإسلام اتصل علىٰ الرقم كذا؟).

فذهب إلىٰ المركز الإسلامي وجعل الإخوة يتصلون بالشركة المسئولة عن مثل هذا، وفي شهر كامل جمعوا سبعمائة دولار أو ثمانمائة دولار، فجمعوا وكتبوا إذا أردت أن تعرف شيئًا أكثر عن الإسلام فاتصل علىٰ هذا الرقم، وضعوا رقم المركز.

فذكر أنه أسلم خلال ذلك الشهر ما لا يقل عن خمسمائة شخص، لاحظ هؤلاء الذين دخلوا في الإسلام منهم من كان يتصل وهو في سيارته يحكي معه عن الإسلام والأخ يبين له ما في الإسلام.

أحد الإخوة أيضًا في أوروبا استأجر مكانًا في (الأتوبيس) الذي يركب فيه يوميًا - وهذا (الأتوبيس) ربما ينقل خمسمائة أو ستمائة شخص- استأجر مكانًا معينًا يوضع

عليه إعلان الشركات وكتب (إذا أردت أن تعرف عن الإسلام فاتصل برقم كذا في داخل التوبيس وصار يجلس إلىٰ جواره الهاتف الجوال، و يتصلون به ويدعوهم إلىٰ الإسلام حتىٰ أسلم عدد من الناس.

أنا أعني يا جماعة أننا حين نتعامل مع الناس فكثير منهم يشعر بحاجة شديدة إلىٰ الهداية؛ لكنه لا يجد أحدًا يدله عليها، وأنا لا أتكلم عن دعوة غير المسلمين إلىٰ الإسلام.

وأيضاً من الوسائل: ربط الناس بالذكر، واستماع القرآن، والحديث النبوي، جاءتني رسالة مرة من شخص من بريطانيا يقول: إنه كان معرضًا عن الدين لا يصلي إلىٰ آخره.

يقول: وفي يوم من الأيام مر علىٰ مركز إسلامي، وشعر بشيء من العطش فدخل إلىٰ المركز ليشرب من برّادة الماء.

يقول فوطئت رجلي - أنا في حياتي ما دخلت هذا المركز- علىٰ شريط فأخذ هذا الشريط ووضعه في جيبه وشرب من الماء وخرج.

يقول: فلما استمعت الشريط في الليل فإذا هو شريط إسلامي (اسمه القابضات علىٰ الجمر) من إلقائي موجود في الإنترنت ومنشور.

والشريط يحادث النساء لا يحادثه هو.

القصد: أنه يقول: سمعت هذا الشريط أربع مرات في تلك الليلة ثم أصبحت أنا أول المصلين في المركز الإسلامي، وإلىٰ يومي يا شيخ وأنا محافظ علىٰ الصلاة ومعهم.

فطوبىٰ لمن ألقىٰ هذا الشريط في هذا المكان؛ لعل الله تعالىٰ أن ينفع به.

الشماسات في السيارة يمكن أن يكون عليها أذكار دعوية.

تصميم كروت دعوية تتكلم يكون إخراجها وفكرتها في شكل جميل، علىٰ

أساس أن يتقبلها الآخر، ويكون فيها أفكار تتكلم عن النجاح وسبل الوصول إليه.

توزيع الكتيبات السهلة.

توزيع (سيديهات) إلىٰ جانب الأشرطة؛ لأن بعض السيارات ما فيها إلا (السي دي) فلو تيسر هذا وهذا لكان حسنًا، وليست مكلفة.

ومشاغل النساء خاصة لو علقت بعض الأوراق والفتاوىٰ الخاصة بهن فهذا أمر مهم جدًّا.

وبعض الإخوة نسق مع بعض الجهات الخيرية ووفروا له سيارة كتب عليها (هذه سيارة دعوية توجد فيها أشرطة وكتيبات) كان يدور علىٰ بعض الشباب ويوزعها عليهم. وهناك إخوة يشتغلون بتوعية الجاليات في (الدمام)، والجاليات المقصود بها: المقيمون في البلد من غير أهله الاصليين، والغالب: أنها تطلق علىٰ الفلبينيين، والهنود والأوروبيين، وما شابه ذلك.

وهناك أخ - جزاه الله خيرًا - تعجبت منه قام في سيارته بوضع جلسة في الداخل وشاي و قهوة ووضع فيها توعية عن المخدرات ووضع فيها (بروجكتر) وكمبيوتر.

ويأتي إلىٰ الشباب ويقف عندهم وهو سمىٰ ذلك (القافلة الدعوية تصميم الأخ تامر)، ويقول: يا شباب اركبوا في السيارة اشربوا الشاي فيركبهم في السيارة ويشربون الشاي ويشغل لهم شريطًا عن المخدرات والتحذير منها، أو بر الوالدين أو ما شابه ذلك.

وسيارته لطيف شكلها ويبدو لي أنها ما كلفته كثيرًا.

لكن مثل هذه الأمور التي عملها بلا شك لها تأثير ولها بصمة - نسأل الله أن لا يحرمه الأجر -.

وهذا أحد الإخوة كان يوزع كروتًا صغيرة وإعلانات فيها أستبدل بالشريط الغنائي الشريط الإسلامي وقد وضع رقم هاتفه، وفعلاً استبدل أكثر من ثلاثمائة ألف

شريط - جزاه الله خيرًا -.

الإخوة في مؤسسة (عيد) الخيرية في قطر جزاهم الله خيرًا، لما كان عندهم الألعاب، أو المباريات الآسيوية قبل سنة ونصف، عملوا سيارة تذهب إلىٰ الأماكن التي يتواجد فيها غير المسلمين، وكان فيها عدد من اللغات يوزعون عليهم أشياء تتعلق بالإسلام.

ومن أجمل ما في هذه السيارة أنهم وضعوا معهم (لاب توب) يرسل (بلوتوثات) علىٰ بعد مائة متر ويكتب (إذا كنت تريد أن تعرف عن الإسلام فأرسل إلينا أو رد علينا).

وكانوا يؤثرون فيهم كثيرًا.

ويمكن كذلك أن نضع مصاحف باللغة العربية وغيرها في المساجد.

وبعض الأطباء التابعين لجمعية (التكافل العربي الأفريقي) يقومون بقافلات طبية لإعانة السينغاليين في القرىٰ.

ونشير إلىٰ أنه لا ينبغي أن ييئس الإنسان إذا رفض أحد أن يقبل منه هذه الكروت، فبإمكانك أن تعلق هذه الأذكار في مكان ما وستقرأ إن شاء الله.

ونحن أحيانًا نتكلم عن أوروبا، وعن العمل الخيري هناك، أو عن أناس يضعون بصمات.

وأنت حين تعلق بعض الأذكار، أو توزع بعض الكتيبات، وتنفق فيها من مالك، أو حتىٰ من مال غيرك فأنت ترجو الأجر من الله تعالىٰ لما تفعله لأن عندك تصورًا للأجر في الآخرة أن الله ﷻ سيأجرني علىٰ هذا.

في أمريكا تعلمون أن الضرائب عندهم كثيرة جدًّا، فإذا عمل الإنسان بعض الأعمال الخيرية، أو كان عضوًا في بعض الجمعيات الخيرية تسقط عنه هذه الضرائب؛ فهو يحرص علىٰ أن يعمل أعمالاً معينة حتىٰ يحصل علىٰ بطاقة كي تسقط عنه هذه

الضرائب.

الأمر الثاني: أن كثيرًا من الناس هناك أحيانًا يصيبهم الفقر والمرض ولا يجدون من يعالجهم.

أنا أقرأ بعض التقارير التي تتكلم عن الناس في أمريكا، فتجد الواحد يموت من أمراض معينة؛ لأن المستشفيات لم تعالجه، وشركة التأمين المرتبط بها ربما لم يسدد لها أو عنده مشكله معها.

وهذا لا يكاد يوجد في بلاد المسلمين إلا إذا عجز المسلمون تمامًا عن مساعدته.

وقل مثل ذلك في غيره من أبواب الخير.

أنا أقول هذا حتى لا يقال: أمريكا عندهم العمل الخيري، وأوروبا عندهم العمل الخيري، أنظر إلى النصارى ماذا يعملون، فنعظم أمرهم ونحتقر أنفسنا.

أقول: لا تعط الموضوع أكبر من حجمه، فالموجود حقيقة في البلدان الإسلامية من العمل الخيري ورأيته والله بنفسي في عدد كبير من البلدان الإسلامية على قلة ذات اليد هو أعظم وأكثر بكثير مما هو موجود عند القوم.

ولا ننسى أن نذكر الآباء والأمهات الذين يشاهدوننا الآن أن يجعلوا لأولادهم بصمة في هذا الأمر.

وفاعل الخير والداعي إليه أولاً: له الأجر من الله ﷻ.

وثانيًا: حسن الخاتمة.

ثالثًا: النفس المطمئنة، الدول الأوروبية وأمريكا حريصون على فعل التطوع؛ لأمر نفسي يعود عليهم من وراء هذا العمل ألا وهو الراحة والاطمئنان.

رابعًا: استجابة الدعوة.

خامسًا: قرب الله ﷻ منك في أوقات الحاجة، مثل قصة الثلاثة الذين دخلوا

الغار.

سادسًا: إن الإنسان إذا لم يكن يستطيع أن يصنع أمرًا معينًا أو خيرًا معينًا، فقد يتابع أناسًا آخرين يقدمون نفس الأمر، فيشجعهم، النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «إن من الناس أناسًا مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبىٰ لمن كان مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر».

سابعًا: نشر الخير يعلم تهذيب النفس، ويزيد من رصيد التكافل الاجتماعي ومن التقارب بين الناس.

۞ ۞ ۞

أسماء بنت عميس

سنتكلم عن قدوة حقيقية من القدوات هي امرأة قدوة في الإيمان بالله تعالىٰ، قدوة في الدعوة إلىٰ الله، قدوة في الصبر علىٰ البلاء في تتابع عدد من المصائب عليها.

وتتزوج الزوج ويموت عنها، فيخطبها غيره وتتزوجه ثم يموت عنها.

قدوة أيضًا في التغرب عن الأهل في سبيل الدين؛ لأن بعض النساء الآن ربما لو سافرت مع زوجها وهو داعية إلىٰ بلد معينة شهرًا واحدًا أو شهرين لقالت: أنا مللت وأرجعني إلىٰ أهلي؟

هذه المرأة عاشت سنين وهي بعيدة عن أهلها ومع ذلك استطاعت أن تضحي من أجل الدين.

هذه المرأة من المسلمات الأول اللاتي دخلن في الإسلام وهاجرن الهجرتين: الهجرة الأولىٰ إلىٰ الحبشة والثانية إلىٰ المدينة. هي أسماء بنت عميس رضي الله عنها.

أول من تزوجها هو جعفر بن أبي طالب وهو ابن عم النبي ﷺ وهو أخٌ لعلي رضي الله عنه. تزوجها جعفر وهو شاب عمره له عشرون أو إحدىٰ وعشرون سنة تقريبًا، ثم ضيق عليهم في مكة مع من ضيق عليهم من المؤمنين، فقال النبي ﷺ للمؤمنين وفيهم جعفر وزوجه أسماء: إن في الحبشة ملكًا لا يظلم عنده أحد اذهبوا إلىٰ الحبشة.

كان نصرانيًا وكان الذي يحكم الحبشة في ذلك الوقت هو النجاشي واسمه أصحمة رضي الله عنه، وكل من حكم الحبشة يسمىٰ النجاشي، مثل أن من حكم مصر يسمىٰ فرعون. ومن حكم الإسكندرية يسمىٰ المقوقس.

المقصود:أنها هاجرت مع زوجها إلىٰ أرض الغرباء البعداء في الحبشة إلىٰ أرض لم يألفوها ولغة لا يفهمونها وأقوام ما ألفوهم، خرجوا من مكة بلاد عربية لها جو معين ولها طقس معين ولها عادات معينة وذهبوا إلىٰ أرضٍ ألوانُ الناس فيها تختلف عن ألوان أهل مكة ولغتهم تختلف عن أهل مكة. ومع هذا كله ذهبوا وهم ستة وثمانون ما بين رجل وامرأة في الصحابة ذهبوا إلىٰ الحبشة.

أسماء بنت عميس لبثت في الحبشة. ورد أنها ولدت في الحبشة ثلاثة أولاد: عون ومحمد وعبد الله هؤلاء الثلاثة ولدوا في الحبشة، والعجيب أن هؤلاء الأولاد ولدوا هناك خلال سبع سنوات مكثتها أسماء مع زوجها في أرض الغرباء البعداء، وكان لها عمل وعون مع الناس تدعو النساء في الحبشة.

كان لها أيضًا نوع تأثير في تثبيت المؤمنات اللاتي معها مؤمنات هاجرن، وبعضهن ربما تركن أولادهن؛ لأنهم يهاجرون إلىٰ الحبشة عن طريق البحر، والحبشة هي أثيوبيا اليوم. ومع ذلك تحملوا هذه المشقة في سبيل دينهم وتحملوا أذىٰ الناس.

لبثوا في الحبشة سبع سنين حتىٰ فتح النبي ﷺ خيبر ووقع لهم في الحبشة عدة أحداث:

منها أن قريشًا أرسلت عمرو بن العاص وأرسلت عبد الله بن أمية لأجل أن يردوهم في الحبشة.

وفزعوا هناك وجاء زوجها جعفر وتكلم مع النجاشي وأسلم النجاشي علىٰ يد جعفر لما قرأ عليه القرآن .

وهي أحداث كلها لاحظتها أسماء بين يديها، وكانت علاقتها بزوجها علاقة حميمة؛ لأنهم في أرض غربة. فهي قويت علاقتها بزوجها جدًا.

جاءوا من الحبشة لما فتح النبي ﷺ خيبر وكثرت الغنائم عند المسلمين، وصار المسلمون يستطيعون أن يستقبلوا العدد الكبير الذي سيأتي من الحبشة، وبعث النبي ﷺ إليهم أن جيئوا إلينا؛ فأقبلوا.

النبي ﷺ كان يحب جعفرًا وكان يقول له: «أشبهت خَلقي وخُلقي». خَلقي: شكلي وصفاتي الخارجية، وقبله النبي ﷺ بين عينيه لما جاء وضمه وكان يقول: أخلاقك تشبه أخلاقي أيضًا. والناس ربما إذا رأوا جعفرًا تذكروا النبي ﷺ، وإذا رأوا النبي ﷺ تذكروا جعفرًا لشدة الشبه بينهما.

دخل عمر بن الخطاب يومًا علىٰ امرأته فلما دخل قال لها: آلبحرية هذه؟ يعني التي جاءت في البحر، ويقصد أسماء وكانت أسماء جالسة عند زوجة عمر.

فقالت: نعم.

فقال: يا أسماء، -هو لم يعرفها؛ لأنها كانت متحجبة حجابًا كاملاً. وإلا لما احتاج أن يسأل.

فقال: يأسماء سبقناكم بالهجرة؛ لأن الهجرة في المدينة لها فضل.

فقالت أسماء: كلا والله بل نحن سبقناكم بالهجرة إلىٰ الحبشة. أنتم كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويداوي مريضكم ويواسي ضعيفكم ويقويكم علىٰ دينكم، ونحن في أرض الغرباء البعداء ما عندنا أحد وتقول: سبقتونا، والله لأخبرن رسول الله ﷺ بكلامك وقامت إلىٰ النبي،

قالت: يا رسول الله، سمعت ما قال عمر؟ قال: وما قال؟ قالت: يزعم أنهم خير منا وأننا فاتتنا الهجرة إلىٰ المدينة، وجئنا متأخرين. فقال النبي ﷺ: أما قلت له: إنكم يا أصحاب السفينة لكم هجرتان؟ أنتم لكم أجر هجرتين ليس هجرة واحدة هم هاجروا واحدة فقط من مكة إلىٰ المدينة وأنتم هاجرتم اثنتين من مكة إلىٰ الحبشة ومن الحبشة إلىٰ المدينة.

تقول أسماء: ففرحت وما فرح أصحاب السفينة بحديث أعظم من هذا الحديث.

تقول: كانوا يأتون إلي أرسالاً يسألوني عنه. أرسالاً: جماعات يتأكدون أن النبي قال هذا.

فكان لها تأثيرها.

أسماء لما رجعت إلىٰ المدينة مع زوجها ومع أبنائها الثلاثة الآن انفتحت الدنيا لها ولزوجها وصارت فرحة؛ تخلصنا من الهم والغم الذي كنا نجده في الحبشة، فما مضىٰ إلا سبعة أشهر حتىٰ حضرت معركة مؤتة.

فقال النبي ﷺ لجعفر: «اخرج مع الناس». وجعفر رضي الله تعالىٰ عنه يسمع ويطيع فما قال: يا رسول الله أنا لي سبع سنين في الحبشة.

فقال رسول الله ﷺ للجيش: «أميركم زيد، فإن أصيب فجعفر، فإن أصيب فعبد الله بن رواحة».

فذهب الصحابة إلىٰ مؤتة في أقصىٰ شمال الجزيرة العربية علىٰ حدود الأردن اليوم، فقابلهم جيش الروم فإذا الصحابة ثلاثة آلاف والروم أكثر من مائتين ألف مقاتل. لاحظ الفرق الرهيب بين العددين.

في المعركة قتل زيد القائد الأول، ثم قتل جعفر قطعت يده اليمنىٰ، فحمل الراية بيساره ويمينه تسيل دمًا؛ فجاء رومي وقطع اليد الثانية. يقولون: فاتكأ عليها وحملها بما تبقىٰ من يديه. فجاء من قتله.

وأقبل عبد الله بن رواحة وأخذ الراية وأخذ ينشد:

أقسمت يا نفسي لتنزلن أو لتقتلن ... أن أجلب الناس وشدو الرن

مالي أراكي تكرهين الجنة ... مالي أراكي تكرهين الجنة

ثم بدأ يقاتل وقتل فسقطت الراية. واضطرب الوضع بالناس معهم. والنبي ﷺ حدد لهم ثلاثة فقط ما حدد خمسة عشر، فأقبل زيد بن أكرم -ليس ابن أرقم-، أقبل إلىٰ الراية وحملها ورفعها وقال: أيها الناس إليّ، أي: أقبلوا واجتمعوا عندي.

فلما اجتمعوا قال: دبروا لكم قائدًا نحن في معركة قالوا: أنت.

قال: ما أنا لها.

فاصطلحوا علىٰ خالد بن الوليد البطل سيف الله المسلول فأخذ الراية خالد وانسحب بالجيش ذلك اليوم إلىٰ آخر قصة مؤتة، والنبي ﷺ بلغة الخبر أن الثلاثة قتلوا.

زيد هناك من يهتم بأهله وأولاده فهو ابن المدينة، وعبد الله بن رواحة أيضًا ابن المدينة أنصاري وفيهم من يهتم بزوجته وأولاده.

لكن الكلام علىٰ جعفر الآن زوجته جاءت من الحبشة وأولاده أيتام وكانوا متعلقين بأبيهم تعلقًا منقطع النظير، والآن أبوهم مات ما استمتعوا به إلا سبعة أشهر.

فرقي النبي ﷺ المنبر واجتمع الناس فقال: «أيها الناس ألا أنبئكم بخبر جيشكم هذا الغازي؟» قالوا: بلىٰ يا رسول الله.

قال: «أخذ الراية زيد فأصيب فقتل فاستغفروا له» قالوا: اللهم اغفر له وارحمه. قال: «ثم أخذ الراية جعفر فأصيب فقتل فاستغفروا له» انتزعها انتزاعًا من قلبه. قالوا: اللهم اغفر له وارحمه. قال: «ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فأصيب فقتل فاستغفروا له». قال الصحابة: اللهم اغفر له وارحمه.

قال: ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله مسلول وفتح عليه أي نجّىٰ الله الجيش.

ثم بكىٰ النبي ﷺ ونزل وليس الذي ليس الذي يجري من النبي ماءها ولكنها نفس تذوب، نزل النبي ﷺ من علىٰ المنبر ثم ذهب بعد ذلك إلىٰ بيت أسماء بنت عميس.

تقول أسماء: كنت قد غسلت أولادي ونظفتهم وعجنت عجيني؛ تنتظر قدوم جعفر.

تقول: فما راعني إلا رسول الله ﷺ يستأذن علي. تقول: فأذنت له، فهي إلىٰ الآن

لا تدري أن زوجها قد استشهد.

فلما دخل قال ﷺ: «ادعي لي بني أخي أولاد جعفر».

تقول: فأتيته بهم كأنهم أفراخ صغار كلهم أعمارهم سنتان أربع سنوات خمس سنوات.

تقول: فلما رأوا رسول الله ﷺ أقبلوا إليه يضمونه ويقبلونه يظنونه أباهم جعفرًا من شدة الشبه، فلما رأىٰ النبي ﷺ هذا الأمر؛ انفجر باكيًا وجعل يمسح رءوسهم ويبكي فلما رأت أسماء هذا المنظر، قالت: يا رسول الله أبلغك عن جعفر شيء؟

قال: «قتل جعفر». قالت: يا رسول الله، واه يتم بنيه وتبكي. فقال ﷺ: «ألعيلة تخافين عليهم؟ أنا وليهم في الدنيا والآخرة» أنا المسئول منهم، وألعيلة: ألفقر.

ثم خرج عليه الصلاة السلام وهو يمسح دمعه ويقول: «ابعثوا لآل جعفر طعامًا فإنه أتاهم ما يشغلهم».

ثم قال ﷺ بعد ذلك: «رأيت جعفرًا في الجنة له جناحان يطير بهما حيث شاء» ومنذ ذلك سمي جعفر بالطيار.

الوليمة في العزاء التي تحصل في الوقت الحاضر هذا ليس من السنة؛ يقول جرير بن عبد الله رضي الله عنه: «كنا نعد الاجتماع في بيت الميت وصناعة الطعام من النياحة».

لكن السنة الحقيقية هو أن يبعث إلىٰ أهل الميت الطعام يأكلونه هم.

بقي الكلام حول ما فعلته أسماء بعد وفاة زوجها. أسماء تزوجت بعدما خرجت من العدة أبا بكر رضي الله عنه وولدت منه محمد بن أبي بكر، ثم مات عنها أبو بكر رضي الله عنه. فتزوجت بعده عليًّا رضي الله عنه فولدت منه يحيىٰ بن علي وولدًا آخر، ثم مات عنها أيضًا علي رضي الله عنه.

اشتهرت أسماء بأمور من ضمنها:

أنها كانت تعبر الأحلام وكان الصحابة يسألونها عن تعبير الأحلام.

قدرة أسماء على القيام بالدعوة إلى الله تعالى والتأثير في الآخرين وهي في أرض الغرباء البعداء؛ فينبغي أن يكون فيها قدوة لجميع إخوتي وأخواتي الذين يسافرون للخارج. فكان لها في ذلك البلد أعمال دعوية مع النساء اللاتي في الحبشة فأسلم عدد من أهل الحبشة بسبب دعوة الرجال والنساء المسلمين الذين ذهبوا إلى هناك.

لذلك ينبغي حقيقة أن يحمل الإنسان هم الدعوة.

ولا يشترط في عصرنا أن يسافر الواحد بل يدعو إلى الله وهو في مكانه من خلال الإنترنت وهذه الأشياء تسهل على الإنسان. وعرفنا أن أحد الإخوة كان يوقظ أهله ويدخلون غرف الإنترنت ويدعون للإسلام. طبعًا جزاهم الله خيرًا.

هذا نوع من حمل الهم، ومن الناس من تقول له: قم كي تصلي ركعتين ليس في المسجد بل بالبيت ولا يقوم.

الحقيقة أنا أقول للجميع: لو حمل الهم مثلما حمل الصحابة الهم: همَّ النصح همَّ التوجيه همَّ أن يكون لي أنا بصمة.

والمشكلة فيمن يسافرون الآن إلى الخارج سواء يسافرون في سياحة أو عمل أو يقيم في تلك البلد أن لا يكون له أي تأثير!

ولما تنظر إلى الصحابيات اللاتي هاجرن انظر إلى أسماء بنت عميس أو إلى رملة بنت أبي سفيان أم حبيبة التي تزوجها بعد ذلك النبي ﷺ أو إلى رجال الصحابة أنفسهم؛ تجد من ذلك عجبًا من شدة البصمات التي وضعوها.

فالنجاشي نفسه ملك الحبشة أسلم على يد هؤلاء الصحابة الذين جاءوا إليه وأقبلوا لاجئين هاربين من الاضطهاد في بلادهم.

فالقدرة على التأثير أمر مهم. وهذا من أهم الدروس في قصة أسماء والذي أدعو إخوتي وأخواتي إلى الامتداد فيه؛ لأننا إذا عرفنا فعلاً سير الصحابيات والصحابة فلا نكتفي فقط بأن نسر فقط ونستمتع بذكر ما فعلوا؛ بل لا بد أن يكون مثلما قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام: ٩٠] أولئك قوم سباقون في

الخير ينبغي علينا أن نقتدي بهم.

ومنها: المصائب المتتابعة التي نزلت علىٰ أسماء:

أولها: هجرتها لأجل دينها.

وثانيها: رجوعها بعد ذلك.

وثالثها: موت زوجها الذي كانت متعلقة به، وصبرها علىٰ ذلك وصبرها علىٰ تربية الأيتام الذين عندها، وبعد ذلك موت أبي بكر عنها ثم موت علي عنها.

قدرة المرأة علىٰ أن تتحمل هذه الضربات المتتابعة، وعلىٰ أن تتغرب ومع ذلك تستمر لها بصمات في الإسلام هذا يجعل يبين أن الهم لو وقع في قلوبنا فعلاً جميعًا لصار لنا مثل هذا.

بعض النساء عندما يتوفىٰ زوجها تقول: لا أتزوج بعده أحدًا.

وهذا أمر مهم والذي ينظر في حال الصحابيات يجد أن المرأة مع كثرة الجهاد في السابق عند الصحابة وقلة عددهم. كانوا يدخلون المعارك وهم عدد قليل وأعداؤهم أكثر منهم في الغالب، ولم يدخل الصحابة عمومًا أي معركة إلا وأعداؤهم أكثر منهم؛ فكان القتل كثيرًا.

فتجد أن المرأة يتزوجها أكثر من شخص، فأم كلثوم بنت علي رضي الله عنهما بنت فاطمة رضي الله عنها . تزوجها عمر ثم تزوجها عون بن جعفر ثم تزوجها محمد بن جعفر ثم تزوجها عبد الله بن جعفر. أسماء بنت عميس انظر من تزوجها. عاتكة بنت زيد تزوجها عدد.

هذا أيضًا يدلك علىٰ أن الصحابة كانوا يرعىٰ بعضهم أولاد بعض، فأبو بكر مثلاً لما يتزوج امرأة عندها ثلاثة أطفال هل هذا يعني أنه ما وجد امرأة بكرًا ربما يكون آنس بها غير هذه المرأة التي لها أطفال، ومع ذلك ما كانت القضية عند الصحابة شهوانية؛ بل أنا أتزوجها إحسانًا إليها وإلىٰ أطفالها ورعاية لزوجها الذي قتل وهو يدافع عن المسلمين.

هذا ينبغي أن ينتبه إليه أيضًا إخواننا الذين ربما كان عندهم شيء من موت البعض في سبيل الله ونحو ذلك في فلسطين وفي غيرها أن يكون هناك نوع من التآزر في مثل هذه المسائل.

وأسأل الله أن لا يحرمنا الأجر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

۞ ۞ ۞

قصة المرأة خادمة المسجد

حاول أن يكون لك بصمة ولو بشيء بسيط، ومعنا قصة المرأة التي كانت تقُم (تكنس) المسجد علىٰ عهد النبي ﷺ، هذه المراة علىٰ بساطة عملها حين توفيت ودفنها الصحابة دون أن يصلي هو عليها، ذهب إليها وصلىٰ عليها ﷺ.

فهذا ما كانت تملك تقديمه للإسلام؛ فجادت به، «فلا تحقرن من المعروف شيئًا» و«اتقوا النار ولو بشق تمرة».

بصمتنا تتعلق بمن ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾[الإنسان:٨].

مثل الاستفادة من الطعام المستعمل الذي يبقي منه شيء عن طريق إيصاله إلىٰ الفقراء. والمطلوب منا بعد أن نعرف هذا الكلام أن نعمل به حتىٰ لا نكون ممن قيل فيهم ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[البقرة:٤٤] ونحن نتكلم عن شيء فعلناه لا لإظهار عملنا - نسأل الله تعالىٰ لنا ولكم جميعًا الإخلاص في القول والعمل - لكنه من باب قول الله تعالىٰ: ﴿يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾[البقرة:٢٧٤].

الإنفاق في السر له فضل؛ لكن الإنفاق في العلانية أيضًا له فضل إذا كان لأجل أن يقتدي به الناس.

الواحد منا عندما يقف أمام إشارة المرور ويتأمل ألوانها الثلاثة يجد أنها تمثل تعامل الناس مع نعمة الطعام، فمن الناس من يمثله اللون الأحمر الذي ينذر بالخطر

والتوقف والمنع، أو بالإسراف، وإلقاء بقايا الأطعمة في حاوية النفايات.

ومنهم من يمثله اللون الأصفر الذي يمثل فئة الوسط، فتارة هو مسرف، وتارة معطاء تجد بصمته علىٰ كل فناء.

أما اللون الأخضر فيمثل الفئة المحافظة لا إسراف ولا تبذير يضعون ما يأكلون وما زاد فيطعمون به غيرهم.

فأي لون يريد كل منا أن يمثله؟

ويمكن أن نحاول تنفيذ هذه الفكرة عن طريق الوصول إلىٰ عدد من المطاعم إذا أقفلت أبوابها؛ لأنه في الغالب يبقىٰ لديهم طعام يكفي تقريبًا لعشر أسر أو أكثر.

أنا أعطيكم مثالاً: أحد الأحياء في غرب الرياض اسمه (حي العريجة) حسب التقارير الرسمية للبلدية عدد السكان في هذا الحي [٣٦٩٥٩٩ الف]، والحي مساحته ٧٩ كم٢، أي: أن مجموع مطاعم هذا الحي علىٰ الأقل [١٨٥] مطعمًا.

هذه المطاعم في حي مكتظ بالعائلات ليس حي عزاب، ففي الغالب يطبخون لأنفسهم وعدد منهم أيضًا أطفال.

المشكلة: أنه يحصل أحيانًا إسراف شديد في التعامل مع مثل هذا الطعام، ومن أراد الدليل؛ فلينظر إلىٰ سلة النفايات فسيجد في الغالب أن الرز الملقىٰ فيها يكفي مائتي إلىٰ ثلاثمائة شخص.

وفي الغالب يكون هذا الرز بعد الولائم، ولائم الأعراس وما شابه ذلك، بل بعضهم قد يذبح خمسًا من الإبل، وقرابة عشرين من الشياه!!!

هناك طرق مبتكرة لأجل حفظ النعمة مثل هذه الطريقة التي عملها بعض الإخوة في مدينة الخبر.

يوجد أحيانًا بعض أنواع الطعام بعض أنواع الخبز التي تزيد في بيوتنا عن حاجتنا والآن مع القحط الموجود، وعدم المطر كثير من أصحاب الأغنام لا يجد ما يطعم به

أغنامه فيقوم الإخوة بجمعها في مثل هذه الأماكن ثم يوزعونها عليهم.

أما البصمة التي يمكن أن نفعلها في الاستفادة من مطاعمنا، فهي أن يذهب الشخص إلىٰ المطعم الذي في حيه ويأخذ الطعام المتبقي لديه، فهذا أفضل من أن يرمىٰ، وفي الغالب هذا المطعم يكون عنده أكياس يضع فيها هذا الطعام، أو ما شابه ذلك، فيأخذه إلىٰ بعض الأسر؛ يقول تعالىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [الإنسان:٨] قال الله تعالىٰ: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [الإنسان:١١-١٢].

كل ذلك من أجل إطعام الطعام، صبر علىٰ أن يأتي ويأخذه ويذهب به إلىٰ الفقراء؛ لأنك مع كونك شبعًا تشعر بحاجة غيرك.

والمشكلة: أنك تجد أن القليل من الناس هو من يفكر أن يجمع هذا الطعام الزائد ويعطيه عمالاً في محطة وقود أو المحتاجين.

ونحن لا نتكلم فقط عما يقع في بيوتنا؛ إذ ربما يكون شيئًا يسيرًا؛ لكن الذي نريده هو أن يستغل ما يبقىٰ في المطاعم و(البوفيهات).

النبي عليه الصلاة والسلام حث علىٰ إطعام الطعام مبينًا لنا فضل ذلك قال عليه الصلاة والسلام كما في حديث عبد الله بن سلام يقول: «عبد الله بن سلام: أول ما جاء النبي ﷺ إلىٰ المدينة نظرت إلىٰ وجهه فعلمت أنه ليس بوجه كذاب، قال: فسمعته يقول: أيها الناس أطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وأفشوا السلام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة».

والنبي عليه الصلاة والسلام ذكر عددًا من النصوص الشرعية في الحث علىٰ إطعام الطعام منها هذا الحديث.

ومنها ما رواه الترمذي: «من أطعم مسلمًا في جوعته أطعمه الله تعالىٰ من ثمار الجنة، ومن سقاه في ظمئه سقاه الله تعالىٰ من نهر الكوثر، ومن كسا مسلمًا كساه الله يوم القيامة»،

هذا له فضل عظيم.

وفي «صحيح مسلم» تقول عائشة رضي الله عنها : أقبلت علي امرأة مسكينة معها ابنتان لها فبحثت في البيت - فما وجدت شيئًا تطعمه لهذه المسكينة، كانوا فقراء - فتقول: وجدت ثلاث تمرات وأعطتها هذه المرأة، فالقسمة العادلة أن تأخذ المرأة التمرة وتعطي كل واحدة من البنتين تمرة وهي أعطت البنت تمرة والأخرىٰ تمرة، ورفعت الأم التمرة الثالثة لتأكلها فاذا البنتان أسرع من تمرتيهما من الأم إلىٰ تمرتها، ورفعتا أيديهما إلىٰ تمرة الأم.

فنظرت الأم ووازنت بين حرارة الجوع وعاطفة الأمومة، فغلبت عاطفة الأمومة فشقت التمرة نصفين وأعطت كل واحدة منهما نصف تمرة وبقيت جائعة، وعائشة تنظر إلىٰ هذا المنظر الغريب، فلما رجع النبي ﷺ إلىٰ البيت أخبرته عائشة، قال ﷺ: «يا عائشة، إن الله قد أوجب لها بها الجنة وأعتقها من النار». بتمرة، ما أعظم فضل الله! وفي الحديث: «اتقوا النار ولو بشق تمرة».

فهذا يدلك علىٰ فضل إطعام الطعام عمومًا، ومن إطعام الطعام أن النبي عليه الصلاة والسلام حث الإنسان علىٰ أن يذهب ويبحث عن الفقراء مثلما قال الله تعالىٰ لما ذكر الصدقات، قال: ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات:١٩] السائل: هو الذي يأتي إليك ويقول: أعطني، أما المحروم فهو الذي يستحي أن يأتي إليك.

وهنا نلفت الانتباه إلىٰ أنه لا يجوز العبث بالنعمة نقول هذا بمناسبة مسابقات أكبر (شوربة) في الشرق الأوسط وما علىٰ شاكلتها؛ لأن هذا - صراحة - نوع من الترف والعبث، والله تعالىٰ بين ذلك وأنه كان سببًا في نزول العذاب ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ۝٤٥﴾ [الواقعة:٤٥]. ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ۝١١٦﴾ [هود:١١٦].

ولا شك أن مثل هذا حقيقة نوع من كفران النعمة.

ونحتاج أن نقف مع آية قرآنية عظيمة ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل:١١٢] لشدة ملازمته لهم، وهي تدل علىٰ شدة التعذيب وفيها مبالغة بالوصف.

ونذكر أن الأصل: أننا نذهب إلىٰ المطاعم ونسألهم عما زاد عن حاجتهم.

ونشير إلىٰ أنه من البصمات التي يمكن للواحد أن يضعها في هذا الأم أن ينسق بين هذي المطاعم وبين أعداد من الفقراء يحتاجون بالفعل.

وحصل أن جمع هذا الطعام وذهب به إلىٰ بعض المساكين والمحتاجين، فلما أعطيناهم الطعام بكوا وكانوا في أشد الاحتياج إليه.

النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «الساعي علىٰ الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله». فللمسألة فضل عظيم، ثم هذا متعلق بإدخال الفرحة عليه، قال عليه الصلاة والسلام: «أحب الأعمال إلىٰ الله ثلاث: أن تدخل علىٰ قلب أخيك المسلم سرورًا، أو أن تقضي عنه دينًا، أو تطعمه خبزًا».

فالشخص الذي يقع في قلبه اهتمام بأمثال هؤلاء، ويذهب بنفسه إلىٰ المطعم، أو إلىٰ بعض الأماكن، أو أماكن الأفراح، له فضل عظيم.

والاهتمام بهذا الأمر يجعل الإنسان يحس النعمة التي يعيشها عندما يرىٰ أحوال هؤلاء المحتاجين، وربما يكون ذلك سببًا في زيادة نشاطه وإخلاصه.؛ النبيﷺ يقول: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن، من يبيت شبعان وجاره جائع».

هذا ليس كامل الإيمان.

ولا شك أنك عندما تجمع الطعام، وتحمله بنفسك، وتعطيه الفقير، وتوصله إليه فبلا شك أنك مأجور عند الله تعالىٰ، فأنت تتعامل مع رب كريم عظيم تفعل القليل

والله تعالىٰ يعطيك الكثير.

كما أن هذا الأمر يجعلك تشعر بمشاعر رائعة جدًّا؛ بسبب كونك في وضع المساعدة، وهذا لا يدركه إلا من جربه.

ويمكن أيضًا أن يتعاون مجموعة، وينسقوا فيما بينهم، فيذهب بعضهم في يوم، ويذهب البعض في يوم آخر وهكذا.

وهناك بعض الجمعيات تقوم بهذا الأمر، وتزيد علىٰ ذلك أنه تهتم بهذا الطعام من ناحيةالتعليب، والمحافظة عليه مراعاة لشعور الفقراء.

وهذا يذكرني بالشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: رأيت ذات مرة ابنتي عمرها خمس سنوات، وهي تحمل صحنًا فيه طعام ستذهب به إلىٰ رجل محتاج يجلس بجانبنا في الشارع.

فقلت: إلىٰ أين تذهبين؟

قالت: هذا أرز سأعطيه له.

قلت: لا. اذهبي وأحضري طبقًا شكله جيد وضعي فيه الرز وضعي معه ملعقة وضعي معه كأس ماء، ثم اذهبي به إليه.

هكذا حتىٰ لا يشعر أنه شحاذ بل يشعر أنه ضيف عندنا، لذلك قال الله تعالىٰ قال: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسان:٨] يطعمونه وهم يحبونه فلا يأتون بأي شيء وهكذا.

وأيضًا، هناك طريقة تجعل الإنسان الذي يخجل من فعل هذا أو ليس عنده وقت! ألا وهي أن يجمع ما يتبقىٰ من الطعام بعد دعوة أصحابه، أو عمل ولية، أو ما أشبه ذلك، وبإمكانه أن يتعرف الفقراء من السؤال عنهم، أو بطريق آخر.

وأيضًا من الطرق العملية التي يمكن أن تجعل لنا بصمة في هذا الأمر أن نقوم بعمل مسح لمنطقة ما، فنتعرف هذه الأسر، إذ ربما يكون عائلها متوفىٰ أو معاقًا...

فتكون أنت سببًا في إعانتهم، وإدخال السرور عليهم.

وهذه تجربة أحد الأشخاص الذين كانوا يشتركون بأنفسهم في جمع الطعام وإيصاله إلى الفقراء.

يقول: قصتي مع الفقراء بدأت منذ عشر سنين وبدايتها كانت بيت خرب ما كنت أظن أن هناك من يسكن في ذلك البيت حتىٰ أخبرني بعض الجيران أن هذا البيت توجد فيه أسرة فتواصلت معها فوجدتهم يفترشون الأرض ويلتحفون جدران ذلك البيت.

الأسرة معدمة لا تجد ما تأكله ولا مسكنًا، وكانت كلمة الأب: أريد طعامًا وأريد سكنًا يأويني أنا وأبنائي..

وكان من عبارات أولئك الفقراء أن امرأة عندها أيتام كانت تقول: أخاف شبح الجوع، وهي امرأة كانت تعتمد علىٰ علبة لبن زبادي وبقايا الخبز الذي عند السمان وتأتي بأبنائها وتقول: لا تغمسوا الخبز داخل اللبن واجعلوه علىٰ أعلىٰ اللبن حتىٰ نبقىٰ طوال اليوم نأكل منه.

وسألته هل تم بينكم وبين بعض المطاعم تنسيق في الطعام الذي يبقىٰ عندهم عند نهاية الدوام ؟

أجاب: نعم يا شيخ. بل أنا عندي مشروع مع بعض المخابز نمر عليها بعد نهاية فترة التوزيع ووقت الذروة ونأخذ الزوائد من الخبز ونذهب للأسرة الفقيرة.

وهذه نقطة فاتتنا أن ننسق مع المخابز، ونأخذ منها الزائد، ونوصله إلىٰ الفقراء.

وكذلك يتعامل مع المحلات التجارية التي تتاجر في المواد الغذائية مثل الزبادي واللبن.

فجزاه الله خيرًا وأمثاله.

وهذه الأمور لها أثر نفسي عظيم في نفس الفقير والمحتاج؛ فما أجمل أن تحصل دعوة أو تدخر أجرًا! يقول أبو مسعود البدري ﷺ كما عند الترمذي: «لما نزلت

آيات الأمر بالصدقة كنا فقراء ليس عندنا مال نتصدق به، فلما وجدنا ذلك؛ جعلنا نحامل علىٰ أكتافنا في السوق».

يذهب الواحد يعمل حمالاً في السوق؛ لأجل أن يكسب مالاً يتصدق به لا لأجل أن يتزوج أو يشتري بعيرًا أو ما شابه.

لما نزلت الآية جعل الصحابة يتصدقون - هناك أناس وظيفتهم في الدنيا انتقاد الناس ليس عندهم استعداد أن يساعدوا بل يثبطوا وفقط - كان المنافقون يرون الصحابة يتصدقون، فأقبل رجل بصاع يتصدق به فنظر المنافقون بعضهم لبعض وقالوا: هذا مراءٍ جاء يتصدق أمامنا بصاع ثم أقبل رجل بمال قليل فنظر بعضهم إلىٰ بعض وقالوا: الله غني عن صدقتك؛ فأنزل الله تعالىٰ قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [التوبة:٧٩].

فبعض الناس ليس له هم إلا أن يسخر منك وبعضهم أحيانًا قد يهددك يقول لك: أنت الآن تذهب إلىٰ هذا المطعم وماذا تفعل بعد الساعة الثانية عشرة؟ فإذا عرف مقصدك قال: غدًا تلقي المباحث القبض عليك أو تمكث في السجن أسبوعين...

فمشكلة أن تجد بعض الناس لا يرحم، ولا يفرح برحمة الله إذا نزلت.

وأيضًا، يمكن أن ننسق مع إدارات الفنادق، وأن ندعوهم إلىٰ أن يخصصوا موظفًا لهذا الأمر، والناس فيهم الخير؛ لكنهم ينتظرون من يبادر فإذا وجدوا بادروا.

يقول الله ﷻ: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ [النساء:٣٦] إلىٰ آخر الآية. فذكر الله تعالىٰ الإحسان إلىٰ المساكين هم الذين أسكتتهم الحاجة والفقر فلم يحصلوا علىٰ كفايتهم.

أذكر أن عبد الله بن المبارك ؒ كان ذاهبًا ذات مرة إلىٰ الحج فمر بقرية ومعه طعامه وزاده وغلامه، فرأوا امرأة تبحث في قمامة ثم أخرجت من هذه القمامة فرخ

دجاج ميت وأخذته وجعلت تنتفه وتذهب إلىٰ بيتها فجاء إليها قال: ما شأنك؟ كيف تأكلين هذا وهو ميتة ليس مذبوحًا؛ فشرعًا لا يجوز أكله؟!

فقالت: بل نحن يحل لنا أن نأكله.

قال: كيف؟

قالت: والله قد بلغنا من الجوع والحاجة ما يجوز لنا به أن نأكل مثل هذه الميتة.

فأعطاها جميع الزاد. وقال: والله هذا أفضل عند الله من الحج وهو كذلك فالحج نافلة وهؤلاء وصلوا إلىٰ مرحلة جعلتهم يأكلون الميتة.

۞ ۞ ۞

قصص ومواعظ في الإحسان لليتيم

الحمد لله القائل: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ [الضحى:٦]. إنه الإسلام دين الرحمة والتكافل والحب والتفاؤل.

إنه دين العدل إذا أقبلت نعم الله إليك فتذكر تبعاتها عليك. نعم أحسن يا بن آدم؛ ليُحسن إليك. أحسن بابتسامتك برحمتك بلطفك. تعالوا اليوم نرافق رسولنا ﷺ في الجنة نمسح علىٰ رأس اليتيم.

سنتكلم عن موضوع من أهم المواضيع وهو موضوع يستطيع كل إنسان منا أن يكون له فيه بصمة ألا وهو رعاية اليتيم.

يقال: إنه يوجد في العالم الإسلامي أكثر من خمسة ملايين يتيم يحتاجون إلىٰ كفالة، ونحن لن نتكلم اليوم عن جمعيات كبار لكفالة الأيتام أو عن وزارات تكفل الأيتام وتعمل في ذلك؛ لأننا في كلامنا لا نعتمد هذه الأشياء الرسمية ليس تقليلاً من شأنها لكن نريد من كل واحد منا أن يكون له جهد ذاتي في موضوعاتنا.

زرت أحد البلاد العربية فإذا بعدد اليتامىٰ أربعمائة ألف لم يكفل منهم إلىٰ الآن

إلا خمسون ألفًا والباقي لا يزالون يحتاجون إلىٰ كفالة.

رأيت والله بعض هؤلاء يمشون في الشارع يسألون الناس.

أحيانًا الجمعيات الخيرية لا تستطيع أن تقوم عليهم أو لا يكون عندها من المصادر المالية ما يمكنها من أن ترعىٰ بها هؤلاء الأيتام.

فأين جيرانهم؟

أين مدرسوهم؟

أين الناس الذين يرونهم في الشارع؟

لماذا لا يستطيعون أن يعاونوهم؟

سنتكلم عن ذلك.

سنتكلم أيضًا عن أن دعم اليتيم لا يقصد به الدعم المادي فقط؛ لكنه أيضًا يحتاج إلىٰ نوع من الرعاية المعنوية.

تعالوا أيها الأحبة ننظر في الآيات والأحاديث التي وردت في الكتاب والسنة في فضل رعاية اليتيم وما يتعلق بذلك.

أما الآيات الواردة في رعاية اليتيم والأمر به فهي متعددة، قال تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ [البقرة:٢٢٠]. أي: إذا كنت تريد أن تفعل لهم خيرًا فعليك أن تحاول إصلاحه وإصلاح اليتيم ليس فقط الإنفاق عليه كما ذكرنا.

يا أخي، قدم له نصيحة إذا رأيته يلعب في الشارع وربما أخذ سيجارة من الأرض ووضعها في فمه، بأن هذا يضره، وينبغي ألا تصاحب فلانًا وفلانًا. وأنت الآن لا ترجو منه جزاءً ولا شكورًا.

ومن النصوص الواردة في ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَـٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾ [النساء:١٢٧]. بالقسط، أي: أعامله بالعدل. هبْ

أنه جاءني يتيم ليشتري مني من البقالة وأنا أعلم بيتمم وأنه قد ورث من أبيه مالاً كثيرًا أو أنه لن يُماكسني في السعر، حين أقول هذا بكذا؛ فالواجب علي أن أحسن إليه وأعامله معاملة طيبة.

ومن الآيات أن الله تعالىٰ عاتب بعض الناس فقال: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الفجر:١٧]. وقد كانت قريش تظلم الأيتام في أموالهم. يأتي العم إذا مات أخوه ويأكل أموال أبناء أخيه، فنهىٰ الله تعالىٰ عن ذلك.

ومن الآيات قول الله ﷻ: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحىٰ:٩]. إما بإحراجه، أو غير ذلك.

المقصود: أنه لا ينبغي قهر اليتيم ولا إحراجه عند التعامل معه سواء بإحراجه بعدد من الأسئلة أو ما شابه ذلك.

ومن الآيات قول الله تعالىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان:٨ - ٩].

كذلك قول النبي ﷺ: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة» وقارن ما بين السبابة والوسطىٰ من القرب؛ لأن ذلك يدل علىٰ قرب كافل اليتيم من النبي ﷺ.

وهنا سؤال لماذا قال: أنا وكافل اليتيم؟

الجواب: أن النبي ﷺ جاء إلىٰ الأمة وهي جاهلة فكفلها وساقها إلىٰ الخير حتىٰ مشت إليه، وكذلك كافل اليتيم يأتي إليه وهو جاهل لا يستطيع أن يتصرف من نفسه فيأتي كافل اليتيم ويسوقه إلىٰ الخير.

فكما كفل النبي ﷺ الأمة وساقها إلىٰ الخير وهذا كفل اليتيم استحق أن يكون مُصاحبًا للنبي ﷺ في الجنة.

ومن الأحاديث أيضًا قول النبي ﷺ: «كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة» هذا يختلف عن الأول:

الأول: قال: «أنا وكافل اليتيم»، والثاني: نبه إلىٰ أن اليتيم قد يكون لي وقد يكون لغيري. والفرق؟ الأم التي ترعىٰ الأيتام هي في الحقيقة ترعاهم لنفسها؛ لأنهم في الحقيقة ما ينتسبون إلىٰ أمهم بل إلىٰ أبيهم.

نعم أمهم ولدتهم لكنهم في الحقيقة تبع لعائلة الأب؛ لكن هي التي ترعاهم. فأنا حين آتي بأي يتيم بعيد عني وأكفله كابن أخي وابن أختي؛ فهذا أكفله لي للقرابة مني، ومثال أن أكفله لغيري، أن آتي به من أندونيسيا من إفريقيا، من أي مكان وأكفله يكون لي الفضل.

ومن الأحاديث: قول النبي ﷺ: «الساعي علىٰ الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو كالقائم الذي لا يفتر وكالصائم لا يُفطر» وهذا من أعظم الأحاديث وفضل الجهاد معروف، وكذا القائم الذي لا يفتر أي: لا يتعب ولا يتوقف عن قيام الليل أو كالصائم المواصل الذي لا يفطر أبدًا.

الساعي علىٰ الأرملة يسعىٰ عليها في الإنفاق وفي نُصحها وفي توجيهها وفي تربية أولادها، ويمكن ألا يكون رجلًا قد تكون امرأة فتسعىٰ علىٰ جارتها.

وفي رواية قال: «كالقائم الذي لا يفتر وكالصائم الذي لا يفطر».

كذلك قول النبي ﷺ: «من ضم يتيمًا بين مسلمين في طعامه وشرابه حتىٰ يستغني عنه وجبت له الجنة».

ومن الأحاديث في ذلك: «أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك» رواه الطبراني. لاحظ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك.

وفي حديث آخر يقول النبي ﷺ: «من وضع يده علىٰ رأس يتيم رحمةً كتب الله له بكل شعرة مرت علىٰ يده حسنة» حديث صحيح رواه الإمام أحمد.

كل هذا من الفضائل.

أرأيت الفضل الذي يكون لمن يمسح علىٰ رأس اليتيم؟

لأن هذا فيه أولاً: رقة قلبك.

ثانيًا: لك بكل شعرة حسنة.

وهذا يسمونه الاتصال العاطفي بين الناس، وهذا ما كان يؤكد ﷺ؛ فالإسلام ليس معاملات مُجردة من العواطف والمشاعر، النبي ﷺ لما أقبل إليه شاب قال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا. قال: «أترضاه لأمك، أترضاه لأختك، أترضاه لعمتك... لخالتك» في الأخير الشاب قال: يا رسول الله ادع الله أن يُطهر قلبي. ماذا قال النبي ﷺ قال: «تعال». فجاء فوضع يده علىٰ صدره ثم قال: «اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه».

النبي وضع يده علىٰ صدره وهذا الذي يسمونه بالاتصال العاطفي

وعبد الله بن مسعود لما قال: يا رسول الله ﷺ علمني التشهد، وضع كفه بين كفيه ثم وضع النبي ﷺ يد عبد الله فوق ووضع يده الثانية فوقها ثم قال ﷺ له: «يا عبد الله قل إذا جلست للتشهد التحيات لله والصلوات الطيبات...» إلخ.

فأنا حين آتي إلىٰ اليتيم وأقول له: ما اسمك؟

كيف دراستك؟

ما شاء الله! بطل.

حافظ سورة: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:١].

أنت متفوق؛ فلا يصح أن تصاحب فلانًا وفلانًا.

والمسح علىٰ رأسه يعطيه شيئًا من الطمأنينة ويجعل بينك وبينه شيئًا عاطفيًا، ويزيد علىٰ ذلك أنك أنت يلين قلبك وتذهب منك القسوة وتدرك حاجتك وأيضًا لك بكل شعرة حسنة، وتشعر بنوع من التواصل معه.

والنبي ﷺ يقول: «إن هذا المال خضرة حلوة ونعم صاحب المسلم هو لمن أعطىٰ منه اليتيم والمسكين وابن السبيل» رواه الإمام أحمد.

يقول النبي ﷺ: المال طيب للمسلم لكن لمن أنفق منه علىٰ الأيتام والمسكين وابن السبيل، وبدأ النبي ﷺ باليتيم قبل المسكين وابن السبيل.

وأيضًا يقول ﷺ: «خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يُحسن إليه، وشر بيتٍ من المسلمين بيتٍ فيه يتيم يُساء إليه» إذن إذا أردت أن يكون بيتك هو خير بيت من المسلمين فاحرص علىٰ أن يكون عندك يتيم.

والفرق بين اليتيم واللقيط: أن اليتيم يعرف أبواه، واللقيط لا يعرف أبواه. وحكمهما واحد من ناحية فضل من يربيهما.

لذلك أنا أقول: لو تيسر هذا الأمر للإنسان سواء عندنا في السعودية أو في الخليج أو في الدول العربية أو في أي بلدة في العالم فليحرص عليه.

فإذا كنت أعلم أن زوجتي حامل وستلد بعد شهرين أو ثلاثة أستعد منذ تلك اللحظة لأخذ يتيم سواء كان لقيطًا (لا يعرف من أبوه وأمه) أو لم يكن كذلك، آخذه وأجعل زوجتي تُرضعه ثم أربيه مع أولادي. هذا هو خير بيوت المسلمين.

في عام ١٩٩٩ يعني قريبًا من عشر سنوات أو أقل من ذلك في ألمانيا وحدها عدد الأسر التي أخذت أيتامًا من الدول الإسلامية وربتهم كان ثلاثة وعشرين ألف أسرة طبعًا، وهؤلاء ينصرونهم.

إذن ينبغي أن نضع لنا بصمة مع هؤلاء الأيتام، ولن يحتاج هذا إلىٰ أن يكون عندنا جمعيات كبيرة.

من الأشياء التي نستطيع أن نفعلها مع هؤلاء: أن نُهديهم، وأن نذهب لمدارسهم، وأن نعرف المتفوقين منهم ونشجعهم علىٰ هذا التفوق، وعلىٰ إبداعهم وعلىٰ مشاركتهم الوجدانية؛ وهذا كله له دور وأثر كبير في الشخص وفي اليتيم نفسه.

فلا بد أن يشعر بالعطف والحنان الخارجي.

وحبذا لو نفعل هذا معه دون أن نشعره بأن هذا بسبب يتمه.

والشخص الذي يفعل هذا تفتح له الأبواب من حيث لا يدري بسبب دعوة من هذا اليتيم.

ومن يُحسن إلىٰ الناس يُحسن الله تعالىٰ إليه الله يقول ﷻ: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[البقرة:١٩٥].

إن مواساة أهل اليتيم ومواساة الأم فيه إشعارها بأننا المجتمع معها وهذا بلا شك نوع من الخير.

بعض الذين يتعاملون مع الأيتام يتعاملون معهم بدلال زائد، لما جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ قال: يا رسول الله، إن في حجري يتيمًا. فما يحل لي وما يحرم؟ يعني كيف أتعامل معه؟ قال النبي ﷺ: «ما كنت مؤدبًا ولدك فأدبه مثله» مثلما تضرب ولدك اضربه، مثلما تصرخ بولدك اصرخ به.

وذلك كما قال النبي ﷺ لئلا يبين أنك تعامله علىٰ أنه يتيم.

فعلينا أن نحرص علىٰ أن نصنع منهم أناسًا يغيرون مجرىٰ التاريخ؛ فالإمام أحمد رحمه الله نشأ يتيمًا مات أبوه وعمره ثلاث سنوات، والشافعي أيضًا نشأ يتيمًا، وسفيان الثوري نشأ يتيمًا، والأوزاعي إمام من أئمة الفقه نشأ يتيمًا.

ويكفيك أن رسول الله ﷺ ولد أصلاً يتيمًا ومع ذلك غير مجرىٰ الدنيا.

وغيرهم كثير نشئوا أيتامًا، ومع ذلك استطاعوا أن يكون لهم أثر في التاريخ.

ومعي رسالة من أحد اليتامى: علىٰ المجتمع ألا يُنظر لليتيم نظرة الشفقة؛ فنحن تعبنا من هذه النظرة، نحن نريد الاحترام للآخرين.

أنا أذكر أن أحد الإخوة – الكلام للشيخ محمد، حفظه الله – أحضر لقيطًا ليُربيه

لِيُرضعه مع ولده واتفق مع زوجته أن يقول للناس: إن هذا ابني من زوجة أخرىٰ تزوجتها في السر وماتت أو طلقتها وكذا وأحضرت الولد لتربيه أم فلان؛ فوافقت الزوجة وقالت: جزاك الله خيرًا؛ فهذا أرحم من أن تتزوج علي في الحقيقة وقالوا للناس هذا بالكذب، وربىٰ الولد عنده، والناس يظنون أنه ابنه ولا يشكون لحظة، يقول: لا أريد أن يشعروا بذلك.

صحيح أن هناك أوراقًا رسمية لا يطلع عليها أحد؛ لكن لا يعلم أنه ليس ابنه إلا هو وزوجته حتىٰ أبناؤه الكبار لا يعلمون.

ويقول: لله الحمد، كان راتبي قليلًا وكانت الحالة ميسورة، وبعدما جاء عندنا هذا اليتيم، أتت الدنيا كلها إلينا، وأصبح كل شيء متيسرًا؛ فزاد المعاش وتحسنت الأمور المالية والنفسية وكل شيء، إضافة إلىٰ محبة الناس، والراحة مع الزوجة؛ وصارت الطمأنينة في البيت والراحة.

بل يذكر أنه فعل كما فعل أصحاب الكهف الذين أطبقت عليهم الصخرة، وكانوا يذكرون أعمالهم الصالحة ويدعون الله بها. يقول: في بعض الأحيان حين تتعقد الأمور وتصعب أذكر الله تعالىٰ بهذا الشيء وأقول: اللهم إن كنت تعلم أني ما ربيت اليتيم إلا ابتغاء وجهك؛ فافرج عني كذا وكذا. فتنفرج.

وهنا سألناه سؤالًا:أحيانًا ثقافة المجتمع عندنا ربما تحول بين بعض الناس وبين أن يفعل كهذا الرجل.

فكيف تلقت زوجتك وتقبلت أن تأتي بولد وتربيه مع أولادها ويكبر معهم؟ وكيف تقبل المجتمع الذي حولك هذا الأمر؟

فقال: بداية أنا جاءتني الفكرة بسبب إحدىٰ قريباتي، وكانت قد أتت لها بطفل وشجعتني علىٰ هذا الأمر بسبب قولها لي: إن تربيتها لليتيم فتحت لها أبواب الرزق وكل شيء.

فعرضت هذا الموضوع علىٰ زوجتي وفي بداية الأمر كانت رافضة وبعد الإقناع ولله الحمد أتينا باليتيم، وبعدما أتينا به كان الناس سواء من أقاربي أو من أقاربها مستنكرين لهذا الأمر؛ لكن بداية الأمر كان صعبة جدًّا. وتوجد فتوىٰ للعلامة الشيخ ابن باز أن أجر كافل اليتيم أجر عظيم، ولله الحمد.

ويذكر أنه يعامله معاملة خاصة، تفوق ما يعاما به أبناءه الذين من صلبه.

ولعل فيما ذكر تذكرة وحثًّا لكل الناس علىٰ أن يفعلوا مثل هذا الفعل.

توجد بعض دور الأيتام التي بها مجموعة من الأيتام الرضع الذين لا يزالون في الأشهر الأولىٰ، يمكن للإنسان أن يتفق مع الدار، وأن يأخذ بعضهم إذا كانت زوجته تُرضع حتىٰ تُرضعه؛ لأجل أن يُصبح ولدًا له. أو إذا كانت زوجته لها أخت مُرضعة، فليحاولوا أن يرضعه من تتحقق به المحرمية، بعض أهل العلم أباح رضاعة الكبير عند الضرورة، والمسألة فيها قول عائشة.

المقصود: أن عيش هؤلاء الأيتام في أسر خير من عيشهم في مجموعات.

ومن يخجل أن يأخذ طفلاً من دور الأيتام أو عنده شيء من هذا القبيل؛ يمكنه أن يستعيض عن هذا بجار له يتيم أو قريب يتيم.

ولو رفضت الزوجة فكيف أقنعها ؟

يمكن ذلك عن طريق تذكيرها بالأجر العظيم والثواب الجزيل.

ويقول لها الزوج: نأخذ هذا الولد وإذا لم ينصلح حاله بعد شهر أو شهرين أو ثلاثة؛ نعيده إلىٰ دار الأيتام مرة ثانية.

ويذكر بعض الناس وهو من المهتمين بهذا الأمر أنه حصلت له بعض المواقف، منها: أنه في إحدىٰ زيارات الدور الإيوائية لرعاية الأيتام وفي أثناء دخوله للدار وجدت أحد الأيتام وكان في المرحلة الابتدائية يسأله سؤالاً قال له: طلب منا أحد المعلمين أن أكتب موضوعًا في مادة التعبير، وطلب مني أن أساعده، وأن أبحث له عن موضوع

مناسب فذكرت له أن من أنسب المواضيع أن يتكلم عن سيرة النبي ﷺ وكيف كان النبي ﷺ يتيمًا ولكنه أصبح بطلًا ونشر الدعوة، حياته كانت مليئة بالنجاحات.

فسكت اليتيم فجأة ثم نظر إليّ نظرة غريبة ثم قال لي: تريد من أصحابي الطلاب أن يضحكوا عليّ؛ فكان يتوقع أن اليتم أصبح شيئًا يُعيره به الطلاب.

وموقف ثان: أنه كان في إحدىٰ المنتزهات وكان معه مجموعة من الأيتام من أصحاب الظروفً الخاصة - مجهولي الأبوين - فكانت توجد مجموعة من القرود يلعبون علىٰ جانب الطريق فأراد بعض الأيتام أن يذهبوا إليهم ويلعبوا معهم، و أكبرهم في أولىٰ متوسط يعني في سن الثانية عشرة تقريبًا.

وفي أثناء نزولنا كان يوجد أحد الآباء وكان معه مجموعة أيضًا من أبنائه؛ وكان هناك مشهد مؤثر؛ ألا وهو أنه كان هناك قرد صغير تحتضنه أمه كي لا يرمي عليه الأولاد شيئًا فيؤذيه.

فأراد الأب أن يقول لهم كلمة في بر الوالدين؛ لكن بطريقة حقيقية فقال لكل الموجودين بما فيهم الأيتام الذين معي: انظروا يا شباب إلىٰ هذه الأم كيف تحمي أولادها؟ وبدأ يتكلم كلامًا طويلًا جدًّا عن الأم.

فجأة سكت جميع الأيتام الذين معي ثم تكلم أحد الأيتام وقال: أنا أمنيتي أن تكون هذه أمي، ولو كانت قردة.

المشكلة: أننا قد نكون عرفنا حجم المشكلة التي يعاني منها الأيتام أصحاب الظروف الخاصة؛ لكن نسأل الله أن يعوضهم في الآخرة أو في الدنيا بأحد من أصحاب القلوب الرحيمة.

ويحكي هذا الرجل أن كثيرًا منهم نجح في الحياة وفي الدراسة.

ولوحظ أن بعض هؤلاء الأيتام سواء مجهولو الأبوين أو غيرهم عندهم عدم ثقته بأنفسهم، وهذا يخرب حياته أكثر من نظرة المجتمع.

وأيضًا مجموعة كبيرة منهم يتمحورون حول مشكلتهم ويقولون: مشكلتي أني يتيم واليتيم يحتاج إلىٰ عطف.

عندي بعض الحقائق سأعرضها عليكم:

* كنت أبحث في المنظمات التنصيرية وكيف عملها في استغلال الأيتام خاصةً في البلدان التي يقع فيها شيء من اضطهاد المسلمين.

أنتم تعرفون الاضطهاد الذي وقع علىٰ أفغانستان، وعلىٰ العراق، العراق وحدها وصل عدد الأيتام فيها إلىٰ مليونين ونصف يتيم. ومثل ذلك في أفغانستان، وعدد كبير في الصومال، وفي تشاد.

مع الأسف بعض الدول الظالمة تُحدث مشاكل في هذه الدول الأخرىٰ المسلمة، ثم ترسل بعد ذلك منظماتها ليبدءوا في هذا العمل الحقير، ففي العراق دخل إليها مائة منظمة تنصيرية بحجة الإغاثة والمساعدة.

وبعد تسونامي في عام ٢٠٠٤م مباشرةً دخلت المنظمات التنصيرية، وأول مدرسة أنشئت للأيتام كان فيها ثلاثمائة يتيم ثم بعد لك صاروا يأخذون الأيتام ويرحلون بهم إلىٰ الخارج حتىٰ انتبهت إليهم الحكومة الإندونيسية ومنعتهم من أن يسافروا بالأطفال تحت سن ستة عشر عامًا؛ لكن بعد خراب مالطا.

بل إن أحد المُنصرين كتب وقال: نحن لا نأتي إليهم لننصرهم مباشرةً؛ لكننا نعمل لهم أعمالًا تجعل هؤلاء الصغار يسألون لماذا أنتم رحماء؟ لماذا نحن فقراء؟ لماذا تُساعدوننا؟ لماذا تضحكون لنا؟ فنقول لهم: إن يسوع هو الذي يأمرنا بلك. يسوع هو الذي أرسلنا إليكم، ونحو ذلك.

توجد منظمة اسمها (وورلد هيلب) المساعدة العالمية أيضًا جاءت إلىٰ «أتشية» المدينة التي نكبت في تسونامي وكان لها أيضًا دور قوي جدًّا في التنصير، كانوا يأتون بالمنصرين كل أربعة أو خمسة في طائرة تحمل أكثر من أربعمائة راكب، ولا يوجد بها

إلا هؤلاء المنصرون الذين يمكن أن يأتوا في أي طائرة أخرىٰ، لكن الطائرة تكون فارغة ليس فيها سوىٰ هؤلاء الأربع أو الخمسة الركاب ثم يرجعون بها وقد امتلأت.

ثم بعد ذلك إما أن يبيعوهم بل وجد أن بعض هذه المنظمات أحيانًا يستغلونهم جنسيًّا فيجعلونهم يعملون في بعض دور الدعارة، مثل البنات الصغار في سن أربع عشرة سنة أو خمس عشرة، ويوجهون بعض الأطفال أيضًا للشاذين، أو يستعملونهم أحيانًا في الأعمال الشاقة وما شابه ذلك؛ فليس في قلوبهم رحمة لهم.

فينبغي علينا أن نكون كما قال الله ﷻ: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩]، ينبغي علينا أن نكون صادقين في العناية بهم؛ لعل الله تعالىٰ أن يكفينا الشر بذلك.

جاءتني رسالة من سيدة حرمت من الإنجاب فتبنت طفلتين وهما الآن في سن سنتين وأربع سنوات، وتسأل هل تتبنىٰ طفلاً ولدًا يكون عونًا لأختيه؟

لا بأس عليها؛ لكن لو كان عندها من يرضعه حتىٰ يكون محرمًا لها، وإذا تيسر إرضاع الثلاثة من امرأة واحدة خمس رضعات يكون أحسن حتىٰ يكونوا إخوة من الرضاعة.

وفتاة غير متزوجة تقول: إنها تتمنىٰ أن تتبنىٰ أطفالًا ولكنها تخاف من نظرة المجتمع.

هذه إذا كان عندها أم كبيرة في السن معها فلا بأس أنها تعتبرها أختها في البيت وتعتني بها، أما إذا كانت وحدها في البيت كأنْ تكون مقيمة مع أخيها، وأمها وأبوها متوفيان فقد لا يكون ذلك مناسبًا أحيانًا؛ لكن في الغالب سيكون عندها أم فتعتبرها أختًا لها.

هل الأموال التي تصرف علىٰ اليتيم تُعد صدقة أم زكاة؟

إذا كان اليتيم فقيرًا تعد زكاة، وإذا لم يكن فقيرًا كانت صدقة وهدية.

۞ ۞ ۞

الرميصاء بنت ملحان

سأتكلم عن امرأة لها قدرات متعددة ومختلفة، هذه المرأة برزت في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، برزت في الصبر علىٰ المصائب، برزت في عقلها، وبرزت في شجاعتها، يعني تحملت الضر وفي بعض المعارك كان لها قوة، برزت في ثباتها علىٰ دينها، هذه المرأة بشرها النبي ﷺ بالجنة، بل قال ﷺ وهو حديث عظيم. قال: «دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي» خشفة يعني صوت مشي «فسألت من هذا؟ قالوا: هذه الرميصاء بنت ملحان» المريضاء بنت ملحان ربما تكون غير مشهورة باسمها، لكنها هي أم أنس ابن مالك رضي الله عنه، وتسمىٰ أم سليم إذن هي أم أنس وأم سليم والرميصاء.

الرميصاء رضي الله عنها كانت في الجاهلية متزوجة رجل اسمه مالك بن النضر الذي هو أبو أنس بن مالك، فلما دخل النبي ﷺ إلىٰ المدينة وهي قد أسلمت أراد زوجها أن يسافر بهم إلىٰ الشام؛ قال: نحن لا نريد هذا الدين وهذا الدين يضيق علينا وهكذا فما نريد هذا الدين، فأبت هي. قالت: ألا تجلس وتدخل في الإسلام. قال لها: لا أريد. فجعلت تلقن أنس، وكان أنس صغيرًا تلقنه الشهادتين، يا ولدي قل: أشهد أن لا إله إلا الله قل: أشهد أن محمدًا رسول الله فقال لها: لا تفسدي ولدي. قالت: إنما أنا أصلحه.كيف أفسده. أأفسده إذا دخل الإسلام؟ أنا أصلحه. قال: أصبئتي. فوقع بينهما مشكلة ففارقها، مالك هذا خرج متوجهًا إلىٰ الشام فقتل في أثناء الطريق، النبي ﷺ وصل إلىٰ المدينة، استقر بها وهنا بدأت تضحيات أم سليم تتوالىٰ، أول شيء فعلته أقبلت بولدها أنس وهو عمره تسع سنين إلىٰ النبي ﷺ الناس يهدون إلىٰ النبي ﷺ أشياء، هذا يهدي إليه بردًا يلبسه، هذا يهدي إليه بساطًا يجلس عليه، هذا يهدي إليه شيئًا من طعام. هي ماذا أهدت؟ ولدها! جاءت بولدها أنس إلىٰ النبي ﷺ قالت: يا رسول الله. هذا أنس ولدك، اعتبره من اليوم ولدك يا رسول الله يخدمك. من يرضىٰ أن يأخذ ولده ويضعه خادمًا عند أحد؟ أو من يستطيع يفعل ذلك وتطاوعه نفسه؟ أخذته وقالت: يا رسول الله هذا أنس ولدك يخدمك، ومن بعدها مكث أنس

عند النبي ﷺ تسع سنين يخدم النبي ﷺ، وأحاديث أنس في خدمة النبي ﷺ كثيرة.

أم سليم عندما مات زوجها أرادت أن تتزوج. فخطبها قوم كثيرون أقبل إليها أبو طلحة يخطبها، وكان أبو طلحة كافرًا، وفي ذلك الوقت لما خطبها كان يجوز للكافر أن يتزوج مسلمة لأن التحريم نزل متأخرًا قول الله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴾ [الممتحنة: ١٠] وقول الله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢١] هذه الآيات نزلت متأخرة. فكان يجوز لأم سليم أن تقول: بسم الله وأنت زوجي وهو كافر، لأن أبا طلحة كان تاجرًا شجاعًا حتىٰ أن النبي ﷺ يقول بعدما أسلم أبو طلحة يقول: «لصوت أبي طلحة في الجيش خير من ألف رجل» صوته، فكيف قتاله؟ إذا كان صوته خير من ألف رجل، فبالله كيف قتاله إذن؟ جاء أبو طلحة وكل النساء يفرحن بالزواج منه.

لما جاء إليها يخطبها قالت: والله إني فيك راغبة. يا أبا طلحة أنت رجل تاجر شجاع، رجل صاحب مروءة لك قولك وقدرك عند الناس لكنك رجل كافر ولن أتزوج منك وأنت كافر قال: وإذا كنت كافرًا فأنا رجل... قالت: اسمع يا أبا طلحة أسلم ويكون مهري إسلامك، ما أريد أن تعطيني درهمًا ولا دينارًا من تستطيع أن تفعل اليوم مثل ذلك؟!

قالت: اجعل مهري هو إسلامك، قل: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وبسم الله أتزوجك الآن. قال: لا أنا علىٰ ديني.

قالت: دينك الذي أنت عليه يا أبا طلحة إلهك الذي تعبده. ترىٰ كيف إلهك الذي تعبده؟ الصنم، خشبة، نبتت في الأرض، فنجرها حبش بنو فلان، حبش عبد من بني فلان جاء بهذه الخشبة وضربها يمينًا ويسارًا ووضع لها أنف وعينين وأذنين وبطن ورجلين وقال: هذا إلهك أعبده، إذا أصابك الضر تعال وادعه يكشف ضرك، إن أصابك مرض تعال إليه يشفِ مرضك، إذا أجذبت الأرض أو قحطت أو أمسكت السماء مطرها، فتعال إليه وقل: ارزقنا مطرًا وارزقنا زرعًا، كيف تعبد شجرة؟ أنت

رجل عاقل، تقول هذا الكلام، رجل عاقل وتعبد شجرة نبتت من الأرض.

قالت: لو ألقيت إلهك في النار لاحترق. إلهك الذي تعبده الآن وتعظمه. فهي تدعوه الآن للإسلام، وتريده أن يدخل في الإسلام، فقال لها: سأفكر ثم جاءها بعدها وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. فعقد عليها وتزوجته.

أبو طلحة رجل بطل وكريم وعاقل، وهي كذلك، فاجتمع هذان يعني في بيت واحد، أبو طلحة طبعًا مع الإسلام ومع النبي ﷺ ولدت منه ولدًا اسمه أبو عمير هذه كنيته أبو عمير وله مع النبي ﷺ قصة أيضًا، كان أبو عمير هذا في صغره عنده طير اسمه النغير يلعب به فمات الطير، فكان النبي ﷺ يمر به وهو صغير يقول: «يا أبا عمير ما فعل النغير؟» فيقول: مات يا رسول الله، فيضحك النبي ﷺ ثم يعيده: «يا أبا عمير ما فعل النغير؟ فمات أبو عمير وكان أبو طلحة يحبه حبًا عظيمًا، يعني هو لم يرزق منها إلا بهذا الولد فتعلق قلبه به مرض أبو عمير واشتد مرضه، وأبو طلحة جالس عنده حزين علىٰ الولد وهو مريض ويلمس رأسه ويحاول يداويه، ثم قام إلىٰ النبي ﷺ في شغل له وجلست هي عند ولدها، فإذا به يحتضر ويموت بين يديها، وهي ما عندها إلا أنس وهذا الولد وليس عندها من أبي طلحة زوجها إلا هذا الولد فقط، فلما رأت ذلك صاح أهل البيت عندها جارية وعندها ربما أخوات أبي طلحة، عندها نساء غيرها في البيت فصاح أهل البيت. فالتفتت إليهن قالت: من كانت ستبكي تخرج الآن، تذهب إلىٰ بيت ثاني تبكي. عندي في البيت ما عندي بكاء، من كانت ستبكي تخرج الآن من عندي، وإذا جاء أبو طلحة فلا تخبروه بموت ولده، ودعوتىٰ أنا التي أخبره، أنا عندي أسلوب أتعامل معه. والله قدرها علىٰ تغليب عقلها علىٰ عاطفتها، الرجال والله ما يستطيعون أن يفعلوا ذلك ليس فقط النساء، غطت الولد بالغطاء الذي عليه مات ولدها، تخيل واحدة ولدها مات مات الولد ومضت إلىٰ المطبخ، صنعت العشاء لزوجها، وتزينت، ومشطت شعرها، وتطيبت، ولبست لباسًا حسنًا، وجاء الزوج دخل إلىٰ البيت، وأراد أن يتوجه إلىٰ الولد، قالت: لا لا دعه دعه. قال: كيف حاله؟ قالت: هو أسكن ما كان، ساكن فهم من ساكن أنه مرتاح ونائم. وهي قصدها

من ساكن يعني الولد ما فيه حركة ظن أنه نائم، ما دام أنه نائم معناه أن الحمد لله وضعه جيد.

ثم قامت المرأة العاقلة ووضعت له العشاء وتناول العشاء وتعم الرائحة الطيبة والمرأة متزينة فأصاب منها، جامعها وولدها ميت. كيف استطاعت نفسيتها أن تتحمل كل هذا؟ فهو الإيمان، سبحان الله! الرضا بالقضاء والقدر يصنع الأعاجيب، يقول مؤلف كتاب العادات السبع، وهو من أشهر الكتب وترجم لقرابة الأربعين أو خمسين لغة. يقول: لو عرفت عقيدة القضاء والقدر عند المسلمين قبل أن أؤلف كتابي، ما كنت ألفت الكتاب، كنت سأقول اقرءوا عقيدة القضاء والقدر عند المسلمين، لأن الكتاب كله للتغلب علىٰ همومك، كيف تقنع نفسك بالمصيبة؟ كيف تستطيع إذا فاتك شيء أن تتحمل فواته عنك؟... إلخ. المهم المرأة أصاب منها زوجها فلما ارتاح وانبسط تلك الليلة. قالت له: يا أبا طلحة. قال: نعم. قالت: ألا يعجبك أمر جيراننا؟ قال: ما بالهم؟ قالت: استعاروا عارية من جيران آخرين، فلما جاء إليهم أصحاب العارية. العارية بمعنىٰ استدانوا. قالوا: أعطونا منكم قدرًا. أي: آنية من آنيات البيت استعاروها. قالت: استعاروا شيئًا من جيراننا فاستعملوه فلما جاء أصحابه يريدون أخذه أبوا أن يعطوهم إياه قال: ما لهم حق ما دام أنه حقهم أصلاً وإن هؤلاء استعاروه ما انتقل إلىٰ ملكهم المفروض أنهم يعيدونه إليهم. قالت: يعني من استعار شيئًا وجب عليه ألا يغضب إذا أخذ منه؟ قال: نعم. قالت: فاحتسب ولدك عند الله. ولدك.. أنا أتعجب من قصتها. ولدك كان عارية من الله لك وولدك قد قبضه الله إليه. قال: سبحان الله! تركتيني حتىٰ تلطخت بما تلطخت به، أي: أصبحت جنبًا وتخبريني، فسكتت وقالت: اصبر واحتسب والله كأنه يكلم جبلاً أمامه. فقال: والله لا تغلبيني علىٰ الصبر. ما تكونين أحلم مني وأصبر أحسن من صبرك أنتِ قدوة لي. قالت: قم وأصلح من حال ولدك، يعني: غسله وكفنه، قم اشتغل كي يصلوا عليه بعد صلاة الفجر. فقام أبو طلحة هو وإياها وغسلا ولدهما وهي ساكنة تغسل الولد وتكفنه وجهزوه للصلاة، ثم جاء أبو طلحة بالولد إلىٰ النبي ﷺ من صلاة الفجر، لأجل أن يصلي عليه انتهوا من الصلاة وصلوا عليه وانتهوا، فأبو طلحة يحدث النبي ﷺ بالعجب الذي رآه من زوجته، قال: يا رسول الله ألا تعجبك أم سليم يعني ألا تستغرب منها، قال: «ما بالها». قال: يا رسول الله حصل كذا وكذا ووضعت لي

العشاء وأصبت منها. فقال النبي ﷺ: «اللهم بارك لهما في ليلتهما». يقولون: فولدوا ولدًا ولدت ولدًا عبد الله، عبد الله هذا رزق عشرة من الولد جدتهم أم سليم. رزق عشرة من الولد كلهم حفظ القرآن. كلهم صاروا من قراء المدينة. أئمة مساجد في المدينة قال النبي ﷺ: «بارك لهما في ليلتهما». دعوة النبي ﷺ ليست فقط في الولد المباشر بل حتىٰ فيما أتىٰ من بعده.

في تبليغ المصيبة لا قدر الله في مثل حالات الوفاة في أخ أو صديق فتجد مثلاً شخصًا يتصل، يا فلان كذا كذا فلان مات بدون مقدمات بدون أن يقول حدث له حادث أو في المستشفىٰ ومريض، وكذا بدون تمهيد فقط يقول أنه توفي، فأحيانًا يحدث للشخص نفسه مرض أو مصيبة بتبليغ الخبر هذا.

طريقة إبلاغ الخبر إلىٰ الآخر عند الموت أو عند المصائب، أحيانًا سرقت سيارتك، احترق بيتك، أحيانًا فصلت من الوظيفة، أي مصيبة تنزل علىٰ الإنسان، الأصل أن يتبع الأسلوب الحسن في إبلاغ هذه المصيبة للآخرين مثلما فعلت أم سليم، هذا أمر مهم أما مسألة السلام عليكم، عليكم السلام، الشرطة أحيانًا يفعلون ذلك السلام عليكم، عليكم السلام هذا بيت المذكور في البطاقة عبد الله محمد خالد، لقد مات وهذه بطاقته تعالوا خذوه، ويتصل ربما ردت ابنته أو زوجته أو واحد من أولاده. مات فتحدث كوارث، ربما أغمىٰ عليهم أو أصيبوا بأمراض نفسية، أحيانًا أمراض نفسية من شدة الفجأة من شدة ما يحدث لأن في الحقيقة أن نتنبه إلىٰ ذلك الأمر، طريقة إخبار أم سليم لزوجها كانت طريقة رائعة في إخباره به.

أم سليم قدوة لنساء المسلمين نحن الرجال نحمل الهم عندما نكلف بتبليغ أمرًا، يتعلق بالمرض وليس بوفاة. فهذه قصة توضح العكس، والمرأة هي التي تراعي ظروف الرجل وتصبره. فهي قدوة.

نعم هي قدوة ليست فقط للنساء وأنا أكرر كثيرًا في العادة أننا نتكلم عن سيرة أبي بكر، سيرة عمر، سيرة عثمان، سيرة كذا ثم نقول وينبغي علىٰ أخواتنا النساء أن يقتدين

به في عبادته. اليوم نحن قلبنا الموضوع، اليوم أنا لا أتكلم عن الرجال أنا أتكلم عن نساء لكنهن عند الله تعالىٰ خير من آلاف الرجال، بالله عليك هل تقارن بين عقل أم سليم؟ التي قال فيها النبيﷺ: سمعت حشفة في الجنة فإذا هي أم سليم تمشي أمامي في الجنة بشرها بالجنة، وهي حية بالله عليكم كم من الصحابة مات دون أن يبشر بالجنة، فليست المسألة كما قيل ليس تأنيث اسم الشمس عيب، ولا التذكير مدح للهلال، كون الشمس مؤنث لا يعني أن الهلال أحسن منها، أقصد القمر أحسن من الشمس والهلال هو القمر الصغير في بدايته أو في نهايته.

فالمسألة ليست أنها أنثىٰ أو ذكر ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ ﴾ [النحل: ٩٧] ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥] لا يعني أن المرأة خلقت أنثىٰ، معناه أنها تحت في الجنة ربما تكون في أعلىٰ الجنان وهي المرأة.

الدعوة ليست مقتصرة علىٰ الرجال فقط، فهي قامت بها قامت بالدعوة للرجل الذي ستتزوج منه.

انظر إلىٰ شدة تأثيرها في زوجها، كثير من الأخوات تقول: يا شيخ أنا زوجي لا يصلي، ماذا أفعل وأريد أن يطلقني، لماذا أول ما ترىٰ المرأة مشكلة من زوجها دينية تفكر في الطلاق أولاً؟

الانفصال: هو الفرار يوم الزحف لماذا لا تؤثرين في زوجك وتغيرينه أنا أعرف مجموعات من الشباب، بعضهم كانوا من طلاب الجامعة وبعضهم تزوج وهو كان لا يصلي إلا قليلاً أحيانًا، ربما كان مبتلىٰ بالتدخين، أو ربما مبتلىٰ بالسفر، إلىٰ بعض البلدان، وشرب خمر إلخ فلما تزوج لاحظت الرجل صار يصلي الفجر مع الجماعة صار يحضر عندي خطبة الجمعة مبكرًا، في السابق إذا بدأت انتهىٰ عن الخطبة فإذا هو عند الباب جاء متأخرًا فأسأل، أحيانًا أمسكه علىٰ جنب وأقول له: الظاهر زوجتك مطوعة، يعني: ملتزمة مستقيمة، يقول: نعم والله يا شيخ والله توقظني لأصلي الفجر

بأحسن أسلوب والله يا شيخ إنها تكرمني إكرامًا في التعامل لدرجة أنها تحرجني فأضطر أطيعها.

ترىٰ المرأة إذا عاملت زوجها معاملة رائعة وكسبت قلبه، يصبح حتىٰ لو صرخ عليها إذا جلس بمفرده قال: والله ما تستحق أم فلان مني أن أغضبها ويبدأ يندم، لذلك أنا أوجه كثير من أخواتي أقول أول شيء لأجل أن تؤثري في زوجك الذي يشرب الخمر أو الذي يترك الصلاة أو غير ذلك أن تكسبي قلبه بأخلاقك، أريده أن يهيم بك حبًا، أريد الرجل أن تكسري أنفه ذلة لكن من شدة عنايتك به واحتفائك به، أريدك إذا انتهىٰ من طعامه وأراد أن يقوم يغسل يديه تقولين له لا. اجلس وتحضرين له ماء يغسل يده وهو جالس وتحتسبين الأجر أيضًا في هذا.

الدعاء للزوج أيضًا بالصلاح.

أم سليم كانت علاقتها برب العالمين علاقة قوية، ما الذي يمنع الآن الزوجة التي زوجها ما يصلي، زوجها عنده علاقات محرمة أحيانًا بفتيات، أحيانًا يكون هاتفه مليئًا بصور بنات، أو له علاقات، أو يسافر إلىٰ الخارج أحيانًا، هي تنسىٰ أسباب السماء وتنشغل بأسباب الأرض، شيخ ينصحه، إمام مسجد يتكلم معه، والده، يا أختي: لماذا لا ترفعين يدك إلىٰ الله تعالىٰ؟ فإنه الركن إن خانتك أركان. فارفعي يديك وقولي: اللهم أصلحه اللهم اهده، اللهم.. ثم لا تشعريه أنكِ ند له، وإنك إذا ما تبت والله أذهب لأهلي، لا تعالي له مثلما جاءت أم سليم لأبي طلحة وهو يخطبها وقالت: يا أبا طلحة والله إني فيك راغبة، هذا كلام عاطفي، أنت ما في أحد يردك يا أبا طلحة وأنا راغبة فيك، ولكن أنت رجل كافر. يا ليتك تسلم ولا أريد مهرًا إسلامك هو مهري، لو جاءت المرأة إلىٰ زوجها وقالت: يا فلان والله إني أحبك ولو نزل بك مرض أتمنىٰ لو كان بي وليس بك، والله إن لك قدرًا في قلبي وإني أهيم بك حبًا.. إلخ تعطيه من هذا الكلام الجميل لكن أرجوك لا تشرب خمرًا، أرجوك لا تزنِ، أرجوك لا تسافر إلىٰ البلد الفلاني مع فلان وفلان الذين هم فساق لا يصلون أرجوك لا تسافر معهم والله

العظيم إني أحب لك الخير والله إني ناصحة لك والله إنك أغلىٰ عندي من عيوني. لماذا لا تقولين له هذا الكلام؟

المشكلة أن بعضهن تقول: والله لو سافرت لن تجدني في البيت، التحدي في الأسلوب هذا لا يصلح في الحقيقة بين الزوجين، وإذا كان الزوج رجلاً وعنده عنف في التعامل، ربما قال: من الآن لا أجدك ليس إذا سافرت بل قبل أن أسافر اتفضلي، فالمسألة تحدي، انظري كيف تعاملت أم سليم بهذا التعامل الرائع.

صورة جميلة لحسن تعامل المرأة مع زوجها، ومساعدته في تحمل المصائب لا قدر الله.

في تخفيف المصائب التي تنزل عليه. أحيانًا تنزل مصائب بالرجل، أحيانًا رجل يأت إلىٰ امرأته وهو متعب من العمل، عنده مشكلة مع رئيسه، ويأتي ويدخل البيت، ويقول لها: الرئيس هذا لا يفهم أنا دائمًا أتعب في العمل ولا يعطوني مكافآت ولا يفعلون كذا وكذا، الأصل أن المرأة تعتبر نفسها وزوجها روحين حل بدنًا واحدًا، وتقول له: اصبر كل الناس يتعبون ونحن راضون أو يقول لها: سيارتي هذه خربة دائمًا أنا أريد أن أسافر وليس عندي فلوس. لا تقل له: نعم والله إنك لصادق والله أنا متضايقة من هذا الموضوع أيضًا. لا تزيدي الطين بلة. تقول له: أنا أعيش معك قضيتك، وإني أتألم كألمك والحمد لله أنت عندك وظيفة، أنت أحسن من غيرك، لله الحمد كون أن مديرك ظلمك باللسان غيرك يظلمه مديره علىٰ الورق وربما فصله، تمتص الهم والغم مثلما فعلت أم سليم. أول ما مات الولد، قالت: لا أحد يبكي ما أريد زوجي يأتي ويسمع بكاء في البيت. من أرادت أن تبكي تطلع الآن لبيت الجيران رجاءً.

ثانيًا: لا أحد يخبره؛ لأنها غير واثقة في أساليبهم، حتىٰ لو قالت واحدة من أخواته أو من الجواري أنا سأخبره، أنا غير واثقة في أسلوبك أنا عندي أسلوب وزوجي أعرف كيف أتعامل معه، هل الزوجات الآن فاهمات أزواجهن في التعامل؟ أم سليم فاهمة

نفسية زوجها، وبالتالي عندما تتعامل معه، تتعامل معه بناءً علىٰ نفسية معينة عنده.

تعالي الآن كم واحدة من الزوجات تجالس زوجها وتطور نفسها في كيفية التعامل معه؟ يعني بعضهن ليس عندهن أي أسلوب من أساليب تطوير الذات، وسنتكلم إن شاء عن القوارير وتطوير الذات الحرص علىٰ أن المرأة يكون لها تقدم في فهمها، فكرها في طريقة تعاملها إلىٰ غير ذلك.

هناك نقطة أخيرة: وهي الحقيقة نقطة مهمة وهي أم سليم لما جاءت بولدها إلىٰ النبي ﷺ وقالت: هذا أنس بن مالك يخدمك.

أم سليم عندما رأت النبي ﷺ قادم ورأت كل واحد من الناس قدم شيئًا للإسلام أبو أيوب الأنصاري يقول: انزل يا رسول الله في بيتي واحد من الأنصار كانت الأرض التي بني عليها المسجد ملكًا له.

قال: يا رسول الله نبني المسجد هنا في أرضي، ثم النبي ﷺ اشتراها رفض أن يأخذها لأنها كانت لأيتام، أم سليم فكرت وقالت: ما الذي أستطيع أن أقدمه للإسلام؟ أقدم للإسلام ولدي وأنا ليس عندي أموال أقدمها للإسلام. أقول: أنا معكم مجاهدة يا رسول الله، أقدم ولدي ما دمت أستطيع أن أجعله خادمًا. ما الذي يستطيع أنس أن يفعله؟ يقاتل فهو ابن تسع سنين، يكتب الوحي له هو لا يعرف يكتب، فهو عمره تسع سنين، ممكن يخدمه يا رسول الله هذا أنس خادمك وابنك من اليوم أنا أدبر نفسي في شغل بيتي، ولدي هذا الذي كان يخدمني ويساعدني في البيت، اليوم لا أريده أنا تبرعت لك به من اليوم هو لك لو كل امرأة اليوم نظرت أنا ماذا أستطيع أن أقدم للإسلام؟ قالت واحدة أنا ممكن أن أقدم، بجانبنا أيتام أنا سأهتم بهم، سأهتم بتعليمهم دروس خصوصية احتسابًا لله من غير مال.

هكذا يكون لك بصمة في الإسلام.

رجل معين قال: أنا والله مسجدنا متسخ سأستأذن الإمام يوم الخميس أنا وزوجتي وأولادي ندخل المسجد وننظفه. بصمة للإسلام أنا لا أستطيع أن أذهب آتي

بشركة تنظف المسجد علىٰ حسابي أدفع لهم مالاً من جيبي.

إذا فعلت مثلما فعلت أم سليم في حرصها علىٰ أن تنفع الإسلام بما تستطيع، فعلاً الأمة لن تبقىٰ علىٰ حالها اليوم سيصبح عندنا ملايين الناس لا أقول فقط آلاف بل ملايين الناس من المسلمين كل واحد له بصمته في الإسلام.

أسأل الله أن نكون قد أفلحنا في توصيل الفكرة إليكم. وشكرًا.

۞ ۞ ۞

قصص ومواعظ وأخبار في تفاوت الخلق

إن الله ﷻ لما خلق الخلق فاوت بينهم في قدراتهم قال ﷻ: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [الزخرف:٣٢]. وقال الله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ [النحل:٧١].

فالله تعالىٰ فضل فلانًا بنسب رفيع؛ لكنه أخذ منه المال وفضل فلانًا بقوة في جسده لكنه أخذ منه البصر، وفضل فلانًا بذكاء خارق؛ لكنه أخذ منه القدرة علىٰ المشي، وهكذا.

هناك فئة من المجتمع غفل عنها الكثيرون حتىٰ إنني أقرأ بعض التقارير التي تتكلم عن حقوق الطفل وحقوق المرأة وحقوق الحيوان؛ بينما هذه الفئة التي سنتكلم عنها اليوم لا توجد أي هيئة تطالب بحقوقهم مع أنهم يمثلون ٣٪ من البشر.

هذه الفئة التي سنتكلم عنها نراها أحيانًا في الشوارع أو في المستشفيات، وربما يغلق بعض الناس علىٰ من عنده من هذه الفئة البيت، وإذا كان عندهم بلكونة أو سطح يجعلونه فربما يكون مثل الصندوق أو يغلقون عليه، وربما يلبسونه حفائظ وربما تظل هذه الحفائظ عليه بأوساخه وغائطه وبوله وتبقىٰ يومًا أو يومين إلىٰ غير ذلك.

نتكلم عن حقوق المتخلفين عقليًا (المجانين).

إن الذي ينظر في نسبة التخلف العقلي الموجود في العالم اليوم يجد أنها كثيرة، وأول ما نتكلم عنه سبب التخلف العقلي، تشير الدراسات إلىٰ أن ٨١٪ من الحالات

بسبب عوامل بيئية، مثل تعامل الزوج مع زوجته، وتعامل الابن مع أبيه، وتعامل الموظف مع المدير؛ الذي ينتج عنه إصابته بانهيار عصبي وصيرورته مجنونًا.

ومن الـ(١٨.٥٪) ٦٪ تحدث بسبب عوامل وراثية، كأن يكون هناك اضطرابات في الكروموسومات أو الجينات أو ما شابه ذلك من الأبوين.

ومنها ١١.٥٪ بسبب عوامل وراثية وبيئية مشتركة.

ومنها ٦٤٪ بسبب عوامل غير معروفة.

وقد قرأت عددًا من البحوث في ذلك تبين أن هناك عوامل غير جينية تسبب هذا مثل، إصابة الأم بالأمراض أثناء الحمل، أو قبله، بسبب ما تتعاطاه الأم من الأدوية والعقاقير أو المخدرات أو المسكرات.

وأحيانًا يكون سببه تلوث الماء والهواء.

وأحيانًا الحالة النفسية للأم الحامل.

وأحيانًا التعرض للأشعة السينية أو سوء التغذية للأم الحامل.

وهناك نوع من التأثير يكون أثناء الولادة مثل نقص الأوكسجين الذي يؤثر في دماغ الصبي؛ فيولد و عنده نوع من الاضطراب العقلي.

وأحيانًا الصدمات والإصابات الجسمية التي ربما يتعرض لها الصبي عند خروجه من بطن أمه

وهناك أيضًا أسباب تكون بعد الولادة، مثل اضطرابات التمثيل الغذائي، أو عوامل اجتماعية وبيئية أو حوادث وصدمات مثلما يقع في حوادث المرور، وأحيانًا التسمم والأمراض.

وهناك أمراض تصيب الدماغ تجعل الإنسان عنده نوعًا من التخلف العقلي، مثل التهاب السحايا، التهابات في الدماغ أو التهابات أخرىٰ أو ما شابه ذلك.

هذه كلها أسباب تؤدي إلىٰ إصابة الإنسان بالإعاقة العقلية.

كان لا بد أن نقدم هذه المقدمة حتىٰ لا يفهم أننا حين نعرض ما يتعلق بالمتخلفين عقليًا، أن هؤلاء أناس يتعاطون مخدرات أو أنهم يمثلون علىٰ الناس؛ لأجل أن يستدروا عطف الناس؛ لأن هناك أعدادًا كبيرة منهم مصابين بذلك.

في العالم اليوم واحد بالمائة في العالم مصابون باكتئاب عقلي أي: اكتئاب أدىٰ به إلىٰ نوع من الجنون.

وهناك واحد بالمائة مصابون بالفصام النفسي.

وهناك واحد بالمائة مصابون بمرض الزهايمر.

إذًا عندنا ثلاثة بالمائة من البشر المصابين، هم مصابون حقيقة بهذا المرض التخلف العقلي، الذي يحتاج منا إلىٰ الكلام عن حقوقهم.

وعن آداب التعامل معهم.

والواجب علينا تجاههم.

هل سيسألنا الله تعالىٰ عنهم بمعنىٰ إذا كان لي جار عنده ولد متخلف عقليًا ولا يعتنون به وربما يبقىٰ ساعات طويلة من غير طعام ومن غير ماء وربما يربطونه ربطًا علىٰ كرسي ويجلس المسكين ويحاول أن يفك نفسه، وربما كانت هذه الحبال مؤذية له.

ما الذي يجب علي حين أرىٰ مثل هذه المناظر؟

كنت اقرأ ولم أشأ أن أورد هذه الأرقام أن في بعض البلدان العربية يصل عدد هؤلاء مليوني مصابٍ بأنواع التخلف المختلفة، والتخلف أنواع ودرجات، ولعله إن شاء الله تعالىٰ يأتي معنا توضيحه.

المقصود: أن هؤلاء لهم حق علينا، لا بد أن يكون لنا باب تعامل معهم.

وأنا زرت وبعض الشباب مستشفىٰ للمتخلفين عقليًا، ومررنا بغرفة من هذه الغرفة وكانت الجدران كلها ملونة باللون البني، فسألت الطبيب عن ذلك فقال: هناك

رجل يصاب بنوبات صرع فيضرب برأسه الجدار وبيده وبرجله ثم يسقط علىٰ الأرض، فحبسناه في هذه الغرفة التي كل جدرانها إسفنج.

وتجد بعضهم لا يستطيع أن يلبس ملابسه وكلما ألبسوه الملابس جعل ينزعها عنه ويمزقها، ويحاول أن يخنق نفسه بها.

سبحان الله! رأينا أعاجيب.

وسنحاول الكلام عن كيفية التعامل مع المتخلف عقليًّا، للأسف لدينا نظرة في المجتمع العربي قائمة علىٰ أن المتخلف عقليًّا انمحىٰ منه جانب الإحساس، وأنه لا يدرك سواء كنا محسنين إليه أو مسيئين.

ومن أجل هذا نجد هذا التعامل السيئ معهم، حتىٰ من أقاربهم وذويهم، وربما يأكلون ماله وحقه.

وعندما سألنا الدكتور عن ذاك الأمر، أجاب أنه توجد حالات كثيرة يحس المريض العقلي ويدرك، وهناك حالات تكون مستعصية جدًّا لايحس فيها ولا يشعر بشيء.

إذن لا بد أن نغير تلك النظرة حتىٰ نغير تعاملاتنا مع المريض العقلي.

والمهارات التي يفعلها الإنسان مهارات متعددة، منها ما يتعلق بالأكل أو الشرب، ومنها مهارات اجتماعية وهناك مهارات بيئية.

وهناك أشياء ضارة تحتاج إلىٰ تدريب وتعلم كي يبتعد عنها.

وبعض هؤلاء المتخلفين عقليًّا فاقد لبعض المهارات؛ لكنه مكتسب لغيرها؛ فتكون المشكلة أن أهله يهملون المهارات الأخرىٰ ويبدءون في التعامل معه علىٰ أنه مجنون فاقد كل شيء.

هو قد يكون فاقدًا بعض الأشياء؛ لكن يمكن تنميتها.

وقد رأينا حقيقة من أمثال هؤلاء في المستشفىٰ الذي زرناه أنه قريبًا من خمسمائة

مريض هناك ثلاثمائة، يمكن أن يعيشوا مع أهاليهم، عن طريق بعض التدابير المعينة، لكن أهله أهملوه ولم يلتفتوا إليه.

بل يقول مدير المستشفى: يا شيخ أريد أن توجهوا نداءً إلىٰ أهله أن يأتوا ويأخذوا الرجل فنفسيته فسدت بوجوده في هذا المكان وأصبح بقاؤه في المستشفىٰ يزيده مشكلة إلىٰ مشكلته.

يقول أحد الأطباء: إن الشيء الوحيد الذي ينقص بعض هؤلاء هو التواصل مع المجتمع الخارجي والزيارات وهذا ما نطالب به نحن ونحاول ونحفز.

هناك زيارات لكنها ليست بالقدر المطلوب.

وكلكم تعلمون حديث: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته» هذا الذي له إحدىٰ عشرة سنة لم يزره أهله، تعلمون أنه ليس بينه وبين أهله إلا قريب من ثمانين كيلو مترًا تقريبًا أي: ربما نصف ساعة بالسيارة أو ساعة إلا الربع وأهله يستطيعون الحضور إليه.

ورأيت آخر له سبع عشرة سنة لم يزره أهله مع قدرتهم علىٰ الزيارة.

ودار حوار بيني وبين أحد هؤلاء المرضىٰ النفسيين، وكان كلامه هادئًا وكان يبكي ويقول: يا شيخ أنا لست مجنونًا أخرجوني من هذا المكان. ورأيت واحدًا منهم ألقىٰ قصيدة عصماء قرابة عشرين بيتًا كانت في العشق والغزل.

والعجيب: أن كل أشعارهم التي يلقونها مليئة بالعشق والغزل.

فكنت أقول للطبيب: يا دكتور هؤلاء كأنهم ليسوا مجانين ولا متخلفين عقليًّا؟!

فقال: هؤلاء عندهم أنواع من الأمراض النفسية التي ربما تصنف جنونًا عند الأطباء مثل مرض الذهان ومرض الفصام وغيره يقول: فنحن نعطيهم أدوية يومية لا بد أن يأخذها؛ لأجل أن يبقىٰ الاعتدال في إفرازات جسمه وإفرازات الغدد حتىٰ يبقىٰ في وعيه وإدراكه، وليس كلهم عقلاء، لكن يمكن أن يتآلفوا مع الناس ويتعايشوا.

ولا يزال الكلام ممتدًا حول كيفية التعامل مع هؤلاء المعاقين عقليًا وحقوقهم علينا، وأحكامهم الشرعية في الإسلام من ناحية وجوب الصلاة والصوم، وهل يجوز لأهلهم أن يمنعوا عنهم الطعام في رمضان بناء على أنهم صائمون؟

الإسلام حفظ للجميع حقوقه للمسلم وللكافر حتى الحيوانات حفظ الله تعالى لها حقوقها؛ فنهى النبي ﷺ «عن اتخاذ الدواب كراسي» فلا يجوز للإنسان أن يكون راكبًا على الدابة ويجعلها كرسيًا دون أن يكون محتاجًا إلى المشي عليها أو المضي إلى حاجاته، لاحظ الاحترام للدابة.

ونهى النبي عليه الصلاة والسلام «عن الوسم في الوجه» والوسم علامة تكوى بها الدابة تؤخذ قطعة حديد تصلى بالنار ثم يوضع علامة على الدابة؛ ليتضح أن هذه من دواب فلان فنهى عن الوسم في الوجه احترامًا لها إلى غير ذلك من النصوص. فإذا كان الإسلام حفظ لهؤلاء جميعًا الحقوق فمن باب أولى أن يحفظ لهذا الإنسان حقوقه. ومما لا شك فيه أن البيئة التي يعيش فيها الإنسان تؤثر في مستوى ذكائه.

كنت أقرأ بعض البحوث حول الذكاء وتفاوت الشعوب في الذكاء؛ فكانت هذه البحوث تثبت وهي من متخصصين أن نسبة الذكاء بين الناس عند الولادة لا تتعدى ثلاثة بالمائة، ثم بعدما يمضي فترة حسب البيئة التي يعيش فيها يبدأ الذكاء يتفاوت فربما يصل إلى عشرين بالمائة أو خمسة عشر بالمائة، وربما يزيد عن ذلك، وربما يصيب بعض الناس نوع من البلادة بسبب البيئة التي يعيش فيها.

إذن مثل هؤلاء إذا طورت البيئة التي يعيشون فيها ربما يستطيعون أن يهتدوا إلى أمور ما كانوا مدركين لها.

لكن للأسف أحيانًا يولد بعض الأبناء وعنده نوع من البله العقلي، أو نوع من العته أو قلة الإدراك أو ما شابه ذلك، فيهمله أهله ولا يسعون إلى تطويره؛ وبالتالي يبقى على هذا المستوى النازل.

وستتكلم إن شاء الله تعالىٰ تفصيليًا حول إمكانية تطوير المتخلف عقليًا بدل أن نعتبره غير موجود.

البيئة التي يوجد فيها يمكن أن تساعده علىٰ أن يطور نفسه وعقله وعلىٰ أني تتحسن مشكلته.

وهو حين يكون في المستشفىٰ يصبح مثل المجرم الذي سجن بسرقة قلم، ودخل السجن لتأديبه فجلس مع سارقي السيارات والسطو علىٰ البنوك والمصارف فبدأ يتدرب علىٰ ذلك.

فدورنا كمجتمع أن نبدأ بتغيير نظرتنا لهؤلاء الأشخاص، وأن نحاول أن نكتنفهم ونحتويهم، ونحاول البحث عن العلاجات المناسبة لهم، وأغلبها اجتماعية.

ومن أهم ما يجب علىٰ أهله عندما يتعاملون مع هذا الإشكال أن يحتسبوا الأجر عند الله ﷻ.

ونحن نعلم أن ما يصيب هذا الإنسان بلاء وربما كانت هذه الإصابة طريقه إلىٰ دخول الجنة، أقبلت امرأة إلىٰ النبي عليه الصلاة والسلام قالت: يا رسول الله، إني أصرع وإني أتكشف؛ فادع الله تعالىٰ لي. فأراد النبي عليه الصلاة والسلام أن يعطي اصحابه مثالًا في الصبر علىٰ البلاء فقال: «إن شئت دعوت الله لك فشفيت، وإن شئت صبرت ولك الجنة».

فجعلت المرأة توازن بين الأمرين: يدعو لي وأشفىٰ ولعلي أدخل الجنة، أو أبقىٰ في بلائي ومرضي وتكون الجنة مضمونة.

فاختارت الثانية. قالت: يا رسول الله، بل أصبر؛ لكني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف.

وما دام أني أصرع فمعناه أني لا أستطيع أن أعيش كما يعيش الناس، لكن انظر إلىٰ حرص المرأة علىٰ حجابها، تقول: يا رسول الله، ليست مشكلة أن أبقىٰ مريضة

وأبقىٰ علىٰ صرعي؛ لكني لا أريد التكشف.

فدعا لها النبي ﷺ ربه ﷻ أن لا تتكشف، فكان الصرع يصيبها الصرع؛ لكن لا تتكشف.

فالمقصود: أن الله تعالىٰ حين يبتلي بمثل هذا البلاء يكون مأجورًا علىٰ ذلك، وربما كان ذلك سبب دخوله إلىٰ الجنة.

كما أنه ربما يكون عقله سبب دخول بعض الناس النار؛ أليس بعضهم ربما جره عقله إلىٰ اختراع أشياء محرمة وإلىٰ الدخول إلىٰ بعض المواقع والتجسس عليهم وإفسادها وما شابه ذلك؛ وبالتالي يأثم بهذا، إلىٰ غير ذلك، وبالتالي يكون هذا العقل الخارق المتميز سببًا في جره إلىٰ مثل هذا.

وأذكر أني ذات مرة ذهبت لإلقاء محاضرة في أحد السجون فرأيت رجلاً مسجونًا بسبب عدد من الجرائم أكثرها جرائم سطو وسرقات وغيرها وهو يتكلم سبع لغات ورجل خارق الذكاء؛ لكنه لم يسخر هذا الذكاء فيما يتعلق بطاعة الله تعالىٰ وكان محكومًا عليه بالسجن خمسًا وعشرين سنة تقريبًا.

المقصود: أن هؤلاء ربما ابتلاهم الله ﷻ بنقص العقل؛ لعلمه ﷻ أنه لو أعطاهم عقولًا ما دلتهم علىٰ خير، كما أن بعض الناس ربما لا يدله عقله علىٰ خير.

هذا الأمر لا بد أن ننتبه إليه حتىٰ لا يقع في قلبه أن الله رب العالمين ظلمهم ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف:٤٩]، «وإذا أحب الله عبدًا أصاب منه»، و«إن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم».

قد يبتلي فلان بموت أولاده أو ذهاب ماله أو ظلم يقع عليه...

وننتقل إلى أمر آخر وهو أن اكتشافنا لهذا المتخلف يكون بأمور:

منها: ملاحظة أفعاله، فإذا وجد الأهل أن ولدهم عنده نوع من التخلف في اكتساب المهارات فعليهم أن يحاولوا مباشرة أن يبحثوا عن علاج لهذا الموضوع.

الأمر الثاني: أن يعرف ذلك عن طريق الاختبار كما قال الله تعالىٰ لما ذكر اليتامىٰ: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء:٦].
ابتلوا اليتامىٰ معناه: أنه إذا توفي إنسان وكنت أنا الولي علىٰ أولاده وأموالهم التي ورثوها من ابيهم عندي فإذا جاءني أحدهم وقد وصل عمره خمسة عشر أو ستة عشر عامًا، وقال: أعطني المائة الألف أو المليون التي ورثتها من أبي؛ فهنا لا بد أن أبتليه أي: أختبره؛ لأعرف هل هو عنده مهارة التعامل بالمال ام عنده نوع من التخلف في هذه المسألة.

ونحن عدنا بعض هذه النماذج ممن عدناهم في المستشفيات؛ لأجل أن ننتبه إلىٰ هذه الفئة من المجتمع المظلومة التي سيسألنا رب العالمين عنها، والنبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم قال: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا». نصرته ظالمًا أن ترده عن ظلمه، نصرته مظلومًا أن تنصر أمثال هؤلاء الذين رأيناهم.

قد يكون هذا الرجل أمه متزوجة رجلًا غير أبيه وأبوه تزوج امرأة أخرىٰ، وتركوه كأنه مات. فهؤلاء حقيقة لا يملك الإنسان دمعته عندما يشاهدهم، ويعلم أن لهم الحق في العيش كما أن لغيرهم هذا الحق.

بعض هؤلاء يمكن أن يتزوج ويرزق بأولاد ويعيش حياته مع الناس، ويمكن أن يمنع من القيادة ومن أشياء معينة؛ لكن لا يبقىٰ في هذه الأماكن.

وأنا أكاد أجزم أن عددًا من هؤلاء الذين رأيناهم في المستشفيات كانوا يحتقرون بين أهاليهم ولا يلتفت إليهم؛ لأنه لم يؤت منطقًا أو لسانًا أو حجة للمطالبة بحقه، وبالتالي يظلمه غيره.

كل هؤلاء سيسألنا رب العالمين عنهم، النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «ابغوني ضعفاءكم؛ فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم» كان يقول: قربوا إلي الضعفاء والمساكين في البداية إذا أتاه وفد؛ لأن الأقوياء يصدرون في كل مجلس ويحترمون في كل مكان.

إنما تنصرون في معاركم وترزقون من السماء بهؤلاء الضعفاء الذين لا يلتفت إليهم أحد.

وبّين النبي عليه الصلاة والسلام عظم ذنب احتقار الآخرين؛ قال: «كفىٰ بالمرء إثمًا أن يحقر أخاه المسلم».

يكفيه إثما أن يشعر بنوع من الاحتقار لأخيه المسلم.

فهؤلاء لهم الحق في الحياة؛ فكيف نتعامل معهم هذا سيكون محور حديثنا الآتي.

في كتاب «صفة الصفوة» للإمام ابن الجوزي باب اسمه (المصطفَون في عقلاء المجانين) وذكر كثيرًا من المجانين المشهورين في ذلك الوقت؛ ووجدنا أن القاسم المشترك بين جميع القصص التي ذكرها أنه كان هناك اهتمام كبير من المجتمع بهم وهناك محاورة وتعامل حسن وأخذ آراء.

وليس شرطًا أن تأخذ هذه الآراء وتطبقها لكن أشعره بالاهتمام، بل يحكىٰ أنه كان اهتمام من الخلفاء، وذكر بعض القصص أن الخليفة هارون الرشيد مر علىٰ أحد المجانين اسمه (بهلول) فأنشد له بيتًا فأراد الخليفة أن يعطيه جزاء. فقال للخليفة: ما أبغىٰ.

وهنا نرىٰ عظمة الدين الأسلامي حيث راعىٰ التعامل مع المجانين.

وهذا ما نحتاج إلىٰ تطبيقه في مجتمعنا كي نعطيهم رسائل إيجابية.

نافلة نقول: ذكر أن هذا المجنون اسمه بهلول بن راشد مر به هارون الرشيد فقال له: عظني يا بهلول.

فقال: يأيها الخليفة كم من آبائك من ملك؟

قال: كثير.

قال: فأين قصورهم؟

قال: تلك قصورهم.

قال: فأين قبورهم؟

قال: هذه قبورهم. لأنه مر به عند المقابر.

فقال: يأيها الخليفة تلك قصورهم فما أقربها من قبورهم. أفلا تتعظ؟

أنت اليوم في قصرك وغدًا في قبرك فلماذا لا تعمل لأجل أن يصلح الله حالك في قبرك.

ويمكن أن نتصدق على أحدهم مثلما ذكر عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه جاءه مجنون فقرب إليه الطعام الحسن وأخرجه إليه.

فقيل له: يا عبد الله بن عمر. هذا مجنون والله ما يدري ما يأكل.

قال: أنا أعلم أنه ما يدري؛ لكن الله يدري الله عز وجل يدري أني أعطيته من أطيب طعامي.

قبل أن نتكلم عن التعامل مع هؤلاء ممن ابتلاهم الله بالتخلف العقلي دعونا نتعرف على مراتب التخلف العقلي:

* إن التخلف البسيط اليسير هو الذي تكون نسبة الذكاء بين خمسة وخمسين إلى تسعة و ستين في المائة.

* ثم يليه التخلف المتوسط الذي تكون نسبة الذكاء فيه ما بين خمسة و ثلاثين إلى أربعة و خمسين في المائة.

* ثم التخلف الشديد الذي فيه نسبة الذكاء من عشرين إلى أربعة و ثلاثين في المائة.

* ثم التخلف الحاد وهذا نسبة الذكاء فيه أقل من تسعة عشر في المائة.

- فعند التعامل مع المتخلف عقليًا هناك أشياء لا بد من مراعاتها:

أولاً: احتساب الأجر عند الله ﷻ في هذا، وتذكير الأب أو الأم اللذين ابتليا بهذا بعدم السخط علىٰ قضاء الله وقدره، يقول النبي عليه الصلاة و السلام: «ارض بما قسم الله لك تكن مؤمنًا».

فجعل من علامات الإيمان أن ترضىٰ بما قسم الله تعالىٰ لك.

وإذا كان الإنسان يؤجر علىٰ الشوكة يشاك له بها ويكفر الله تعالىٰ بها من خطاياه؛ فما بالك بمن يكون عنده ولد أو بنت يتعب في تنظيفه وفي أكله وفي شربه، وربما يزعجني فكل ما أصابني من هم أو وصب أو أذىٰ أو انشغال بل ربما منعني من أن أخرج في قضاء بعض حاجاتي بسبب عنايتي به فهذا بلا شك صاحبه مؤجور علىٰ هذا.

ثانيًا: الرفق به، النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم يقول: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع الرفق من شيء إلا شانه». مراعاة لحالة التأخر العقلي التي ولد بها وأنه لايمكن أن يتجاوب مثل الأصحاء.

ثالثًا: الدعاء ولا شك أن الدعاء بإذن الله تعالىٰ نافع في مثل هذه الأمور.

رابعًا: تمكينه من ممارسة بعض الأمور مثل اللعب، ومتابعته فهذه الأشياء لها أثرها في تنمية عقله.

لذلك العلماء ذكروا أن الأم إذا أهملت ولدها، فلم تهتم به أو تعلمه؛ لأنها مأمورة بمتابعة الولد الذي لا يعقل التصرف، فجاء هذا الولد ولمس الأسلاك الكهربائية المكشوفة، ومات فإن هذا يعد قتل خطأ من الأم، ويلزمها صيام شهرين متتابعين.

لاحظ تشدد الفقهاء في هذه المسألة؛ لأجل أن الأرواح محترمة، كذلك هذا المتخلف في حكم الطفل لا يملك التصرف في نفسه فيجب علىٰ الأم و الأب رعايته والاهتمام به فـ«كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته».

خامسًا: المكافآت حسية ومعنوية؛ تشجيعًا له وحثًا علىٰ رفع حالته المعنوية

والنفسية؛ ولكي يكون عنده نوع من التطور.

ففي ألمانيا أناس مصابون بنفس الأمراض النفسية؛ لكن الحكومة تجعلهم يشتغلون في ورش صغيرة حيث ينسون هذه المشاكل.

سادسًا: الاهتمام بالبيئة التي يعيشون فيها، فهم أيضًا يحتاجون إلىٰ تغيير الجو وإلىٰ النُّزَه.

هل يمكن أن يكون من أسباب الإعاقة العقلية والتخلف في مرحلة ما قبل الولادة أن تكون الأم الحامل فيها مسحورة أو بها مس؟

مسألة المس والسحر وما يتعلق بها ليس لها مقايس محددة تستطيع أن تحكم بها.

فمثلاً: لو أن امرأة تعاطت مخدرات يعرف أن هذا المخدر فيه المادة الفلانية وهذه الإبرة فيها المادة الفلانية، فتختلط بالدم وبالتالي يتغذىٰ الطفل عليها ويصاب بالمرض الفلاني. وكذا المسكرات.

لكن مشكلة المس والسحر وما يتعلق به كما ذكرت أنه ليس هناك قياسات حقيقية ثابتة تجعلك تقول: إن هذه قاعدة متفق عليها.

هناك قواعد متفق عليها بين الأطباء؛ لأنها مبنية علىٰ مختبرات وقياسات معينة وأشياء يراها بعينه، أما مشكلة المس والسحر فهي أنها تعرف بكثرة التجارب؛ وبالتالي لا نستطيع أن نجزم بهذا.

لكني لا أستبعد عمومًا أن يكون هناك نوع من التأثير؛ لكن نطمئن فالله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ۝٧٦﴾ [النساء:٧٦] فهما كيد الشيطان فكيده ضعيف.

سألني سائل فقال: عندىٰ ولد معوق تصيبه تشنجات، فأذهب به إلىٰ المستشفىٰ، وهو معوق إعاقة جسدية ليست عقلية، فيبدأ الطبيب في عمل تنفس صناعي له ويعطيه منشطات؛ حتىٰ يعود إلىٰ صوابه.

وكان سؤاله هل يجوز إذا ذهبت به إلىٰ المستشفىٰ أن أقول للطبيب: لا تعطه أي منشطات، فإن كتب الله له الحياة فسيحيا، وإن كتب له الموت فليرحمه الله؟

قلت له: يأخي، لا يجوز. هذا له حق في الحياة، ويجب عليك شرعًا أن تبذل ما تستطيع في سبيل أن يبقىٰ حيًّا، و«ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله».

ولا بد أن ينتبه لمثل هذه المسألة خاصة أن بعض هؤلاء المتخلفين عقليًّا تفيد معهم الرقية الشرعية.

وأنتم تعلمون أنه ربما يكون ما في هؤلاء بسبب مس أو سحر، بل إنني أعلم يقينًا أنه حين أقيم حد القتل علىٰ ساحر في الرياض قبل تسع سنوات أو عشر - قبض علىٰ الساحر وكان بيته مليئًا بأنواع من السحر، والنبي يقول: «حد الساحر ضربة بالسيف فنفذ فيه ذلك، ولله الحمد - شفي أربعة من الذين سحرهم، ورجعوا إلىٰ صوابهم.

فالمقصود: أن الرقية الشرعية مع هؤلاء تنفع بإذن الله.

انا عندي طفل معاق وعنده توحد؛ لكنه ذكي ويفهم ويفعل كل حاجة؛ لكن عنده عنف ويضرب حتىٰ يهدد بالقتل، وهي تعيش في لندن مع ابنتها والحكومة الإنجليزية لا تقصر في شيء، لكن المشكلة أنهم عرضوا عليها أن يذهب إلىٰ مدرسة خاصة ويعود البيت فهل تبقىٰ معه معانية أو ما تفعل؟

فأجبتها ما داموا يعتنون بكل شيء؛ فاعتني بالأمور الأخرىٰ، مثل تعليمه الصلاة والعبادة.

كما ننبه إلىٰ أمر مهم وخطير، ألا وهو أن بعض النساء يسمحن لبعض هؤلاء المتخلفين عقليًّا، باحتضانهن وتقبيلهن من باب إدخال السرور علييهم، وهو قد كبرت سنهم؛ فهذا لا يجوز شرعًا.

والنية الصالحة لا تصلح العمل الفاسد.

قد يبتلي الإنسان بأنواع من التخيلات أحيانًا التي ربما فسرها الناس على أنها جنون، فنقول: هذا اسمه سحر التخييل كما قال الله ﷻ عن موسى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ [طه:٦٦]، موسى عليه السلام يرى حبالاً وعصيًّا تحولت حيات ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ [طه:٦٧]؛ لأنهم سحروا أعين الناس وسحروا موسى، وهذا بالرقية الشرعية بإذن الله تعالى، يزول.

سابعًا: تدريبه على المهارات الاجتماعية، مثل: مهارات الاتصال بالآخرين.

ثامنًا: تدريبه على الاستجابة للتعليمات.

حتى الذين في المستشفيات لا تهملوهم، لأن لهم حق التعليم.

وهذا من الإحسان للآخرين والله ﷻ يقول: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة:١٩٥].

وهنا ننبه الإخوة المعالجين الذين يتعاملون مع هؤلاء أن يحتسبوا الأجر على تعاونهم معهم؛ خاصة إذا لم تكن هناك محفزات كثيرة تجعل الواحد منهم يبذل وسعه. فلعله يكون الباب الذي تدخلون منه إلى الجنة؛ النبي عليه الصلاة والسلام «أخبر أن امرأة بغيًّا من بني إسرائيل دخلت الجنة بسبب كلب».

وقال الصحابة: يا رسول الله، ألنا في البهائم أجر؟ قال: «في كل كبد رطبة أجر».

فهؤلاء بلا شك أعز عند الله تعالى وأرفع مما وصفنا، ومع ذلك يبقى أنهم أهل إسلام، وأن الله تعالى ابتلاهم هذا البلاء، والله تعالى يقول: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف:٣٢]، ويقول ﷻ: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾ [الزخرف:٣٢].

وهذه كانت كلمة توجيهية للإخوة العاملين في الفريق الطبي، وإن شاء الله تعالى تنفعنا جميعًا.

وهناك نقطة مهمة ألا وهي هل يلزم تعليمهم بعض النواحي الدينية فنهتم بتعليمه العبادات، والصلاة، والوضوء؟

في الحقيقة هذا أمر مهم أنا قابلت شخصًا أصم وأبكم (لا يتكلم ولا يسمع) كان يبكي يقول: يا شيخ وصل عمري إلىٰ خمسة عشر أو عشرين سنة وأهلي ما علموني الصلاة ولا الصوم، كانوا تاركيّ هكذا في البيت، هذا وهو عاقل؛ فما بالك بمثل هذا؟

أي إنسان عنده نوع تخلف وهو قادر علىٰ أن يصلي وجب علىٰ أهله أن يعلموه الصلاة.

فالصبي صاحب السنوات السبع يؤمر بالصلاة فما بالك بمن كان أكبر منه سنًّا وإن كان أقل منه عقلاً.

والصوم إذا كان يعقل أمر به أما إذا لا يعقل فصومه غير صحيح؛ لأن من شروط وجوب الصوم وجود العقل.

الحج كذلك لا يجب عليه؛ لأن بعض الناس يقول: ابننا مجنون فسنوكل من يحج عنه. نقول: الحج غير واجب عليه حتىٰ توكل من يحج عنه؛ لكنك توكله إذا كان معاقًا إعاقة حركية.

أما النظافة الشخصية من النجاسات فهذا واجب عليهم أن يفعلوه؛ لأنه أقل حق لهم.

۞ ۞ ۞

طبيبة من الصحابيات

واليوم لن أتكلم عن صحابية برزت في العلم أو العبادة أو الجهاد، إنما سأتكلم عن طبيبة من الصحابيات، وهذه الصحابية اشتهرت بالطب وكانت تعالج الناس وهي معروفة اسمها: الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس.

دخل النبي يومًا علىٰ حفصة وكان ﷺ قد أخبر حفصة بكلام فأخبرت به، وكما تعلمون أن الزوج أحيانًا يخبر الزوجة بشيء فتتكلم الزوجة بهذا الكلام فيغضب الزوج، ويقول: لماذا أخبرتِهم وأنا نبهت عليك أن لا تخبريهم؟

فوجد النبي ﷺ في نفسه عليها؛ لأنها أخبرت بسره؛ فدخل النبي يومًا على حفصة، فرأى عندها الشفاء بنت عبد الله فقال: من هذه؟ قالوا: هذه الشفاء بنت عبد الله فقال ﷺ: يا شفاء أفلا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة؟

ما رقية النملة؟ لقد كان عند العرب رقًا في الجاهلية مشهورة منها: أنهم إذا قرص أحدهم من قبل النملة كان يقرب القرصة إلى فيه ثم يقول:

العروس تحتفل وتختضب وتكتحل وكل شيء تفتعل غير أن لا تعصي الرجل.

فالنبي يقول لها: علميها واجعليها تكرر قولك: لا تعصي الرجل، وأراد النبي ﷺ أن يعلم حفصة ألا تتكلم بما أخبرها به مع النساء الأخريات حتى لا تفشي السر.

والشفاء رضي الله عنها كانت مشهورة بالرقية وهو نوع من الطب، كما نعلم الرقية الشرعية في واقعنا؛ لهذا فإن بعض الأطباء النفسيين ربما يأتيه المريض فلا يعطيه دواء، إنما يجلس معه جلسات نفسية فيجلس معه مدة ساعتين يتكلم معه ثم يشفى بعد جلسات، وهو لم يعطه دواء إنما هي أشياء نفسية ناقشه فيها.

والرقية لا تبعد عن ذلك؛ فهو كلام نافع من كلام الله تعالى ومن كلام رسوله ﷺ وهي أدعية شرعية يستطيع الإنسان أن ينفع الناس بها بإذن الله تعالى كما قال ﷺ: «اعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا».

فكان عندهم في الجاهلية رقًا ومن ضمنها رقية النملة التي ذكرتها ولما قالوا: يا رسول الله، رقانا ما نأتي منها وما نذر؟

فقال عليه الصلاة والسلام: «اعرضوا علي رقاكم» فأقر ما فيها من موافقة للدين، وأنكر غيرها كالتي فيها مناداة للجن أو اللات والعزى ونحوها.

وكانوا يعتقدون أن الرقى نافعة كما نعتقد في الإسلام أن الرقية نافعة بكتاب الله تعالى، ومن ذلك ما رواه البخاري أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه سافر مرة مع بعض الصحابة فمروا بحي من أحياء العرب لم يكونوا مسلمين ولما مروا بهم أقبل الصحابة على هؤلاء فاستقروهم فلم يقروهم -أي طلبوا منهم قرى الضيف؛ لكن ما

معنىٰ قرىٰ الضيف؟

قرىٰ الضيف: **هو الطعام الذي يوضع للضيف كما وضعنا لكم عصيرًا وفاكهة، فهذا من القرىٰ للضيف كما قال الشاعر:**

أحادث ضيفي قبل إنزال رحله ويخصب عندي والمكان جديب

وما الخصب للأضياف أن يكثر القرىٰ ولكن وجه الأكرمين خصيب

فالشاعر يقول: **ليست الضيافة بأن أكثر من الطعام للضيف، إنما الإكرام يكون بالتَرحاب والوجه المبتسم والرحابة في الكلام.**

المهم: **أنهم استقروهم فلم يقروهم ولم يعطوهم شيئًا فلدغ سيد القوم بعقرب أو ثعبان، فأقبل القوم وقالوا: إن سيد القوم لديغ أفيكم من راقٍ؟**

كانوا يعتقدون بالرقىٰ -والشفاء بنت عبد الله التي نتحدث عنها كان عندها رقية- فقال أبو سعيد: أنا أرقيه؛ لكن والله لا أرقيه لكم إلا بقطيع من غنم فقالوا: لا مانع.

فأقبل وجلس عنده وأخذ يقرأ الفاتحة ويكررها وينفث عليه، ولما انتهىٰ من قراءة الفاتحة عليه سبعًا؛ قفز الرجل ليس فيه بأس، فأخذوا المال، وعادوا إلىٰ النبي ﷺ وفي نفس أبي سعيد شيء فجاء إلىٰ رسول الله وقص عليه ما جرىٰ معهم فقال ﷺ: «إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله تعالىٰ».

والمقصود من هذا: **أن الشفاء رضي الله عنها كانت ترقي الناس وتنفعهم طبعًا.**

سؤال: بعض الناس لديهم مفهوم خطأ في قضية الرقية فمثلاً تراهم يعتمدون اعتمادًا كليًّا علىٰ القراءة، ويتجنبون الطبيب والمستشفىٰ، وبعضهم يعكس الصورة هذه وأنا أرىٰ أن الجمع بين الطرفين أفضل فما رأيك بهذا الفعل؟

أحسنت، الطب ينقسم إلىٰ قسمين: فهناك الطب الشرعي وهو ما يكون بالرقية وهو نافع بإذن الله تعالىٰ، وهناك طب آخر وهو الطب الدنيوي.

ولا مانع أن يجمع بين الأمرين والأولىٰ أن يبدأ بالدعاء، ولا مانع أيضًا وأنا

أذهب بالسيارة إلىٰ الطبيب أن أرقي نفسي ثم أذهب إلىٰ الطبيب، والنبي ﷺ يقول: «فليضع يده علىٰ الذي يألم من جسده وليقل: باسم الله ثلاث مرات أعوذ بقوة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر يقولها سبع مرات فإنه يذهب ما به».

فلا مانع من ترديد الذكر عند الذهاب إلىٰ الطبيب للرقية.

مما ذكرته أنه لا بأس علىٰ من أخذ الأجرة علىٰ القراءة؛ فبعض الناس يقول: إن كان الراقي ممن يأخذ المال علىٰ الرقية فلا تذهب إليه؟

د. محمد: أخذ المال علىٰ الرقية ورد عن النبي ﷺ لكن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه أخذه لسبب وهو أنهم قوم بخلاء ولا يستحقون الخدمة ولديهم مال، وكأنه رد عليهم للاعتبار؛ لكن لا يمنع أخذ الأجرة علىٰ القراءة؛ لأنه نوع من الطب فلما أرقي أحدًا يجوز لي أن آخذ المال، وإن كان الأفضل عدم الإشقاق علىٰ الناس؛ فقد يأتي أحدهم فقيرًا لا يجد ما يقدمه؛ فلا بد من مراعاة أحوال الناس في هذا.

ولا يشترط أن تذهب إلىٰ متخصص بالقراءة فقد تذهب إلىٰ إمام مسجدكم وقد تقرأ علىٰ أمك وعلىٰ نفسك؛ فالقراءة حقيقتها الدعاء، والدعاء إذا كان من قلب محب وقلب صافٍ فلا يمنع أن ترقي أنت، ولعل الله تعالىٰ أن ينفع بك.

ولا أريد الإطالة في قضية الرقية؛ ما دمنا مع الشفاء في شفاء غيرها، وبالنسبة عما يتعلق بطب الآخرين، فقد تكلمنا سابقًا عن دخول المرأة في الطب أو في التمريض هل هو يؤيد أو لا وسأعيد شيئًا قليلاً عما تحدثنا عنه في الحلقات الماضية.

وبالمناسبة نقول: عائشة رضي الله عنها كانت لديها معرفة بالطب، والعرب قديمًا ألفوا في الطب وكانت لديهم مقدرة عليه، ولا تزال الأمة تحتاج اليوم إلىٰ أن تغطىٰ في هذا المجال من الأطباء والطبيبات.

وأنا أدعو أخواتي إلىٰ دراسة الطب والتمريض إذا كان منضبطًا بالضوابط الشرعية، لا اختلاط ونحن عندنا في المملكة كليات التمريض الخاصة بالبنات وكليات خاصة بالشباب، ونرجو الله تعالىٰ أن تكون كليات الطب غير مختلطة وهي

في الأصل غير مختلطة؛ لكن بعض المواد العملية ربما يكون فيها شيء من الاختلاط.

ونسأل الله تعالىٰ أن يكون الأمر معزولاً تمامًا وأن نستغني عن دول الكفر في هذا الأمر.

ونحن الآن نأتي بمن ليسوا علىٰ ديننا ونسلمهم أرواحنا، والأصل القدرة علىٰ الاستغناء؛ ولهذا فإنني أشد علىٰ أيدي الإخوة والأخوات الذين يدرسون التمريض والطب؛ لعل الله تعالىٰ ينفع بهم.

سؤال: لقد ذكرت في القصة أنهم رقَوا قومًا كافرين فهل تنفع الرقي للكافر، وهل هي نافعة لهم؟

د. محمد: هذه لفتة جميلة. وسؤاله هو هل إذا قرأت رقية شرعية علىٰ غير مسلم يمكن أن يستفيد؛ إذ هذا الحديث يدل علىٰ استفادته إذ اعتقد هو أن قراءته نافعة؛ فسيد القوم لم يرسل وراء الصحابة للقراءة إلا لاعتقاده أن لديهم شيئًا نافعًا ولم يعطهم القطيع إلا عندما رأىٰ الاستفادة.

فالقراءة علىٰ غير المسلم مفيدة، وبعض الناس قد يزور بعض أصحابه كما حصل لي عندما زرت أحد الإخوة وكان مصابًا بمرض في العين، فنظرت فإذا بجانبه فلبيني غير مسلم يعمل مهندسًا في الشركة، وعنده مشكلة في العين.

وسألتهم عن سبب مرضه فقالوا: كان علىٰ مكتبه فشعر بعمىٰ والآن مع العلاج لا يرىٰ إلا قليلاً حتىٰ إنه قام إلىٰ الحمام فكان يتلمس الجدران فقلت لهم: قد يكون عمل له من السحر عمل، والطبيب يقول: لا أدري ما مشكلته؟ فكل شيء عنده صحيح.

فقلت لهم: سأقرأ عليه فذهب إلىٰ الحمام ولم تتيسر القراءة عليه؛ لكني ندمت وودت أنني قرأت عليه كما قرأ أبو سعيد علىٰ الكافر.

سؤال: هنا نذكر حديث النبي ﷺ الذي معناه أن خير الناس أنفعهم للناس، بعض الناس أحيانا يلجأ إلىٰ الغير في القراءة، ونحن قرأنا أن الأفضل للإنسان أن يقرأ

علىٰ نفسه ثم علىٰ أهله؛ فحرصه علىٰ المنفعة سيكون أكثر من حرص غيره عليه.

د. محمد: لقد أشرنا إلىٰ شيء من هذا قبل قليل، وجميل أن أثرت المسألة مرة أخرىٰ، فالقراءة في أصلها دعاء للآخر، وهذا يظهر من الدعاء في الرقية الذي نقول فيه: اللهم رب الناس، أذهب البأس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر إلا سقمًا.

وأنا الآن أدعو له وكذا في قولي: باسم الله أرقيك من كل شر يؤذيك، فالمعنىٰ باسم الله أطلب شفاءك.

وهكذا فإن القراءة في حقيقتها دعاء، وكلما كان القارئ أقرب نفسيًّا إلىٰ المقروء عليه كانت الفائدة أكثر، وقراءة الإنسان علىٰ نفسه أيضًا لا تمنع، وأنا عندما أقرأ علىٰ نفسي بالآيات والأذكار الشرعية أفضل من أن أذهب إلىٰ غيري فأطلب القراءة منه.

سؤال: هناك حديث لمسلم قال فيه النبي ﷺ: لا يرقون ولا يسترقون، فمن هم؟

د. محمد: الحديث جاء عندما ذكر النبي ﷺ السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب من أمته فقالوا: يا رسول الله، صفهم لنا. فقال: «هم الذين لا يرقون ولا يسترقون، ولا يتطيرون وعلىٰ ربهم يتوكلون».

وورد في «صحيح مسلم» بغير لفظ: (لا يرقون) أي صفاتهم أنه لا يسترقون أي لا يطلبون الرقية من الناس؛ لكنهم قد يرقون الآخرين؛ لهذا فإن النبي ﷺ رقىٰ الآخرين لكنه لم يكن يقول: ارقوني واقرءوا علي.

ومن صفاتهم: أنهم لا يتطيرون أي لا يتشاءمون، وعلىٰ ربهم يتوكلون.

أما من يرقي الناس فهو علىٰ أجر عظيم بلا شك، وهنا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يتكلم عن الرقية علىٰ الآخرين من المس والعين والسحر قال:

وهذه من أعظم الصفات؛ لأنك تقاتل عدوًّا هو يراك وأنت لا تراه.

والمقصود بهذا: أنك تقاتل الشيطان الذي يراك وأنت لا تراه وهذا من أعظم الجهاد، والنبي ﷺ عندما سئل عن الرقىٰ قال ﷺ: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل».

سؤال: إكثار المريض التنقل بين أهل الرقية وكأن الرقية جرعة دواء ويقولون له: لا تكثر من القراءة حتىٰ لا تتأثر بالجرعة فما رأيك؟

د. محمد: لقد ذكرتني بأحدهم -عفا الله عنه، لا أدري عن صدقها وسئلت عنها- أن شخصًا يقرأ في ماء رقية شرعية وكان قد كتب علىٰ هذا الماء اقرأ قراءة مركزة وقبل أن تشرب خففها بالماء.

وكأنه يقول: هذه القراءة فيها خشوع وانكسار لله تعالىٰ فلا بد أن تخففها بالماء.

طبعًا لا يوجد قراءة مركزة وجرعة زائدة؛ لأن القرآن كله خير، ولا ينبغي تتبع القراء.

والذي أشير إليه أن يعتمد الإنسان علىٰ نفسه حتىٰ يستفيد، أما مسألة تتبع القراء فهو أمر منهي عنه.

سؤال: هل هناك ضوابط معينة للقراءة في الرقية؟

د. محمد: الذي كان مشتهرًا بين الصحابة كالشفاء بنت عبد الله وهي بطلة حلقتنا والتي هي مِفتاح كلامنا عن القراءة؛ لأنها كانت ترقي النساء، وكانت تعلمهم الكتابة، وهو أمر مهم أن نعرف القراءة والرقية.

لكن هل هناك أشياء تقرأ علىٰ أمراض معينة أم لا؟

أنتم تعلمون أن الرقية في أصلها طب والطب يعرف بالتجربة، فإذا كان لدينا مريض مصاب بمرض معين فهناك آيات ربما تصلح لهذا المريض ولا تصلح لغيره.

مثلاً: إنسان مصاب بعين حاسدة فتقرأ عليه الآيات التي وردت في العين كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم:٥١].

ومثل سورة الفلق في آخرها قوله تعالىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق:٥]

ومثل قوله تعالىٰ علىٰ لسان يعقوب: ﴿ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖ ﴾ [يوسف:٦٧] ثم قال: ﴿ مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَا ﴾ [يوسف:٦٨].

ومثل قوله تعالىٰ: ﴿ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء:٥٤].

أو إنسان مصاب بمس أو لديه ضيق لا يدري ما سببه، يقرأ عليه الآيات التي فيها كلمة الانشراح مثل قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴾ [الشرح:١] وقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ ﴾، وكقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ ﴾[آل عمران:١٥٤] ونحو ذلك.

فكون القراءة علىٰ الناس بالآيات التي تتوافق مع ما هو مصاب به فلا بأس؛ لأن قراءة الآيات التي يكون فيها شيء من النفع بلا شك تفيد.

وهناك قراءة آيات عامة كقراءة سورة الفاتحة؛ فالنبي ﷺ عندما أتاه أبو سعيد وذكر له أنه قرأ الفاتحة علىٰ الرجل قال له النبي ﷺ: «وما يدريك أنها رقية» أي: فعلاً هي رقية.

وقراءة آية الكرسي، وقراءة قل هو الله أحد والفلق والناس ثلاث مرات أو سبعًا فالنبي كان إذا دعا دعا سبعًا.

ورقم سبعة لها ميزة في الشريعة كالسموات عددها سبع والأرضون سبع والفاتحة السبع المثاني والطواف سبع مرات والسعي سبع مرات.

والنبي عندما ذكر العجوة في الصباح قال: «من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يصبه سم ولا سحر».

والإمام ابن قيم ذكر في «زاد المعاد» خصائص الرقم سبعة والسبعين ففي كلام الله تعالىٰ موجود في قوله: ﴿إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴾ [التوبة:٨٠].

ولقد ذكر الإمام ابن قيم الأشياء التي جاء فيها السبع وقال: **وعلىٰ ذلك فلو أن أبا**

سعيد الخدري عندما قرأ علىٰ ذلك الرجل قرأ الفاتحة سبع مرات، والنبي ﷺ كان إذا دعا الله تعالىٰ دعاه سبعًا.

فرقم سبعة له معنىٰ في الشريعة وإن كان لم يرد به نص في الشريعة؛ حتىٰ لا ينقل علىٰ لساني أن له مستندًا من نصوص الشرع.

وهذا لا يعني أن السبعة لا بد أن يعمل بها في كل الأشياء، إنما أقول: إن الشريعة عمومًا جاءت بخصائص لهذا الرقم.

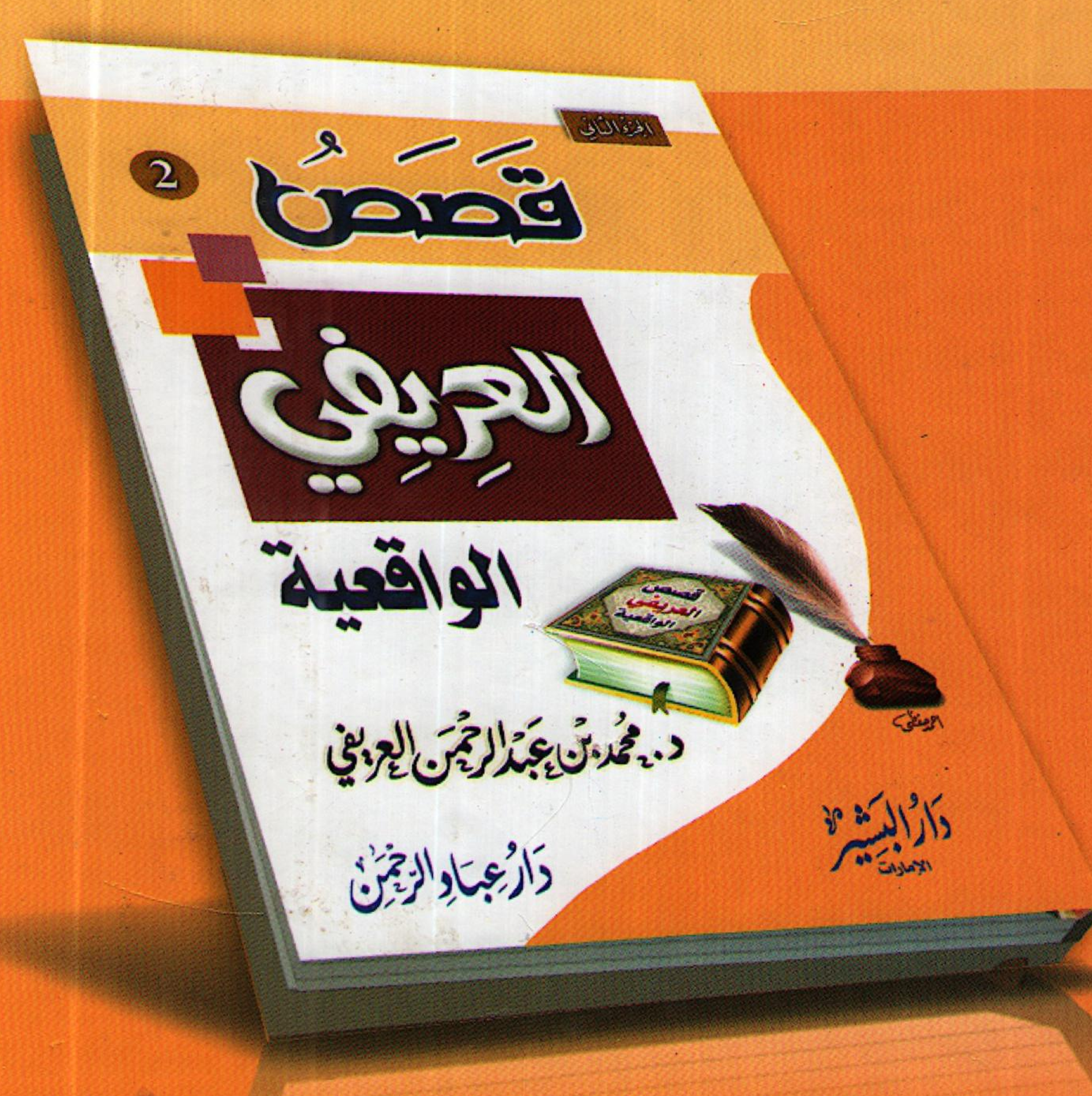
وقال ابن القيم: مادام أن النبي ﷺ كان إذا دعا دعا سبعًا وذكر العدد سبعة في كثير من الأشياء فيقول ابن القيم: إن القراءة إذا حصلت فلا بأس أن يقرأ سبعًا عليهم أو إذا أراد أن يرقىٰ نفسه فليرق نفسه سبعًا.

أسأل الله تعالىٰ أن يشفي كل مريض مسلم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



فهرس الموضوعات




الجزء الثاني
2
قصص
العريفي
الواقعية
د. محمد بن عبد الرحمن العريفي
دار عباد الرحمن
دار البشير
الإمارات